مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور احمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الخامس عشر

الطبعة الأخيرة
منقحة ومضبوطة وفيها زيادات
طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

عبد الجليل شلبي

مقدمة الكتاب

عبد الجليل عبده شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق بما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني

﴿ ١ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ أَبُو حَيَّانَ * ﴾

أبو حيان التوحيدي

التَّوْحِيدِيُّ، شِيرَازِيُّ الْأَصْلِ وَقِيلَ نَيْسَابُورِيٌّ، وَوَجَدْتُ بَعْضَ الْفُضَلَاءِ يَقُولُ لَهُ الْوَاسِطِيُّ، صُوفِيُّ السَّمْتِ وَالْهَيْئَةِ، وَكَانَ يَتَأَلَّهُ وَالنَّاسُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دِينِهِ، قَدِمَ بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً وَمَضَى إِلَى الرَّيِّ، وَصَحِبَ الصَّاحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ وَقَبْلَهُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ فَلَمْ يَحْمَدْهُمَا وَعَمِلَ فِي مَثَالِبِهِمَا كِتَابًا، وَكَانَ مُتَفَنِّنًا فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ وَالْأَدَبِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ عَلَى رَأْيِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَكَانَ جَاحِظِيًّا يَسْلُكُ فِي تَصَانِيفِهِ مَسْلَكَهُ وَيَشْتَهِي أَنْ يَنْتَظِمَ فِي سِلْكِهِ، فَهُوَ شَيْخٌ فِي الصُّوفِيَّةِ وَفَيْلَسُوفُ الْأُدَبَاءِ وَأَدِيبُ الْفَلَاسِفَةِ، وَمُحَقِّقُ الْكَلَامِ وَمُتَكَلِّمُ الْمُحَقِّقِينَ، وَإِمَامُ الْبُلَغَاءِ، وَعُمْدَةٌ لِبَنِي سَاسَانَ، سَخِيفُ اللِّسَانِ، قَلِيلُ الرِّضَا عِنْدَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ، الذَّمُّ

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة بترجمة جاء فيها ما يأتي قال :

أبو حيان التوحيدي بالحاء المهملة نسبة إلى نوع من التمر يسمى التوحيدي، وقال شيخ الاسلام ابن حجر : يحتمل أن يكون إلى التوحيد الذي هو الدين، فان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد. وقال ابن الجوزي : زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي والتوحيدي، وأبو العلاء المعري، وشرهم على الاسلام التوحيدي، لأنهما صرحا ولم يصرح. مات في حدود الثمانين والثلاثمائة

شَأْنُهُ ، وَالثَّلْبُ دُكَّانُهُ [1] ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فَرْدُ الدُّنْيَا الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ ذَكَاءً وَفِطْنَةً ، وَفَصَاحَةً وَمُكْنَةً ، كَثِيرُ التَّحْصِيلِ لِلْعُلُومِ فِي كُلِّ فَنٍّ حَفِظَهُ ، وَاسِعُ الدِّرَايَةِ وَالرِّوَايَةِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مَحْدُوداً [2] مُحَارَفاً يَتَشَكَّى صَرْفَ زَمَانِهِ ، وَيَبْكِي فِي تَصَانِيفِهِ عَلَى حِرْمَانِهِ .

وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ذَكَرَهُ فِي كِتَابٍ ، وَلَا دَمَجَهُ فِي ضِمْنِ خِطَابٍ ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا حَيَّانَ ذَكَرَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِ الصَّدِيقِ وَالصَّدَاقَةِ وَهُوَ كِتَابٌ حَسَنٌ نَفِيسٌ بِمَا قَالَ فِيهِ :

كَانَ سَبَبُ إِنْشَاءِ هَذَا الْكِتَابِ الرِّسَالَةِ فِي الصَّدِيقِ وَالصَّدَاقَةِ : أَنِّي ذَكَرْتُ مِنْهَا شَيْئًا لِزَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ أَبِي الْخَيْرِ ، فَنَمَاهُ إِلَى ابْنِ سَعْدَانَ أَبِي عَبْدِ اللهِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ قَبْلَ تَحَمُّلِهِ أَعْبَاءَ الدَّوْلَةِ وَتَدْبِيرِهِ أَمْرَ الْوَزَارَةِ فَقَالَ لِي ابْنُ سَعْدَانَ : قَالَ لِي عَنْكَ زَيْدٌ كَذَا وَكَذَا ، قُلْتُ : قَدْ كَانَ ذَاكَ . فَقَالَ لِي : دَوِّنْ هَذَا الْكَلَامَ وَصِلْهُ

---

(١) الدكان : الحانوت ، والكلام على المجاز ، يريد أن بضاعته الثلب

(٢) المحارف : المحدود المحروم

بِصِلَاتِهِ مِمَّا يَصِحُّ عِنْدَكَ لِمَنْ تَقَدَّمَ ، فَإِنَّ حَدِيثَ الصَّدِيقِ حُلْوٌ ، وَوَصْفَ الصَّاحِبِ الْمُسَاعِدِ مُطْرِبٌ ، فَجَمَعْتُ مَا فِي هٰذِهِ الرِّسَالَةِ وَشُغِلَ عَنْ رَدِّ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَبَطُؤْتُ أَنَا عَنْ تَحْرِيرِهَا إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَلَمَّا كَانَ هٰذَا الْوَقْتُ وَهُوَ رَجَبٌ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، عَثَرْتُ عَلَى الْمُسَوَّدَةِ وَبَيَّضْتُهَا ، « وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى بَقَائِهِ إِلَى مَا بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ » .

وَفِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ لِابْنِ الصَّابِيءِ : وَحَكَى أَبُو حَيَّانَ قَالَ : حَضَرْتُ مَائِدَةَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فَقُدِّمَتْ مَضِيرَةٌ[1] فَأَمْعَنْتُ فِيهَا فَقَالَ لِي : يَاأَبَا حَيَّانَ ، إِنَّهَا تَضُرُّ بِالْمَشَايِخِ . فَقُلْتُ : إِنْ رَأَى الصَّاحِبُ أَنْ يَدَعَ التَّطَبُّبَ عَلَى طَعَامِهِ فَعَلَ ، فَكَأَنِّي أَلْقَمْتُهُ حَجَراً وَخَجِلَ وَاسْتَحْيَا وَلَمْ يَنْطِقْ إِلَى أَنْ فَرَغْنَا ،

وَلِأَبِي حَيَّانَ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا : كِتَابُ رِسَالَةِ الصَّدِيقِ وَالصَّدَاقَةِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ جِنِّي فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ، كِتَابُ الْإِمْتَاعِ وَالْمُؤَانَسَةِ جُزْءَانِ ، كِتَابُ الْإِشَارَاتِ الْإِلٰهِيَّةِ جُزْءَانِ ، كِتَابُ الزُّلْفَةِ جُزْءٌ ، كِتَابُ الْمُقَابَسَةِ ، كِتَابُ رِيَاضِ الْعَارِفِينَ ، كِتَابُ تَقْرِيظِ الْجَاحِظِ ، كِتَابُ

(١) المضيرة : مريقة تطبخ باللبن المضير أو الحليب ، واللبن المضير : الحامض منه

ذَمِّ الْوَزِيرَيْنِ ، كِتَابُ الْحَجِّ الْعَقْلِيِّ إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ عَنِ الْحَجِّ الشَّرْعِيِّ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ فِي صِلَاتِ الْفُقَهَاءِ فِي الْمُنَاظَرَةِ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ الْبَغْدَادِيَّةِ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ فِي أَخْبَارِ الصُّوفِيَّةِ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ الصُّوفِيَّةِ أَيْضاً ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ فِي الْحَنِينِ إِلَى الْأَوْطَانِ ، كِتَابُ الْبَصَائِرِ وَهُوَ عَشْرُ مُجَلَّدَاتٍ كُلُّ مُجَلَّدٍ لَهُ فَاتِحَةٌ وَخَاتِمَةٌ ، كِتَابُ الْمُحَاضَرَاتِ وَالْمُنَاظَرَاتِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ الْمُحَاضَرَاتِ : كُنْتُ بِحَضْرَةِ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ فَوَجَدْتُ بِخَطِّهِ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ اللُّمَعِ فِي شَوَاذِّ التَّفْسِيرِ ـ وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذْتُهُ وَنَظَرْتُ ـ قَالَ : ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ، وَلَا آخِرٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِ ، وَلَا عَقْلٌ يَزْكُو بِهِ عَاقِلٌ لَدَيْهِ ، وَأَنْشَدَ :

حَسِبْتُكَ إِنْسَانًا عَلَى غَيْرِ خِبْرَةٍ
فَكَشَّفْتَ عَنْ كَلْبٍ أَكَبَّ عَلَى عَظْمِ
لَحَى اللهُ رَأْيًا قَادَ نَحْوَكَ هِمَّتِي
فَأَعْقَبَنِي طُولَ الْمَقَامِ عَلَى الذَّمِّ

فَقَالَ لِي: يَا أَبَا حَيَّانَ ، مَا الَّذِي كُنْتَ تَكْتُبُ ؟

قُلْتُ : الحِكَايَةَ الَّتِي عَلَى ظَهْرِ هَذَا الْكِتَابِ ، فَأَخَذَهَا وَتَأَمَّلَهَا وَقَالَ : تَأْبَى إِلَّا الاشْتِغَالَ بِالْقَدْحِ وَالذَّمِّ وَثَلْبِ النَّاسِ . فَقُلْتُ : أَدَامَ اللهُ الْإِمْتَاعَ ، شُغِلَ كُلُّ نَاسٍ بِمَا هُوَ مُبْتَلًى بِهِ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَقَصَدْتُ مَعَ أَبِي زَيْدٍ الْمَرْوَزِيِّ دَارَ أَبِي الْفَتْحِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ فَمُنِعْنَا مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ أَشَدَّ مَنْعٍ ، وَذَكَرَ حَاجِبُهُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْخُبْزَ فَرَجَعْنَا بَعْدَ أَنْ قَالَ أَبُو زَيْدٍ لِلْحَاجِبِ : أَجْلِسْنَا فِي الدِّهْلِيزِ إِلَى أَنْ يَفْرُغَ مِنَ الْأَكْلِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا خَزَايَا أَنْشَأَ يَقُولُ مُتَمَثِّلًا :

عَلَى خُبْزِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ الْبُخْلِ
فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ
وَمَا خُبْزُهُ إِلَّا كَآوَى(١) يُرَى ابْنُهُ
وَلَمْ يُرَ آوَى فِي الْحُزُونِ وَلَا السَّهْلِ
وَمَا خُبْزُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ
تُصَوَّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمُثُلِ

(١) سمي ابن آوى بهذه الكنية من غير وجود لآوى ، فاذا أردت أن تضرب مثلا لرؤية المحال قلت : « رأيت آوى أو عنقاء مغرب » .

يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ
سِوَى صُورَةٍ مَا إِنْ تُمِرُّ (١) وَلَا تُحْلِي

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَأَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ الْقُومِسِيُّ الْفَيْلَسُوفُ وَكَانَ بَحْرًا عَجَّاجًا ، وَسِرَاجًا وَهَّاجًا ، وَكَانَ مِنَ الضُّرِّ وَالْفَاقَةِ ، وَمُقَاسَاةِ الشِّدَّةِ وَالْإِضَاقَةِ بِمَنْزِلَةٍ عَظِيمَةٍ ، عَظِيمَ الْقَدْرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَخْطَارِ ، مَنْحُوسَ الْحَظِّ مِنْهُمْ ، مُتَّهَمًا فِي دِينِهِ عِنْدَ الْعَوَامِّ مَقْصُودًا (٢) مِنْ جِهَتِهِمْ . فَقَالَ لِي يَوْمًا : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الدُّنْيَا وَنَكَدَهَا تَبْلُغُ مِنْ إِنْسَانٍ مَا بَلَغَ مِنِّي ، إِنْ قَصَدْتُ دَجْلَةَ لِأَغْتَسِلَ مِنْهَا نَضَبَ مَاؤُهَا ، وَإِنْ خَرَجْتُ إِلَى الْقِفَارِ لِأَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ عَادَ صَلْدًا أَمْلَسَ ، وَكَأَنَّ الْعَطَوِيَّ مَا أَرَادَ بِقَصِيدَتِهِ غَيْرِي ، وَمَا عَنَى بِهَا سِوَايَ ، ثُمَّ أَنْشَدَنَا لِلْعَطَوِيِّ :

مَنْ رَمَاهُ الْإِلَهُ بِالْإِقْتَارِ وَطِلَابِ الْغِنَى مِنَ الْأَسْفَارِ
هُوَ فِي حَيْرَةٍ وَضَنْكٍ وَإِفْلَا سٍ وَبُؤْسٍ وَمِحْنَةٍ وَصَغَارِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي أَوْضَحَ الْجُو دُ إِلَيْهِ مَقَاصِدَ الْأَحْرَارِ

(١) يقال للشيء لا قيمة له ، وللرجل كذلك ما يمر وما يحلي : أي لا مرارة فيه فتحس ، ولا حلاوة فتذاق . (٢) متهما ومقصودا بالنصب ، وكانتا في الأصل : « بالرفع » « عبد الخالق »

خُذْ حَدِيثِي فَإِنَّ وَجْهِي مُذْ بَا   رَزَ هَذَا الْأَنَامَ فِي ثَوْبِ قَارِ
وَهُوَ لِلسَّامِعِينَ أَطْيَبُ مِنْ نَفْـ   ـحِ نَسِيمِ الرِّيَاضِ غِبَّ الْقِطَارِ
هَجَمَ الْبَرْدُ[1] مُسْرِعاً وَيَدِي صِفْـ   ـرٌ وَجِسْمِي عَارٍ بِغَيْرِ دِثَارِ
فَتَسَتَّرْتُ مِنْهُ طُولَ التَّشَارِيـ[2]   ـنِ إِلَى أَنْ تَهَتَّكَتْ أَسْتَارِي
وَنَسَجْتُ الْأَطْمَارَ بِالْخَيْطِ وَالْإِبْـ   ـرَةِ حَتَّى عَرِيتُ مِنْ أَطْمَارِي
وَسَعَى الْقَمْلُ مِنْ دُرُوزِ[3] قَمِيصِي   مِنْ صِغَارٍ مَا بَيْنَهُمْ وَكِبَارِ
يَتَسَاعَوْنَ فِي ثِيَابِي إِلَى رَأْ   سِي قِطَاراً تَجُولُ بَعْدَ قِطَارِ
ثُمَّ وَافَى كَانُونُ وَاسْوَدَّ وَجْهِي   وَأَتَانِي مَا كَانَ مِنْهُ حِذَارِي
لَوْ تَأَمَّلْتَ صُورَتِي وَرُجُوعِي   حِينَ أُمْسِي إِلَى رُبُوعٍ قِفَارِ
أَنَا وَحْدِي فِيهِ وَهَلْ فِيهِ فَضْلٌ   لِجُلُوسِ الْأَنِيسِ وَالزُّوَّارِ؟
وَالْخَلَا لَا يُرَادُ فِيهِ فَمَالِي   أَبَداً حَاجَةٌ إِلَى الْحَفَّارِ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « الرد » (٢) جمع تشرين من أسماء الشهور (٣) الدروز : كل ارتفاع يحصل فى الثوب عند جمع طرفيه « الغرز » أو الدروز : الخياطة

بَلْ يُرَادُ الْخَلَا لِمُنْحَدِرِ النَّجْـ ـوِ وَمَا ذُقْتُ لُقْمَةً فِي الدَّارِ
وَإِذَا لَمْ تَدُرْ عَلَى الْمَطْعَمِ الْأَفْـ ـوَاهُ سُدَّتْ مَثَاعِبُ[1] الْأَجْحَارِ

وَقُلْتُ لَهُ يَوْماً: لَوْ قَصَدْتَ ابْنَ الْعَمِيدِ وَابْنَ عَبَّادٍ عَسَى تَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يَنْفُقُ عَلَيْهِمَا وَتَحْظَى لَدَيْهِمَا، فَأَجَابَنِي بِكَلَامٍ مِنْهُ: مُعَانَاةُ الضُّرِّ وَالْبُؤْسِ أَوْلَى مِنْ مُقَاسَاةِ الْجُهَّالِ وَالتُّيُوسِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْوَخَمِ الْوَبِيلِ أَوْلَى مِنَ النَّظَرِ إِلَى مُحَيَّا كُلِّ ثَقِيلٍ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

بَيْنِي وَبَيْنَ لِئَامِ النَّاسِ مَعْتَبَةٌ مَا تَنْقَضِي وَكِرَامُ النَّاسِ إِخْوَانِي
إِذَا لَقِيتُ لَئِيمَ الْقَوْمِ عَنَّفَنِي وَإِنْ لَقِيتُ كَرِيمَ الْقَوْمِ حَيَّانِي

وَقُلْتُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُ فِي مَعْنَى قَصِيدَةِ الْعَطَوِيِّ أُخْرَى؟ قَالَ نَعَمْ، قَصِيدَةُ الْحَرَّانِيِّ صَاحِبِ الْمَأْمُونِ. فَقُلْتُ: لَوْ تَفَضَّلْتَ بِإِنْشَادِهَا، فَقَالَ: خُذْ فِي حَدِيثِ مَنْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَتَمَكَّنَ فِيهَا مِنْ مُنَاهُ، وَدَعْ حَدِيثَ الْحُرْفِ[2] وَالْعُسْرِ

(١) المثعب: سيل الماء، يريد من أين ينحدر النجو وسببه وهو الطعام مفقود؟ وكذلك المثاعب مقفلة إذ ليس لفتحها سبب (٢) الحرف: الحرمان «عبد الخالق»

وَالشُّؤْمِ وَالْخُسْرِ تَطيُّراً إِنْ لَمْ تَرْفُضْهُ تَأَدُّباً . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَعْرِفُ لَكَ شَرِيكاً فِيماَ أَنْتَ عَلَيْهِ وَتَتَقَلَّبُ فِيهِ وَتُقَاسِيهِ سِوَاىَ ، وَلَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَىَّ الْحُرْفُ وَتَمَكَّنَ مِنِّى نَكَدُ الزَّمَانِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِى لَا أَسْتَرْزِقُ مَعَ صِحَّةِ نَقْلِى وَتَقْيِيدِ خَطِّى وَتَزْوِيقِ نَسْخِي وَسَلَامَتِهِ مِنَ التَّصْحِيفِ وَالتَّحْرِيفِ بِمِثْلِ مَا يَسْتَرْزِقُ الْبَلِيدُ الَّذِى يَنْسَخُ[1] النَّسْخَ ، وَيَمْسَخُ[2] الْأَصْلَ وَالْفَرْعَ ، وَقَصَدْتُ ابْنَ عَبَّادٍ بِأَمَلٍ فَسِيحٍ وَصَدْرٍ رَحِيبٍ ، فَقَدَّمَ إِلَىَّ رَسَائِلَهُ فِى ثَلَاثِينَ مُجَلَّدَةً عَلَى أَنْ أَنْسَخَهَا لَهُ ، فَقُلْتُ : نَسْخُ مِثْلِهِ يَأْتِى عَلَى الْعُمْرِ وَالْبَصَرِ ، ـ وَالْوِرَاقَةُ[3] كَانَتْ مَوْجُودَةً بِبَغْدَادَ ـ فَأَخَذَ فِى نَفْسِهِ عَلَىَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا فُزْتُ بِطَائِلٍ مِنْ جِهَتِهِ . فَقَالَ : بَلَغَنِى ذَلِكَ فَقُلْتُ لَهُ : وَلَوْ كَانَ شَيْئاً يَرْتَفِعُ مِنَ الْيَدِ بِمُدَّةٍ قَرِيبَةٍ لَكُنْتُ لَا أَتَعَطَّلُ وَأَتَوَفَّرُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ قَرَّرَ مَعِى أُجْرَةَ مِثْلِهِ لَكُنْتُ أَصْبِرُ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ لِمَنْ وَقَعَ فِى شَرِّ الشِّبَاكِ وَعَيْنِ الْهَلَاكِ إِلَّا الصَّبْرُ .

---

(١) ينسخ : يزيل ، والنسخ : المنسوخ بمعنى المكتوب ، وكانت هذه الكلمة فى الأصل : « يمسخ » (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « يفسخ »
(٣) هذه الجملة « معترضة »

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَدَخلْتُ عَلَى الدلَجِيِّ(١) بِشِيرَازَ وَكُنْتُ قَدْ تَأَخَّرْتُ عَنْهُ أَيَّاماً ، وَهَذَا الْكِتَابُ يَعْنِي كِتَابَ الْمُحَاضَرَاتِ جَمَعْتُهُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلِأَجْلِهِ أَتعبْتُ نَفْسِي . فَقَالَ لِي : يَا أَبَا حَيَّانَ ، مِنْ أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِراً
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا

وَهَذَا لِمَلَالٍ ظَهَرَ لِي مِنْهُ ، وَقَلِيلِ إِعْرَاضٍ عَنِّي فِي يَوْمٍ . فَقَالَ لِي : مَا هَذَا الْبَيْتُ إِلَّا بَيْتٌ جَيِّدٌ يَعْرِفُهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا يُذْكَرُ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا » . فَلَوْ كَانَ لِهَذَا الْبَيْتِ أَخَوَاتٌ كَانَ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فَرْداً . قُلْتُ : فَلَهُ أَخَوَاتٌ . قَالَ : فَأَنْشِدْنِي . قُلْتُ لَا أَحفَظُهَا ، قَالَ : فَأَخْرِجْهَا ، قُلْتُ : لَا أَهْتَدِي إِلَيْهَا . قَالَ : فَمِنْ أَيْنَ عَرَفْتَهَا ؟ قُلْتُ : مَرَّتْ بِي فِي جُمْلَةِ تَعْلِيقَاتٍ . قَالَ : فَاطْلُبْهَا لِأُقَدِّمَ رَسْمَكَ . قُلْتُ : فَقَدِّمْهُ الْآنَ عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمُعْتَادُ إِطْلَاقُهُ فِيهِ كُلَّ سَنَةٍ أَطْلَقْتَ أَيْضاً . قَالَ : أَفْعَلُ . قُلْتُ : خُذْهَا الْآنَ .

(١) نسبة إلى دلجة : قرية بصعيد مصر ، قلت : ولعله منسوب إلى الدلجة واحدة الدلج : وهي السير وقت الظلام «عبد الخالق»

سَمِعْتُ الْعَرُوضِيَّ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ : دَخَلَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى الرَّافِقِيِّ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا خَلُوبٌ فَقَالَ لَهَا اقْتَرِحِي عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِراً
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا

أَجِزْهُ بِأَبْيَاتٍ تَلِيقُ بِهِ فَأَنْشَدَ :

بَقِيتُ بِلَا قَلْبٍ فَإِنِّي هَائِمٌ (١)
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ يَا خَلُوبُ لَكُمْ قَلْبَا ؟
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبَيْتِ أَنَّكِ مُنْيَتِي
فَكُونِي لِعَيْنِي مَا نَظَرْتُ لَهَا نُصْبَا (٢)
عَسَى اللهُ يَوْماً أَنْ يُرِيَنِيكَ خَالِياً
فَيَزْدَادَ لَحْظِي مِنْ مَحَاسِنِكُمْ عُجْبَا
إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِراً
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا

---

(١) هى صفوح فيتمنى من طريق الاستفهام أن تعار قلبا لتهيم به

(٢) لها بدل من لعينى ، ونصبا خبر كان ، يريد كونى معبودة لعينى ، إذ النصب كقفل : ما عبد من دون الله ، أو أن النصب كمفتح : العلم ، أى فكونى موضع نظرها دائما كالعلم إذ يرى دائما « عبد الخالق »

فَأَنجزَ لِي مَا وَعَدَ، وَوَفَّى بِمَا شَرَطَ، وَكَانَ يَنفُقُ عَلَيْهِ سُوقُ الْعِلْمِ مَعَ جُنُونٍ كَانَ يَعْتَرِيهِ، وَيَتَخَبَّطُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ فِيهِ، وَلَيْتَ مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ خَلَفَ لِنَفْسِهِ شَكْلاً، أَوْ نَرَى لَهُ فِي وَقْتِنَا هَذَا مِثْلاً، بَارَتِ الْبَضَائِعُ، وَغَارَتِ⁽¹⁾ الْبَدَائِعُ، وَكَسَدَ سُوقُ الْعِلْمِ، وَخَمَدَ ذِكْرُ الْكَرَمِ، وَصَارَ النَّاسُ عَبِيدَ الدِّرْهَمِ بَعْدَ الدِّرْهَمِ. وَكَانَ أَبُو حَيَّانَ قَدْ أَحْرَقَ كُتُبَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ لِقِلَّةِ جَدْوَاهَا، وَضَنًّا بِهَا عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا بَعْدَ مَوْتِهِ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو سَهْلٍ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ يَعْذُلُهُ عَلَى صَنِيعِهِ، وَيُعَرِّفُهُ قُبْحَ مَا اعْتَمَدَ مِنَ الْفِعْلِ وَشَنِيعِهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَلِكَ: حَرَسَكَ اللهُ أَيُّهَا الشَّيْخُ مِنْ سُوءِ ظَنِّي بِمَوَدَّتِكَ وَطُولِ جَفَائِكَ، وَأَعَاذَنِي مِنْ مُكَافَأَتِكَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجَارَنَا جَمِيعاً مِمَّا يُسَوِّدُ وَجْهَ عَهْدٍ إِنْ رَعَيْنَاهُ كُنَّا مُسْتَأْنِسِينَ بِهِ، وَإِنْ أَهْمَلْنَاهُ كُنَّا مُسْتَوْحِشِينَ مِنْ أَجْلِهِ، وَأَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ عِنْدَكَ، وَجَعَلَنِي عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا فِدَاكَ.

---

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل: « ثارت »

وَافَانِى كِتَابُكَ غيْرَ مُحْتَسَبٍ وَلَا مُتَوَقَّعٍ عَلَى ظَمَأٍ بَرَّحَ بِي إِلَيْهِ، وَشَكَرْتُ اللهَ تَعَالَى عَلَى النِّعْمَةِ بِهِ عَلَيَّ، وَسَأَلْتُهُ الْمَزِيدَ مِنْ أَمْثَالِهِ، الَّذِى وَصَفْتَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ الشَّوْقِ إِلَيَّ، وَالصَّبَابَةِ نَحْوِى مَانَالَ قَلْبَكَ وَالْتَهَبَ فِى صَدْرِكَ مِنَ الْخَبَرِ الَّذِى نَمَى إِلَيْكَ فِيمَا كَانَ مِنِّى مِنْ إِحْرَاقِ كُتُبِي النَّفِيسَةِ بِالنَّارِ وَغَسْلِهَا بِالْمَاءِ، فَعَجِبْتُ مِنِ انْزِوَاءِ وَجْهِ الْعُذْرِ عَنْكَ فِى ذَلِكَ، كَأَنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَزَّ: «كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ». وَكَأَنَّكَ لَمْ تَأْبَهْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ». وَكَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَا ثَبَاتَ لِشَىْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ شَرِيفَ الْجَوْهَرِ كَرِيمَ الْعُنْصُرِ، مَا دَامَ مُقَلَّبًا بِيَدِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مَعْرُوضًا عَلَى أَحْدَاثِ الدَّهْرِ وَتَعَاوُدِ الْأَيَّامِ، ثُمَّ إِنِّى أَقُولُ: إِنْ كَانَ — أَيَّدَكَ اللهُ — قَدْ نَقَبَ خُفَّكَ مَا سَمِعْتَ، فَقَدْ أَدْمَى أَظَلِّي[1] مَا فَعَلْتُ، فَلْيَهُنْ عَلَيْكَ ذَلِكَ، فَمَا انْبَرَيْتُ لَهُ وَلَا اجْتَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَخَرْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ، وَحَتَّى أَوْحَى

(١) أى باطن الأصبع .

إِلَىَّ فِي الْمَنَامِ بِمَا بَعَثَ رَاقِدَ الْعَزْمِ ، وَأَجَدَّ فَاتِرَ النِّيَّةِ ، وَأَحْيَا مَيِّتَ الرَّأْيِ ، وَحَثَّ عَلَى تَنْفِيذِ مَا وَقَعَ فِي الرَّوْعِ وَتَرَيَّعَ[١] فِي الْخَاطِرِ ، وَأَنَا أَجُودُ عَلَيْكَ الْآنَ بِالْحُجَّةِ فِي ذَلِكَ إِنْ طَالَبْتَ ، أَوْ بِالْعُذْرِ إِنِ اسْتَوْضَحْتَ ، لِتَثِقَ بِي فِيمَا كَانَ مِنِّي ، وَتَعْرِفَ صُنْعَ اللهِ تَعَالَى فِي ثَنْيِهِ لِي[٢] : إِنَّ الْعِلْمَ — حَاطَكَ اللهُ — يُرَادُ لِلْعَمَلِ ، كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ يُرَادُ لِلنَّجَاةِ ، فَإِذَا كَانَ الْعَمَلُ قَاصِرًا عَنِ الْعِلْمِ ، كَانَ الْعِلْمُ كَلًّا عَلَى الْعَالِمِ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ عَادَ كَلًّا وَأَوْرَثَ ذُلًّا ، وَصَارَ فِي رَقَبَةِ صَاحِبِهِ غُلًّا ، — وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ الِاحْتِجَاجِ الْمَخْلُوطِ بِالِاعْتِذَارِ — .

ثُمَّ اعْلَمْ عَلَّمَكَ اللهُ الْخَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ حَوَتْ مِنْ أَصْنَافِ الْعِلْمِ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ، فَأَمَّا مَا كَانَ سِرًّا فَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَنْ يَتَحَلَّى بِحَقِيقَتِهِ رَاغِبًا ، وَأَمَّا مَا كَانَ عَلَانِيَةً فَلَمْ أُصِبْ مَنْ يَحْرِصُ عَلَيْهِ طَالِبًا ، عَلَى أَنِّي جَمَعْتُ أَكْثَرَهَا لِلنَّاسِ وَلِطَلَبِ الْمَثَالَةِ مِنْهُمْ وَلِعَقْدِ الرِّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ وَلِمَدِّ الْجَاهِ عِنْدَهُمْ فَحُرِمْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، — وَلَا شَكَّ فِي حُسْنِ مَا اخْتَارَهُ اللهُ لِي وَنَاطَهُ بِنَاصِيَتِي ، وَرَبَطَهُ بِأَمْرِي — ،

(١) أي تحير (٢) من ثنى الشيء : رد بعضه على بعض

وَكَرِهتُ مع هذا وغيرِهِ أن تكونَ حُجَّةً عليَّ لا لي، وممَّا شحذَ العزمَ على ذلكَ ورفعَ الحجابَ عنهُ، أني فقدتُ ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً منيباً[1]، فشقَّ عليَّ أن أدعها لقومٍ يتلاعبونَ بها، ويُدنِّسونَ عِرضي إذا نظروا فيها، ويَشمتُونَ[2] بسهوي وغلطي إذا تصفَّحوها، ويتراءونَ نقصي وعيبي من أجلِها، فإن قلتَ ولِمَ تَسِمُهُم بسوءِ الظنِّ، وتُقرِّعُ جماعتهم بهذا العيبِ؟ فجوابي لكَ أنَّ عِياني منهم في الحياةِ هو الذي يُحقِّقُ ظنِّي بهم بعدَ المماتِ، وكيفَ أتركُها لأُناسٍ جاورتُهم عشرينَ سنةً فما صحَّ لي من أحدِهِم وِدادٌ؟ ولا ظهرَ لي من إنسانٍ منهم حِفاظٌ، ولقدِ اضطُررتُ بينهم بعدَ الشُّهرةِ والمعرفةِ في أوقاتٍ كثيرةٍ إلى أكلِ الخُضَرِ في الصحراءِ، وإلى التَّكَفُّفِ الفاضحِ عندَ الخاصةِ والعامةِ، وإلى بيعِ الدِّينِ والمُروءةِ، وإلى تعاطي الرِّياءِ بالسُّمعةِ والنِّفاقِ، وإلى ما لا يَحسُنُ بالحُرِّ أن يَرسُمَهُ بالقلمِ، ويَطرَحَ في قلبِ صاحبِهِ

(١) يكنى بذلك عن أن المستحقين قبلنا على الكتب لا وجود لهم «عبد الخالق»

(٢) كانت هذه الكلمة في الأصل: «يشتمون».

الأَلَمَ ، وَأَحْوَالُ الزَّمَانِ بَادِيَةٌ لِعَيْنِكَ ، بَارِزَةٌ بَيْنَ مَسَائِكَ وَصَبَاحِكَ ، وَلَيْسَ مَا قُلْتُهُ بِخَافٍ عَلَيْكَ مَعَ مَعْرِفَتِكَ وَفِطْنَتِكَ ، وَشِدَّةِ تَتَبُّعِكَ وَتَفَرُّغِكَ ، وَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَرْتَابَ فِي صَوَابِ مَا فَعَلْتُهُ وَأَتَيْتُهُ بِمَا قَدَّمْتُهُ وَوَصَفْتُهُ ، وَبِمَا أَمْسَكْتُ عَنْهُ وَطَوَيْتُهُ إِمَّا هَرَبًا مِنَ التَّطْوِيلِ ، وَإِمَّا خَوْفًا مِنَ القَالِ وَالقِيلِ . وَبَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتُ هَامَةَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ فَإِنِّي فِي عَشْرِ التِّسْعِينَ ، وَهَلْ لِي بَعْدَ الْكِبْرَةِ وَالْعَجْزِ أَمَلٌ فِي حَيَاةٍ لَذِيذَةٍ ؟ أَوْ رَجَاءٌ لِحَالٍ جَدِيدَةٍ ، أَلَسْتُ مِنْ زُمْرَةِ مَنْ قَالَ الْقَائِلُ فِيهِمْ :

نَرُوحُ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَعَمَّا قَلِيلٍ لَا نَرُوحُ وَلَا نَغْدُو

وَكَمَا قَالَ الآخَرُ :

تَفَوَّقْتُ دَرَّاتِ الصِّبَا فِي ظِلَالِهِ
إِلَى أَنْ أَتَانِي بِالْفِطَامِ مَشِيبُ

وَهَذَا الْبَيْتُ لِلْوَرْدِ الْجَعْدِيِّ وَتَمَامُهُ يَضِيقُ عَنْهُ هَذَا الْمَكَانُ ، وَاللهِ يَا سَيِّدِي لَوْ لَمْ أَتَعِظْ إِلَّا بِمَنْ فَقَدْتُهُ مِنَ الإِخْوَانِ وَالأَخْدَانِ فِي هَذَا الصُّقْعِ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالأُدَبَاءِ وَالأَحِبَّاءِ

لكنى، فكيف بمن كانت العين تقربهم، والنفس تستنير بقربهم، فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والرى، وما والى هذه المواضع، وتواتر إلىّ نعيهم، واستدت الواعية[1] بهم، فهل أنا إلا من عنصرهم؟ وهل لى محيد عن مصيرهم؟ أسأل الله تعالى رب الأولين أن يجعل اعترافى بما أعرفه موصولا بنزوعى عما أقترفه، إنه قريب مجيب.

وبعد، فلى فى إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم، ويؤخذ بهديهم، ويعشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف، دفن كتبه فى بطن الأرض فلم يوجد لها أثر.

وهذا داود الطائى، وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه فى البحر وقال يناجيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول.

وهذا يوسف بن أسباط: حمل كتبه إلى غار فى

(١) الواعية: اسم الصراخ

جَبَلٍ وَطَرَحَهُ فِيهِ وَسدَّ بَابَهُ ، فَلَمَّا عُوتِبَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ: دَلَّنَا الْعِلْمُ فِي الْأَوَّلِ ثُمَّ كَادَ يُضِلُّنَا فِي الثَّانِي، فَهَجَرْنَاهُ لِوَجْهِ مَنْ وَصَلْنَاهُ ، وَكَرِهْنَاهُ مِنْ أَجْلِ مَا أَرَدْنَاهُ .

وَهَذَا أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ جَمَعَ كُتُبَهُ فِي تَنُّورٍ وَسَجَرَهَا[1] بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا أَحْرَقْتُكِ حَتَّى كِدْتُ أَحْتَرِقُ بِكِ .

وَهَذَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَزَّقَ أَلْفَ جُزْءٍ وَطَيَّرَهَا فِي الرِّيحِ وَقَالَ : لَيْتَ يَدِي قُطِعَتْ مِنْ هَا هُنَا بَلْ مِنْ هَا هُنَا وَلَمْ أَكْتُبْ حَرْفًا .

وَهَذَا شَيْخُنَا أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ قَالَ لِوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ: قَدْ تَرَكْتُ لَكَ هَذِهِ الْكُتُبَ تَكْتَسِبُ بِهَا خَيْرَ الْأَجَلِ، فَإِذَا رَأَيْتَهَا تَخُونُكَ فَاجْعَلْهَا طُعْمَةً لِلنَّارِ .

وَمَاذَا أَقُولُ وَسَامِعِي يُصَدِّقُ أَنَّ زَمَانًا أَحْوَجَ مِثْلِي إِلَى مَا بَلَغَكَ ، لَزَمَانٌ تَدْمَعُ لَهُ الْعَيْنُ حُزْنًا وَأَسًى ، وَيَتَقَطَّعُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ غَيْظًا وَجَوًى وَضَنًى وَشَجًى ، وَمَا يَصْنَعُ بِمَا كَانَ وَحَدَثَ وَبَانَ ، إِنِ احْتَجْتُ إِلَى الْعِلْمِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي فَقَلِيلٌ، وَاللهُ تَعَالَى شَافٍ كَافٍ ، وَإِنِ احْتَجْتُ إِلَيْهِ لِلنَّاسِ فَفِي الصَّدْرِ مِنْهُ

(١) سجرها : أحماها فى النار

مَا يَمْلَأُ الْقِرْطَاسَ بَعْدَ الْقِرْطَاسِ، إِلَى أَنْ تَفْنَى الْأَنْفَاسُ بَعْدَ الْأَنْفَاسِ، « ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ». فَلِمَ تُعْنَى عَيْنِي أَيَّدَكَ اللهُ بَعْدَ هَذَا بِالْحِبْرِ وَالْوَرَقِ وَالْجِلْدِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالتَّصْحِيحِ وَبِالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، وَهَلْ أَدْرَكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي الدِّينِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِخْلَاصِ الْمُعْتَقَدِ وَالزُّهْدِ الْغَالِبِ فِي كُلِّ مَا رَاقَ مِنَ الدُّنْيَا وَخَدَعَ بِالزِّبْرِجِ، وَهَوَى بِصَاحِبِهِ إِلَى الْهُبُوطِ؟ وَهَلْ وَصَلَ الْحُكَمَاءُ الْقُدَمَاءُ إِلَى السَّعَادَةِ الْعُظْمَى إِلَّا بِالِاقْتِصَادِ فِي السَّعْيِ، وَإِلَّا بِالرِّضَا بِالْمَيْسُورِ، وَإِلَّا بِبَذْلِ مَا فَضَلَ عَنِ الْحَاجَةِ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ؟ فَأَيْنَ يُذْهَبُ بِنَا وَعَلَى أَيِّ بَابٍ نَحُطُّ رِحَالَنَا؟؟ وَهَلْ جَامِعُ الْكُتُبِ إِلَّا كَجَامِعِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ؟ وَهَلِ الْمَنْهُومُ بِهَا إِلَّا كَالْحَرِيصِ الْجَشِعِ عَلَيْهِمَا؟ وَهَلِ الْمُغْرَمُ بِحُبِّهَا إِلَّا كَمُكَاثِرِهِمَا؟ هَيْهَاتَ، الرَّحِيلُ وَاللهُ قَرِيبٌ، وَالثَّوَاءُ (١) قَلِيلٌ، وَالْمَضْجَعُ مُقِضٌّ وَالْمُقَامُ مُمِضٌّ، وَالطَّرِيقُ مَخُوفٌ وَالْمُعِينُ ضَعِيفٌ، وَالِاغْتِرَارُ غَالِبٌ، وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا كُلِّهِ طَالِبٌ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى رَحْمَةً

(١) أي الاقامة

يُظِلُّنَا جنَاحهَا ، ويُسَهِّلُ عَلَيْنَا فِى هذِهِ الْعَاجِلَةِ غُدُوَّهَا وَرَوَاحَهَا ، فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ بَعُدَ عَنْ رَحْمَتِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ تَحْتَ قَدَرِهِ ، فَهذَا هذَا ، ثُمَّ إِنِّى — أَيَّدَكَ اللهُ — مَا أَرَدْتُ أَنْ أُجِيبَكَ عَنْ كِتَابِكَ لِطُولِ جفَائِكَ ، وَشِدَّةِ التَّوَائِكَ عَمَّنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى رَأْيِكَ مُجْتَهِداً وَفِى مَحَبَّتِكَ عَلَى قُرْبِكَ وَنَأْيِكَ ، مَعَ مَا أَجِدُهُ مِنَ انْكِسَارِ النَّشَاطِ وَانْطِوَاء الانْبِسَاطِ لِتَعَاوُدِ الْعِلَلِ عَلَىَّ وَتَخَاذُلِ الْأَعْضَاء مِنِّى ، فَقَدْ كَلَّ الْبَصَرُ وَانْعَقَدَ اللِّسَانُ وَجَمَدَ الْخَاطِرُ وَذَهَبَ الْبَيَانُ ، وَمَلَكَ الْوَسْوَاسُ وَغَلَبَ الْيَأْسُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ ، وَلٰكِنِّى حَرَسْتُ مِنْكَ مَا أَضَعْتَهُ مِنِّى ، وَوَفَّيْتُ لَكَ بِمَا لَمْ تَفِ بِهِ لِى ، وَيَعِزُّ عَلَىَّ أَنْ يَكُونَ لِىَ الْفَضْلُ عَلَيْكَ ، أَوْ أُحْرِزَ الْمَزِيَّةَ دُونَكَ ، وَمَا حَدَانِى عَلَى مُكَاتَبَتِكَ إِلَّا مَا أَتَمَثَّلُهُ مِنْ تَشَوُّقِكَ إِلَىَّ وَتَحَرُّقِكَ عَلَىَّ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِى بَلَغَكَ قَدْ بَدَّدَ فِكْرَكَ ، وَأَعْظَمَ تَعَجُّبَكَ ، وَحَشَدَ عَلَيْكَ جَزَعَكَ ، وَالْأَوَّلُ يَقُولُ :

وَقَدْ يَجْزَعُ الْمَرْءُ الْجَلِيدُ وَيَبْتَلِى
عَزِيمَةَ رَأْىِ الْمَرْءِ نَائِبَةُ الدَّهْرِ

تُعَاوِدُهُ الْأَيَّامُ فِيمَا يَنُوبُهُ

فَيَقْوَى عَلَى أَمْرٍ وَيَضْعُفُ عَنْ أَمْرِ

عَلَى أَنِّى لَوْ عَلِمْتَ فِي أَيِّ حَالٍ غَلَبَ عَلَيَّ مَافَعَلْتَهُ ، وَعِنْدَ أَيِّ مَرَضٍ وَعَلَى أَيَّةِ عُسْرَةٍ وَفَاقَةٍ لَعَرَفْتَ مِنْ عُذْرِى أَضْعَافَ مَا أَبْدَيْتُهُ، وَاحْتَجَجْتَ لِي بِأَكْثَرَ مِمَّا نَشَرْتُهُ وَطَوَيْتُهُ، وَإِذَا أَنْعَمْتَ النَّظَرَ تَيَقَّنْتَ أَنَّ لِلّٰهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي خَلْقِهِ أَحْكَامًا لَا يُعَازُّ[1] عَلَيْهَا وَلَا يُغَالَبُ فِيهَا، لِأَنَّهُ لَا يُبْلَغُ كُنْهُهَا وَلَا يُنَالُ غَيْبُهَا ، وَلَا يُعْرَفُ قَابُهَا[2] وَلَا يُقْرَعُ بَابُهَا ، وَهُوَ تَعَالَى أَمْلَكُ لِنَوَاصِينَا ، وَأَطْلَعُ عَلَى أَدَانِينَا وَأَقَاصِينَا ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَبِيَدِهِ الْكَسْرُ وَالْجَبْرُ ، وَعَلَيْنَا الصَّمْتُ وَالصَّبْرُ إِلَى أَنْ يُوَارِيَنَا اللَّحْدُ وَالْقَبْرُ ، وَالسَّلَامُ . إِنْ سَرَّكَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ أَنْ تُوَاصِلَنِي بِخَبَرِكَ ، وَتُعَرِّفَنِي مَقَرَّ خِطَابِي هَذَا مِنْ نَفْسِكَ فَافْعَلْ ، فَإِنِّى لَا أَدَعُ جَوَابَكَ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللهُ تَعَالَى تَلَاقِيًا يَسُرُّ النَّفْسَ، وَيُذَكِّرُ حَدِيثَنَا بِالْأَمْسِ ، أَوْ بِفِرَاقٍ نَصِيرُ بِهِ إِلَى الرَّمْسِ ، وَنَفْقِدُ مَعَهُ رُؤْيَةَ هَذِهِ الشَّمْسِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ خَاصًّا بِحَقِّ الصَّفَاءِ الَّذِى بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِكَ

(١) يعاز معناها مابعدها : (٢) ألقاب : القدر : « عبد الخالق »

عَامًّا بِحَقِّ الْوَفَاءِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ، وَالسَّلَامُ.

وَكُتِبَ هَذَا الْكِتَابُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ أَخْلَاقِ الْوَزِيرَيْنِ مِنْ تَصْنِيفِهِ: طَلَعَ ابْنُ عَبَّادٍ عَلَيَّ يَوْمًا فِي دَارِهِ وَأَنَا قَاعِدٌ فِي كِسْرِ إِيوَانٍ أَكْتُبُ شَيْئًا قَدْ كَانَ كَأَدَنِي[1] بِهِ، فَلَمَّا أَبْصَرْتُهُ قُمْتُ قَائِمًا فَصَاحَ بِحَلْقٍ مَشْقُوقٍ: اقْعُدْ فَالْوَرَّاقُونَ أَخَسُّ مِنْ أَنْ يَقُومُوا لَنَا، فَهَمَمْتُ بِكَلَامٍ فَقَالَ لِي الزَّعْفَرَانِيُّ الشَّاعِرُ: اسْكُتْ فَالرَّجُلُ رَقِيعٌ، فَغَلَبَ عَلَيَّ الضَّحِكُ وَاسْتَحَالَ الْغَيْظُ تَعَجُّبًا مِنْ خِفَّتِهِ وَسُخْفِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ قَالَ هَذَا وَقَدْ لَوَى شِدْقَهُ، وَشَنَّجَ أَنْفَهُ وَأَمَالَ عُنُقَهُ، وَاعْتَرَضَ فِي انْتِصَابِهِ وَانْتَصَبَ فِي اعْتِرَاضِهِ، وَخَرَجَ فِي تَفَكُّكِ مَجْنُونٍ قَدْ أُفْلِتَ مِنْ دَيْرِ جُنُونٍ، وَالْوَصْفُ لَا يَأْتِي عَلَى كُنْهِ هَذِهِ الْحَالِ، لِأَنَّ حَقَائِقَهَا لَا تُدْرَكُ إِلَّا بِاللَّحْظِ، وَلَا يُؤْتَى عَلَيْهَا بِاللَّفْظِ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ شَمَائِلِ الرُّؤَسَاءِ وَكَلَامِ الْكُبَرَاءِ، وَسِيرَةِ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرَّزَانَةِ لَا وَاللهِ، وَتَرَبًا[2] لِمَنْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا.

وَحَدَّثَ أَبُو حَيَّانَ قَالَ: قَالَ الصَّاحِبُ يَوْمًا فَعْلٌ وَأَفْعَالٌ

(١) كأده بالشيء: كلفه به (٢) الترب: الخسران

قَلِيلٌ ، وَزَعَمَ النَّحْوِيُّونَ أَنَّهُ مَاجَاءَ إِلَّا زَنْدٌ وَأَزْنَادٌ ، وَفَرْخٌ وَأَفْرَاخٌ ، وَفَرْدٌ وَأَفْرَادٌ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا أَحْفَظُ ثَلَاثِينَ حَرْفًا كُلُّهَا فَعْلٌ وَأَفْعَالٌ ، فَقَالَ : هَاتِ يَامُدَّعِي ، فَسَرَدْتُ الْحُرُوفَ وَدَلَلْتُ عَلَى مَوَاضِعِهَا مِنَ الْكُتُبِ ثُمَّ قُلْتُ : لَيْسَ لِلنَّحْوِيِّ أَنْ يَلْزَمَ مِثْلَ هَذَا الْحُكْمِ إِلَّا بَعْدَ التَّبَحُّرِ وَالسَّمَاعِ الْوَاسِعِ ، وَلَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ وَجْهٌ إِذَا كَانَتِ الرِّوَايَةُ شَائِعَةً وَالْقِيَاسُ مُطَّرِداً وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ : فَعِيلٌ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ ، وَقَدْ وَجَدْتُهُ أَنَا يَزِيدُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهاً وَمَا انْتَهَيْتُ فِي التَّتَبُّعِ إِلَى أَقْصَاهُ . فَقَالَ : خُرُوجُكَ مِنْ دَعْوَاكَ فِي فَعْلٍ يَدُلُّنَا عَلَى قِيَامِكَ فِي فَعِيلٍ وَلَكِنْ لَا نَأْذَنُ لَكَ فِي اقْتِصَاصِكَ [1] ، وَلَا نَهَبُ آذَانَنَا لِكَلَامِكَ ، وَلَمْ يَفِ مَا أَتَيْتَ بِهِ بِجُرْأَتِكَ فِي مَجْلِسِنَا ، وَتَبَسُّطِكَ فِي حَضْرَتِنَا ، فَهَذَا كَمَا تَرَى .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَأَمَّا حَدِيثِي مَعَهُ يَعْنِي مَعَ ابْنِ عَبَّادٍ ، فَإِنِّي حِينَ وَصَلْتُ إِلَيْهِ قَالَ لِي : أَبُو مَنْ ؟ قُلْتُ أَبُو حَيَّانَ . فَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَتَأَدَّبُ ، فَقُلْتُ : تَأَدُّبَ أَهْلِ الزَّمَانِ . فَقَالَ : أَبُو حَيَّانَ يَنْصَرِفُ أَوْ لَا يَنْصَرِفُ ؟ قُلْتُ : إِنْ قَبِلَهُ

(١) أي ما تقصه علينا

مَوْلَانَا لَا يَنْصَرِفُ ، فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا تَنَمَّرَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يُعْجِبْهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى وَاحِدٍ إِلَى جَانِبِهِ وَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ سَفَهًا عَلَى مَا قِيلَ لِي ثُمَّ قَالَ : اُلْزَمْ دَارَنَا وَانْسَخْ هَذَا الْكِتَابَ . فَقُلْتُ : أَنَا سَامِعٌ مُطِيعٌ ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُ لِبَعْضِ النَّاسِ فِي الدَّارِ مُسْتَرْسِلًا : إِنَّمَا تَوَجَّهْتُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى هَذَا الْبَابِ وَزَاحَمْتُ مُنْتَجِعِي هَذَا الرَّبِيعِ لِأَتَخَلَّصَ مِنْ حِرْفَةِ الشُّؤْمِ ، فَإِنَّ الْوِرَاقَةَ لَمْ تَكُنْ بِبَغْدَادَ كَاسِدَةً ، فَنَمَى إِلَيْهِ هَذَا أَوْ بَعْضُهُ أَوْ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَزَادَهُ تَنَكُّرًا .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّادٍ يَوْمًا يَا أَبَا حَيَّانَ : مَنْ كَنَّاكَ بِأَبِي حَيَّانَ ؟ قُلْتُ : أَجَلُّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ ، وَأَكْرَمُهُمْ فِي وَقْتِهِ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ وَيْلَكَ ؟ قُلْتُ أَنْتَ ، قَالَ : وَمَتَى كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : حِينَ قُلْتَ يَا أَبَا حَيَّانَ مَنْ كَنَّاكَ أَبَا حَيَّانَ ، فَأَضْرَبَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَخَذَ فِي غَيْرِهِ عَلَى كَرَاهَةٍ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَقَالَ لِي يَوْمًا آخَرَ — وَهُوَ قَائِمٌ فِي صَحْنِ دَارِهِ وَالْجَمَاعَةُ قِيَامٌ مِنْهُمُ الزَّعْفَرَانِيُّ وَكَانَ شَيْخًا كَثِيرَ الْفَضْلِ جَيِّدَ الشِّعْرِ مُمْتِعَ الْحَدِيثِ ، وَالتَّمِيمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِسَطِلٍ وَكَانَ

مِنْ مِصْرَ، وَالْأَقْطَعُ وَصَالِحٌ الْوَرَّاقُ وَابْنُ ثَابِتٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْكُتَّابِ وَالنُّدَمَاءِ — : يَا أَبَاحَيَّانَ : هَلْ تَعْرِفُ فِيمَنْ تَقَدَّمَ مَنْ يُكْنَى بِهَذِهِ الْكُنْيَةِ ؟ قُلْتُ نَعَمْ : مِنْ أَقْرَبِ ذَلِكَ أَبُو حَيَّانَ الدَّارِمِيُّ .

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاضِي الدَّقَّاقُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا ابْنُ نَاصِحٍ قَالَ : دَخَلَ أَبُو الْهُذَيْلِ الْعَلَّافُ عَلَى الْوَاثِقِ فَقَالَ لَهُ الْوَاثِقُ : لِمَنْ تَعْرِفُ هَذَا الشِّعْرَ ؟

سَبَاكَ [1] مِنْ هَاشِمٍ سَلِيلُ ... لَيْسَ إِلَى وَصْلِهِ سَبِيلُ
مَنْ [2] يَتَعَاطَ الصِّفَاتِ فِيهِ ... فَالْقَوْلُ فِي وَصْفِهِ فُضُولُ
لِلْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ هِلَالٌ ... لِأَعْيُنِ الْخَلْقِ لَا يَزُولُ
وَطُرَّةٌ مَا يَزَالُ فِيهَا ... لِنُورِ بَدْرِ الدُّجَى مَقِيلُ
مَا اخْتَالَ فِي صَحْنِ قَصْرِ أَوْسٍ ... إِلَّا لِيُسْبَى [3] لَهُ قَتِيلُ
فَإِنْ يَقِفْ فَالْعُيُونُ نُصْبٌ ... وَإِنْ تَوَلَّى فَهُنَّ حُولُ [4]

---

(١) يريد أن الذى تيم قلبك من سلالة هاشم (٢) أى من يحاول وصفه فلن يصل ، فان القول فى هذا فضول (٣) أى يتعطى ، فهو ما اختال فى الناس إلا وكانوا صرعاه . (٤) حول جمع أحول ، والمراد أنه قبلة النظر متى وقف ، فان تولى تحولت العيون . « عبد الخالق »

فَقَالَ أَبُو الهُذَيْلِ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، هَذَا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُعْرَفُ بِأَبِي حَيَّانَ الدَّارِمِيِّ ، وَكَانَ يَقُولُ بِإِمَامَةِ الْمَفْضُولِ ، وَلَهُ مِنْ كَلِمَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

أُفَضِّلُهُ وَاللهُ قَدَّمَهُ عَلَى صَحَابَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُكَرَّمِ
بِلَا بِغْضَةٍ وَاللهِ مِنِّي لِغَيْرِهِ وَلَكِنَّهُ أَوْلَاهُمُ بِالتَّقَدُّمِ

وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : أَنْشَدَ أَبُو قِلَابَةَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيُّ لِأَبِي حَيَّانَ الْبَصْرِيِّ :

يَاصَاحِبَيَّ دَعَا الْمَلَامَ وَأَقْصِرَا
تَرْكُ الْهَوَى يَاصَاحِبَيَّ خَسَارَهْ
كَمْ لُمْتُ قَلْبِي كَيْ يُفِيقَ فَقَالَ لِي
لَجَّتْ[1] يَمِينٌ مَالَهَا كَفَّارَهْ
أَلَّا أُفِيقَ وَلَا أُفَتِّرَ[2] لَحْظَةً
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ فَأَنْتَ حِجَارَهْ
أَلْحُبُّ أَوَّلُ مَايَكُونُ بِنَظْرَةٍ
وَكَذَا الْحَرِيقُ بَدَاؤُهُ بِشَرَارَهْ

(١) لجت يمين : تمادى فيها ولم يكفرها زاعما أنه صادق (٢) فتر : سكن بعد حدة ، ولان بعد شدة

يَامَنْ أُحِبُّ وَلَا أُسَمِّي بِاسْمِهَا إِيَّاكِ أَعْنِي فَاسْمَعِي يَاجَارَهْ

فَلَمَّا وَفَّيْتُ الشِّعْرَ وَرَوَيْتُ الْإِسْنَادَ وَرِيقِي[1] بَلِيلٌ وَلِسَانِي طَلْقٌ وَوَجْهِي مُتَهَلِّلٌ، وَقَدْ تَكَلَّفْتُ هَذَا وَأَنَا فِي بَقِيَّةٍ مِنْ غَرْبِ[2] الشَّبَابِ وَبَعْضِ رَيْعَانِهِ، وَمَلَأْتُ الدَّارَ صِيَاحاً بِالرِّوَايَةِ وَالْقَافِيَةِ، فَحِينَ انْتَهَيْتُ أَنْكَرْتُ[3] طَرْفَهُ، وَعَلِمْتُ سُوءَ مَوْقِعِ مَا رَوَيْتُ عِنْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ تَعْرِفُ أَيْضاً؟ قُلْتُ ابْنَ الْجِعَابِيِّ الْحَافِظَ، يُكْنَى بِأَبِي حَيَّانَ، رَجُلٌ صِدْقٌ وَهُوَ يَرْوِي عَنِ التَّابِعِينَ. قَالَ: وَمَنْ تَعْرِفُ أَيْضاً؟ قُلْتُ: رَوَى الصُّولِيُّ فِيمَا حَدَّثَنَا عَنْهُ الْمَرْزُبَانِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا احْتُضِرَ أَنْشَدَ يَزِيدُ عِنْدَ رَأْسِهِ مُتَمَثِّلاً:

لَوْ أَنَّ حَيًّا نَجَا لَفَاتَ أَبُو حَيَّانَ لَاعَاجِزٌ وَلَا وَكِلُ[4]

الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ الْأَرِيبُ[5] وَهَلْ يَدْفَعُ صَرْفَ الْمَنِيَّةِ الْحِيَلُ؟

قَالَ الصُّولِيُّ: وَهَذَا كَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ الْمُغَفَّلِينَ، وَانْتَهَى الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ هَشَاشَةٍ وَلَا هِزَّةٍ وَلَا أَرْيَحِيَّةٍ، بَلْ عَلَى

(١) ريق بليل: ندى (٢) غرب الشباب: حدته ونشاطه. (٣) أى رأيت فى نظره مالا يروق الناظر إليه (٤) الوكل: البليد الجبان العاجز، وفاعل فات = أبو حيان، وعاجز خبر لمحذوف (٥) الحول: ذو القوة والقدرة على التصرف، والأريب: البصير بالأمور

أ كَفِهْرَارِ وَجْهٍ وَنُبُوِّ طَرْفٍ وَقِلَّةِ تَقَبُّلٍ ، وَجَرَتْ أَشْيَاءُ أُخَرُ كَانَ عُقْبَاهَا أَنِّي فَارَقْتُ بَابَهُ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ رَاجِعاً إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ بِغَيْرِ زَادٍ وَلَا رَاحِلَةٍ ، وَلَمْ يُعْطِنِي فِي مُدَّةِ ثَلَاثِ سِنِينَ دِرْهَماً وَاحِداً وَلَا مَا قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ ، احْمِلْ هَذَا عَلَى مَا أَرَدْتَ ، وَلَمَّا نَالَ مِنِّي هَذَا الْحِرْمَانُ الَّذِي قَصَدَنِي بِهِ وَأَحْفَظَنِي عَلَيْهِ ، وَجَعَلَنِي مِنْ جَمِيعِ غَاشِيَتِهِ فَرْداً أَخَذْتُ أُمْلِي فِي ذَلِكَ بِصِدْقِ الْقَوْلِ عَنْهُ وَسُوءِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ ، وَلِلْأُمُورِ أَسْبَابٌ ، وَالْأَسْبَابُ أَسْرَارٌ ، وَالْغَيْبُ لَا يُطَّلَعُ عَلَيْهِ وَلَا قَارِعَ لِبَابِهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : قَالَ لِي الصَّاحِبُ يَوْماً — وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ أَعْطَاهُ شَيْئاً فَتَلَكَّأَ فِي قَبُولِهِ — : وَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ ثُمَّ قَالَ : سَأَلْتُ جَمَاعَةً عَنْ صَدْرِ هَذَا الْبَيْتِ فَمَا كَانَ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ . فَقُلْتُ : أَنَا أَحْفَظُ ذَاكَ ، فَنَظَرَ بِغَضَبٍ فَقَالَ : مَا هُوَ ؟ قُلْتُ : نَسِيتُ ، فَقَالَ : مَا أَسْرَعَ ذِكْرَكَ مِنْ نِسْيَانِكَ ! قُلْتُ : ذَكَرْتُهُ وَالْحَالُ سَلِيمَةٌ ، فَلَمَّا اسْتَحَالَتْ عَنِ السَّلَامَةِ نَسِيتُ . قَالَ : وَمَا حَيْلُولَتُهَا ؟ قُلْتُ : نَظَرَ الصَّاحِبُ بِغَضَبٍ فَوَجَبَ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ أَلَّا يُقَالَ مَا يُثِيرُ الْغَضَبَ . قَالَ : وَمَنْ تَكُونُ

حَتَّى نَغْضَبَ عَلَيْكَ ؟ دَعْ هَذَا وَهَاتِ ، قُلْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أُلَامُ عَلَى أَخْذِ الْقَلِيلِ وَإِنَّمَا أُصَادِفُ أَقْوَاماً أَقَلَّ مِنَ الذَّرِّ
فَإِنْ أَنَا لَمْ آخُذْ قَلِيلاً حُرِمْتُهُ
وَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ

فَسَكَتَ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ عِنْدَ قُرْبِهِ مِنْ فَرَاغِ كِتَابِهِ فِي ثَلْبِ الْوَزِيرَيْنِ وَقَدْ حَكَى عَنِ ابْنِ عَبَّادٍ حِكَايَاتٍ وَأَسْنَدَهَا إِلَى مَنْ أَخْبَرَهُ بِهَا عَنْهُ ثُمَّ قَالَ : فَمَا ذَنْبِي أَكْرَمَكَ اللهُ إِذَا سَأَلْتُ عَنْهُ مَشَايِخَ الْوَقْتِ وَأَعْلَامَ الْعَصْرِ ؟ فَوَصَفُوهُ بِمَا جَمَعْتُ لَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، عَلَى أَنِّي قَدْ سَتَرْتُ شَيْئاً كَثِيراً مِنْ مَخَازِيهِ إِمَّا هَرَباً مِنَ الْإِطَالَةِ ، أَوْ صِيَانَةً لِلْقَلَمِ عَنْ رَسْمِ الْفَوَاحِشِ وَبَثِّ الْفَضَائِحِ ، وَذِكْرِ مَا يَسْمُجُ مَسْمُوعُهُ . وَيُكْرَهُ التَّحَدُّثُ بِهِ ، هَذَا سِوَى مَا فَاتَنِي مِنْ حَدِيثِهِ فَإِنِّي فَارَقْتُهُ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ . وَمَا ذَنْبِي أَنْ ذَكَرْتُ عَنْهُ مَا جَرَّعَنِيهِ مِنْ مَرَارَةِ الْخَيْبَةِ بَعْدَ الْأَمَلِ ، وَحَمَلَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْفَاقِ بَعْدَ الطَّمَعِ ، مَعَ الْخِدْمَةِ الطَّوِيلَةِ وَالْوَعْدِ الْمُتَّصِلِ وَالظَّنِّ الْحَسَنِ ، حَتَّى كَأَنِّي خُصِصْتُ

بِخَسَاسَتِهِ[١] وَحذِى ، أَوْ وَجَبَ أَنْ أُعَامِلَ بِهِ دُونَ غَيْرِى ، قَدَّمَ إِلَىَّ نَجَاحٌ الْخَادِمُ وَكَانَ يَنْظُرُ فِى خِزَانَةِ كُتُبِهِ ثَلاثِينَ مُجَلَّدَةً مِنْ رَسَائِلِهِ وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ مَوْلَانَا : انْسَخْ هَـذَا فَإِنَّهُ قَدْ طُلِبَ مِنْهُ بِخُرَاسَانَ . فَقُلْتُ بَعْـدَ ارْتِيَاءٍ[٢] : هَذَا طَوِيلٌ ، وَلَـكِنْ لَوْ أَذِنَ لِى لَخَرَّجْتُ مِنْهُ فِقَراً كَالْغُرَرِ ، وَشُذُوراً كَالدُّرَرِ ، تَدُورُ فِى الْمَجَالِسِ كَالشَّمَّامَاتِ وَالدَّسْتَنْبُوَيْهَاتِ[٣] ، لَوْ رُقِىَ بِهَا مَجْنُونٌ لَأَفَاقَ ، أَوْ نُفِثَ عَلَى ذِى عَاهَةٍ لَبَرَأَ ، لَا تُمَلُّ وَلَا تُسْتَغَثُّ ، وَلَا تُعَابُ وَلَا تُسْتَرَكُّ[٤] ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ فَقَالَ : طَعَنَ فِى رَسَائِلِى وَعَابَهَا ، وَرَغِبَ عَنْ نَسْخِهَا وَأَزْرَى بِهَا ، وَاللهِ لَيُنْـكِرَنَّ مِنِّى مَا عَرَفَ ، وَلَيَعْرِفَنَّ حَظَّهُ إِذَا انْصَرَفَ ، حَتَّى كَأَنِّى طَعَنْتُ فِى الْقُرْآنِ ، أَوْ رَمَيْتُ الْـكَعْبَـةَ بِخِرَقِ الْحَيْضِ ، أَوْ عَقَرْتُ نَاقَةَ صَالِحٍ ، أَوْ

(١) الخساسة : الضعة والحطة والدناءة (٢) أى بعد تدبر وإمعان

(٣) قال فى القاموس . الشمام كشداد : بطيخ كحنظلة صغيرة مخطط بصفرة وخضرة ، وفارسيته الدستنبويهات ، رائحته باردة طيبة ملينة جالبة للنوم ، وهو ملين للبطن ، ولعل أبا حيان يريد من ضرب المثل بها الرغبة فيها والتفكه بها

(٤) أى لا تعد ركيكة «عبد الخالق»

سَلَحْتُ فِي بِئْرِ زَمْزَمٍ ، أَوْ قُلْتُ كَانَ النَّظَّامُ مَأْبُونًا ، أَوْ مَاتَ أَبُو هَاشِمٍ فِي بَيْتِ خَمَّارٍ ، أَوْ كَانَ عَبَّادٌ مُعَلِّمَ صِبْيَانٍ . وَمَا ذَنْبِي يَاقَوْمُ إِذَا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَنْسَخَ ثَلَاثِينَ مُجَلَّدَةً مِنْ هَذَا الَّذِي يَسْتَحْسِنُ هَذَا الْكَاتِبُ ؟ حَتَّى أَعْذِرَهُ فِي لَوْمِي عَلَى الِامْتِنَاعِ ، أَيَنْسَخُ إِنْسَانٌ هَـذَا الْقَدْرَ وَهُوَ يَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ يُمَتِّعَهُ اللهُ بِبَصَرِهِ ؟ أَوْ يَنْفَعَهُ بِبَدَنِهِ ؟. ثُمَّ مَا ذَنْبِي إِذَا قَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَـذَا الْكَلَامُ الْمَفُوفُ[1] الْمَشُوفُ الَّذِي تَكْتُبُ بِهِ إِلَيَّ فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ ؟ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَمَا وَصَفَ مَوْلَانَا[2] ؟ وَأَنَا أَقْطِفُ ثِمَارَ رَسَائِلِهِ ، وَأَسْتَقِي مِنْ قَلِيبِ[3] عِلْمِهِ ، وَأَشِيمُ بَارِقَةَ أَدَبِهِ ، وَأَرِدُ سَاحِلَ بَحْرِهِ ، وَأَسْتَوْكِفُ[4] قَطْرَ مُزْنِهِ ، فَيَقُولُ : كَذَبْتَ وَفَجَرْتَ لَا أُمَّ لَكَ ، وَمِنْ أَيْنَ فِي كَلَامِي الْكُدْيَةُ وَالشَّحْذُ وَالتَّضَرُّعُ وَالِاسْتِرْحَامُ ؟ كَلَامِي فِي السَّمَاءِ ، وَكَلَامُكَ فِي السَّمَادِ ، هَذَا — أَيَّدَكَ اللهُ — وَإِنْ كَانَ دَلِيلًا عَلَى سُوءِ جَدِّي ، فَإِنَّهُ دَلِيلٌ أَيْضًا عَلَى

---

(١) المفوف الرقيق ، والمشوف : المجلو (٢) لم تكن هذه الكلمة فى الأصل .
(٣) القليب : البئر (٤) أستوكف : أستمطر وأستدعي جريانه

انْخِلَاعِهِ وَخُرْقِهِ ، وَتَسَرُّعِهِ وَلُؤْمِهِ ، وَانْظُرْ كَيْفَ يَسْتَحِيلُ مَعِي عَنْ مَذْهَبِهِ الَّذِي كَانَ هُوَ عِرْقَهُ النَّابِضَ ، وَسُوسَهُ[١] الثَّابِتَ ، وَدَيْدَنَهُ الْمَأْلُوفَ ، وَهَذَا أَجْرَانِي مَجْرَى التَّاجِرِ الْمِصْرِيِّ وَالشَّاذَبَاشِيِّ[٢] وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ ، بَلْ مَا ذَنْبِي إِذَا قَالَ لِي: هَلْ وَصَلْتَ إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَتْحِ ؟ فَأَقُولُ : نَعَمْ ، رَأَيْتُهُ وَحَضَرْتُ مَجْلِسَهُ وَشَاهَدْتُ مَا جَرَى لَهُ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ فِيمَا مُدِحَ بِهِ كَذَا وَكَذَا ، وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا ، وَفِيمَا تَكَلَّفَهُ مِنْ تَقْدِيمِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاخْتِصَاصِ أَرْبَابِ الْأَدَبِ كَذَا وَكَذَا ، وَوَصَلَ أَبَاسَعِيدٍ السِّيرَافِيَّ بِكَذَا وَكَذَا ، وَوَهَبَ لِأَبِي سُلَيْمَانَ الْمَنْطِقِيِّ كَذَا وَكَذَا فَيَنْزَوِي وَجْهُهُ ، وَيُنْكِرُ حَدِيثَهُ ، وَيَنْجَذِبُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ لَيْسَ مِمَّا شُرِعَ فِيهِ وَلَا مِمَّا حَرَّكَ لَهُ ثُمَّ يَقُولُ : أَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا انْتَجَعْتَهُ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَاقْرَأْ عَلَيَّ رِسَالَتَكَ الَّتِي تَوَسَّلْتَ إِلَيْهِ بِهَا وَأَسْهَبْتَ مُقَرِّظًا لَهُ فِيهَا ، فَأَتَمَانَعُ فَيَأْمُرُ وَيُشَدِّدُ فَأَقْرَأُهَا فَيَتَغَيَّرُ وَيَذْهَلُ وَأَنَا أَكْتُبُهَا لَكَ لِيَكُونَ زِيَادَةً فِي الْفَائِدَةِ :

(١) السوس : الأصل (٢) الشاذباشي : منسوب الى الشاباش أو الشاذباش وهو فارسي ومعناها : أجرة المغني

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : أَللَّهُمَّ هَيِّئْ لِي مِنْ أَمْرِى رَشَدًا ، وَوَفِّقْنِي لِمَرْضَاتِكَ أَبَدًا ، وَلَا تَجْعَلِ الْحِرْمَانَ عَلَيَّ رَصَدًا ، أَقُولُ وَخَيْرُ القَوْلِ مَا انْعَقَدَ بِالصَّوَابِ ، وَخَيْرُ الصَّوَابِ مَا تَضَمَّنَ الصِّدْقَ ، وَخَيْرُ الصِّدْقِ مَا جَلَبَ النَّفْعَ ، وَخَيْرُ النَّفْعِ ، مَا تَعَلَّقَ بِالْمَزِيدِ ، وَخَيْرُ الْمَزِيدِ مَا بَدَا عَنِ الشُّكْرِ ، وَخَيْرُ الشُّكْرِ ، مَا بَدَا عَنْ إِخْلَاصٍ ، وَخَيْرُ الْإِخْلَاصِ مَا نَشَأَ عَنِ اتِّفَاقٍ ، وَخَيْرُ الِاتِّفَاقِ مَا صَدَرَ عَنْ تَوْفِيقٍ ، لَمَّا رَأَيْتُ شَبَابِي هَرِماً بِالْفَقْرِ ، وَفَقْرِى غَنِيًّا بِالْقَنَاعَةِ ، وَقَنَاعَتِي عَجْزًا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْصِيلِ ، عَدَلْتُ إِلَى الزَّمَانِ أَطْلُبُ إِلَيْهِ مَكَانِي فِيهِ وَمَوْضِعِي مِنْهُ ، فَرَأَيْتُ طَرْفَهُ نَابِيًا ، وَعِنَانَهُ عَنْ رِضَاىَ مُنْثَنِيًا ، وَجَانِبَهُ فِي مَرَادِى خَشِنًا ، وَارْتِقَائِي[1] فِي أَسْبَابِهِ نَائِيًا ، وَالشَّامِتَ بِي عَلَى الْحِدْثَانِ مُتَمَادِيًا ، طَمِعْتُ فِي السُّكُوتِ تَجَلُّدًا ، وَانْتَحَلْتُ الْقَنَاعَةَ رِيَاضَةً ، وَتَأَلَّفْتُ شَارِدَ حِرْصِي مُتَوَقِّفًا ، وَطَوَيْتُ مَنْشُورَ أَمَلِي مُتَنَزِّهًا ، وَجَمَعْتُ شَتِيتَ رَجَائِي سَالِيًا ، وَادَّعَيْتُ الصَّبْرَ مُسْتَمِرًّا ، وَلَبِسْتُ الْعَفَافَ ضَنًّا ، وَاتَّخَذْتُ الِانْقِبَاضَ صِنَاعَةً ، وَقُمْتُ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « ارتفاق »

بالعَلَاء مُجْتَهِداً ، هذا بعد أنْ تَصفحتُ(١) النَّاسَ فوَجَدْتُهم أَحَدَ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ(٢) إِنْ نطق نَطَقَ عَنْ غيظٍ وَدِمنَةٍ(٣) وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَنْ ضِغْنٍ وَإِحنَةٍ ، وَرَجُلٍ إِنْ بَذَلَ كَدَّرَ بامْتِنَانِهِ بَذْلَهُ ، وَإِنْ مَنَعَ حَسَّنَ بِاحْتِيَالِهِ بُخْلَهُ ، فلَمْ يَطُلْ دَهْرِى فِى أَثْنَائِهِ ، مُتَبَرِّحاً(٤) بِطُولِ الْغُرْبَةِ وَشَظَفِ الْعَيْشِ ، وَكَلَبِ الزَّمَانِ وَمُجَفِ الْمَالِ ، وَجَفَاءِ الْأَهْلِ وَسُوءِ الْحَالِ ، وَعَادِيَةِ الْعَدُوِّ وَكُسُوفِ الْبَالِ ، مُتَحَرِّقاً(٥) مِنَ الْحَنَقِ عَلَى لَئِيمٍ لَا أَجِدُ مَصْرِفاً عَنْهُ ، مُتَقَطِّعاً مِنَ الشَّوْقِ إِلَى كَرِيمٍ لَا أَجِدُ سَبِيلًا إِلَيْهِ ، حَتَّى لَاحَتْ لِى غُرَّةُ الْأُسْتَاذِ فَقُلْتُ : حَلَّ بِى الْوَيْلُ ، وَسَالَ بِى السَّيْلُ ، أَيْنَ أَنَا عَنْ مَلِكِ الدُّنْيَا ، وَالْفَلَكِ الدَّائِرِ بِالنُّعْمَى ؟ أَيْنَ أَنَا مِنْ مَشْرِقِ الْخَيْرِ وَمَغْرِبِ الْجَمِيلِ ؟ أَيْنَ أَنَا عَنْ بَدْرِ الْبُدُورِ وَسَعْدِ السُّعُودِ ؟ أَيْنَ أَنَا عَمَّنْ يَرَى الْبُخْلَ كُفْراً صَرِيحاً ، وَالْإِفْضَالَ دِيناً صَحِيحاً ؟ أَيْنَ أَنَا عَنْ سَمَاءٍ لَا تَفْتُرُ عَنِ الْهَطَلَانِ ، وَعَنْ بَحْرٍ لَا يَقْذِفُ إِلَّا بِاللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ ؟ أَيْنَ أَنَا مِنْ فَضَاءٍ لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ،

---

(١) تصفحت : اختبرت وقلبت (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « رجلا » (٣) الدمنة : الحقد القديم (٤) متبرحا : متألما متضجرا

(٥) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « منحرفاً »

وَعَنْ حَرَمٍ لَا يُضَامُ جَارُهُ ؟ أَيْنَ أَنَا عَنْ مَنْهَلٍ لَا صَدَرَ لِفُرَّاطِهِ (١) ، وَلَا مَنْعَ لِوُرَّادِهِ ؟ أَيْنَ أَنَا عَنْ ذَوْبٍ لَا شَوْبَ فِيهِ ، وَعَنْ صَوْبٍ (٢) لَا جَدَدَ دُونَهُ ؟ بَلْ أَيْنَ أَنَا عَمَّنْ أَتَى بِنُبُوَّةِ الْكَرَمِ ، وَإِمَامَةِ الْإِفْضَالِ ، وَشَرِيعَةِ الْجُودِ ، وَخِلَافَةِ الْبَذْلِ ، وَسِيَاسَةِ الْمَجْدِ ، بِشِيمَةٍ مَشِيمَةٍ (٣) الْبَوَارِقِ ، وَنَفْسٍ نَفِيسَةِ الْخَلَائِقِ ؟ أَيْنَ أَنَا عَنِ الْبَاعِ الطَّوِيلِ ، وَالْأَنْفِ الْأَشَمِّ ، وَالْمَشْرَبِ الْعَذْبِ ، وَالطَّرِيقِ الْأَمَمِ (٤) ؟ لِمَ لَا أَقْصِدُ بِلَادَهُ ؟ لِمَ لَا أَقْتَدِحُ زِنَادَهُ ؟ لِمَ لَا أَنْتَجِعُ جَنَابَهُ وَأَرْعَى مَرَادَهُ ؟ لِمَ لَا أَسْكُنُ رَبْعَهُ ؟ لِمَ لَا أَسْتَدْعِى نَفْعَهُ ؟ لِمَ لَا أَخْطُبُ جُودَهُ وَأَهْتَصِرُ عُودَهُ (٥) ؟ لِمَ لَا أَسْتَمْطِرُ سَحَابَهُ ؟ لِمَ لَا أَسْتَسْقِى رَبَابَهُ ؟ لِمَ لَا أَسْتَمِيحُ نَيْلَهُ وَأَسْتَسْحِبُ ذَيْلَهُ ؟ وَلَا أَحُجُّ كَعْبَتَهُ ، وَأَسْتَلِمُ رُكْنَهُ ؟ لِمَ لَا أُصَلِّى إِلَى مَقَامِهِ مُؤْتَمًّا بِإِمَامِهِ ؟ لِمَ لَا أُسَبِّحُ بِبَنَانِهِ مُتَقَدِّسًا ؟

(١) الفراط : المتقدمون إلى الماء والكلأ ، لأنهم لا يرون الصدر لوجود ما يكفيهم (٢) كانت فى هذا الأصل : « صددى » . والجدد : الغليظ من الأرض (٣) أى ظاهرة (٤) الطريق الأمم : الواضح المستقيم (٥) كانت فى الأصل : « أعتصر عنقوده »

فَتًى صِيغَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيبَةِ وَجْهُهُ
فَأَلْفَاظُهُ جُودٌ وَأَنْفَاسُهُ مَجْدُ

لِمَ لَا أَقْصِدُ فَتًى لِلْجُودِ فِي كَفِّهِ مِنَ الْبَحْرِ عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ(١) ؟ لِمَ لَا أَمْتَرِي(٢) مَعْرُوفَ

فَتًى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ
إِذَا نَالَ خَلَّاتِ الْكِرَامِ شُحُوبُ

لِمَ لَا أَمْدَحُ

فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الْمَقَالِ بِرُوحِهِ
وَيَعْلَمُ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ(٣) ؟

نَعَمْ لِمَ لَا أَنْتَهِي فِي تَقْرِيظِ فَتًى لَوْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَكَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَكَانَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْخُلَفَاءِ لَكَانَ نَعْتُهُ اللَّائِذَ بِاللهِ ، أَوْ الْمُنْصِفَ فِي اللهِ ، أَوِ الْمُعْتَضِدَ بِاللهِ ، أَوِ الْمُنْتَصِبَ لِلهِ ، أَوِ الْغَاضِبَ لِلهِ أَوِ الْغَالِبَ بِاللهِ ، أَوِ الْمُرْضِيَ لِلهِ ، أَوِ الْكَافِيَ بِاللهِ ، أَوِ الطَّالِبَ

(١) عين نضاخة ، فوارة غزيرة (٢) أمترى : أستدر وأستخرج

(٣) لعل الشاعر نحا نحو أبى نواس فى قوله يمدح الخطيب :

فتى يشترى حسن الثناء بماله ** ويعلم أن الدائرات تدور

ولكن قول أبى نواس أمدح « عبد الخالق »

بِحَقِّ اللهِ ، أَوِ الْمُحْيِي لِدِينِ اللهِ . أَيُّهَا الْمُنْتَجِعُ قَرْنَ كَلَئِهِ(١) ، الْمُخْتَبِطُ وَرَقَ نِعْمَتِهِ ، أَرْعَ عَرِيضَ(٢) الْبِطَانِ ، مُتَفَيِّئاً بِظِلِّهِ نَاعِمَ الْبَالِ ، مُتَعَوِّذاً بِعِزِّهِ ، وَعِشْ رَخِيَّ الْحَالِ ، مُعْتَصِماً بِحَبْلِهِ ، وَلُذْ بِدَارِهِ آمِنَ(٣) السِّرْبِ ، وَأَمْحِضْ وُدَّهُ بِآنِيَةِ الْقَلْبِ ، وَقِ نَفْسَكَ مِنْ سَطْوَتِهِ بِحُسْنِ الْحِفَاظِ ، وَتَخَيَّرْ لَهُ أَلْطَفَ الْمَدْحِ ، تَفُزْ مِنْهُ بِأَيْمَنِ قِدْحٍ(٤) ، وَلَا تَحْرِمْ نَفْسَكَ بِقَوْلِكَ : إِنِّي غَرِيبُ الْمَثْوَى نَازِحُ الدَّارِ ، بَعِيدُ النَّسَبِ مَنْسِيُّ الْمَكَانِ ، فَإِنَّكَ قَرِيبُ الدَّارِ بِالْأَمَلِ ، دَانِي النُّجْحِ بِالْقَصْدِ ، رَحِيبُ السَّاحَةِ بِالْمُنَى ، مَلْحُوظُ الْحَالِ بِالْجِدِّ(٥) ، مَشْهُورُ الْحَدِيثِ بِالدَّرَكِ . وَاعْلَمْ عِلْماً يَلْتَحِمُ بِالْيَقِينِ ، وَتَدَرَّأْ(٦) مِنَ الشَّكِّ أَنَّهُ مَعْرُوفُ الْفَخْرِ بِالْمَفَاخِرِ ، مَأْثُورُ الْأَثَرِ بِالْمَآثِرِ ، قَدْ أَصْبَحَ وَاحِدَ الْأَنَامِ تَارِيخَ الْأَيَّامِ ، أَسَدَ الْغِيَاضِ يَوْمَ الْوَغَى ، نُورَ الرِّيَاضِ يَوْمَ الرِّضَا ، إِنْ حُرِّكَ عِنْدَ مَكْرُمَةٍ تَحَرَّكَ غُصْناً تَحْتَ بَارِحٍ(٧) ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى

(١) المنتجع : الذي يطلب الكلأ ، وقرن الكلأ : خيره ، والمختبط من اختبط الشجرة : شد ورقها (٢) عريض البطان : رخي البال (٣) آمن السرب : آمن النفس مطمئن البال (٤) القدح : السهم (٥) كانت هذه الكلمة في الأصل : « بالجسد » (٦) تدرأ : تبرأ (٧) البارح : الطير كناية عن شدة الاهتزاز

اللِّقَاء دُعِيَ لَيْثاً فوقَ سَابِحٍ ، وَقُلْ إِذَا أَتَيْتَهُ بِلِسَانِ التَّحَكُّمِ : أَصْلِحْ أَدِيمِي فَقَدْ حَلِمَ(١) ، وَجَدِّدْ شَبَابِي فَقَدْ هَرِمَ ، وَأَنْطِقْ لِسَانِي فِي اصْطِنَاعِي ، فَقَدْ شَرِدَتْ صَحَائِفُ النُّجْحِ عِنْدَ انْتِجَاعِي ، وَرِشْ(٢) عَظْمِي فَقَدْ بَرَاهُ الزَّمَانُ ، وَاكْسُ جِلْدِي فَقَدْ عَرَّاهُ الْحِدْثَانُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ : يَا مَالِكَ الدُّنْيَا جُدْ لِي بِبَعْضِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَحْرِمُكَ ، وَلَكِنْ قُلْ : يَا مَالِكَ الدُّنْيَا هَبْ لِي الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ فَأَحْيِ بِهِ بِلَادَكَ ، وَأَنْعِشْ بِرَحْمَتِهِ عِبَادَكَ ، وَبَلِّغْهُ مَرْضَاتَكَ ، وَأَسْكِنْهُ فِرْدَوْسَكَ ، وَأَدِمْ لَهُ الْعِزَّ النَّامِيَ ، وَالْكَعْبَ الْعَالِيَ ، وَالْمَجْدَ التَّلِيدَ(٣) وَالْجَدَّ السَّعِيدَ ، وَالْحَقَّ الْمَوْرُوثَ ، وَالْخَيْرَ الْمَبْثُوثَ ، وَالْوَلِيَّ الْمَنْصُورَ ، وَالشَّانِئَ(٤) الْمَبْتُورَ ، وَالدَّعْوَةَ الشَّامِلَةَ وَالسَّجِيَّةَ الْفَاضِلَةَ ، وَالسِّرْبَ(٥) الْمَحْرُوسَ ، وَالرَّبْعَ الْمَأْنُوسَ ، وَالْجَنَابَ الْخَصِيبَ ، وَالْعَدُوَّ الْحَرِيبَ(٦) ، وَالْمَنْهَلَ الْقَرِيبَ ، وَاجْعَلْ أَوْلِيَاءَهُ بَازِلِينَ لِطَاعَتِهِ ، نَاصِرِينَ لِأَعِزَّتِهِ ، ذَابِّينَ عَنْ حُرَمِهِ ، وَالْقَمَرَ الْمُنِيرَ بِالْجَمَالِ ، وَالنَّجْمَ الثَّاقِبَ بِالْعِلْمِ ،

(١) أى فسد ، من حلم الجلد حلما : فسد فى العمل ووقع فيه دود فتثقب ، ومنه : « كدابغة وقد حلم الأديم » مثل يضرب لمن يسعى فى إصلاح أمر بعد أن أوصله الفساد إلى حيث لا يرجى إصلاحه (٢) رش عظمى : أثبت له ريشا (٣) التليد : القديم

(٤) الشانىء المبتور : المبغض المقطوع (٥) السرب : الطريق

(٦) العدو الحريب : الذى سلب ماله وترك بلا شىء «عبد الخالق»

وَالْكَوْكَبَ الْوَقَّادَ بِالْجُودِ ، وَالْبَحْرَ الْفَيَّاضَ بِالْمَوَاهِبِ ، سَقَطَ الْعَشَاءُ بِعَبْدِكَ عَلَى سَرْحِكَ[١] ، فَأَقْرِهِ مِنْ نِعْمَتِكَ بِمَا يُضَاهِي قَدْرَكَ وَقُدْرَتَكَ ، وَزَوِّجْ هِبَةَ رَبِّهَا مِنَ الْغِنَى ، فَطَالَمَا خَطَبَ كُفْؤَهَا مِنَ الْمُنَى . ثُمَّ يُقَالُ لِي مِنْ بَعْدُ : جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ حِينَ ذَكَرْتَ عَدُوَّهُ عِنْدَهُ بِخَيْرٍ ، وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ وَجَعَلْتَهُ سَيِّدَ النَّاسِ . فَأَقُولُ : كَرِهْتُ أَنْ تَرَانِي مُتَذَرِّبًا[٢] عَلَى عِرْضِ رَجُلٍ عَظِيمِ الْخَطْبِ ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِالْوَقِيعَةِ[٣] فِيهِ وَالْإِنْحَاءِ[٤] عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ أُشَعِّثَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، وَأَبْرِيَ مِنْ أَثْلَتِهِ[٥] جَانِبًا ، وَأُطِيرَ إِلَى جَنْبِهِ شَرَارَةً ، فَيُقَالُ أَيْضًا : جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَتَرَكْتَ الِاحْتِيَاطَ فِي أَمْرِكَ ، فَإِنَّهُ مَقَتَكَ وَعَافَكَ ، وَرَأَى أَنَّكَ فِي قَوْلِكَ عَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَجَهِلْتَ قَدْرَكَ ، وَنَسِيتَ وِزْرَكَ ، وَلَيْسَ مِثْلُكَ مَنْ هَجَمَ عَلَى ثَلْبِ مَنْ بَلَغَ رُتْبَةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَإِنَّكَ مَتَى جَسَرْتَ عَلَى هَذَا وُزِنْتَ بِهِ ، وَجَعَلْتَ غَيْرَهُ فِي قِرْنِهِ ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْحَالَاتُ مُلْتَبِسَةً ، وَهَذِهِ الْعَوَاقِبُ

(١) السرح : فناء الدار (٢) أى سليط اللسان متسلطا عليه .
(٣) الوقيعة : السب والشتم (٤) كانت فى هذا الأصل : « والانحناء عليه »
(٥) أبرى من أثلته : أى أظهر من عيبه ، وهذا المعنى من قبيل المجاز

مَجْهُولَةٌ ، فَهَلْ يَدُورُ الْعَمَلُ بَعْدَهَا إِلَّا عَلَى الْإِحْسَانِ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ الْمَحَبَّةِ ؟ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي هِيَ عِلَّةُ الْحَمْدِ ، وَالْإِسَاءَةِ الَّتِي هِيَ عِلَّةُ الْبُغْضِ ، وَالْبُغْضِ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ الذَّمِّ ، فَهَذَا هَذَا .

قَالَ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ شَدِيدَ الْحَسَدِ لِمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ وَأَجَادَ اللَّفْظَ ، وَكَانَ الصَّوَابُ غَالِباً عَلَيْهِ ، وَلَهُ رِفْقٌ فِي سَرْدِ حَدِيثٍ ، وَنِيقَةٌ (١) فِي رِوَايَةٍ ، وَلَهُ شَمَائِلُ مَخْلُوطَةٌ بِالدَّمَاثَةِ بَيْنَ الْإِشَارَةِ وَالْعِبَارَةِ ، وَهَذَا شَيْءٌ عَامٌّ فِي الْبَغْدَادِيِّينَ ، وَكَالْخَاصِّ فِي غَيْرِهِمْ .

حَدَّثْتُ لَيْلَةً بِحَدِيثٍ فَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ حَتَّى ضَحِكَ وَاسْتَعَادَهُ ثُمَّ قِيلَ لِي بَعْدَهُ إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قَاتَلَ اللهُ ابْنَ حَيَّانَ فَإِنَّهُ نَكِدٌ ، وَإِنَّهُ وَإِنَّهُ وَإِنَّهُ — وَأَكْرَهُ أَنْ أَرْوِيَ ذَمِّي بِقَلَمِي — وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ حَسَداً وَغَيْظاً بَحْتاً ، وَأَنَا أَرْوِي لَكَ الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ فِي نِهَايَةِ الطِّيبِ ، وَفِيهِ فُكَاهَةٌ ظَاهِرَةٌ وَعِيٌّ عَجِيبٌ ، فِي مَعْرِضِ بَلَاغَةٍ طَرِيفَةٍ فِي مَلْبَسِ فَهَاهَةٍ .

حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الْجَرَّاحِيُّ قَالَ : لَحِقَنِي مَرَّةً عِلَّةٌ صَعْبَةٌ فَمِنْ طَرِيفِ مَا مَرَّ عَلَى رَأْسِي ، وَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ مَنْ

(١) النيقة : التوضيح والتحسين

عَادَنِى ، شَيْخُ الشُّونِيزِيَّةِ ، وَدُوَّارَةِ الْحِمَارِ ، وَالتُّوثَةِ [(١)] ، وَفَقِيهُهَا أَبُو الْجَعْدِ الْأَنْبَارِىُّ ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الزَّنْهَارِىِّ فَقَالَ أَوَّلَ مَاقَعَدَ : «يقع لى فيما لا يقع لغيرى ، أو لمثلى فيمن كان كأنه منى ، أو كأنه كان على سنى ، أو كان معروفاً بما لا يعرف به إلاى ، إلا أني أرى أنك لا تحتمى إلا حمية [(٢)] فوق ما يجب ، ودون مالا يجب ، وبين فوق مالا يجب ، وبين دون ما لا يجب ، فرق ، الله يعلم أنه لا يعلم أحد ممن يعلم ، أو لا يعلم الطب كله أن يحتمى حمية ، بين حميتين : حميــة كلا حمية ، ولا حميــة كحمية ، وهذا هو الاعتدال والتعديل ، والتعادل والمعادلة ، قال الله تعالى : « وكان بين ذلك قواماً [(٣)] » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «خير الأمور أوسطها ، وشرها إطرافها » . والعلة فى الجملة والتفصيل إذا أدبرت لم تقبل ، وإذا أقبلت لم تدبر ، وأنت من إقبالها فى خوف ومن إدبارها فى التعجب ، وما يصنع هذا كله ؟ لا تنظر إلى اضطراب الحمية عليك ، ولــكن انظر إلى

(١) اسماء مقابر ببغداد (٢) الحمية : عدم الأكل ، أو القصد فى تناول الطعام
(٣) القوام : الاعتدال

جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشقون الشعر شقا ، ويدقون البعر دقا ، ويقولون مايدرون ومالا يدرون زرقاً وحمقاً ، وإلى قلة نصحهم مع جهلهم ، ولو لم يجهلوا إذا لم ينصحوا كان أحسن عند الله والملائكة ، ولو نصحوا إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشباه الناس والله المستعان ، وأنت فى عافية ولكن عدوك ينظر إليك بعين الاست فيقول : وجهه وجه من قد رجع من القبر بعد غدو على كل حال ، فالرجوع من القبر خير من الرجوع إلى القبر ، لعن الله القبر ، لا خباز ولا بزاز ولا رزاز ولا كواز « إنا لله وإنا إليه راجعون » عن قريب إن شاء الله « وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت » وقال جل شأنه « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ، ومن الجبال جدد بيض وحمر » تأمر بشيء السنة فى العيادة خاصة ، عيادة الكبار والسادة التخفيف والتطفيف ، وإنا إن شاء الله عندك بالعشي والحق ، والحق أقوام ما يجب على مثلك لمثلى ، كان ليس لك مثل ولا مثلى أيضاً مثل هكذا إلى باب الشام وإلى قنطرة

الشوك وإلى المندفة أقول لك المستوى ، لا أنا ولا أنت اليوم كمثل كمثراتين إذا علقتا على رأس شجرة ، وكدلوين إذا خلقا على رأس بئر ، ودع ذا القارورة ، اليوم لا أله إلا الله ، وأمس كان سبحان الله ، وغداً يكون شيئاً آخر ، وبعد غد ترى من ربك العجب . والموت والحياة بعون الله ، ليس هذا مما يباع فى السوق ، أو يوجد مطروحاً فى الطريق ، وذاك أن الإنسان ـ ولا قوة إلا بالله ـ طريف أعمى كأنه ما صح له منام قط ، ولا خرج من السمارية إلى الشط ، وكأنه ما رأى قدرة الله فى البط ، إذا لفظ كيف يقول قط قط ، والكلام فى الإنسان وعمى قلبه وسخنة عينه قل غفر له ، ولا يسلم فى هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرة ينشق منها فيموت كأنه شهيد ، وهذا صعب لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب ، على الله توكلنا وإليه التفتنا ورضينا ، وبه استجرنا ، إن شاء أخذلنا ، وإن شاء أطعمنا[1] . »

(١) هذا كلام لا تحاول أن تفهمه ، وإلا فأنت فى عناء ، وقد اخبرت المطبعة ألا تضبطه فليس فى ذلك من فائدة « عبد الخالق »

قَالَ الْقَاضِي : فَكِدْتُ أَمُوتُ مِنَ الضَّحِكِ عَلَى ضَعْفِي وما زَالَ كَلَامُهُ بِهَذَا إِلَى أَنْ خَرَجْتُ عَلَى النَّاسِ وَكَانَ مَعَ هذَا لَا يَعْيَا وَلَا يَقِفُ وَلَا يَكِلُّ وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَانِ.

وَخَتَمَ أَبُو حَيَّان كِتَابَهُ فِي أَخْلَاقِ الْوَزِيرَيْنِ بَعْدَ أَنِ اعْتَذَرَ عَنْ فِعْلِهِ ثُمَّ قَالَ : وَإِنِّي لَأَحْسُدُ الَّذِي يَقُولُ :

أَعُدُّ خَمْسِينَ حَوْلًا مَا عَلَيَّ يَدٌ
لِأَجْنَبِيٍّ وَلَا فَضْلٌ لِذِي رَحِمِ

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ شُكْراً قَدْ قَنِعْتُ فَلَا
أَشْكُو لَئِيماً وَلَا أُطْرِي أَخَا كَرَمِ

لِأَنِّي كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَهُ ، وَلَكِنَّ الْعَجْزَ غَالِبٌ لِأَنَّهُ مَبْذُورٌ فِي الطِّينَةِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْآخَرُ حِينَ قَالَ :

ضَيِّقُ الْعُذْرِ[1] فِي الضَّرَاعَةِ إِنَّا لَوْ قَنِعْنَا بِقَسْمِنَا لَكَفَانَا
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ إِذَا كَا نَ إِلَى اللهِ فَقْرُنَا وَغِنَانَا ؟

وَأَدْعُو هَهُنَا بِمَا دَعَا بِهِ بَعْضُ النُّسَّاكِ : « اللَّهُمَّ صُنْ وُجُوهَنَا بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْهَا بِالْإِقْتَارِ ، فَنَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَنَسْأَلَ شَرَّ خَلْقِكَ ، وَنُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَى ، وَذَمِّ مَنْ مَنَعَ ،

(١) العذر : الضيق الذي لا يكاد يقبل ، فالضراعة : عذر ضيق .

وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ ، وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »

وَمِنْ كِتَابِ الْمُحَاضَرَاتِ لِأَبِي حَيَّانَ قَالَ : قَصَدْتُ أَنَا وَالنَّصِيبِيُّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ النِّعَمِ وَالْمَوْصُوفِينَ بِالْكَرَمِ ، لَا يَرُدُّ سَائِلِيهِ ، وَلَا يُخَيِّبُ آمِلِيهِ ، وَالْأَلْسُنُ مُتَّفِقَةٌ عَلَى جُودِهِ وَتَطَوُّلِهِ ، وَالْعُيُونُ شَاخِصَةٌ إِلَى عَطَايَاهُ وَفَضْلِهِ ، لَهُ فِي السَّنَةِ مَبَارٌّ كَثِيرَةٌ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ ، وَمَنْ قَعَدَ بِهِ الزَّمَانُ وَجَفَاهُ الْإِخْوَانُ ، فَلَمْ نُصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ ، وَقَصَدْنَاهُ ثَانِياً فَمُنِعْنَا مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ ، وَقَصَدْنَاهُ ثَالِثاً فَذُكِرَ أَنَّهُ رَكِبَ ، وَقَصَدْنَاهُ رَابِعاً فَقِيلَ هُوَ فِي الْحَمَّامِ ، وَقَصَدْنَاهُ خَامِساً فَقِيلَ هُوَ نَائِمٌ ، وَقَصَدْنَاهُ سَادِساً فَقِيلَ عِنْدَهُ صَاحِبُ الْبَرِيدِ وَهُوَ مَشْغُولٌ مَعَهُ بِمُهِمٍّ ، وَقَصَدْنَاهُ سَابِعاً فَذُكِرَ أَنَّهُ رَسَمَ أَلَّا يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ ، وَقَصَدْنَاهُ ثَامِناً فَذُكِرَ أَنَّهُ يَأْكُلُ وَلَا يَجُوزُ الدُّخُولُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ وَلَا سَبَبٍ ، وَقَصَدْنَاهُ تَاسِعاً فَذُكِرَ أَنَّ أَحَدَ أَوْلَادِهِ سَقَطَ مِنَ الدَّرَجَةِ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا يُفَارِقُهُ ، وَقَصَدْنَاهُ الْعَاشِرَ فَذُكِرَ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِشُرْبِ الدَّوَاءِ ، وَقَصَدْنَاهُ الْحَادِيَ عَشَرَ فَذُكِرَ أَنَّهُ تَنَاوَلَ الدَّوَاءَ مِنْ يَوْمَيْنِ ، وَمَا عَمِلَ عَمَلًا وَقَدْ

قُوَّاهُ الْيَوْمَ بِمَا يُحَرِّكُ الطَّبِيعَةَ ، وَقَصَدْنَاهُ الثَّانِيَ عَشَرَ فَقِيلَ إِلَى الْآنِ كَانَ جَالِساً وَنَهَضَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَدَخَلَ إِلَى الْحُجْرَةِ ، وَقَصَدْنَاهُ الثَّالِثَ عَشَرَ فَقِيلَ دُعِيَ إِلَى الدَّارِ لِمُهِمٍّ ، وَقَصَدْنَاهُ الرَّابِعَ عَشَرَ فَأَلْفَيْنَاهُ فِي الطَّرِيقِ يَمْضِي إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ ، وَقَصَدْنَاهُ الْخَامِسَ عَشَرَ فَسَهُلَ لَنَا الْإِذْنُ وَدَخَلْنَا فِي غِمَارِ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ جُلُوسٌ وَجَمَاعَةٌ قِيَامٌ يُرَتِّبُونَ النَّاسَ وَيَخْدُمُونَهُمْ وَقَدِ اتَّفَقَ لَهُ عَزَاءٌ ، وَشُغِلَ بِغَيْرِنَا وَبَقِينَا فِي صُورَةٍ مِنِ احْتِقَانِ الْبَوْلِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَمَا أُقِمْنَا فِي جُمْلَةِ مَنْ يُقَامُ . فَقَالَ لِي النَّصِيبِيُّ : هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَدْ ظَفِرْنَا بِهِ وَتَمَكَّنَّا مِنْ دُخُولِ دَارِهِ صَارَ عَظِيمَ الْمُصِيبَةِ عَلَيْنَا ، لَيْسَ لَنَا إِلَّا مُهَاجَرَةُ بَابِهِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ ، وَقَمْعُ النَّفْسِ الدَّنِيَّةِ بِالطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ تَعِبْنَا وَتَبَذَّلْنَا عَلَى بَابِهِ ، وَالْأَسْبَابُ الَّتِي قَدِ اتَّفَقَتْ فَمَنَعَتْ مِنْ رُؤْيَتِهِ كَانَتْ عُذْرًا وَاضِحًا وَيَتَّفِقُ مِثْلُ هَذَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ التَّعْزِيَةِ قَصَدْنَاهُ ، وَرُبَّمَا نِلْنَا مِنْ جِهَتِهِ مَا نَأْمُلُهُ ، فَقَصَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً ، وَقَلَّمَا اتَّفَقَ فِيهَا رُؤْيَتُهُ وَخِطَابُهُ حَتَّى مَلَّ النَّصِيبِيُّ فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ دَارَهُ الْفِرْدَوْسُ ، وَالْحُصُولَ

عِنْدَهُ الْخُلُودُ فِيهَا ، وَكَلَامَهُ رِضَا اللهِ تَعَالَى وَفَوْزُ الْأَبَدِ لَمَا قَصَدْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

طَلَبُ الْكَرِيمِ نَدَى يَدِ الْمَنْكُودِ
كَالْغَيْثِ يُسْتَسْقَى مِنَ الْجُلْمُودِ
فَافْزَعْ إِلَى عِزِّ الْفَرَاغِ وَلُذْ بِهِ
إِنَّ السُّؤَالَ يُرِيدُ وَجْهَ حَدِيدِ

فَأَجَبْتُهُ أَنَا وَعَيْنَايَ بِالدُّمُوعِ تَتَرَقْرَقُ لِمَا بَانَ لِي مِنْ حِرْفَتِي ، وَنُبُوِّ الدَّهْرِ بِي وَضَيَاعِ سَعْيِي ، وَخَيْبَةِ أَمَلِي فِي كُلِّ مَنْ أَرْتَجِيهِ لِمُلِمٍّ أَوْ مُهِمٍّ ، أَوْ حَادِثَةٍ أَوْ نَائِبَةٍ :

دُنْيَا دَنَتْ مِنْ عَاجِزٍ وَتَبَاعَدَتْ
عَنْ كُلِّ ذِي لُبٍّ لَهُ خَطَرُ(١)
سَلِمَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا حَتَّى إِذَا
وَصَلَتْ إِلَيَّ أَصَابَهَا الْحَصَرُ

قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ الْوَزِيرَيْنِ : جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ مَسْكَوَيْهِ شَيْءٌ ، قَالَ لِي مَرَّةً : أَمَا تَرَى إِلَى خَطَإِ صَاحِبِنَا - وَهُوَ يَعْنِي ابْنَ الْعَمِيدِ فِي إِعْطَائِهِ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ ضَرْبَةً وَاحِدَةً - لَقَدْ أَضَاعَ هَذَا الْمَالَ الْخَطِيرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ، فَقُلْتُ

(١) كانت في الأصل « حجر »

بَعْدَ مَا أَطَالَ الْحَدِيثَ وَتَقَطَّعَ بِالْأَسَفِ. أَيُّهَا الشَّيْخُ، أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَاصْدُقْ فَإِنَّهُ لَا مَدَبَّ لِلْكَذِبِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ: لَوْ غَلِطَ صَاحِبُكَ فِيكَ بِهَذَا الْعَطَاءِ وَبِأَضْعَافِهِ وَأَضْعَافِ أَضْعَافِهِ، أَكُنْتَ تَخَيَّلُهُ فِي نَفْسِكَ مُخْطِئاً وَمُبَذِّراً وَمُفْسِداً، أَوْ جَاهِلاً بِحَقِّ الْمَالِ؟ أَوْ كُنْتَ تَقُولُ مَا أَحْسَنَ مَافَعَلَ وَلَيْتَهُ أَرْبَى عَلَيْهِ؟ فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَسْمَعُ عَلَى حَقِيقَةٍ، فَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي يَرِدُ وِرْدَ مَقَالِكَ إِنَّمَا هُوَ الْحَسَدُ أَوْ شَيْءٌ آخَرُ مِنْ جِنْسِهِ، وَأَنْتَ تَدَّعِي الْحِكْمَةَ وَتَتَكَلَّفُ الْأَخْلَاقَ، وَتُزَيِّفُ الزَّائِفَ، وَتَخْتَارُ مِنْهَا الْمُخْتَارَ، فَافْطَنْ لِأَمْرِكَ، وَاطَّلِعْ عَلَى سِرِّكَ وَشَرِّكَ.

﴿ ٢ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ * ﴾

علي بن محمد الماوردي

الْمَاوَرْدِيُّ الْبَصْرِيُّ، يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ، وَيُلَقَّبُ أَقْضَى الْقُضَاةِ، لُقِّبَ بِهِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَجَرَى مِنَ الْفُقَهَاءِ كَأَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَالصَّيْمَرِيِّ إِنْكَارٌ لِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ، هَذَا بَعْدَ أَنْ كَتَبُوا خُطُوطَهُمْ بِجَوَازِ تَلْقِيبِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِمَلِكِ الْمُلُوكِ

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت

الأَعْظَمِ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، وَاسْتَمَرَّ لَهُ هَذَا اللَّقَبُ إِلَى أَنْ مَاتَ ، ثُمَّ تَلَقَّبَ بِهِ الْقُضَاةُ إِلَى أَيَّامِنَا هَذِهِ ، وَشَرْطُ الْمُلَقَّبِ بِهَذَا اللَّقَبِ : أَنْ يَكُونَ دُونَ مَنْزِلَةِ مَنْ تَلَقَّبَ بِقَاضِي الْقُضَاةِ إِلَى أَيَّامِنَا هَذِهِ عَلَى سَبِيلِ الِاصْطِلَاحِ ، وَإِلَّا فَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ أَقْضَى الْقُضَاةِ أَعْلَى مَنْزِلَةً . وَمَاتَ الْمَاوَرْدِيُّ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَكَانَ عَالِمًا بَارِعًا مُتَفَنِّنًا شَافِعِيًّا فِي الْفُرُوعِ ، وَمُعْتَزِلِيًّا فِي الْأُصُولِ عَلَى مَا بَلَغَنِي وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ ذَا مَنْزِلَةٍ مِنْ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ يُرْسِلُونَهُ فِي التَّوَسُّطَاتِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يُنَاوِئُهُمْ ، وَيَرْتَضُونَ بِوَسَاطَتِهِ وَيَقِفُونَ بِتَقْرِيرَاتِهِ . قَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ لِمَحْمُودٍ النَّيْسَابُورِيِّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَنْسُوبَيْنِ إِلَى الْمَاوَرْدِيِّ هَذَا :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ
فَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يُحْيِ بِالْعِلْمِ صَدْرَهُ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمَذَانِيُّ ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : سَمِعْتُ الْمَاوَرْدِيَّ يَقُولُ : بَسَطْتُ الْفِقْهَ فِي أَرْبَعَةِ

آلَافِ وَرَقَةٍ ، وَاخْتَصَرْتُهُ فِي أَرْبَعِينَ ، يُرِيدُ بِالْمَبْسُوطِ كِتَابَ الْحَاوِي ، وَبِالْمُخْتَصَرِ كِتَابَ الْإِقْنَاعِ ، وَدَرَسَ مَكَانَهُ خَمْسَ سِنِينَ قَالَ : وَلَمْ أَرَ أَوْقَرَ مِنْهُ ، وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ مُضْحِكَةً قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ ذِرَاعَهُ[1] مُنْذُ صَحِبْتُهُ إِلَى أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا . قُلْتُ : وَلَهُ تَصَانِيفُ حِسَانٌ فِي كُلِّ فَنٍّ ، مِنْهَا : كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ ، كِتَابٌ فِي النَّحْوِ رَأَيْتُهُ فِي حَجْمِ الْإِيضَاحِ أَوْ أَكْبَرَ ، كِتَابُ قَوَانِينِ الْوَزَارَةِ ، كِتَابُ تَعْجِيلِ النَّصْرِ وَتَسْهِيلِ الظَّفَرِ .

قَرَأْتُ فِي مَجْمُوعٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : تَقَدَّمَ الْقَادِرُ بِاللهِ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيَّامِهِ فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ، أَنْ أَنْ يُصَنِّفَ لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُخْتَصَراً عَلَى مَذْهَبِهِ . فَصَنَّفَ لَهُ الْمَاوَرْدِيُّ الْإِقْنَاعَ ، وَصَنَّفَ لَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْقُدُورِيُّ مُخْتَصَرَهُ الْمَعْرُوفَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَصَنَّفَ لَهُ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَالِكِيُّ مُخْتَصَراً آخَرَ ، وَلَا أَدْرِي مَنْ صَنَّفَ لَهُ عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ الْخَادِمُ إِلَى أَقْضَى الْقُضَاةِ الْمَاوَرْدِيِّ وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ[2] لَكَ أَمِيرُ

(١) يريد أنه لا يدعو أحدا لشيء أي لايسأل ، أو كأنه اسم من أذرع في الكلام : أفرط (٢) كانت هذه الكلمة في الأصل « قال » « عبد الخالق »

المُؤْمِنِينَ : حَفِظَ اللهُ عليكَ دِينَكَ ، كَمَا حَفِظْتَ عَلَيْنَا دِينَنَا .
وَمِنْ هَذَا الْمَجْمُوعِ [1] : كَانَ أَقْضَى الْقُضَاةِ — رَحِمَهُ اللهُ — قَدْ سَلَكَ طَرِيقَهُ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ ، يُوَرِّثُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ بِالسَّوِيَّةِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، فَجَاءَهُ يَوْمًا الشِّينِيزِيُّ فِي أَصْحَابِ الْقَمَاقِمِ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، أَتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ ، فَقَالَ : بَلْ أَجْتَهِدُ وَلَا أُقَلِّدُ ، فَلَبِسَ نَعْلَهُ وَانْصَرَفَ

﴿ ٣ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ الدِّينَارِيُّ (*) ﴾

علي بن محمد الديناري

النَّحْوِيُّ أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ وَلَدِ دِينَارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ . قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ : مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَأَبُوهُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ .

﴿ ٤ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ الْأَهْوَازِيُّ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ (*) ﴾

علي بن محمد الأهوازي

رَأَيْتُ لَهُ كِتَابًا فِي عِلَلِ الْعَرُوضِ ، نَحْوَ عَشْرِ كَرَارِيسَ

(١) أي المجموع الذي تقدم ذكره
(*) لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت
(*) راجع بغية الوعاة

ضَيِّقَةِ الْخَطِّ ، جَيِّداً فِي بَابِهِ غَايَةً ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ حَالِهِ غَيْرَ هٰذَا .

﴿ ٥ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَزَّانُ النَّحْوِيُّ الْحَلَبِيُّ * ﴾

علي بن محمد الوزان

أَبُو الْحَسَنِ ، سَمِعَ مِنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ ، وَأَظُنُّهُ كَانَ فِي أَيَّامِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْعَرُوضِ .

﴿ ٦ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ النَّحْوِيُّ الْبَطَلْيُوسِيُّ * ﴾

علي بن محمد البطليوسي

أَبُو الْحَسَنِ ، وَيُعْرَفُ بِالْخَيْطَالِ ، وَهُوَ أَخُو أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ابْنِ السَّيِّدِ النَّحْوِيِّ . رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْغُرَابِ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ وَغَيْرِهِمَا ، أَخَذَ عَنْهُ أَخُوهُ أَبُو مُحَمَّدٍ كَثِيراً مِنْ كُتُبِ الْآدَابِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ مُقَدَّماً فِي عِلْمِ اللُّغَةِ وَحِفْظِهَا وَضَبْطِهَا ، وَمَاتَ بِقَلْعَةِ رَبَاحٍ مُعْتَقَلاً مِنْ قِبَلِ ابْنِ عُكَاشَةَ قَائِدِهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

﴿ ٧ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَخْفَشُ النَّحْوِيُّ * ﴾

علي بن محمد الأخفش

لَمْ أَجِدْ ذِكْرَهُ إِلَّا عَلَى كِتَابِ الْفَصِيحِ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَخِي الشَّبِيهِ الْعَلَوِيِّ بِمَا صُورَتُهُ: حَذِقَ عَلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ - وَهُوَ كِتَابُ الْفَصِيحِ - أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُبَارَكِ الْخَاصَّةُ الشَّرَفِيُّ – أَدَامَ اللهُ أَيَّامَهُ – مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ قِرَاءَةَ فَهْمٍ وَتَصْحِيحٍ. وَقَرَأْتُ أَنَا عَلَى عَلِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي مَحَلَّةِ بَابِ الْبَصْرَةِ بِبَغْدَادَ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ. وَقَرَأَ هُوَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مِقْسَمٍ النَّحْوِيِّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ – رَحِمَهُ اللهُ –، وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَخْفَشُ النَّحْوِيُّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

﴿ ٨ – عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ * ﴾

علي بن محمد القهندزي

الْقُهَنْدَزِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الضَّرِيرُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ النَّيْسَابُورِيُّ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، شَيْخٌ فَاضِلٌ مِنَ الْأُدَبَاءِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَنَاسِكِيِّ الْمَحَامِلِيِّ وَغَيْرِهِ، وَسَمِعَ مِنْهُ

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

وترجم له في كتاب أنباه الرواة ج أول

النَّاسُ وقرأ عليهِ الأئمةُ وتخرجوا بهِ. قالَ ذلكَ عبدُ الغافرِ في السياقِ، قرأ عليهِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الواحديُّ وعدَّهُ في أعيانِ مشايخِهِ. وقالَ الواحديُّ: كانَ منْ أبرعِ أهلِ زمانِهِ.

﴿ ٩ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِيُّ الْبِيَارِيُّ * ﴾

علي بن محمد البياري

الْأُسْتَاذُ الْأَدِيبُ أَبُو الْحَسَنِ، رَجُلٌ فَاضِلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ، وَأَمَّا سَمَاعُ الْحَدِيثِ فَقَلَّمَا يَخْلُو عَنْهُ أَهْلُ الْفَضْلِ، قَالَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ.

﴿ ١٠ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ * ﴾

علي بن محمد الحوزي

الْحُوزِيُّ أَبُو الْحَسَنِ، الْأَدِيبُ ابْنُ الْأَدِيبِ السَّقَّاءُ، رَجُلٌ فَاضِلٌ شَاعِرٌ كَاتِبٌ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ مُتَأَخِّرِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ ثُمَّ مِنْ مَشَايِخِنَا، وَمَاتَ كَهْلًا فِي الثَّانِي مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ الْغَافِرِ.

﴿ ١١ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْسَلَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ * ﴾

علي بن محمد الكاتب

أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْمُنْتَجَبُ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ، كَاتِبٌ

(*) راجع أنباء الرواة

(*) راجع أنباء الرواة

(*) راجع بغية الوعاة

مَلِيحُ الْخَطِّ فَصِيحُ الْعِبَارَةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ وَتَرَسُّلٌ وَبَلاغَةٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ ، سَافَرَ إِلَى الْعِرَاقِ وَجَالَ فِي بِلَادِهِ ، وَلَعَلَّهُ مَا رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ فِي فَنِّهِ ، سَمِعَ بِمَرْوَ أَبَا عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ ابْنِ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيَّ وَغَيْرَهُ . قَالَ أَبُو سَعْدٍ : اجْتَمَعْتُ مَعَهُ بِبَغْدَادَ بِالْمُقْتَدِيَّةِ وَكَتَبَ لِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ ، وَكَانَ حُفَظَةً يَسْمَعُ أَرْبَعِينَ بَيْتًا فَيَحْفَظُهَا ، اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الْمُنَادَمَةِ وَالْكِتَابَةِ وَصُحْبَةِ الْمُلُوكِ ، لَهُ هَذَا الْبَيْتُ الْفَرْدُ :

وَأَمَّا الْحَشَا مِنِّي فَإِنِّي امْتَحَنْتُهَا
وَأَدْنَيْتُ مِنْهَا الْجَمْرَ فَاحْتَرَقَ الْجَمْرُ

وَلَهُ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَغْنِ الْعُفَاةَ صِلَاتُهُ
وَلَمْ يُرْغِمِ الْقَوْمَ الْعِدَى سَطَوَاتُهُ
وَلَمْ يَرْضَ فِي الدُّنْيَا صَدِيقًا وَلَمْ يَكُنْ
شَفِيعًا لَهُ فِي الْحَشْرِ مِنْهُ نَجَاتُهُ
فَإِنْ شَاءَ فَلْيَهْلِكْ وَإِنْ شَاءَ فَلْيَعِشْ
فَسِيَّانِ عِنْدِي مَوْتُهُ وَحَيَاتُهُ

قُتِلَ فِي الْوَقْعَةِ الْخُوَارِزْمشَاهِيَّةِ بِمَرْوَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ

سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَلَهُ كِتَابُ تَعِلَّةِ الْمُشْتَاقِ إِلَى سَاكِنِي الْعِرَاقِ. وَكَانَ أَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَرْسَلَانَ أَيْضاً مِنَ الْفُضَلَاءِ النُّبَلَاءِ. وَلَهُ شِعْرٌ وَرَسَائِلُ وَمَدَحَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وَرَثَاهُ، وَكَانَ يُلَقَّبُ مُنْتَجَبَ الْمَلِكِ، فَلَا أَدْرِي أَهَذَا تَلَقَّبَ بِلَقَبِ أَبِيهِ؟ أَمْ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُنْتَجَبِ. وَذُكِرَ فِي تَارِيخِ خُوَارِزْمَ أَنَّ مُنْتَجَبَ الْمَلِكِ مُحَمَّدَ بْنَ أَرْسَلَانَ مَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ أَوْ قَرِيباً مِنْهَا.

وَذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي[1] شَرْحِ مَقَامَاتِهِ: أَنْشَدَنِي الْكَبِيرُ الْمُنْتَجَبُ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَرْسَلَانَ لِنَفْسِهِ بَيْتاً لَوْ وَقَعَ فِي شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ لَسَيَّرَتْهُ الرُّوَاةُ، وَخَلَّدَتْهُ الْأَئِمَّةُ فِي كُتُبِهِمْ، وَكَمْ مِنْ أَخَوَاتٍ لَهُ ضُيِّعَتْ بِضَيَاعِ الْأَدَبِ وَقِلَّةِ النَّقَلَةِ، وَاتِّضَاعِ الْهِمَمِ، وَتَرَاجُعِ الْأُمُورِ عَلَى أَعْقَابِهَا.

وَبَرْدَاهُ مَسْجُورَانِ[2] مِثْلُ هَجِيرِهِ
كَأَنْ لَيْسَ فِيهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلُ

قَالَ: وَمَا أَظُنُّ الْبَرْدَيْنِ وَقَعَا مِثْلَ هَذَا الْمَوْقِعِ مُنْذُ نَطَقَ

(١) سقط من الأصل كلمة « في » (٢) البردان والأبردان: الغداة والعشي، والمسجور: المحمى في النار

بِهِمَا وَاضِعُ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ شِعْرِ مُنْتَجَبِ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ بْنِ أَرْسَلَانَ :

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْأَحْمَرِ لَا تَجْهَرِي بِدِمَائِنَا وَتَسَتَّرِي
مُكِّنْتِ مِنْ حُبِّ الْقُلُوبِ وِلَايَةً
فَمَلَكْتِهَا بِتَعَسُّفٍ وَتَجَبُّرِ
إِنْ تُنْصِفِي فَلَكِ الْقُلُوبُ رَعِيَّةً
أَوْ تَمْنَعِي حَقًّا فَمَنْ ذَا يَجْتَرِي
سَخَّرْتِنِي وَسَحَرْتِنِي بِنَوَافِثٍ فَتَرَفَّقِي بِمُسَخَّرٍ وَمُسَحَّرِ

﴿ ١٢ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَرْوَانَ * ﴾

علي بن محمد العمراني

الْعَمْرَانِيُّ الْخُوَارِزْمِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الْأَدِيبُ، يُلَقَّبُ حُجَّةَ الْأَفَاضِلِ وَفَخْرَ الْمَشَايِخِ، مَاتَ فِيمَا يُقَارِبُ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَرْسَلَانَ فِي تَارِيخِ خُوَارِزْمَ مِنْ خَطِّهِ فَقَالَ: الْعَمْرَانِيُّ حُجَّةُ الْأَفَاضِلِ سَيِّدُ الْأُدَبَاءِ، قُدْوَةُ مَشَايِخِ الْفُضَلَاءِ، الْمُحِيطُ بِأَسْرَارِ الْأَدَبِ، وَالْمُطَّلِعُ عَلَى غَوَامِضِ كَلَامِ الْعَرَبِ، قَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى فَخْرِ خُوَارِزْمَ مَحْمُودِ بْنِ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيِّ فَصَارَ أَكْبَرَ أَصْحَابِهِ، وَأَوْفَرَهُمْ حَظًّا مِنْ غَرَائِبِ آدَابِهِ، لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ فِي حُسْنِ الْخَطِّ وَاللَّفْظِ، وَلَا يُمْسَحُ عِذَارُهُ فِي كَثْرَةِ

السَّمَاعِ وَالْحِفْظِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ فَخْرِ خُوَارِزْمَ وَالْإِمَامِ عُمَرَ التَّرْجُمَانِيِّ وَلَدِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْمُخِيِّ، وَالْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْخُجَنْدِيِّ، وَالْقَاضِي عَبْدِ الْوَاحِدِ الْبَاقَرْجِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ وَلُوعاً بِالسَّمَاعِ كَتُوباً، وَجَعَلَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ أَيَّامَهُ مَقْصُورَةً وَأَوْقَاتَهُ مَوْقُوفَةً عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَإِفَادَتِهِ لِطَالِبِيهِ، وَإِفَاضَتِهِ عَلَى الرَّاغِبِينَ فِيهِ. فَحُولُ الْعُلَمَاءِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَءُونَ عَلَيْهِ، وَيَفْزَعُونَ فِي حَلِّ الْمُشْكِلَاتِ وَشَرْحِ الْمُعْضِلَاتِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَعَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ وَالْفَضْلِ الْكَثِيرِ عَلَمٌ فِي الدِّينِ وَالصَّلَاحِ الْمَتِينِ، وَإِنَّهُ فِي الزَّهَادَةِ وَالسَّدَادِ وَحُسْنِ الِاعْتِقَادِ أَطْهَرُ أَقْرَانِهِ ذَيْلًا مِنَ الْعُيُوبِ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً عَنِ اقْتِرَافِ الذُّنُوبِ، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ الرَّأْيِ وَالْعَدْلِ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، فَمِنْ قَوْلِهِ فِي صِبَاهُ فِي مَدْحِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ يُعَارِضُ قَصِيدَةَ كَعْبِ ابْنِ زُهَيْرٍ:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ (١)

أَضَاءَ بَرْقٌ وَسَجْفُ (٢) اللَّيْلِ مَسْدُولُ

كَمَا يُهَزُّ الْيَمَانِي (٣) وَهُوَ مَصْقُولُ

---

(١) المتبول : المقطوع (٢) سجف : ستار (٣) اليمانى : السيف

فَهَاجَ وَجْدِي بِسُعْدَى وَهْيَ نَائِيَةٌ
عَنِّي وَقَلْبِيَ بِالأَشْوَاقِ مَتْبُولُ
لَمْ يَبْقَ لِي مُذْ تَوَلَّى الظَّعْنُ بَاكِرَةً
صَبْرٌ، وَلَمْ يَبْقَ لِي قَلْبٌ وَمَعْقُولُ
مَهْمَا تَذَكَّرْتُهَا فَاضَ الْجُمَانُ(١) عَلَى
خَدَّيَّ حَتَّى نِجَادُ السَّيْفِ مَبْلُولُ
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ إِذْ تَجْلُو عَوَارِضَهَا
وَالْجَفْنُ بِالإِثْمِدِ(٢) الْهِنْدِيِّ مَكْحُولُ
ظَمْأَى الْمُوَشَّحِ رَيَّانٌ مُخَلْخَلُهَا
عَبْلٌ مُؤَزَّرُهَا وَالْمَتْنُ مَجْدُولُ
كَأَنَّمَا هِيَ إِذْ تُرْخِي ذَوَائِبَهَا
بَدْرٌ عَلَيْهَا رِوَاقُ(٣) اللَّيْلِ مَسْدُولُ
كَأَنَّمَا ثَغْرُهَا دُرٌّ إِذَا ابْتَسَمَتْ
وَرِيقُهَا سَحَرًا بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
يَا حَبَّذَا زَمَنٌ فِيهِ نُسَرُّ بِهَا
وَالشَّعْبُ مُلْتَئِمٌ وَالْحَبْلُ مَوْصُولُ

(١) الجمان : حب يعمل من الفضة كالدرر يريد دموعه .
(٢) الاثمد : حجر يكتحل به (٣) رواق الليل : ظلامه

وَمِنهَا فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

هَدَى إِلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ أُمَّتَهُ
وَكُلُّهُمْ بِعِقَالِ الشِّرْكِ مَعْقُولُ

وَكُلُّ أَصْحَابِهِ أَهْوَى وَأَمْنَحُهُمْ
وُدِّي ، وَمُبْغِضُهُمْ فِي الدِّينِ مَدْخُولُ

وَصَاحِبُ الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ يَتْبَعُهُ
وَهُوَ الَّذِي مَالُهُ فِي اللهِ مَبْذُولُ

وَتِلْوُهُ عُمَرُ الْفَارُوقُ أَزْهَرَ ، إِنْ
رَآهُ إِبْلِيسُ وَلَّى وَهُوَ مَخْذُولُ

وَأَقْتَدِي بِابْنِ عَفَّانَ الَّذِي فُرِيَتْ
أَوْدَاجُهُ (١) وَهُوَ بِالْقُرْآنِ مَشْغُولُ

وَبِالْوَصِيِّ ابْنِ عَمِّ الْمُصْطَفَى فَلَهُ
مَنَاقِبٌ جَمَّةٌ فِي شَرْحِهَا طُولُ

وَإِنَّ أَقْضَاهُمُ قَدْ كَانَ أَفْضَلَهُمْ
فَانظُرْ فَذَا عَنْ رَسُولِ اللهِ مَنْقُولُ

(١) الأوداج : عروق الرقبة

مُحِبِّي لَهُمْ دِينِي وَمُعْتَقَدِي
فَإِنْ أَزِغْ عَنْهُمْ غَالَتْنِيَ الْغُولُ

وَلِهَذَا الإِمَامِ أَشْعَارٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ تَرْكُ الْكَاغِدِ أَبْيَضَ خَيْرٌ مِنْ تَسْوِيدِهِ بِهَا ، وَلَهُ تَصَانِيفُ حِسَانٌ مِنْهَا : كِتَابُ الْمَوَاضِعِ وَالْبُلْدَانِ، كِتَابٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ اشْتِقَاقِ الأَسْمَاءِ .

وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِي أَوْرَدَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِ الْبُلْدَانِ :

رَأَيْتُكَ تَدَّعِي عِلْمَ الْعَرُوضِ ... كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْهَا فِي عَرُوضِ
فَكَمْ تُزْرِي بِشِعْرٍ مُسْتَقِيمٍ ... صَحِيحٍ فِي مَوَازِينِ الْعَرُوضِ
كَأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ مُذْ كُنْتَ عِلْماً
بِمَخْبُونِ[1] الضُّرُوبِ وَلَا الْعَرُوضِ

﴿ ١٣ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ السَّخَاوِيُّ * ﴾

على بن محمد السخاوى

وَسَخَا قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مِصْرَ ، كَانَ مَبْدَؤُهُ الاشْتِغَالَ بِالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ بِمِصْرَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَسَكَنَ بِمَسْجِدٍ بِالْقَرَافَةِ يَؤُمُّ فِيهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، فَلَمَّا وَصَلَ

(١) الخبن فى الشعر : حذف ثانى الجزء الساكن

(*) راجع بغية الوعاة

الشَّيْخُ أَبُو القَاسِمِ الشَّاطِبِيُّ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ، لَازَمَهُ مُدَّةً وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ بِالرِّوَايَاتِ، وَتَلَقَّنَ مِنْهُ قَصِيدَتَهُ المَشْهُورَةَ فِي القِرَاءَاتِ، وَكَانَ يُعَلِّمُ أَوْلَادَ الأَمِيرِ ابْنِ مُوسَكَ، وَانْتَقَلَ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ وَاشْتَهَرَ بِهَا بِعِلْمِ القُرْآنِ، وَعَاوَدَ قِرَاءَةَ القُرْآنِ عَلَى تَاجِ الدِّينِ أَبِي اليُمْنِ الكِنْدِيِّ وَلَازَمَهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ جُمْلَةً وَافِرَةً مِنْ سَمَاعَاتِهِ فِي الأَدَبِ وَغَيْرِهِ، وَصَارَ لَهُ حَلْقَةٌ بِالجَامِعِ بِدِمَشْقَ، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِلتَّأَدُّبِ وَشَرَعَ فِي التَّصْنِيفِ، فَلَهُ كِتَابُ الوَحِيدِ فِي شَرْحِ القَصِيدِ يُرِيدُ قَصِيدَةَ الشَّاطِبِيِّ، وَبَسَطَ القَوْلَ وَطَوَّلَ فِي مُجَلَّدَتَيْنِ، كِتَابُ شَرْحِ المُفَصَّلِ، كِتَابٌ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ، وَكُتِبَتْ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ فِي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَهُوَ بِدِمَشْقَ كَهْلٌ يَحْيَا.

١٤ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الفَصِيحِيُّ (*)

علی بن محمد الفصیحی

أَبُو الحَسَنِ، مِنْ أَهْلِ أَسْتَرَابَاذَ وَهِيَ مَدِينَةٌ مِنْ طَبَرِسْتَانَ وَرَأْسُ قَصَبَتِهَا، قَرَأَ النَّحْوَ عَلَى عَبْدِ القَاهِرِ الجُرْجَانِيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو نِزَارٍ النَّحْوِيُّ وَالحَيْصَ بَيْصَ الشَّاعِرُ.

---

(١) راجع بغية الوعاة

وَمَاتَ فِيما ذَكَرَهُ السِّلَفِيُّ الْحَافِظُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاء ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ وَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ ، وَدَرَّسَ النَّحْوَ بِالنِّظَامِيَّةِ بَعْدَ الشَّيْخِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْخَطِيبِ التِّبْرِيزِيِّ ، ثُمَّ اتُّهِمَ بِالتَّشَيُّعِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَا أَجْحَدُ ، أَنَا مُتَشَيِّعٌ مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ فَأُخْرِجَ مِنَ النِّظَامِيَّةِ ، وَرُتِّبَ مَكَانَهُ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ مَوْهُوبُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخَضِرِ الْجَوَالِيقِيُّ ، فَكَانَ الْمُتَعَلِّمُونَ يَقْصِدُونَ دَارَهُ الَّتِي انْتَقَلَ إِلَيْهَا لِلْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ يَوْمًا : دَارِي بِكْرًا ، وَخُبْزِي بِشِرًا ، وَقَدْ جِئْتُمْ تَتَدَحْرَجُونَ إِلَيَّ ، اذْهَبُوا إِلَى مَنْ عَزَلَنَا بِهِ .

وَسُمِّيَ بِالْفَصِيحِيِّ لِكَثْرَةِ دِرَاسَتِهِ كِتَابَ الْفَصِيحِ لِثَعْلَبٍ وَصَارَ لَهُ بِهِ أُنْسٌ ، حَتَّى أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ ، فَقَالَ شَفَاهُ ، وَسَبَقَ عَلَى لِسَانِهِ (١) : وَأَرْخَيْتُ السِّتْرَ ، لِاعْتِيَادِهِ كَثْرَةَ إِعَادَتِهِ .

وَقَدْ رَوَى الْفَصِيحِيُّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْخَطِيبِ الْأَقْطَعِ إِنْشَادًا سَمِعَهُ مِنْهُ ابْنُ سِلَفَةَ الْأَصْفَهَانِيُّ الْحَافِظُ بِبَغْدَادَ وَقَالَ : جَالَسْتُهُ

---

(١) جملة وأرخيت هي التي سبقت على لسانه

وَسأَلْتُهُ عَنْ أَحْرُفٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ. وَرُوِىَ عَنْهُ فِي مَشْيَخَةِ بَغْدَادَ وَهُوَ الَّذِي عَرَّفَنَا أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ مُحَمَّدٌ، وَإِلَّا فَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِعَلِيِّ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْفَصِيحِيِّ فَقَطْ.

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ سُرْعَةِ الْجَوَابِ وَمُدَاعَبَةِ الْأَحْبَابِ تَصْنِيفِ الْحَسَنِ بْنِ جعفرِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ بِخَطِّهِ: أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْفَصِيحِيُّ وَقَدْ عَاتَبْتُهُ عَلَى الْوَحْدَةِ فَقَالَ:

اللهَ أَحْمَدُ شَاكِراً فَبَلَاؤُهُ حَسَنٌ جَمِيلُ
أَصْبَحْتُ مَسْتُوراً مَعاً فِي بَيْنَ أَنْعُمِهِ أَجُولُ
خَلْواً مِنَ الْأَحْزَانِ خِفْـ ـفَ الظَّهْرِ يُقْنِعُنِي الْقَلِيلُ
حُرًّا فَلَا مَنٌّ لِمَخْـ ـلُوقٍ عَلَيَّ وَلَا سَبِيلُ
لَمْ يُشْقِنِي حِرْصٌ عَلَى الدُّ نْيَا وَلَا أَمَلٌ طَوِيلُ
سِيَّانِ عِنْدِي ذُو الْغِنَى الْـ ـمِتْلَافُ وَالرَّجُلُ الْبَخِيلُ
وَنَفَيْتُ بِالْيَأْسِ الْمُنَى عَنِّي فَطَابَ لِيَ الْمَقِيلُ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَنْ خَفَّتْ مَئُونَتُهُ خَلِيلُ

وَمِنْ كِتَابِهِ أَنْشَدَنَا الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي

الْمُذَاكَرَةِ وَقَدْ رُقِيَ[١] إِلَيْهِ كَلَامٌ قَبِيحٌ عَنْ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ فَقَالَ مُسْتَشْهِداً :

إِنِّي إِذَامَا الْخَلِيلُ أَحْدَثَ لِي ۔ صَرْماً وَمَلَّ الصَّفَاءَ أَوْ قَطَعَا
لَا أَحْتَسِي مَاءَهُ عَلَى رَنَقٍ وَلَا يَرَانِي لِبَيْنِهِ جَزِعاً
أَهْجُرُهُ ثُمَّ يَنْقَضِي زَمَنُ الْـ ـهِجْرَانِ عَنَّا وَلَمْ أَقُلْ قَذَعَا
إِحْذَرْ وِصَالَ اللَّئِيمِ إِنَّ لَهُ عَضْهاً[٢] إِذَا حَبْلُ ذِكْرِهِ انْقَطَعَا

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ مَوْهُوبُ بْنُ أَحْمَدَ وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْأَسْتَرَابَاذِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْفَصِيحِيِّ صَاحِبِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ — رَحِمَهُمُ اللهُ — ، قَالَ لِي الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْخَطِيبُ التِّبْرِيزِيُّ — رَحِمَهُ اللهُ — : إِنَّهُ حَضَرَ مَعَهُ أَعْنِي الْفَصِيحِيَّ حَلْقَةً يُبَاعُ فِيهَا الْكُتُبُ ، فَنُودِيَ عَلَى كِتَابٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَبِي طَالِبٍ الْمُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ وَرَّاقِ الْفَرَّاءِ وَعَلَيْهِ اسْمُ الْمُفَضَّلِ مَنْسُوباً إِلَى النَّحْوِ ، فَقِيلَ النَّحْوِيُّ ، فَأَخَذَهُ الْفَصِيحِيُّ

(١) أي رفع (٢) أي تمزيقا وتفريقا

وَنَاوِلْنِيهِ ، « يَقُولُهُ أَبُو زَكَرِيَّا » . وَقَالَ لِي كَالْمُسْتَهْزِئِ : النَّحْوِيُّ ، أَيْ قَدْ نَسَبْتَهُ إِلَى النَّحْوِ وَهُوَ عِنْدَهُ مُقَصِّرٌ أَيْ لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَصْفَ . قَالَ : فَقُلْتُ : تَكُونُ أَنْتَ نَحْوِيًّا وَلَا يَكُونُ الْمُفَضَّلُ مَنْسُوبًا إِلَى النَّحْوِ .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ : لَاشُبْهَةَ فِي أَنَّ الَّذِي حَمَلَ الْفَصِيحِيَّ عَلَى الْغَضِّ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنَ الْمُفَضَّلِ : أَنَّهُ قَدْ وَقَفَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِ فِي بَعْضِ مُصَنَّفَاتِهِ مِمَّا يَتَسَمَّحُ بِهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِمَّا يَرَاهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ خَطَأً أَوْ كَالْخَطَإِ ، وَذَاكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُهُ الْفَصِيحِيُّ وَلَا شَيْخُهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ ، وَلَا شَيْخُهُ ابْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ أَبُو الْحُسَيْنِ فَيَغُضُّوا عَلَيْهِ ، لِأَنَّ طَرِيقَتَهُمُ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا فِي الصِّنَاعَةِ مُنْحَرِفَةٌ عَنْ طَرِيقَةِ الْمُفَضَّلِ وَمَنْ جَرَى فِي أُسْلُوبِهِ كُلَّ الِانْحِرَافِ .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْخَشَّابِ : وَعَلَى أَنِّي قَرَأْتُ أَنَا بِخَطِّ الْمُفَضَّلِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ الْبَارِعَ فِي الرَّدِّ عَلَى كِتَابِ الْعَيْنِ فِي اللُّغَةِ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى قُصُورِهِ فِي الصِّنَاعَةِ وَضَعْفِهِ فِي قِيَاسِهَا ، مِنْهَا : أَنَّهُ ذَكَرَ الْحُرُوفَ الَّتِي جَاءَتْ لِمَعَانٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَبْنِيَةَ الْكَلَامِ فَقَالَ : وَالْحَدُّ الثَّالِثُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَحْدَاثُ ،

وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ حُرُوفَ الْمَعَانِي ، فِيهَا مَاهُوَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ نَحْوُ إِنَّ وَلَيْتَ وَكَيْفَ وَأَيْنَ،فعَدَّ كَمَا تَرَى كَيْفَ وَأَيْنَ فِي حُرُوفِ الْمَعَانِي وَهذَا سَهْلٌ عِنْدَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : وَمِنْهَا مَاهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ نَحْوُ حَاشَا وَلَوْلَا ، وَمِنْهَا مَاهُوَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ نَحْوُ مَاخَلَا وَمَاعَدَا. وَجَعْلُهُ الْحَرْفَيْنِ مَعَ مَا وَاحِداً، وَعَدُّهُ لَهُمَا فِيمَا بُنِيَ مِنْ أُصُولِ الْكَلِمِ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ مِنْ أَفْحَشِ الْخَطَإِ وَأَنْزَلِهِ ، وَلَوْ وُفِّقَ لَذَكَرَ لَكِنَّ وَمَثَّلَ بِهَا، فَلَيْسَ فِي حُرُوفِ الْمَعَانِي مَاهُوَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ سِوَى لَكِنَّ . وَمَرَّتْ بِي فِيمَا قَرَأْتُهُ بِخَطِّهِ أَشْيَاءُ غَيْرُ هَذَا تَجْرِي فِي التَّسَمُّحِ مَجْرَاهُ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْأَسْتَرَابَاذِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْفَصِيحِيِّ يَقُولُ فِي الشَّجَّةِ الَّتِي تُعْرَفُ عِنْدَهُمْ بِالْمُنَقِّلَةِ ،وَهِيَ الَّتِي تُنَقِّلُ مِنْهَا الْعِظَامُ إِنَّهَا الْمُنَقِّلَةُ بِكَسْرِ الْقَافِ ، وَيَرَى كَوْنَهَا عَلَى صِيغَةِ الْفَاعِلِ لَا الْمَفْعُولِ هُوَ الْوَجْهَ ، وَلَا يُجِيزُ غَيْرَهُ وَيَقُولُ :الشِّجَاجُ كُلُّهَا إِنَّمَا جَاءَتْ عَلَى صِيغَةِ الْفَاعِلِ كَالْخَارِصَةِ وَالدَّامِيَةِ وَالدَّامِعَةِ وَالدَّامِغَةِ وَالْبَاضِعَةِ وَالْمُتَلَاحِمَةِ وَالْمُوضِحَةِ وَالْمُفَرِّشَةِ

وَأَشْبَاهِهِنَّ(١) . قَالَ : وَكَذَا يَنبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمُنْقِلَةُ بِكَسْرِ الْقَافِ وَكَأَنَّهَا عِنْدَهُ رِوَايَةٌ عَضَّدَهَا قِيَاسٌ . قَالَ : وَكَانَ شَيْخُنَا مَوْهُوبُ بْنُ أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَنْعِي ذَلِكَ عَلَيْهِ وَيَعُدُّهُ تَصْحِيفاً وَيَضْبِطُ اللَّفْظَةَ بِفَتْحِ الْقَافِ عَلَى أَنَّهَا صِيغَةُ مَفْعُولٍ وَيَكْتُبُ فَوْقَ الْقَافِ مَاهَذِهِ صُورَتُهُ « فَتْحٌ » وَيَقُولُ : أَيُّ قِيَاسٍ مَعَ الرِّوَايَةِ هَذَا ؟ وَهِيَ تُنْقَلُ مِنْهَا الْعِظَامُ فَيَتَعَلَّقُ أَيْضاً بِالتَّفْسِيرِ ، وَلَعَمْرِي إِنَّ الْأَشْهَرَ فِيهَا الْفَتْحُ وَهَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَابْنُ السِّكِّيتِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ . قَالَ : ثُمَّ الْمُنْقَلَةُ وَهِيَ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا الْعِظَامُ ، وَكَانَ شَيْخُنَا مَوْهُوبٌ رَحِمَهُ اللهُ يَرَى الْكَسْرَ فِي قَافِ الْمُنْقَلَةِ تَصْحِيفاً مَحْضاً لَاوَجْهَ لَهُ ، عَلَى أَنَّ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ دَرَسْتَوَيْهِ قَدْ حَكَى عَنْهُ الْكَسْرَ كَمَا قَالَ الْفَصِيحِيُّ .

قَالَ : وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْعَبْدَرِيِّ وَأَخْبَرَنِي بِهِ فِي كِتَابِهِ قَالَ :

---

(١) تفسير هذه الكلمات ماياتى : الحارصة : الشجة تشق الجلد قليلا ، والدامية : شجة تدمى ولا تسيل ، والدامعة : تلى الدامية ، والدامغة : شجة تبلغ الدماغ ، والباضعة : تشق الجلد وتقطع اللحم ، والمتلاحمة . الشجة فى الرأس لم تبلغ السمحاق ، وهو قشرة فوق عظم الرأس ، والموضحة : ما أبدت وضح العظم ، والمفرشة : ما صدعت العظم .

« عبد الخالق »

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَالِي اللُّغَوِيَّ يَقُولُ: رُوِيَتْ بِالْوَجْهَيْنِ جَمِيعاً. وَحَكَى الْعَبْدَرِيُّ الْكَسْرَ عَنِ ابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ أَيْضاً، وَلَسْتُ أَدْرِي هَلْ تَعَلَّقَ الْفَصِيحِيُّ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِقَوْلِ ابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَعَلَّهُ حَكَى الْكَسْرَ أَمْ لَا؟ وَهَلْ رَغِبَ شَيْخُنَا مَوْهُوبٌ عَنِ الْكَسْرِ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ حُكِيَ وَلَمْ يَعْتَدَّ بِمَكَانَةِ مَنْ حَكَاهُ أَمْ لَا؟ وَالْأَشْبَهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ بَلَغَهُ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا كَانَ يَدْفَعُ قَوْلًا لِمُتَقَدِّمٍ وَلَوْ ضَعُفَ. وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّ النِّزَاعَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَشِبْهِهَا الْمَرْجِعُ فِيهِ إِلَى مَحْضِ الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ، وَالْمُعَوَّلُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَضْبِطُهُ الْأَثْبَاتُ فِيهَا، وَقَدْ قَدَّمْتُ أَنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ فِيهَا الْفَتْحَ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا مَوْهُوبٌ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ فِي أَنَّهُمْ فَسَّرُوهَا بِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْهَا الْعِظَامُ وَتَنْتَقِلُ، فَإِنَّا لَوْ خُلِّينَا وَهَذَا الْحِجَاجَ وَوُكِّلْنَا فِي إِثْبَاتِ لُغَةِ الْفَتْحِ إِلَيْهِ لَكَانَ لِلْخَصْمِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الشَّجَّةَ وَهِيَ الضَّرْبَةُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى نَقْلِ الْعِظَامِ فَهِيَ الْمُنَقِّلَةُ لِأَنَّهَا حَمَلَتْ عَلَى النَّقْلِ، وَلَا حُجَّةَ لِشَيْخِنَا الْفَصِيحِيِّ أَيْضاً مَعَ اشْتِهَارِ الْفَتْحِ فِيهَا فِي حَمْلِهِ إِيَّاهَا عَلَى الْفَاعِلِ مِنْ نَظَائِرِهَا، لِأَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْآمَّةِ: الْمَأْمُومَةُ كَمَا قَالَ يَصِفُ ضَرْبَةً:

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفٌ
فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ[1]

عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَتَأَوَّلَ الْمَأْمُومَةَ عَلَى مَعْنَى: يَحُجُّ هَامَةً مَأْمُومَةً، وَقَدْ قَالُوا فِي الْمَشْجُوجِ نَفْسِهِ مَأْمُومٌ وَأَمِيمٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ الشَّجَّةَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّجَاجِ مَا لَيْسَ عَلَى صِيغَةِ فَاعِلٍ وَلَا مَفْعُولٍ السِّمْحَاقُ، فَهَلْ هَذِهِ إِلَّا مَحْضُ رِوَايَةٍ فِي التَّسْمِيَةِ؟ وَإِنْ كَانَ مَنْقُولًا، فَاعْرِفْ مَا قَالَ شَيْخَانَا — رَحِمَهُمَا اللَّهُ — وَقُلْنَاهُ، وَمِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَسْتَمِدُّ التَّوْفِيقَ.

وَمِنْ خَطِّ ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ: حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَصِيحِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ بَعْضَ الْمُوَسْوِسِينَ فِي الْمَارِسْتَانِ وَفِي إِبْهَامِهِ أَثَرُ الْحِنَّاءِ دُونَ أَصَابِعِهِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا مَعْنَى الْحِنَّاءِ فِي الْإِبْهَامِ دُونَ سَائِرِ الْأَصَابِعِ؟ فَأَنْشَدَنِي:

وَخَاضِبَةٍ إِبْهَامَهَا دُونَ غَيْرِهِ رَأَتْنِي وَقَدْ أَعْيَا عَلَيَّ تَصَبُّرِي

(١) قال فى اللسان: ان الحج معالجة المأمومة ووصفها بأن قعرها فيه لجف: وهو الحفرة، وفسر ابن دريد البيت فقال وصف الشاعر «عذار بن درة الطائى» الطبيب فقال: يداوى شجة بعيدة الغور، ولجزعه من هولها يخرج القذى من استه كأنه المغاريد جمع مغرود بضم الميم: الصمغ. وقال غيره: إن است الطبيب: الميل يسبر به الجرح ويشبه مايخرج منها عند سبرها ويعلق بالميل بالمغاريد. وقيل: إن الحج سبر الجرح ليعرف مدى غوره «عبد الخالق»

فَقُلْتُ لَهَا : الْإِبْهَامُ مَا اسْمُ خِضَابِهِ
فَقَالَتْ : يُسَمَّى عَضَّةَ الْمُتَفَكِّرِ

١٥ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ السَّكُونِ *

على بن محمد ابن السكون

الْحِلِّيُّ أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ حِلَّةِ بَنِي مَزْيَدَ بِأَرْضِ بَابِلَ ، كَانَ عَارِفاً بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، حَسَنَ الْفَهْمِ جَيِّدَ النَّقْلِ ، حَرِيصاً عَلَى تَصْحِيحِ الْكُتُبِ ، لَمْ يَضَعْ قَطُّ فِي طِرْسِهِ إِلَّا مَاوَعَاهُ قَلْبُهُ ، وَفَهِمَهُ لُبُّهُ ، وَكَانَ يُجِيدُ قَوْلَ الشِّعْرِ . وَحَكَى لِي عَنْهُ الْفَصِيحُ ابْنُ عَلِيٍّ الشَّاعِرُ أَنَّهُ كَانَ نَصِيرِيًّا . قَالَ لِي : وَمَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتِّمِائَةٍ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ .

١٦ — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ خَرُوفٍ *

على بن محمد ابن خروف

الْأَنْدَلُسِيُّ الرَّنْدِيُّ النَّحْوِيُّ ، مَشْهُورٌ فِي بِلَادِهِ مَذْكُورٌ بِالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ ، مَاتَ فِيمَا أَخْبَرَنِي بِهِ الْفَقِيهُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ الْغِمَارِيُّ غِيلَةً (١) فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ بِإِشْبِيلِيَةَ عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَ قَدْ تَغَيَّرَ عَقْلُهُ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل قبيلة . وقد جاء فى بغية الوعاة أنه وقع فى جب ليلا فمات .

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة وكتاب أنباء الرواة

حَتَّى مَشَى فِي الْأَسْوَاقِ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ وَالْعَوْرَةِ ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ طَاهِرٍ الْمَعْرُوفِ بِالْخِدَبِّ صَاحِبِ الْحَوَاشِي عَلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ بِمَدِينَةِ فَارِسَ ، وَكَانَ ابْنُ خَرُوفٍ خَيَّاطًا إِذَا اكْتَسَبَ مِنْهَا شَيْئًا قَسَمَ مَا يَحْصُلُ لَهُ نِصْفَيْنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُسْتَاذِهِ ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ زَعَارَّةٌ وَسُوءُ عِشْرَةٍ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ قَطُّ ، وَكَانَ يَسْكُنُ الْخَانَاتِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي بِبَدْءِ اشْتِغَالِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَخْلُفَ السَّلَاوِيُّ « مَدِينَةٌ بِالْعُدْوَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ » قَالَ : إِنَّهُ أَوَّلَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَى أَبِي طَاهِرٍ شَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ وَقَالَ : إِنَّكَ لَتَأْخُذُ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا تَأْخُذُ مِنَ الْأَعْيَانِ . فَقَالَ : شَرُّكَ أَعْظَمُ مِنْ شَرِّهِمْ عَلَيَّ فِي الْمَجْلِسِ ، وَكَانَ يَأْمُرُنِي بِنَقْلِ الْمَاءِ إِلَى الْمَسْجِدِ إِذَا احْتَاجَ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فَأَقُولُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَيَقُولُ : لَا أُحِبُّ أَنْ تَجْلِسَ بِغَيْرِ شُغْلٍ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ بَلَدًا مَوْطِنًا بَلْ كَانَ يَنْتَقِلُ فِي الْبِلَادِ فِي طَلَبِ التِّجَارَةِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ حَمَلَهُ إِلَى صَاحِبِ الْمَغْرِبِ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَلَهُ كِتَابُ شَرْحِ الْجُمَلِ فِي جِلْدٍ وَاحِدٍ .

﴿ ١٧ – عَلِيُّ بْنُ مَعْقِلٍ أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

على بن معقل الأديب

ذَكَرَهُ الْحَبَّالُ فِي كِتَابِ الْوَفَيَاتِ فَقَالَ : أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَعْقِلٍ الْأَدِيبُ الْكَاتِبُ صَاحِبُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ ، فَكَتَبْتُهُ أَنَا كَمَا تَرَى بِالْوَهْمِ إِلَى أَنْ يَصِحَّ ، قَالَ : مَاتَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

﴿ ١٨ – عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْأَثْرَمُ أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

على بن المغيرة الأثرم

كَانَ صَاحِبَ كُتُبٍ مُصَحَّحَةٍ قَدْ لَقِيَ بِهَا الْعُلَمَاءَ وَضَبَطَ مَا ضَمَّنَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حِفْظٌ ، لَقِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيَّ وَأَخَذَ عَنْهُمَا ، مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْوَاثِقُ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ النَّوَادِرِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

وَحَدَّثَ أَبُو مِسْحَلٍ عَبْدُ الْوَهَّابِ قَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ صُبَيْحٍ الْكَاتِبُ قَدْ أَقْدَمَ أَبَا عُبَيْدَةَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَحْضَرَ الْأَثْرَمَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَرَّاقٌ وَجَعَلَهُ فِي دَارٍ مِنْ

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

دُورِهِ وأَغلقَ عليهِ البابَ ودفعَ إليهِ كُتُبَ أبي عُبَيْدَةَ وأمرَهُ بِنَسْخِهَا ، فكُنْتُ أنا وجماعةٌ مِنْ أصحابِنا نصيرُ إلى الأثرمِ فيدفعُ إلينا الكتابَ والورقَ الأبيضَ مِنْ عِنْدِهِ ، ويسألُنا نَسْخَهُ وتعجيلَهُ ويوافقُنا على الوقتِ الَّذي نَرُدُّهُ إليهِ فكنَّا نفعلُ ذلِكَ ، وكانَ الأثرمُ يقرأُ على أبي عُبَيْدَةَ ، وكانَ أبو عُبَيْدَةَ مِنْ أضنِّ النَّاسِ بِكُتُبِهِ ، ولَوْ عَلِمَ ما فعلَهُ الأثرمُ لمنعَهُ مِنْ ذلِكَ ، وكانَ الأثرمُ يقولُ الشِّعْرَ ، فَمِنْ قَوْلِهِ :

كَبِرْتُ وجاءَ الشَّيْبُ والضَّعْفُ والبِلَى
وكُلُّ امرِئٍ يَبْلَى إذا عاشَ ما عِشْتُ
أقولُ وقَدْ جاوزْتُ تِسعينَ حِجَّةً :
كأنْ لَمْ أكُنْ فيها وليداً وقَدْ كُنْتُ
وأنكرْتُ لمَّا أنْ مضَى جُلُّ قُوَّتِي
وتَزْدادُ ضعفاً قُوَّتِي كُلَّما زِدْتُ
كأنِّي إذا أسرعْتُ في المَشْيِ واقِفٌ
لِقُرْبِ خُطًى ما مسَّها قِصَرًا وَقْتُ
وصِرْتُ أخافُ الشَّيْءَ كانَ يَخافُنِي
أُعَدُّ مِنَ الموتَى لِضَعْفِي ومَا مِتُّ

وَأَسْهَرُ مِنْ بَرْدِ الْفِرَاشِ وَلِينِهِ
وَإِنْ كُنْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ فِي مَجْلِسٍ نِمْتُ

﴿ ١٩ — عَلِيُّ بْنُ مُنْجِبِ بْنِ سُلَيْمَانَ الصَّيْرَفِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ * ﴾

أَحَدُ فُضَلَاءِ الْمِصْرِيِّينَ وَبُلَغَائِهِمْ، مُسَلَّمٌ ذَلِكَ لَهُ غَيْرَ مُنَازَعٍ فِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ صَيْرَفِيًّا وَاشْتَهَى هُوَ الْكِتَابَةَ فَمَهَرَ فِيهَا، مَاتَ فِي أَيَّامِ الصَّالِحِ بْنِ رُزِّيكَ بَعْدَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَدِ اشْتَهَرَ ذِكْرُهُ وَعَلَا شَأْنُهُ فِي الْبَلَاغَةِ وَالشِّعْرِ وَالْخَطِّ، فَإِنَّهُ كَتَبَ خَطًّا مَلِيحاً وَسَلَكَ فِيهِ طَرِيقَةً غَرِيبَةً، وَاشْتَغَلَ بِكِتَابَةِ الْجَيْشِ وَالْخَرَاجِ مُدَّةً، ثُمَّ اسْتَخْدَمَهُ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ وَزِيرُ الْمِصْرِيِّينَ فِي دِيوَانِ الْمُكَاتَبَاتِ وَرَفَعَ مِنْ قَدْرِهِ وَشَهَرَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْزِلَ الشَّيْخَ ابْنَ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ وَيُفْرِدَ ابْنَ الصَّيْرَفِيِّ بِهِ، وَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ بَعْضَ خَوَاصِّهِ وَمَنْ يَأْنَسُ بِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَفْدِيَ ابْنَ أَبِي أُسَامَةَ مِنَ الْمَوْتِ يَوْماً وَاحِداً بِنِصْفِ مَمْلَكَتِكَ فَافْعَلْ ذَلِكَ، وَلَا تُخْلِ الدَّوْلَةَ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَمَالُهَا، فَأَضْرَبَ عَنِ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ وَمَاتَ الْأَفْضَلُ، وَخَدَمَ الْحَافِظَ الْمُسَمَّى بِالْخِلَافَةِ بِمِصْرَ، وَلِابْنِ

(*) راجع بغية الوعاة

الصَّيْرَفِيُّ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْإِشَارَةِ فِيمَنْ نَالَ رُتْبَةَ الْوَزَارَةِ ، كِتَابُ عُمْدَةِ الْمُحَادَثَةِ ، كِتَابُ عَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ، كِتَابُ اسْتِنْزَالِ الرَّحْمَةِ ، كِتَابُ مَنَائِحِ الْقَرَائِحِ ، كِتَابُ رَدِّ الْمَظَالِمِ ، كِتَابُ لُمَحِ الْمُلَحِ ، كِتَابٌ فِي الشُّكْرِ ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ ، وَلَهُ اخْتِيَارَاتٌ كَثِيرَةٌ لِدَوَاوِينِ الشُّعَرَاءِ كَدِيوَانِ ابْنِ السَّرَّاجِ ، وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ وَغَيْرِهِمَا . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَمَّا غَدَوْتَ مَلِيكَ الْأَرْضِ أَفْضَلَ مَنْ
جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنْ كُلِّ إِطْرَاءِ
تَغَايَرَتْ أَدَوَاتُ النُّطْقِ فِيكَ عَلَى
مَا يَصْنَعُ النَّاسُ مِنْ نَظْمٍ وَإِنْشَاءِ

وَلَهُ :

لَا يَبْلُغُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى بِهِمَّتِهِ
إِلَّا أَخُو الْحَرْبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاهِيبِ (١)
يَطْوِي حَشَاهُ إِذَا مَا اللَّيْلُ عَانَقَهُ
عَلَى وَشِيجٍ (٢) مِنَ الْخَطِّيِّ مَخْضُوبِ

---

(١) السلاهيب : الطوال (٢) يريد أنه ينام مطويا على الرماح المخضبة بالدم ، والوشيج : شجر الرماح

وَلَهُ :

هَذِى مَنَاقِبُ قَدْ أَغْنَاهُ أَيْسَرُهَا
عَنِ الَّذِى شَرَعَتْ آبَاؤُهُ الْأُوَلُ
قَدْ جَاوَزَتْ مَطْلَعَ الْجَوْزَاءِ وَارْتَفَعَتْ
بِحَيْثُ يَنْحَطُّ عَنْهَا الْحُوتُ وَالْحَمَلُ

وَلِابْنِ الصَّيْرَفِيِّ رَسَائِلُ أَنْشَأَهَا عَنْ مُلُوكِ مِصْرَ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِ مُجَلَّدَاتٍ .

﴿ ٢٠ — عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْخَطِيبِيُّ * ﴾

على بن منصور الخطيبي

الْمَعْرُوفُ بِالْأَجَلِّ اللُّغَوِيُّ. يُكْنَى أَبَا عَلِيٍّ، الْأَصْبَهَانِيُّ الْأَصْلِ بَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَإِ، عَالِمٌ فَاضِلٌ لُغَوِيٌّ فَقِيهٌ كَاتِبٌ مُقِيمٌ بِالنِّظَامِيَّةِ، قَرَأَ عَلَى ابْنِ الْقَصَّارِ وَأَبِي الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بِالنِّظَامِيَّةِ وَلَا أَعْلَمُ لَهُ فِي زَمَانِهِ نَظِيراً فِي عِلْمِ اللُّغَةِ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي صِبَاهُ يَكْتُبُ كُلَّ يَوْمٍ نِصْفَ جُزْءٍ خَمْسَ قَوَائِمَ مِنْ كِتَابِ مُجْمَلِ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ وَيَحْفَظُهُ وَيَقْرَؤُهُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ السُّلَمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ

(*) راجع أنباء الرواة

القِصَارِ، حَتَّى أَنهى الكِتَابَ حِفظاً وَكِتَابَةً، وَحفظَ إِصْلَاحَ المَنْطِقِ فِي أَيْسَرِ مُدَّةٍ، وَحفظَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ كُتُبِ اللُّغَةِ وَالفِقْهِ وَالنَّحْوِ، وَطَالَعَ أَكْثَرَ كُتُبِ الأَدَبِ، وَهُوَ حَفَظَةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الأَشْعَارِ وَالأَخْبَارِ، مُمْتِعُ المُحَاضَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّى لِلإِقْرَاءِ، وَلَقَدْ سَأَلْتُهُ فِي ذَلِكَ وَخَضَعْتُ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهٍ فَلَمْ يَنقَدْ لِذَلِكَ، وَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَرَاهُ جَالِساً وَإِنَّمَا هُوَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ قَائِمٌ عَلَى رِجْلِهِ فِي النِّظَامِيَّةِ، وَلَوْ جَلَسَ لِلإِقْرَاءِ لَأَحْيَا عُلُومَ الأَدَبِ، وَلَضُرِبَتْ إِلَيْهِ آبَاطُ[1] الإِبِلِ فِي الطَّلَبِ، بَلَغَنِي أَنَّ مَوْلِدَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

أَنْشَدَنِي أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ السِّنْجَاوِيُّ يُعْرَفُ بِابْنِ ذُنَابَةَ قَالَ: أَنْشَدَنِي الأَجَلُّ عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ اللُّغَوِيُّ لِنَفْسِهِ :

فُؤَادٌ مُعَنًّى بِالعُيُونِ الفَوَاتِرِ
وَصَبْوَةُ بَادٍ[2] مُغْرَمٍ بِالحَوَاضِرِ
سَمِيرَانِ ذَادَا عَنْ جُفُونِ مُتَيَّمٍ
كَرَاهَا وَبَاتَا عِنْدَهُ شَرَّ سَامِرِ

(١) ضربت آباط الابل : أي قطعت الأراضي بالسير على ظهور الابل
(٢) أي ساكن بالبادية

وَأَنْشَدَنِي قَالَ أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

لِمَنْ غَزَالٌ بِأَعْلَى رَامَةٍ(١) سَنَحَا ؟
فَعَاوَدَ الْقَلْبَ سُكْرٌ كَانَ مِنْهُ صَحَا

مُقَسَّمٌ بَيْنَ أَضْدَادٍ فَطُرَّتُهُ
جُنْحٌ وَغُرَّتُهُ فِي الْجُنْحِ ضَوْءُ ضُحَا

﴿ ٢١ – عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ طَالِبٍ الْحَلَبِيُّ الْمُلَقَّبُ دَوْخَلَة * ﴾

على بن منصور الحلبي

يُعْرَفُ بِابْنِ الْقَارِحِ ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَى أَبِي الْعَلَاءِ رِسَالَةً مَشْهُورَةً تُعْرَفُ بِرِسَالَةِ ابْنِ الْقَارِحِ ، وَأَجَابَهُ عَنْهَا أَبُو الْعَلَاءِ بِرِسَالَةِ الْغُفْرَانِ ، يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : هُوَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ شَاهَدْنَاهُ بِبَغْدَادَ ، رَاوِيَةٌ لِلْأَخْبَارِ وَحَافِظًا لِقِطْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ اللُّغَةِ وَالْأَشْعَارِ قَئُومًا بِالنَّحْوِ ، وَكَانَ مِمَّنْ خَدَمَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ فِي دَارِهِ وَهُوَ صَبِيٌّ ، ثُمَّ لَازَمَهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ عَلَى زَعْمِهِ جَمِيعَ كُتُبِهِ وَسَمَاعَاتِهِ ، وَكَانَتْ مَعِيشَتُهُ مِنَ التَّعْلِيمِ بِالشَّامِ وَمِصْرَ ، وَكَانَ يَحْكِي أَنَّهُ كَانَ مُؤَدِّبًا لِأَبِي الْقَاسِمِ

(١) الرامة : مكان فى البادية ويذكر فى الشعر كثيرا

(*) راجع بغية الوعاة

الْمَغْرِبِيّ الَّذِي وَزَرَ بِبَغْدَادَ ، لَقَّاهُ اللهُ سَيِّءَ أَفْعَالِهِ كَذَا قَالَ .

وَلَهُ فِيهِ هَجْوٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ يَذُمُّهُ وَيُعَدِّدُ مَعَايِبَهُ ، وَشِعْرُهُ يَجْرِي مَجْرَى شِعْرِ الْمُعَلِّمِينَ ، قَلِيلَ الْحَلَاوَةِ خَالِياً مِنَ الطَّلَاوَةِ ، وَكَانَ آخِرُ عَهْدِي بِهِ بِتَكْرِيتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَإِنَّا كُنَّا مُقِيمِينَ بِهَا ، وَاجْتَازَ بِنَا وَأَقَامَ عِنْدَنَا مُدَّةً ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَبَلَغَتْنِي وَفَاتُهُ مِنْ بَعْدُ ، وَكَانَ يَذْكُرُ أَنَّ مَوْلِدَهُ بِحَلَبَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَلَمْ يَتَزَوَّجْ وَلَا أَعْقَبَ ، وَجَمِيعُ مَا أُورِدُهُ مِنْ شِعْرِهِ مِمَّا أَنْشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ ، فَمِنْهُ فِي الشَّمْعَةِ :

لَقَدْ أَشْبَهَتْنِي شَمْعَةٌ فِي صَبَابَتِي ... وَفِي طُولِ مَا أَلْقَى وَمَا أَتَوَقَّعُ
نُحُولٌ وَحَرْقٌ فِي فَنَاءٍ وَوَحْدَةٍ ... وَتَسْهِيدُ عَيْنٍ وَاصْفِرَارٌ وَأَدْمُعُ

وَمِنْهُ فِي هَجْوِ الْمَغْرِبِيِّ :

لُقِّبْتَ بِالْكَمَالِ سَتْراً عَلَى ... نَقْصِكَ كَالْبَانِي عَلَى الْخُصِّ
فَصِرْتَ كَالْكُنُفِ إِذَا شُيِّدَتْ ... بُيِّضَ أَعْلَاهُنَّ بِالْجِصِّ
يَا عُرَّةَ الدُّنْيَا بِلَا غُرَّةٍ ... وَيَا طُوَيْسَ الشُّؤْمِ وَالْحِرْصِ
قَتَلْتَ أَهْلِيكَ وَأَنْهَبْتَ بَيْـ ... ـتَ اللهِ بِالْمَوْصِلِ تَسْتَعْصِي

وَلَهُ فِي الْمُدَاعَبَةِ :

أَيْنَ مَنْ كَانَ مَوْضِعُ الْأَيْرِ إِجْلَا
لًا عَلَى الرَّأْسِ عِنْدَهُ وَيُبَاسُ ؟

أَيْنَ مَنْ كَانَ عَارِفاً بِمَقَادِيـ
ـرِ الْأُيُورِ الْكِبَارِ مَاتَ النَّاسُ ؟

وَلَهُ :

يَارُمْحَهَا الْعَسَّالَ بَلْ يَاسَيْفَهَا الْـ ـقَصَّالَ نَارُكَ لَيْسَ تَخْبُو
يَا عَاقِدَ الْمِنَنِ الرِّغَا بِ عَلَى الرِّقَابِ لَهُنَّ سُحْبُ
كَفَرُوكَ مَا أَوْلَيْتَهُمْ وَالرَّبُّ يَشْكُرُ مَا تَرُبُّ(١)

وَسُئِلَ أَنْ يُجِيزَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَلَّ الَّذِي تَخْشَاهُ يَوْماً بِهِ تَنْجُو
وَيَأْتِيكَ مَا تَرْجُوهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْجُو

فَقَالَ :

فَثِقْ بِحَكِيمٍ لَا مَرَدَّ لِحُكْمِهِ
فَمَا لَكَ فِي الْمَقْدُورِ دَخْلٌ وَلَا خَرْجُ

(١) ربّ الشيء : جمعه وزاده

وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكِسْرَوِيِّ مُهَاتَرَةٌ (١) وَمُهَاجَاةٌ وَمُمَاظَّةٌ (٢) ، فَمِنْ قَوْلِهِ :

إِذَا الْكِسْرَوِيُّ بَدَا مُقْبِلًا وَفِي يَدِهِ ذَيْلُ دُرَّاعَتِهْ
وَقَدْ لَبِسَ الْعُجْبَ مُسْتَنوِكًا يَتِيهُ وَيَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهْ
فَلَا يَمْنَعَنَّكَ بَأْوَاؤُهُ (٣) ضُرَاطًا يُقَعْقِعُ فِي لِحْيَتِهْ

وَلَهُ :

الصَّيْمَرِيُّ دَقِيقُ الْفِكْرِ فِي اللُّقَمِ
يَقُولُ كَمْ عِنْدَكُمْ لَوْنًا وَكَمْ وَكَمِ ؟
يَسْعَى إِلَى مَنْ يَرَى إِكْثَارَهُ وَكَذَا
تَرَاهُ ذَاكَ وَمَا هَاذَاكَ مِنْ عَدَمِ (٤)
يَلْقَى الْوَعِيدَ بِمَا يَلْقَى الْبَشُوشَ بِهِ
وَذَاكَ وَاللهِ بُخْلٌ لَيْسَ بِالْأَمَمِ (٥)

قَالَ: وَحَدَّثَنِي قَالَ : كُنْتُ أُؤَدِّبُ وَلَدَيِ الْحُسَيْنِ بْنِ جَوْهَرٍ الْقَائِدِ بِمِصْرَ ، وَكَانَا مُخْتَصَّيْنِ بِالْحَاكِمِ وَآنِسَيْنِ بِهِ ، فَعَمِلْتُ

---

(١) المهاترة : السب بالباطل (٢) المماظة : المخاصمة والمشاتمة

(٣) بأى بأوا وبأواء : فخر بنفسه (٤) يخيل إلى أن المعنى وصف للمذموم بأنه يسعى إلى من يعرف أنهم يكثرون ألوان الطعام وتراه كذلك أى يسعى الخ . ذاك خبر لمحذوف أى شأنه ذاك ، ثم قال : وما هذا لفقر ولكنه الضن على نفسه .

(٥) الأمم : اليسير ، يريد أنه بخل ليس سهلا على المرء

قَصِيدَةً وَسَأَلْتُ الْمُسَمَّى مِنْهُمَا جَعْفَراً — وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً وَيُقَالُ: إِنَّ الْحَاكِمَ كَانَ يَمِيلُ إِلَيْهِ — أَنْ يُوَصِّلَهَا فَفَعَلَ وَعَرَضَهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: مُؤَدِّبِي. قَالَ: يُعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ. وَاتَّفَقَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ مِقْشَرٍ الطَّبِيبِ كَانَ حَاضِراً فَقَالَ: لَا تُثْقِلُوا عَلَى خَزَائِنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، يَكْفِيهِ النِّصْفُ، فَأُعْطِيتُ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ. وَحَدَّثَنِي ابْنُ جَوْهَرٍ بِالْحَدِيثِ، وَكَانَتِ الْقَصِيدَةُ عَلَى وَزْنِ مَنْهُوكَةِ[١] أَبِي نُوَاسٍ أَقُولُ فِيهَا:

إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ نَضَرْ ... بِالْحَاكِمِ الْمَلْكِ الْأَغَرْ
فِي كَفِّهِ عَضْبٌ ذَكَرْ ... فَقَدْ عَدَا عَلَى الْقَصَرْ[٢]
مِنْ غَرِّهِ[٣] عَلَى الْغُرَرْ ... يَمْضِي كَمَا يَمْضِي الْقَدَرْ
فِي سُرْعَةِ الطَّرْفِ نَظَرْ[٤] ... أَوِ السَّحَابِ الْمُنْهَمِرْ
بَادَرَ إِنْفَاقَ الْبِدَرْ ... بَدْرٌ إِذَا لَاحَ بَهَرْ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ، وَاتَّفَقَ أَنَّ الطَّبِيبَ الْمَذْكُورَ لَحِقَتْهُ بَعْدَ هَذَا بِأَيَّامٍ شَقْفَةٌ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى التَّرَاقِي، وَيُقَالُ لَهَا

(١) المنهوك من الرجز: ماحذف ثلثا تفعيلاته فصار مستفعلن مرتين

(٢) القصر: أعناق الناس والإبل (٣) الغر: حد السيف، وعلى الغرر بدل من على القصر وبيان لها. (٤) نظر فعل ماض، يريد أنه يمضي كسرعة الطرف إذا نظر « عبد الخالق »

فَمِلَّةُ النَّسْرِ أَيْضاً ، فَمَاتَ مِنْهَا وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَقُلْتُ :

لَمَّا غَدَا يَسْتَخِفُّ رَضْوَى ... تِيهاً وَكِبْراً لِجِذْعِ رَبِّهْ
أَصْمَاهُ صَرْفُ الرَّدَى بِسَهْمٍ ... عَاجَلَهُ قَبْلَ وَقْتِ نَحْبِهْ
بِشَقْفَةٍ بَيْنَ مِنْكَبَيْهِ ... رِشَاؤُهَا فِي قَلِيبِ قَلْبِهْ

﴿ ٢٢ – عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيُّ * ﴾

علي بن مهدي الكسروي

أَبُو الْحَسَنِ الْأَصْفَهَانِيُّ ، مُعَلِّمُ وَلَدِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمُنَجِّمِ وَأَحَدُ الرُّوَاةِ الْعُلَمَاءِ النَّحْوِيِّينَ الشُّعَرَاءِ ، مَاتَ فِي أَيَّامِ بَدْرٍ الْمُعْتَضِدِيِّ عَلَى أَصْبَهَانَ . قَالَ حَمْزَةُ : عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيُّ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمِ بْنِ الْحُرَيْسِ ، وَكَانَ مُتَّصِلًا بِبَدْرٍ الْمُعْتَضِدِيِّ ، وَفِي أَيَّامِهِ مَاتَ يَعْنِي أَيَّامَهُ عَلَى أَصْبَهَانَ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ أَصْبَهَانَ . سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ أَيَّامَ الْمُعْتَضِدِ إِلَى إِلَى أَنْ وَلِيَ ابْنُهُ الْمُكْتَفِي سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ : وَكَانَ الْكِسْرَوِيُّ أَدِيباً ظَرِيفاً حَافِظاً رَاوِيَةً شَاعِراً عَالِماً بِكِتَابِ الْعَيْنِ خَاصَّةً ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ هَارُونَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى النَّدِيمِ ، وَاتَّصَلَ بِأَبِي النَّجْمِ الْمُعْتَضِدِيِّ مَوْلَى

(*) راجع بغية الوعاة

الْمُعْتَضِدِ وَتُوُفِّيَ فِي خِلَافَتِهِ، وَذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ ابْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ قَالَا: كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْمُنَجِّمِ جَالِساً يَوْماً وَبِحَضْرَتِهِ مَنْ لَا يَخْلُو مَجْلِسُهُ مِنْهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ كَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ، وَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي فَنَنٍ وَأَبِي عَلِيٍّ الْبَصِيرِ، وَأَبِي هِفَّانَ الْمِهْزَمِيِّ وَالْهَدَادِيِّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ أَيْ أَبِي هِفَّانَ، وَابْنِ الْعَلَّافِ، وَأَبِي الطَّرِيفِ، وَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي كَامِلٍ خَالِ وَلَدِ أَبِي الْحَسَنِ، وَعَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيِّ وَكَانَ مُعَلِّمَ وَلَدِهِ، فَأَنْشَدَ الْجَمَاعَةَ بَيْتاً ذَكَرَ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ مُفْرَداً فَاسْتَحْسَنَهُ وَأَحَبَّ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ بَيْتٌ آخَرُ يَصِلُ مَعْنَاهُ وَيَزِيدُ فِي الْإِمْتَاعِ بِهِ وَهُوَ:

لِيَهْنِكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ لَكَ عَائِباً ... سِوَى حَاسِدٍ وَالْحَاسِدُونَ كَثِيرُ

فَبَدَرَهُ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ وَقَالَ:

وَإِنَّكَ مِثْلُ الْغَيْثِ أَمَّا وُقُوعُهُ ... فَخِصْبٌ وَأَمَّا مَاؤُهُ فَطَهُورُ

فَاسْتَحْسَنَهُ أَبُو الْحَسَنِ وَضَمَّهُ إِلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ أَبُو الْعُبَيْسِ بْنُ حَمْدُونَ حَاضِراً فَقَالَ لَهُ: الصَّنْعَةُ فِيهِمَا عَلَيْكَ، فَطَلَبَ عُوداً وَانْفَرَدَ فَصَنَعَ فِيهِ رَمَلَهُ الْمَشْهُورَ. وَحَدَّثَ عَنِ

الصُّولِيُّ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ الْأَصْبَهَانِيِّ:

وَمَا نَازِحٌ بِالصِّينِ أَدْنَى مَحَلِّهِ
يُقَصِّرُ عَنْهُ كُلُّ مَاشٍ وَطَائِرِ
مَحَا الْيَأْسُ مِنْهُ كُلَّ ذِكْرٍ فَلَمْ تَكَدْ
تُصَوِّرُهُ لِلْقَلْبِ أَيْدِي الْخَوَاطِرِ
بِأَبْعَدَ عِنْدِي مِنْ أُنَاسٍ وَإِنْ دَنَوْا
وَمَا الْبُعْدُ إِلَّا مِثْلُ طُولِ التَّهَاجُرِ
وَيَشْغَلُ عَنِّي الْقَصْفُ وَالرَّاحُ بَعْضَهُمْ
مُبَاكِرَهَا أَوْ مُمْسِياً كَمُبَاكِرِ
إِذَا طَارَ بَيْنَ الْعُودِ وَالنَّايِ طَيْرَةً
فَلَيْسَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ بِذَاكِرِ

قَالَ: فَأَجَابَهُ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ:

أَيَا سَيِّدِي عَفْواً وَحُسْنَ إِقَالَةٍ
فَلَمْ يَحْوِ أَقْطَارَ الْعُلَا مِثْلُ غَافِرِ
لَعَمْرِي لَوَ انَّ الصِّينَ أَدْنَى مَحِلَّتِي
لَمَا كُنْتُ إِلَّا غَائِباً مِثْلَ حَاضِرِ

ثَنَائِي لَكُمْ عُمْرِي وَمَحْضُ مَوَدَّتِي
تُؤَثِّرُ آثَارَ الْغُيُوثِ الْبَوَاكِرِ
فَوَاللهِ مَا اُسْتَبْهَجَتْ بَعْدَكَ مَجْلِس
وَلَا بَقِيَتْ لَذَّاتُهُ فِي ضَمَائِرِي
وَلَسْتُ كَمَنْ يُنْسِيهِ(١) أَهْلَ صَفَائِهِ
سَمَاعُ الْحِسَانِ وَاُصْطِحَابُ الْمَزَاهِرِ
وَكَيْفَ تَنَاسِي سَيِّدٍ لِي ثَنَاؤُهُ
مَنُوطٌ بِأَحْشَائِي وَسَمْعِي وَنَاظِرِي

وَحَدَّثَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَحْيَى الْعَسْكَرِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الدِّمَشْقِيِّ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُاللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيّ الْكِسْرَوِيِّ:

يَا بَاخِلًا بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ أَأَرَدْتَ تَجْعَلُ فِي الْفِرَاقِ فِرَاقَا؟
إِنَّ الْعُهُودَ تَمُوتُ إِنْ لَمْ تُحْيِهَا وَالنَّأْيُ يُحْدِثُ لِلْفَتَى إِخْلَاقَا

قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيّ:

لَا وَالَّذِي أَنْتَ أَسْنَى مَنْ أُمَجِّدُهُ
عِنْدِي وَأَوْفَاهُمْ عَهْداً وَمِيثَاقَا

(١) كانت فى هذا الأصل: «يثنيه»

مَا حُلْتُ عَنْ خَيرٍ مَا قَدْ كُنْتَ تَعْهَدُهُ
وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ النَّأْيِ أَخْلَاقَا

وَحَدَّثَ عَنْ عَلِيٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيُّ فِي يَوْمِ مِهْرَجَانٍ:

نَعِمْتَ بِمَا تَهْوَى وَنِلْتَ الَّذِي تَرْضَى
وَلُقِّيتَ مَا تَرْضَى وَوُقِّيتَ مَا تَخْشَى

وَلَسْتُ بِمَا أَلْقَى مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ
أُسَرُّ، وَأَحْظَى سَيِّدِي بِالَّذِي تَلْقَى(١)

وَيَعْلَمُ عَلَّامُ الْخَفِيَّاتِ أَنَّنِي
أُعِدُّكَ ذُخْراً لِلْمَمَاتِ وَلِلْمَحْيَا

وَأَنِّي لَوْ أُهْدِي عَلَى قَدْرِ نِيَّتِي
لَكَانَ الَّذِي أُهْدِيهِ حَظِّي مِنَ الدُّنْيَا

وَحَدَّثَ عَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَنِ ابْنِ سَعِيدٍ الدِّمَشْقِيِّ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ:

أَبَا حَسَنٍ أَنْتَ ابْنُ مَهْدِيِّ فَارِسٍ
فَرِفْقاً بِنَا لَسْتَ ابْنَ مَهْدِيِّ هَاشِمِ

---

(١) يريد لا أسر بما ألقى من الخير، ولكنني أحظى بما تلقاه أنت «عبد الخالق»

وَأَنتَ أَخٌ فِي يَوْمِ لَهْوٍ وَلَذَّةٍ
وَلَسْتَ أَخاً عِنْدَ الْأُمُورِ الْأَعَاظِمِ

فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ :

أَيَا سَيِّدِي إِنَّ ابْنَ مَهْدِيٍّ فَارِسٍ
فِدَاءٌ وَمَنْ يَهْوَى لِمَهْدِيٍّ هَاشِمِ
بَلَوْتَ أَخاً فِي كُلِّ أَمْرٍ تُحِبُّهُ وَلَمْ تَبْلُهُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْأَعَاظِمِ
وَإِنَّكَ لَوْ نَبَّهْتَهُ لِمُلِمَّةٍ
لَأَنْسَاكَ صَوْلَاتِ الْأُسُودِ الضَّرَاغِمِ

قَالَ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ يُؤَدِّبُ وَهُوَ أَحَدُ الرُّوَاةِ لِلْأَخْبَارِ وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَلَمَّا أَبَى أَنْ يَسْتَقِيمَ وَصَلْتُهُ عَلَى حَالَتَيْهِ مُكْرَهاً غَيْرَ طَائِعِ
حِذَاراً عَلَيْهِ أَنْ يَمِيلَ بِوُدِّهِ
فَأُبْلَى بِقَلْبٍ . لَسْتُ عَنْهُ(١) بِنَازِعِ
فَأُصْبِحَ كَالظَّمْآنِ يُهْرِيقُ مَاءَهُ
لِضَوْءِ سَرَابٍ فِي الْمَهَامِهِ لَامِعِ
فَلَا الْمَاءَ أَبْقَى لِلْحَيَاةِ وَلَا أَتَى عَلَى مَنْهَلٍ يُجْدِي عَلَيْهِ بِنَافِعِ(٢)

(١) الضمير فی : عنه یعود علی فاعل أبی (٢) بنافع متعلق بیجدی

وَلَهُ :

وَمُوَدِّعٍ يَوْمَ الْفِرَاقِ بِلَحْظِهِ شَرِقٍ مِنَ الْعَبَرَاتِ مَا يَتَكَلَّمُ
مُتَقَلِّبٍ نَحْوَ الْحَبِيبِ بِطَرْفِهِ لَا يَسْتَطِيعُ إِشَارَةً فَيُسَلِّمُ
نَطَقَ الضَّمِيرُ بِمَا أَرَادَا عَنْهُمَا
وَكِلَاهُمَا مِمَّا يُعَانِ مُفْحَمُ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ يَصِفُ الْعُودَ :

تَجْرِي أَنَامِلُهَا عَلَى ذِي مَنْطِقٍ أَعْمَى بَصِيرْ
خَرِسٌ أَصَمُّ وَنَحْنُ مِنْ نَجْوَاهُ فِي دَهْرٍ قَصِيرْ
فَدْمٌ[1] صَمُوتٌ لَيْسَ يَعْـ ـرِفُ مَا الْقَبِيلُ مِنَ الدَّبِيرْ
مَيْتٌ وَلَكِنَّ الْأَكُفْـ ـفَ تُذِيقُهُ طَعْمَ النُّشُورْ
وَكَأَنَّهُ فِي حِجْرِهَا[2] طِفْلٌ تَمَهَّدَ حِجْرَ ظِئْرِ[3]
يُومِي إِلَيْهِ بَنَانُهَا فَتُرِيكَ تَرْجَمَةَ الضَّمِيرْ
فَتَرَى النُّفُوسَ مُعَلَّقَا تٍ مِنْهُ فِي بَمٍّ وَزِيرْ
فَإِذَا لَوَتْ آذَانَهُ جَازَ الْأَنِينَ إِلَى الزَّفِيرْ

(١) الفدم : العيى (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « فى حجره »
(٣) الظير مسهل ظئر : المرضع

قَالَتْ لَهُ : قُلْ مُطْرِبًا وَعَظَتْكَ وَاعِظَةُ الْقَتِيرِ[١]
فَأَجَابَهَا مِنْ حِجْرِهَا وَعَلَتْكَ أُبَّهَةُ الْكَبِيرِ[٢]

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْخِصَالِ وَهُوَ مَجْمُوعٌ يَشْتَمِلُ عَلَى أَخْبَارٍ وَحِكَمٍ وَأَمْثَالٍ وَأَشْعَارٍ ، كِتَابُ مُنَاقَضَاتِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَدِيَ[٣] الْقُضَاةُ فِي مَطَاعِمِهِمْ بِالْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ ، وَقَدْ عُزِيَ هَذَا الْكِتَابُ إِلَى الْكِسْرَوِيِّ الْكَاتِبِ ، كِتَابُ الْأَعْيَادِ وَالنَّوَارِيزِ ، كِتَابُ مُرَاسَلَاتِ الْإِخْوَانِ وَمُحَاوَرَاتِ الْخِلَّانِ

وَقَالَ الْكِسْرَوِيُّ فِي ضَرْطَةِ وَهْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ :

إِنَّ وَهْبَ بْنَ سُلَيْمَا نَ بْنِ وَهْبِ بْنِ سَعِيدِ
حَمَلَ الضَّرْطَ إِلَى الرَّ رَيِّ عَلَى ظَهْرِ الْبَرِيدِ
فِي مُهِمَّاتِ أُمُورٍ مِنْهُ بِالرَّكْضِ الشَّدِيدِ
إِسْتُهُ يَنْطِقُ يَوْمَ الْحَفْ لِ بِالْأَمْرِ الرَّشِيدِ

(١) جملة محكية ، تريد أطرب الناس بقولك وعظتك ، وهي جملة دعائية يراد منها الدعاء للشخص بأن يتمغط بالقتير : أى أول الشيب (٢) أضف وعلتك إلى وعظتك يأتى البيت هكذا :

وعظتك واعظة القتير *** وعلتك أبهة الكبير

فالشطر الأول حكاية قل الذى قبله ، والشطر الثانى حكاية فأجابها الذى قبله ـ
(٣) كانت فى هذا الأصل « يقتفى » وأصلحت كما فى فهرست ابن النديم .
« عبد الخالق »

لَمْ يَجِدْ فِي الْقَوْلِ فَاحْتَا جَ إِلَى دُبْرٍ مُجِيدِ

وَمِنْ كِتَابِ أَصْبَهَانَ : قَالَ هَارُونُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى : اجْتَمَعْنَا مَعَ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ مَهْدِيٍّ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الِانْصِرَافَ أَنْشَأَ أَبُو الْفَضْلِ يَقُولُ

لَوْلَا عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ وَخِلَّتُهُ
لَمَا اهْتَدَيْنَا إِلَى ظَرْفٍ وَلَا أَدَبِ
إِذَا سُقِي مُتْرَعَ الْكَاسَاتِ أَوْهَمَنَا
بِأَنَّ غِلْمَانَنَا خَيْرٌ مِنَ الْعَرَبِ

﴿ ٢٣ — عَلِيُّ بْنُ نَصْرٍ النَّصْرَانِيُّ يُعْرَفُ بِابْنِ الطَّبِيبِ * ﴾

علي بن نصر النصراني

أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ وَقَالَ : كَانَ أَدِيبًا مُصَنِّفًا مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَلَهُ عِدَّةُ كُتُبٍ قَالَ : وَكَانَ يُذَاكِرُنِي بِهَا وَأَحْسَبُهُ لَمْ يُتَمِّمْ أَكْثَرَهَا ، فَمِنْ كُتُبِهِ : كِتَابُ الْبَرَاعَةِ ، كِتَابُ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ إِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ نَحْوٌ مِنْ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَمٍ وَأَمْثَالٍ .

(*) راجع بغية الوعاة

﴿ ٢٤ — عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الزَّنْبَقِيُّ(١) اللُّغَوِيُّ ﴾

أَبُو الْحَسَنِ أَحَدُ الْأُدَبَاءِ، رَأَيْتُ بِخَطِّهِ كُتُبًا أَدَبِيَّةً لُغَوِيَّةً وَنَحْوِيَّةً فَوَجَدْتُهُ حَسَنَ الْخَطِّ مُتْقَنَ الضَّبْطِ، وَكَانَ مُقَامُهُ بِمِصْرَ وَلَعَلَّهُ مِنْ أَهْلِهَا، قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْهَمْزِ لِأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ بِجَامِعِ مِصْرَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ. على بن نصر الزنبقى

﴿ ٢٥ — عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ * ﴾

أَبُو تُرَابٍ، وُلِدَ بِعُكْبَرَا وَنَشَأَ بِهَا، ثُمَّ انْحَدَرَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ إِلَى بَغْدَادَ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالنَّحْوَ عَلَى ابْنِ بُرْهَانٍ النَّحْوِيِّ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَصَارَ كَاتِبًا لِنَقِيبِ الطَّالِبِيِّينَ بِهَا، وَأَقَامَ هُنَاكَ مُدَّةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَأَقَامَ بِالْكَرْخِ وَوَلِيَ الْكِتَابَةَ لِنَقِيبِ الطَّالِبِيِّينَ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ، مَوْلِدُهُ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ على بن نصر الكاتب

---

(١) يقول المؤلف فى معجم البلدان إن زنبق: صقع بالبصرة على جانب الفرات ودجلة، وأظن هذا لا يتنافى مع قوله: وكان مقامه بمصر، ولكنه يقول: ولعله من أهلها. أقول: ولعل النسبة إلى زنبق كجعفر، وهو دهن الياسمين لسبب يتصل بهذا «عبد الخالق»

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة

(*) راجع بغية الوعاة

وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدٍ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي تُرَابٍ ، وَكَانَ كَاتِبَ نَقِيبِ الطَّالِبِيِّينَ أَيْضاً وَكَانَ شَاعِراً ، وُلِدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمِنْ شِعْرِ أَبِي تُرَابٍ هَذَا :

حَالِي بِحَمْدِ اللهِ حَالٌ جَيِّدَهْ ... لَـكِنَّهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ عَاطِلُ
مَا قُلْتُ لِلْأَيَّامِ قَوْلَ مُعَاتِبٍ ... وَالرِّزْقُ يَدْفَعُ رَاحَتِي وَيُمَاطِلُ
إِلَّا وَقَالَتْ لِي مَقَالَةَ وَاعِظٍ : ... أَلرِّزْقُ مَقْسُومٌ وَحِرْصُكَ بَاطِلُ

﴿ ٢٦ – عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْفَنْدُورَجِيُّ * ﴾

أَبُو الْحَسَنِ الْأَسْفَرَائِينِيُّ ، وَفَنْدُورَجُ قَرْيَةٌ بِنَوَاحِي نَيْسَابُورَ ، سَكَنَ إِسْفَرَائِينَ وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى فَضْلٍ وَافِرٍ وَمَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ بِاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَخَطٍّ وَبَلَاغَةٍ ، وَلَهُ شِعْرٌ مَلِيحٌ رَائِقٌ وَيَدٌ بَاسِطَةٌ فِي الْـكِتَابَةِ وَالرَّسَائِلِ ، وَرَدَ بَغْدَادَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً وَاقْتَبَسَ مِنْ فُضَلَائِهَا ، وَرَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ وَصَارَ يُنْشِئُ الْـكُتُبَ عَنْ دِيوَانِ الْوَزَارَةِ ، وَسُئِلَ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : وُلِدْتُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِنَيْسَابُورَ .

علي بن نصر الفندورجي

(*) راجع بغية الوعاة

قَالَ السَّمْعَانِيُّ وَمَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
وَمِنْ شِعْرِهِ :

تَحِيَّةَ مُزْنٍ يُتْحِفُ الرَّوْضَ سَحْرَةً
بِصَوْبِ الْحَيَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَيْكُمُ
بِجِسْمِي مَعِي لَكِنَّ قَلْبِيَ أَكْرِمُوا
بِلُطْفِكُمُ مَثْوَاهُ فَهُوَ لَدَيْكُمُ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : أَنْشَدَنِي الْفَنْدُورَجِيُّ لِنَفْسِهِ :

سَقَى اللهُ فِي أَرْضِ اسْفَرَايِينَ عُصْبَتِي
فَمَا تَنْتَهِي الْعَلْيَاءُ إِلَّا إِلَيْهِمُ
وَجَرَّبْتُ كُلَّ النَّاسِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ
فَمَا زِدْتُ إِلَّا فَرْطَ ضَنٍّ عَلَيْهِمُ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِبَلْخَ إِمْلَاءً وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ :

قَدْ قَصَّ أَجْنِحَةَ الْوَفَاءِ وَطَارَ مِنْ
وَكْرِ الْوِدَادِ الْمَحْضِ وَالْإِخْلَاصِ
وَالْحُرُّ فِي شَبَكِ الْجَفَاءِ وَمَا لَهُ
مِنْ أَسْرِ حَادِثَةٍ رَجَاءُ خَلَاصِ

كَانَ فِي آخِرِ جُزْءٍ بِخَطِّ السَّمْعَانِيِّ مَاصُورَتُهُ لِكَاتِبِهِ أَبِي الْحَسَنِ الْفُنْدُورَجِيِّ :

حُمَّ الْحَبِيبُ وَآذَاهُ السَّقَامُ وَلَمْ
أَمُتْ كَمَا شَاءَ سُلْطَانُ الْهَوَى حَزَنَا

بِأَيِّ عَيْنٍ إِذَا مَا الْوَصْلُ يَجْمَعُنَا
بِالطَّالِعِ السَّعْدِ أَلْقَى وَجْهَهُ الْحَسَنَا ؟

وَالْجَفْنُ مِنِّيَ دَامٍ لَا يُصَافِحُ - إِذْ
نَاغَى الْكَرَى فِي الدُّجَى جَفْنَ الْوَرَى - الْوَسَنَا[1]

وَكَادَ عَنْ بَدَنِي يَنْسَلُّ رُوحِيَ إِذْ
مَسَّ الْأَذَى مِنْهُ تِلْكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا

وَلَهُ أَيْضاً فِي الْمَعْنَى نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ :

حُمَّ الْحَبِيبُ وَمَا حُمَّ انْفِصَالِيَ عَنْ
رُوحٍ وَعَنْ بَدَنٍ يَحْيَا بِذِكْرَاهُ

بِأَيِّ وَجْهٍ إِذَا مَا الْوَصْلُ يَجْمَعُنَا
وَمُقْلَةٍ أَتَلَقَّاهُ وَأَلْقَاهُ ؟

---

(١) الوسن مفعول يصافح ، يريد أن جفني دام لا يصافح الوسن في الوقت الذي يناغي الكرى جفون الناس « عبد الخالق »

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ ، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ نَصْرٍ النَّيْسَابُورِيَّ مُذَاكَرَةً بِمَرْوَ يَقُولُ : كُنْتُ بِبَغْدَادَ فَرَأَيْتُ أَهْلَهَا تَسْتَحْسِنُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الَّتِي لِأَبِي إِسْمَاعِيلَ الْمُنْشِيءِ :

ذَكَرْتُكُمْ عِنْدَ الزُّلَالِ عَلَى الظَّمَا
فَلَمْ أَنْتَفِعْ مِنْ بَرْدِهِ بِبَلَالِ

فَأَنْشَأْتُ قَصِيدَةً فِي نَقِيبِ النُّقَبَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ طَرَّادٍ الزَّيْنَبِيِّ عَلَى هَذَا الرَّوِيِّ أَوَّلُهَا :

خَلِيلَيَّ زُمَّتْ(١) لِلرَّحِيلِ جِمَالِي
فَقَدْ ضَاقَ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ مَجَالِي

وَقُودًا عِتَاقًا كَالْأَهِلَّةِ ، إِنَّمَا
دِيَارُ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ حَوَالِي(٢)

وَمَا أَوْجَبَتْ بَغْدَادُ حَقِّي وَغَادَرَتْ
بَلَابِلَ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ بِبَالِي(٣)

---

(١) زمت الجمال للرحيل : خطمت وهيئت (٢) قودا جمع قوداء : النوق ، وفى البيت قصر يقول فيه : إن ديار الندى والكرم حوالى العراق لا فيها

(٣) يقول : إنما ارتحلت لأن بغداد لم تف بحقى ، وتركت بلابل ووساوس فى خاطرى بعد رحيل الظاعنين . « عبد الخالق »

﴿ ٢٧ – عَلِيُّ بْنُ وَصِيفٍ الْمُلَقَّبُ بِخُشْكَنَانِجَةَ الْكَاتِبُ * ﴾

علي بن وصيف الكاتب

مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَكَانَ أَكْثَرَ مُقَامِهِ بِالرَّقَّةِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَكَانَ مِنَ الْبُلَغَاءِ، وَأَلَّفَ عِدَّةَ كُتُبٍ وَنَحَلَهَا عَبْدَانَ صَاحِبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ النَّدِيمُ: وَكَانَ لِي صَدِيقًا وَأَنِيسًا وَمَاتَ بِالْمَوْصِلِ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ الْإِفْصَاحِ وَالتَّنْقِيفِ فِي الْخَرَاجِ وَرُسُومِهِ

﴿ ٢٨ – عَلِيُّ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مَاكُولَا * ﴾

علي بن هبة الله ابن ماكولا

هُوَ عَلِيُّ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَلْكَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دُلَفَ بْنِ أَبِي دُلَفَ الْقَاسِمِ بْنِ عِيسَى بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ مَعْقِلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ شَيْخِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ خُزَاعِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ دُلَفَ ابْنِ جُشَمَ بْنِ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِجْلِ بْنِ لُجَيْمِ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ ابْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هِنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، أَبُو نَصْرٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مَاكُولَا، وَهُوَ ابْنُ الْوَزِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ هِبَةِ اللهِ

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

(*) ترجم له كذلك فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول، وترجم له كذلك أيضا فى تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ وترجم له فى شذرات الذهب ج ١٢

ٱبْنِ مَاكُولَا وَزِيرِ جَلَالِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَكَانَ عَمُّهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَاضِي الْقُضَاةِ بِبَغْدَادَ الْحَافِظُ — أَصْلُهُ مِنْ جَرْبَاذَقَانَ بَلْدَةٌ بَيْنَ هَمَذَانَ وَأَصْفَهَانَ — يُلَقَّبُ بِالْأَمِيرِ مِنْ بَيْتِ الْوَزَارَةِ وَالْقَضَاءِ وَالرِّيَاسَةِ الْقَدِيمَةِ ، كَانَ لَبِيباً عَارِفاً عَالِماً ، تَرَشَّحَ لِلْحِفْظِ حَتَّى كَانَ يُقَالُ لَهُ الْخَطِيبُ الثَّانِي.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : سَمِعْتُ شَيْخَنَا عَبْدَ الْوَهَّابِ يَقْدَحُ فِي دِينِهِ وَيَقُولُ : الْعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَى دِينٍ . صَنَّفَ كِتَابَ الْمُخْتَلِفِ وَالْمُؤْتَلِفِ ، جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ كُتُبِ الدَّارَقُطْنِيِّ وَعَبْدِ الْغَنِيِّ وَالْخَطِيبِ ، وَزَادَ عَلَيْهِمْ زِيَادَاتٍ كَثِيرَةً ، وَكَانَ نَحْوِيًّا مُجَوِّداً ، وَشَاعِراً مُبَرِّزاً ، جَزْلَ الشِّعْرِ فَصِيحَ الْكَلَامِ صَحِيحَ النَّقْلِ ، مَا كَانَ فِي الْبَغْدَادِيِّينَ فِي زَمَانِهِ مِثْلُهُ ، سَمِعَ أَبَا طَالِبِ بْنَ غَيْلَانَ ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ بِشْرَانَ ، وَأَبَا الْقَاسِمِ بْنَ شَاهِينَ ، وَأَبَا الطَّيِّبِ الطَّبَرِيَّ ، وَسَافَرَ إِلَى الشَّامِ وَالسَّوَاحِلِ وَدِيَارِ مِصْرَ ، وَالْجَزِيرَةِ وَالثُّغُورِ وَالْجِبَالِ ، وَدَخَلَ بِلَادَ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَطَافَ فِي الدُّنْيَا وَجَوَّلَ فِي الْآفَاقِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنَ سَعِيدٍ الْحَبَّالَ الْمِصْرِيَّ يَمْدَحُ ٱبْنَ مَاكُولَا وَيُثْنِي عَلَيْهِ

وَيَقُولُ: دَخَلَ مِصْرَ فِي زِيِّ الْكَتَبَةِ فَلَمْ نَرْفَعْ(١) لَهُ رَأْساً، فَلَمَّا عَرَفْنَاهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الشَّأْنِ، وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ فَأَقَامَ بِهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خُوزِسْتَانَ فَقُتِلَ هُنَاكَ. كَانَ فِي صُحْبَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مَمَالِيكِهِ الْأَتْرَاكِ.

قَالَ ابْنُ نَاصِرٍ: قُتِلَ أَبُو نَصْرِ بْنُ مَاكُولَا بِالْأَهْوَازِ مِنْ نَوَاحِي خُوزِسْتَانَ، إِمَّا فِي سَنَةِ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ بِعُكْبَرَا فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمِنْ مُسْتَحْسَنِ شِعْرِهِ فِي التَّجْنِيسِ:

وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَبَاكَتْ قُلُوبُنَا
فَمُمْسِكُ دَمْعٍ عِنْدَ ذَاكَ كَسَاكِبِهِ
فَيَا نَفْسِيَ الْحَرَّى الْبَسِي ثَوْبَ حَسْرَةٍ
فِرَاقُ الَّذِي تَهْوَيْنَهُ قَدْ كَسَاكِ بِهِ

وَمِنْهُ:

تُرَى زَمَنِي يُدْنِي سُلَيْمَى فَنَلْتَقِي؟
وَنُرْجِعُ بِالشَّكْوَى الْحَدِيثَ الْمُنَاهَبَا(٢)

(١) لم نرفع له رأساً: لم نعبأ به ولم نعره التفاتاً (٢) المناهب: المتناول

وَهَيْهَاتَ مَا بَعْدَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتُهُ
وَمَنْ غَايَرَ الْأَيَّامُ كَانَ الْمُنَاهَبَا(١)

وَمِنْهُ :

فُؤَادٌ مَا يُفِيقُ مِنَ التَّصَابِي أَطَاعَ غَرَامَهُ وَعَصَى النَّوَاهِي
وَقَالُوا : لَوْ تَصَبَّرَ كَانَ يَسْلُو
وَهَلْ صَبْرٌ يُسَاعِدُ وَالنَّوَاهِي(٢) ؟

وَمِنْهُ :

أَلَيْسَ وُقُوفُنَا بِدِيَارِ هِنْدٍ
وَقَدْ رَحَلَ الْقَطِينُ مِنَ الدَّوَاهِي ؟
وَهِنْدٌ قَدْ غَدَتْ دَاءً لِقَلْبِي
إِذَا صَدَّتْ وَلَكِنَّ الدَّوَا هِي(٣)

وَمِنْهُ :

وَهَيَّجَ أَشْوَاقِي وَمَا كُنْتُ سَالِيًا
بِيَبْرِينَ بَرْقٌ مِنْ ذُرَى الْغَوْرِ أَوْمَضَا(٤)

---

(١) المناهبا كلمتان : المنى ، وهباء ، فهو يريد : كانت المنى هباء لأن الذى تجورعليه الأيام وتحاربه لا تكون مناه إلا هباء (٢) النواهي كلمتان : النوى ، وهي ، يريد لايساعد الصبر ، والنوى هى ما هى (٣) كذلك الدواهى كلمتان : الدواء ، وهى ، يريد أن يقول : هى الدواء لقلبي مع أنها أصل الداء . (٤) أى لمع « عبد الخالق »

ذَكَرْتُ بِهِ عَيْشَ التَّصَابِي وَطِيبَهُ
وَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَإِنْ عَادَ أَوْ مَضَى (١)

وَمِنْ شِعْرِهِ :

عَلَّمَتْنِي بِهَجْرِهَا الصَّبْرَ عَنْهَا فَهِيَ مَشْكُورَةٌ عَلَى التَّقْبِيحِ
وَأَرَادَتْ بِذَاكَ قُبْحَ صَنِيعٍ فَعَلَتْهُ فَكَانَ عَيْنَ الْمَلِيحِ

أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الدُّبَيْثِيِّ قَالَ : أَنْشَدَنَا عُمَرُ بْنُ طَبَرْزَادَ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ قَالَ : أَنْشَدَنَا الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرٍ عَلِيُّ بْنُ هِبَةِ اللهِ لِنَفْسِهِ :

قَوِّضْ (٢) خِيَامَكَ عَنْ أَرْضٍ تُهَانُ بِهَا
وَجَانِبِ الذُّلَّ إِنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَتِ الْأَوْطَانُ مَنْقَصَةً
فَالْمَنْدَلُ (٣) الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ الْحَطَبُ

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعِيدٍ : أَنْبَأَنَا أَبُو نَصْرٍ يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ الْخَلْقَانِيُّ : أَنْبَأَنَا أَبُو ثَابِتٍ بُنْجِيرُ بْنُ عَلِيٍّ : أَنْبَأَنَا أَبُو نَصْرٍ

(١) أي ذهب ، وفي هذا البيت وما قبله من الجناس مالا يخفى (٢) أي هدم
(٣) المندل : العود الطيب الرائحة

ابْنُ مَاكُولَا الْحَافِظُ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْفَرَجِ هِبَةُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْقَلَانِيُّ بِهَا : أَنْشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي النَّاسِ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي صُورَتَيْنِ كَانَتَا عَلَى كَنِيسَةٍ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَى شَرْقِيِّ مَحْمِلِهَا ، وَالْكَنِيسَةُ عِنْدَ بَابِ الصَّوَارِفِ بِعَسْقَلَانَ :

لَوْ ذُقْتُمَا طَعْمَ الْعِنَاقِ لَغَافَصَتْ(١)
شَخْصَيْكُمَا الدُّنْيَا بِوَشْكِ فِرَاقِ
لَمْ تُغْفِلِ الْأَيَّامُ حَالَكُمَا بِهَا
عَمْداً لِتَرْفِيهٍ وَلَا إِشْفَاقِ
بَلْ لِلْأُمُورِ نِهَايَةٌ عَلِقَتْ بِهَا
حُجِزَتْ أَوَامِرُهَا عَنِ الطُّرَّاقِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا عَادَتْ لَهَا
تِلْكَ الْوَقَاحَةُ أَضْيَقَ الْأَطْوَاقِ
وَكَأَنَّنِي بِالدَّهْرِ قَدْ أَجْرَاكُمَا
كَبَنِيهِ تَفْرِيقاً بِغَيْرِ تَلَاقِ

قَالَ : فَمَا مَضَى لِهَذَا الشِّعْرِ إِلَّا سَنَةٌ أَوْ نَحْوُهَا حَتَّى أَمَرَ الْحَاكِمُ بِهَدْمِ الْكَنَائِسِ فَهُدِّمَتْ ، وَهُدِّمَتْ هَذِهِ الْكَنِيسَةُ

(١) غافصه : فاجأه وأخذه على غرة

وَأُزِيلَ الشَّخْصَانِ ، فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَبْيَاتًا فِي ذَلِكَ يَرْثِيهِمَا بِهَا :

طُوبَا كُمَا مِنْ دُمْيَتَيْنِ تَعَانَقَا وَتَفَرَّقَا مِنْ بَعْدِ طُولِ عِنَاقِ
طَالَ اعْتِنَاقُهُمَا فَمَا نَعِمَا بِهِ
وَكَذَاكَ مَا أَلِمَا لِوَشْكِ فِرَاقِ
أَجْرَتْهُمَا الدُّنْيَا بِهَا إِذْ مَثَّلَتْ بِمَثَابَةِ الْأَوْلَادِ فِي الْإِشْفَاقِ
صَانَتْهُمَا عَنْ كُلِّ طَارِقِ حَادِثٍ
عِنْدَ الْغُرُوبِ وَمُبْتَدَا الْإِشْرَاقِ
حَتَّى إِذَا بَلَغَا نِهَايَةَ مَوْعِدٍ فَلَّتْ عِنَاقَهُمَا عَنِ الْأَعْنَاقِ
وَمَحَتْ رُسُومَهُمَا كَأَنْ لَمْ تَمْثُلَا
لِلنَّاظِرِينَ مَرَامِيَ[1] الْأَحْدَاقِ
حَسْبِي مِنَ الْأَيَّامِ مَعْرِفَتِي بِهَا
وَتَصَرُّفُ الْحَدَثَانِ فِي الْآفَاقِ

قَالَ شُجَاعُ بْنُ فَارِسٍ الذُّهْلِيُّ : أَنْشَدَنِي الْأَمِيرُ أَبُو نَصْرٍ عَلِيُّ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مَاكُولَا الْحَافِظُ لِنَفْسِهِ :

(١) جمع مرمى ، اسم مكان ، أي كأن لم تمثلا للناظرين عند امتداد نظر الحدق

طَالَمَا ظَالِمًا تَجَنَّى بِحُبِّي عَاذَ عَادٍ عَنْ فَنِّهِ عَنْ فِيهِ (١)
قَالَ قَالٍ فَاتْرُكْ فَأَبْرَكُ هَجْرٍ هَجْرُ حِبٍّ خَبٍّ نَبِيهٍ بِتِيهِ
صَادَ صَادًا عَلَا (٢) عَلَامَ أَحَلَّا مَا خَلَا مِنْ بَلِيَّةٍ مَنْ يَلِيهِ

---

(١) من أنواع البديع الجناس ، وله أنواع كثيرة تفنن فيها المتأخرون ، وأنت ترى أن ابن ماكولا مولع بالجناس إلى حد كبير ، وقد مر عليك طرف منه ، وهذا ضرب آخر عمد إليه اسمه الجناس الخطى أو المضارع ، وهو تشابه اللفظين في الصورة الحرفية فخالد مثلا يجانس جالد من الجلاد ، وقال الفعل ، تجانس قال اسم الفاعل من قلى وهكذا ، وترى في البيت الأول جناسا بين ظالما مع طالما ، وتجنى مع بحبى ، وعاذ مع عاد ، وعن فنه مع عن فيه ، وفى البيت الثانى بين قال مع قال ، وفاترك مع فأبرك ، وحب مع خب ، ونبيه مع بتيه ، وفى الثالث صاد مع صادا وعلا مع علا ، وماأحلا مع ما خلا ، ومن بلية مع من يليه . ومعنى البيت الأول : طالما تجنى بسبب الحب ظالما لى ، ثم قال : استغاث معتد على فيه من فنه فعن الأولى بمعنى من ، والثانية بمعنى على ، والفن : الضرب من التفنن في التجنى فعاذ - بمعنى استغاث ، وعاد فاعل من عدا عليه ، والبيت الثانى معناه حدثنى من قلاه فقال : اترك مثل هذا الحب فان الترك أبرك ما يكون لحب خداع يعرف كيف يتيه على حبيبه ، ثم قال في البيت الثالث : صاد الحبيب صادا : أى أبيا متكبرا علا علوا ، ثم قال : علا مأحلا : أى على أى وجه حل له الصيد ولكن من ولى عليه هذا المحبوب لا يخلو من بلية تصيبه ، وبعد ، فأظنك معى على أن هذا الضرب من القول على قدر كبير من السخف المعنوى ، وأنه ليسوغ للمرء أن يعده نوعا من الهذيان الشعرى ، فان فيه تكلفا كبيرا ضاع معه المعنى الذى ينبغى أن يعانقه الشاعر (٢) علا بمعنى ارتفع ، وعلى الثانية حرف جر دخلت على ما الاستفهامية فحذفت ألفها وبقيت الميم فألصق بها همزة أحلا حتى يجانس بينها وبين ما الداخلة على الفعل الذى هو خلا جناسا خطيا ، وهذا أيضا ضرب من العمل الغريب ، فما عهدنا أن الهمزة من كلمة تتصل بحرف قبلها إلا فى بابها ويأهل على تحكم فى هذا ، فجاءنا ابن ماكولا بثالث . ويليه من ولى القوم : تولى عليهم ؟ « عبد الخالق »

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي الْأَمِيرُ لِنَفْسِهِ فِي الشَّمْعَةِ :

أَقُولُ وَمَا لِي مُسْعِدٌ غَيْرُ شَمْعَةٍ
عَلَى طُولِ لَيْلِي مَا تُرِيدُ نُزُوعَا
كِلَانَا نَحِيلٌ ذُو اصْفِرَارٍ مُعَذَّبٌ
بِنَارٍ أَسَالَتْ مِنْ حَشَاهُ نَجِيعَا[1]
أَلَا سَاعِدِينِي طُولَ لَيْلِكِ إِنَّنَا
سَنَفْنَى إِذَا جَاءَ الصَّبَاحُ جَمِيعَا

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ الْحُمَيْدِيُّ : مَا رَاجَعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْخَطِيبَ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَأَحَالَنِي عَلَى الْكِتَابِ وَقَالَ حَتَّى أُبْصِرَهُ ، وَمَا رَاجَعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا نَصْرٍ عَلِيَّ بْنَ هِبَةِ اللهِ بْنِ مَا كُولَا فِي شَيْءٍ إِلَّا وَأَجَابَنِي حِفْظًا كَأَنَّهُ يَقْرَأُ مِنْ كِتَابٍ . قَالَ : وَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ الْخَطِيبَ أَنَّ ابْنَ مَا كُولَا أَخَذَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْمُؤْتَنِفِ وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ تَصْنِيفًا ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ ابْنُ مَا كُولَا وَسَأَلَهُ الْخَطِيبُ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْكَرَهُ وَلَمْ يُقِرَّ بِهِ وَقَالَ : تَنْسُبُنِي النَّاسُ إِلَى مَا لَا أُحْسِنُهُ مِنَ الصَّنْعَةِ ، وَاجْتَهَدَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَعْتَرِفَ بِذَلِكَ ، وَحَكَى لَهُ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الْغَنِيِّ بْنِ

(١) النجيع : الدم الضارب إلى السواد ، وقال الأصمعي : هو دم الجوف .

سَعِيدٍ فِي تَتَبُّعِهِ أَوْهَامَ الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ فِي كِتَابِ الْمَدْخَلِ، وَحِكَايَاتٍ عِدَّةٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى. قَالَ: أَرِنِي إِيَّاهُ، فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا اسْتَفَدْتُهُ مِنْكَ وَلَا أَذْكُرُهُ إِلَّا عَنْكَ، فَأَصَرَّ عَلَى الْإِنْكَارِ وَقَالَ: لَمْ يَخْطُرْ هَذَا بِبَالِي قَطُّ وَلَمْ أَبْلُغْ هَذِهِ الدَّرَجَةَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

فَلَمَّا مَاتَ الْخَطِيبُ أَظْهَرَ كِتَابَهُ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ كِتَابَ تَهْذِيبِ مُسْتَقَرِّ الْأَوْهَامِ عَلَى ذَوِي التَّمَنِّي وَالْأَحْلَامِ، أَبُو[1] الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَطِيبُ، وَهُوَ فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ لِطَافٍ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ: كِتَابُ الْوُزَرَاءِ، كِتَابُ الْإِكْمَالِ فِي الْمُؤْتَلِفِ وَالْمُخْتَلِفِ.

﴿ ٢٩ — عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ نَصْرٍ الْقَرْمِيسِينِيُّ * ﴾

علي بن هارون القرميسيني

النَّحْوِيُّ أَبُو الْحَسَنِ. أَخَذَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ، وَأَخَذَ عَنْهُ عَبْدُ السَّلَامِ الْبَصْرِيُّ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الطَّائِعِ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

(١) لعل هذا خبر لمحذوف بيان لذوى السابقة وهو خبر على القطع، ولو أتبع لقال أبي «عبد الخالق»

(*) راجع بغية الوعاة

﴿ ٣٠ – عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ * ﴾

على بن هارون المنجم

الْمُنَجِّمُ أَبُو الْحَسَنِ. قَدْ ذَكَرْنَا أَبَاهُ هَارُونَ وَأَجْدَادَهُ فِي مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ: رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَا مِنْهُ، وَكَانَ رَاوِيَةً شَاعِراً أَدِيباً ظَرِيفاً مُتَكَلِّماً حَبْراً، نَادَمَ جَمَاعَةً مِنَ الْخُلَفَاءِ وَقَالَ لِي: مَوْلِدِي سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ.

وَقَالَ ثَابِتٌ: مَوْلِدُهُ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ، وَمَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ عَنْ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ النَّوْرُوزِ وَالْمَهْرَجَانِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْخَلِيلِ فِي الْعَرُوضِ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَهْدِي وَإِسْحَاقَ بْنِ الْمَوْصِلِيِّ فِي الْغِنَاءِ، كِتَابٌ ابْتَدَأَ فِيهِ بِنَسَبِ أَهْلِهِ عَمِلَهُ لِلْمُهَلَّبِيِّ الْوَزِيرِ وَلَمْ يَتِمَّ، كِتَابُ اللَّفْظِ الْمُحِيطِ بِبَعْضِ مَا لَفَظَ بِهِ اللَّقِيطُ عَارَضَ بِهِ كِتَابَ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ، كِتَابُ الْفَرْقِ وَالْمِعْيَارِ بَيْنَ الْأَوْغَادِ وَالْأَحْرَارِ، كِتَابُ الْقَوَافِي عَمِلَهُ لِعَضُدِ الدَّوْلَةِ.

وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ فِي كِتَابِ الرُّوزْنَامَجَةِ قَالَ فِيهِ: اسْتَدْعَانَا فِي الْأُسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ فَحَضَرْتُ وَابْنَا الْمُنَجِّمِ

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة

فِى مَجْلِسِهِ ، وَقَدْ أَعَدُّوا قَصِيدَتَيْنِ فِى مَدْحِهِ فَمَنَعَهُمَا مِنَ النَّشِيدِ لِأَحْضُرَهُ ، فَأَنْشَدَا وَجَوَّدَا بَعْدَ تَشْبِيبٍ كَبِيرٍ وَحَدِيثٍ طَوِيلٍ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: « أَرَاهُ الْمُهَلَّبِيَّ » كَانَ لِأَبِى الْحَسَنِ رَسْمٌ « أَخْشَى تَكْذِيبَ سَيِّدِنَا إِنْ شَرَحْتُهُ ، وَعِتَابَهُ إِنْ طَوَيْتُهُ، وَلَأَنْ أَحْصُلَ عِنْدَهُ فِى صُورَةِ مُتَزَيِّدٍ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَحْصُلَ عِنْدَهُ فِى رُتْبَةِ مُقَصِّرٍ » يَبْتَدِئُ فَيَقُولُ بِبَحَّةٍ عَجِيبَةٍ بَعْدَ إِرْسَالِ دُمُوعِهِ ، وَتَرَدُّدِ الزَّفَرَاتِ فِى حَلْقِهِ وَاسْتِدْعَائِهِ مِنْ خَوْدٍ غُلَامِهِ ، مِنْدِيلَ عَبَرَاتِهِ ، وَاللهِ وَاللهِ وَإِلَّا فَأَيْمَانُ الْبَيْعَةِ تَلْزَمُهُ بِحِلِّهَا وَحَرَامِهَا وَطَلَاقِهَا وَعِتَاقِهَا ، وَمَا يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ حَرَامٌ ، وَعَبِيدُهُ أَحْرَارٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى إِنْ كَانَ هَذَا الشِّعْرُ فِى اسْتِطَاعَةِ أَحَدٍ مِثْلُهُ ، أَوِ اتَّفَقَ مِنْ عَهْدِ أَبِى دَاوُودَ الْإِيَادِىِّ إِلَى زَمَانِ ابْنِ الرُّومِىِّ لِأَحَدٍ شَكْلُهُ ، بَلْ عَيْبُهُ أَنَّ مَحَاسِنَهُ تَتَابَعَتْ ، وَبَدَائِعَهُ تَرَادَفَتْ .

وَقَدْ كَانَ فِى الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ فِى دِيوَانٍ يَحْمِلُهُ ، وَيَسُودُ بِهِ شَاعِرُهُ ثُمَّ يُنْشِدُ ، فَإِذَا بَلَغَ بَيْتاً يُعْجِبُ بِهِ وَيَتَعَجَّبُ(١) مِنْهُ . وَقَالَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ مَنْ يَسْتَطِيعُ هَذَا إِلَّا عَبْدُكَ

(١) يعنى أن أبا الحسن يعجب ويتعجب ويقول

عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ الْمُنَجِّمِ جَلِيسُ الْخُلَفَاءِ، وَأَنِيسُ الْوُزَرَاءِ ؟ ثُمَّ يُنْشِدُ الْإِبْنُ وَالْأَبُ يُعَوِّذُهُ وَيَهْتَزُّ لَهُ، وَيَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللهِ: أَسْتَوْدِعُهُ اللهَ وَلِيُّ عَهْدِي، وَخَلِيفَتِي بَعْدِي، وَلَوِ اشْتَجَرَ اثْنَانِ مِنْ مِصْرَ وَخُرَاسَانَ لَمَا رَضِيتُ لِفَصْلِ مَا بَيْنَهُمَا سِوَاهُ، أَمْتَعَنَا اللهُ بِهِ وَرَعَاهُ، وَحَدِيثُهُ عَجِيبٌ. وَإِنِ اسْتَوْفَيْتُهُ ضَاعَ الْغَرَضُ الَّذِي قَصَدْتُهُ، عَلَى أَنَّهُ أَيَّدَ اللهُ مَوْلَانَا مِنْ سَعَةِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ، وَوُفُورِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ وَتَمَامِ الْمُرُوءَةِ وَالظَّرْفِ بِحَالٍ أَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهَا، وَأَزِلُّ عَنْ جُمْلَتِهَا، إِنَّهُ مَعَ كَثْرَةِ عِيَالِهِ وَاخْتِلَالِ أَحْوَالِهِ، طَلَبَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ جَارِيَتَهُ الْمُغَنِّيَةَ بِعِشْرِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ أَحْضَرَهَا صَاحِبُهُ فَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهَا وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَمِنْ شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ وَكَتَبَ بِهَا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ خَلَفِ بْنِ طِيَابٍ :

بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فِيكَ عِتَابُ سَيَطُولُ إِنْ لَمْ يَمْحُهُ الْإِعْتَابُ
يَا غَائِبًا بِوِصَالِهِ وَكِتَابِهِ هَلْ يُرْتَجَى مِنْ غَيْبَتَيْكَ إِيَابُ ؟
لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَاءِ تَقَطَّعَتْ نَفْسٌ عَلَيْكَ شِعَارُهَا الْأَوْصَابُ (١)

(١) جمع وصب والوصب : نحول الجسم والمرض الدائم

لَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ الْإِلَهِ فَرُبَّمَا
يَصِلُ الْقَطُوعُ وَيَحْضُرُ الْغُيَّابُ
وَإِذَا دَنَوْتَ مُوَاصِلًا فَهُوَ الْمُنَى
سَعِدَ الْمُحِبُّ وَسَاعَدَ الْأَحْبَابُ
وَإِذَا نَأَيْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَعَلَّلٌ
إِلَّا رَسُولٌ بِالرِّضَا وَكِتَابُ

وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ الْمُحَسِّنُ بْنُ عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ الْقَاضِي فِي نِشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ بْنِ الْمُنَجِّمِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ وَأَنَا صَبِيٌّ لَا أُقِيمُ الرَّاءَ فِي كَلَامِي وَأَجْعَلُهَا غَيْنًا ، وَكَانَتْ سِنِّي إِذْ ذَاكَ أَرْبَعَ سِنِينَ ، أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ، فَدَخَلَ أَبُو طَالِبٍ الْفَضْلُ بْنُ سَلَمَةَ ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ « شَكَّ أَبُو الْفَتْحِ » إِلَى أَبِي وَأَنَا بِحَضْرَتِهِ ، فَتَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ فِيهِ رَاءٌ فَلَثَغْتُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَاسَيِّدِي ، لِمَ تَدَعُ أَبَا الْحَسَنِ يَتَكَلَّمُ هَكَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ : مَا أَصْنَعُ وَهُوَ أَلْثَغُ ؟ فَقَالَ لَهُ : « وَأَنَا أَسْمَعُ وَأُحَصِّلُ مَا جَرَى وَأَضْبِطُهُ » إِنَّ اللُّثْغَةَ لَا تَصِحُّ مَعَ سَلَامَةِ الْجَارِحَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ عَادَةُ سُوءٍ تَسْبِقُ إِلَى الصَّبِيِّ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ لِجَهْلِهِ

بِتَحْقِيقِ الْأَلْفَاظِ وَسَمَاعِهِ شَيْئًا يَحْتَذِيهِ ، فَإِنْ تُرِكَ عَلَى مَا يَسْتَصْحِبُهُ مِنْ ذَلِكَ مَرَنَ عَلَيْهِ ، فَصَارَ لَهُ طَبْعًا لَا يُمْكِنُهُ التَّحَوُّلُ عَنْهُ ، وَإِنْ أُخِذَ بِتَرْكِهِ فِي أَوَّلِ نَشْوِهِ اسْتَقَامَ لِسَانُهُ وَزَالَ عَنْهُ ، وَأَنَا أُزِيلُ هَذَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ وَلَا أَرْضَى فِيهِ بِتَرْكِكَ لَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَخْرِجْ لِسَانَكَ ، فَأَخْرَجْتُهُ فَتَأَمَّلَهُ وَقَالَ : الْجَارِحَةُ صَحِيحَةٌ ، قُلْ يَا بُنَيَّ رَا ، وَاجْعَلْ لِسَانَكَ فِي سَقْفِ حَلْقِكَ ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَلَمْ تَسْتَوِ لِي ، فَمَا زَالَ يَرْفُقُ بِي مَرَّةً وَيَخْشُنُ بِي أُخْرَى ، وَيَنْقُلُ لِسَانِي مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ فَمِي ، وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَقُولَ الرَّاءَ فِيهِ ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَوِ لِي نَقَلَ لِسَانِي إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ دَفَعَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ حَتَّى قُلْتُ رَاءً صَحِيحَةً فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ ، وَطَالَبَنِي وَأَوْصَى مُعَلِّمِي بِإِلْزَامِي ذَلِكَ حَتَّى مَرَنَ لِسَانِي عَلَيْهِ ، وَذَهَبَتْ عَنِّي اللُّثْغَةُ .

وَمِنْ كِتَابِ الرُّوزْنَامَجَةِ قَالَ الصَّاحِبُ : وَتَوَفَّرَتْ عَلَى عِشْرَةِ فُضَلَاءِ الْبَلَدِ ، فَأَوَّلُ مَنْ كَارَنِي(١) أَوْلَادُ الْمُنَجِّمِ لِفَضْلِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ وَغَزَارَتِهِ ،

(١) أي اشتد علي وعارضني

وَاسْتِكْثَارِى مِنْ رِوَايَتِهِ وَطِيبِ سَمَاعِهِ وَلَذِيذِ عِشْرَتِهِ . فَسَمِعْتُ مِنْهُ أَخْبَارًا عَجِيبَةً وَحِكَايَاتٍ غَرِيبَةً ، وَمِنْ سِتَارَتِهِ أَصْوَاتًا نَادِرَةً مُسْتَنْفَةً مُقَرْطَقَةً يَقُولُ فِى كُلٍّ مِنْهَا : الشِّعْرُ لِفُلَانٍ ، وَالصَّنْعَةُ لِفُلَانٍ ، أَخَذَتْهُ هَذِهِ عَنْ فُلَانٍ ، أَوْ فُلَانَةَ ، حَتَّى يَتَّصِلَ النَّسَبُ بِإِسْحَاقَ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَا يُعْجَبُ بِهِ مَوْلَاهَا أَبْيَاتٌ لَهُ أَوَّلُهَا :

ضَلَّ الْفِرَاقُ وَلَا اهْتَدَى وَنَأَتْ فَلَا دَنَتِ النَّوَى
وَهَوَى فَلَا وَجَدَ الْقَرَا رَ مُعَنِّفٌ أَهْلَ الْهَوَى[1]

فَاتَّفَقَ أَنْ سَأَلْتُ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ اللَّحْنَ فِيهِ عَنْ قَائِلِهِ ، فَغَضِبَ وَاسْتَشَاطَ ، وَتَنَكَّرَ وَاسْتَوْفَزَ ، وَنَفَرَ وَتَنَمَّرَ وَقَالَ : تَقُولُ لِمَنْ هَذَا ؟ أَمَا يَدُلُّ عَلَى قَائِلِهِ ؟ أَمَا يُعْرِبُ عَنْ جَوْهَرِهِ ؟ أَمَا تَرَى أَثَرَ بَنِي الْمُنَجِّمِ عَلَى صَفْحَتِهِ ؟ أَمَا يَحْمِيهِ لَأْلَاؤُهُ أَوْ لَوْذَعِيَّتُهُ مِنْ أَنْ يُدَالَ[2] بِمَنْ ؟ وَمِمَّنْ هُوَ الرَّجُلُ ؟ وَذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ فَقَالَ : « الْمُنَجِّمُ » وَهُوَ الْقَائِلُ :

(١) معنف فاعل هوى ، وجملة فلا وجد معترضة دعاء على المعنف ، أى لا قر له قرار

(٢) يدال : يقال أى يتداول الناس فيه القول والسؤال بمن وممن « عبد الخالق »

وَإِنِّى لَأَثْنِى النَّفْسَ عَمَّا يَرِيبُهَا [١]
وَأَنْزِلُ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ بِمَعْزِلِ
بِهِمَّةِ نُبْلٍ لَا يُرَامُ مَكَانُهَا
تَحُلُّ مِنَ الْعَلْيَاءِ أَشْرَفَ مَنْزِلِ
وَلِى مَنْطِقٌ إِنْ لَجْلَجَ [٢] الْقَوْلُ صَائِبٌ
بِتَكْشِيفِ إِلْبَاسٍ وَتَطْبِيقِ مِفْصَلِ

وَلَهُ يَمْدَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وَهَلْ خَصْلَةٌ مِنْ سُؤْدَدٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا
أَبُو حَسَنٍ مِنْ بَيْنِهِمْ نَاهِضاً قِدْمَا؟
فَمَا فَاتَهُمْ مِنْهَا بِهِ سَلَّمُوا لَهُ
وَمَا شَارَكُوهُ كَانَ أَوْفَرَهُمْ قِسْماً

وَفِى كِتَابِ أَبِى عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ : كَانَ أَبُو أَحْمَدَ الْفَضْلُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الشِّيرَازِىُّ الْكَاتِبُ خَصِيصاً بِالْوَزِيرِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ وَكَانَ يَعْشَقُ مُغَنِّيَةً ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهَا جَمِيعَ مَا يَتَحَصَّلُ لَهُ ، وَلَهُ مَعَهَا أَخْبَارٌ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْجَارِيَةُ صَفْرَاءَ

---

(١) أثنى : أمنع ، يريبها : يوقعها في الشك (٢) لجلج القول : تردد فيه صاحبه وعى

وَأَسْمُهَا لَهْجَةُ فَشَرِبَ مَعَهَا لَيْلَةً وَأَصْبَحَ مَخْمُوراً فَآثَرَ الْجُلُوسَ مَعَهَا، وَأَرَادَ الِاعْتِذَارَ إِلَى الْوَزِيرِ ٱبْنِ مُقْلَةَ مِنَ التَّأَخرِ عَنِ الْخِدْمَةِ وَأَنْ يُخْفِيَ خَبَرَهُ عَنْهُ. فَكَتَبَ رُقْعَةً يَعْتَذِرُ فِيهَا وَيَقُولُ: إِنَّ الصَّفْرَاءَ تَحَرَّكَتْ عَلَيَّ فَتَأَخَّرْتُ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ بِخَطِّهِ: «أَنْتَ تَحَرَّكْتَ عَلَى الصفْرَاءِ، وَلَيْسَتِ الصَّفْرَاءُ تَحَرَّكَتْ عَلَيْكَ». قَالَ: وَهَذَا التَّوْقِيعُ يُشْبِهُ مَا أَنْشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الْمُنَجِّمُ لِنَفْسِهِ فِي جَارِيَتِهِ صَفْرَاءَ، وَقَدْ شَكَا إِلَى الطَّبِيبِ مَرَّةً صَفْرَاءَ، وَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَهُ مِنْ صَاحِبِهِ؟

جَسَّ الطَّبِيبُ يَدِي وَقَالَ مُخَبِّراً
هَذَا الْفَتَى أَوْدَتْ بِهِ الصَّفْرَاءُ
فَعَجِبْتُ مِنْهُ إِذْ أَصَابَ وَمَا دَرَى
قَوْلًا وَظَاهِرُ مَا أَرَادَ خَطَاءُ

قُلْتُ أَنَا: وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ:

وَقَالُوا لِلطَّبِيبِ أَشِرْ فَإِنَّا ... نُعِدُّكَ لِلْعَظِيمِ مِنَ الْأُمُورِ
فَقَالَ شِفَاؤُهُ الرُّمَّانُ مِمَّا ... تَضَمَّنَهُ حَشَاهُ مِنَ السَّعِيرِ
فَقُلْتُ: لَهُمْ أَصَابَ بِغَيْرِ قَصْدٍ ... وَلَكِنْ ذَاكَ رُمَّانُ الصُّدُورِ

وَكَانَ لِعَلِيِّ بْنِ هَارُونَ وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ ابْنِ هَارُونَ الْمُنَجِّمُ، كَانَ أَدِيباً فَاضِلاً إِلَّا أَنِّي لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَصْنِيفٍ فَلَمْ أُفْرِدْهُ بِتَرْجَمَةٍ وَالْمَقْصُودُ ذِكْرُهُ. وَقَدْ ذُكِرَ هَاهُنَا، رَوَى عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ فِي نِشْوَارِهِ فَأَكْثَرَ وَقَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ لِنَفْسِهِ:

مَا أَنْسَ مِنْهَا لَا أَنْسَ مَوْقِفَهَا ... وَقَلْبُهَا لِلْفِرَاقِ يَنْصَدِعُ
وَقَوْلَهَا إِذْ بَدَا الصَّبَاحُ لَهَا ... قَوْلُ فَزُوعٍ أَظَلَّهُ الْجَزَعُ
مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عِنْدَ فُرْقَتِنَا ... وَأَقْصَرَ اللَّيْلَ حِينَ نَجْتَمِعُ!!

قَالَ التَّنُوخِيُّ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ لِنَفْسِهِ وَكَتَبَ بِهَا إِلَى أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ «فسانجس[1]» فِي وِزَارَتِهِ وَقَدْ حَمَلَ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الْأَهْوَازِ:

قُلْ لِلْوَزِيرِ سَلِيلِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
وَمَنْ لَهُ قَامَتِ الدُّنْيَا عَلَى قَدَمٍ

﴿ ٣١ — عَلِيُّ بْنُ هِلَالٍ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَوَّابِ * ﴾

أَبُو الْحَسَنِ، صَاحِبُ الْخَطِّ الْمَلِيحِ وَالْإِذْهَابِ الْفَائِقِ. علي بن هلال الكاتب

(١) هذه الكلمة فيما أظن لقب باللغة الفارسية حاولت أن أصل إلى معناه فما استطعت وقد تقدم مثلها لفظة حرها في ألقاب الصاحب «عبد الخالق»

(*) راجع شذرات الذهب ص ١٩٩ ج ٥

وَجَدْتُ بِخَطِّ ٱبْنِ الشَّبِيهِ ٱلْعَلَوِيِّ ٱلْكَاتِبِ صَاحِبِ الْخَطِّ الْفَائِقِ فِي آخِرِ دِيوَانِ أَبِي الطَّمَحَانِ ٱلْقَيْنِيِّ بِخَطِّهِ مَا صُورَتُهُ : وَكُتِبَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ خَطِّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ(١) السِّتْرِيِّ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ ٱلْأُمَوِيِّ ، وَهٰذَا قَدْ كَانَ بِغَيْرِ شَكٍّ مُعَاصِرَهُ . بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُزَوِّقًا يُصَوِّرُ الدُّورَ ثُمَّ صَوَّرَ ٱلْكُتُبَ ثُمَّ تَعَانَى ٱلْكِتَابَةَ فَفَاقَ فِيهَا ٱلْمُتَقَدِّمِينَ وَأَعْجَزَ ٱلْمُتَأَخِّرِينَ ، وَكَانَ يَعِظُ بِجَامِعِ ٱلْمَنْصُورِ ، وَلَمَّا وَرَدَ فَخْرُ ٱلْمُلْكِ أَبُو غَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ ٱلْوَزِيرُ وَالِيًا عَلَى ٱلْعِرَاقِ مِنْ قِبَلِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ أَبِي نَصْرِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ جَعَلَهُ مِنْ نُدَمَائِهِ ، وَفِي ٱلْجُمْلَةِ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ ذَاكَ النَّفَاقُ الَّذِي لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَذَاكَ أَنِّي وَجَدْتُ رُقْعَةً بِخَطِّهِ قَدْ كَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ ٱلْأَعْيَانِ يَسْأَلُهُ فِيهَا مُسَاعَدَةَ صَاحِبِهِ ٱبْنِ مَنْصُورٍ ، وَإِنْجَازَ وَعْدٍ وَعَدَهُ بِهِ لَا يُسَاوِي دِينَارَيْنِ ، وَقَدْ بَسَطَ ٱلْقَوْلَ فِي ذَلِكَ ٱسْتَطَلْتُهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ نَحْوَ السَّبْعِينَ سَطْرًا فَأَلْغَيْتُ إِثْبَاتَهَا ، وَقَدْ بِيعَتْ بِسَبْعَةَ عَشَرَ دِينَارًا

(١) رأيتها هكذا هليل في الأصل ، ولا أدري لم هذا ؟ فجعلتها هلال ، والسترى سمي به لأنه كان بوابا ملازما الستر « عبد الخالق »

إِمَامِيَّةً ، وَبَلَغَنِي أَنَّهَا بِيعَتْ مَرَّةً أُخْرَى بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَاراً . مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ بْنِ الصَّابِئِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي جِوَارِ قَبْرِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْقَادِرِ بِاللهِ ، وَرَثَاهُ الْمُرْتَضَى بِشِعْرٍ أَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَحَدَّثَ فِي كِتَابِ الْمُفَاوَضَةِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابْنُ هِلَالٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبَوَّابِ الْكَاتِبُ قَالَ : كُنْتُ أَتَصَرَّفُ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازَ عَلَى اخْتِيَارِي وَأُرَاعِيهَا لَهُ وَأَمْرُهَا مَرْدُودٌ إِلَيَّ ، فَرَأَيْتُ يَوْماً فِي جُمْلَةِ أَجْزَاءٍ مَنْبُوذَةٍ جُزْءاً مُجَلَّداً بِأَسْوَدَ قَدْرَ السُّكَّرِيِّ فَفَتَحْتُهُ وَإِذَا هُوَ جُزْءٌ مِنْ ثَلَاثِينَ جُزْءاً مِنَ الْقُرْآنِ بِخَطِّ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ ، فَأَعْجَبَنِي وَأَفْرَدْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَظْفَرُ بِجُزْءٍ بَعْدَ جُزْءٍ مُخْتَلِطٍ فِي جُمْلَةِ الْكُتُبِ إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ جُزْءاً ، وَبَقِيَ جُزْءٌ وَاحِدٌ اسْتَغْرَقْتُ تَفْتِيشَ الْخِزَانَةِ عَلَيْهِ مُدَّةً طَوِيلَةً فَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُصْحَفَ نَاقِصٌ فَأَفْرَدْتُهُ وَدَخَلْتُ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ وَقُلْتُ : يَامَوْلَانَا ، هَهُنَا رَجُلٌ يَسْأَلُ حَاجَةً قَرِيبَةً لَا كُلْفَةَ فِيهَا ، وَهِيَ مُخَاطَبَةُ أَبِي عَلِيٍّ الْمُوَفَّقِ

الْوَزِيرِ عَلَى مَعُونَتِهِ فِي مُنَازَعَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمٍ لَهُ ، وَمَعَهُ هَدِيَّةٌ طَرِيفَةٌ تَصْلُحُ لِمَوْلَانَا . قَالَ : أَيُّ شَيْءٍ هِيَ ؟ قُلْتُ مُصْحَفٌ بِخَطِّ أَبِي عَلِيِّ بْنِ مُقْلَةَ . فَقَالَ : هَاتِهِ وَأَنَا أَتَقَدَّمُ بِمَا يُرِيدُ ، فَأَحْضَرْتُ الْأَجْزَاءَ فَأَخَذَ مِنْهَا وَاحِداً وَقَالَ : أَذْكُرُ وَكَانَ فِي الْخِزَانَةِ مَا يُشْبِهُ هَذَا وَقَدْ ذَهَبَ عَنِّي ، قُلْتُ : هَذَا مُصْحَفُكَ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فِي طَلَبَتِي لَهُ حَتَّى جَمَعْتُهُ إِلَّا أَنَّهُ يَنْقُصُ جُزْءًا وَقُلْتُ : هَكَذَا يُطْرَحُ مُصْحَفٌ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ ؟ فَقَالَ لِي : فَتَمِّمْهُ لِي . قُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَلَكِنْ عَلَى شَرِيطَةِ أَنَّكَ إِذَا أَبْصَرْتَ الْجُزْءَ النَّاقِصَ مِنْهَا وَلَا تَعْرِفُهُ أَنْ تُعْطِيَنِي خِلْعَةً وَمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : أَفْعَلُ . وَأَخَذْتُ الْمُصْحَفَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَانْصَرَفْتُ إِلَى دَارِي ، وَدَخَلْتُ الْخِزَانَةَ أُقَلِّبُ الْكَاغِدَ الْعَتِيقَ وَمَا يُشَابِهُ كَاغِدَ الْمُصْحَفِ ، وَكَانَ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْكَاغِدِ السَّمَرْقَنْدِيِّ وَالصِّينِيِّ وَالْعَتِيقِ كُلُّ طَرِيفٍ عَجِيبٍ ، فَأَخَذْتُ مِنَ الْكَاغِدِ مَا وَافَقَنِي ، وَكَتَبْتُ الْجُزْءَ وَذَهَّبْتُهُ وَعَتَّقْتُ ذَهَبَهُ ، وَقَلَعْتُ جِلْداً مِنْ جُزْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ فَجَلَّدْتُهُ بِهِ وَجَلَّدْتُ الَّذِي قَلَعْتُ مِنْهُ الْجِلْدَ وَعَتَّقْتُهُ ، وَنَسِيَ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ الْمُصْحَفَ ، وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ نَحْوُ السَّنَةِ . فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ

جَرَى ذِكْرُ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُقْلَةَ فَقَالَ لِي : مَا كَتَبْتَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ: فَأَعْطِنِيهِ : فَأَحْضَرْتُ الْمُصْحَفَ كَامِلًا فَلَمْ يَزَلْ يُقَلِّبُهُ جُزْءًا جُزْءًا وَهُوَ لَا يَقِفُ عَلَى الْجُزْءِ الَّذِي بِخَطِّي ثُمَّ قَالَ لِي : أَيُّمَا هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي بِخَطِّكَ ؟ قُلْتُ لَهُ : لَا تَعْرِفُهُ فَيَصْغُرَ فِي عَيْنِكَ ، هَذَا مُصْحَفٌ كَامِلٌ بِخَطِّ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُقْلَةَ وَنَكْتُمُ سِرَّنَا ؟ قَالَ : أَفْعَلُ : وَتَرَكَهُ فِي رَبْعَةٍ عِنْدَ رَأْسِهِ وَلَمْ يُعِدْهُ إِلَى الْخِزَانَةِ ، وَأَقَمْتُ مُطَالِباً بِالْخِلْعَةِ وَالدَّنَانِيرِ وَهُوَ يَمْطُلُنِي وَيَعِدُنِي ، فَلَمَّا كَانَ يَوْماً قُلْتُ يَا مَوْلَانَا : فِي الْخِزَانَةِ بَيَاضٌ صِينِيٌّ وَعَتِيقٌ مَقْطُوعٌ وَصَحِيحٌ ، فَتُعْطِينِي الْمَقْطُوعَ مِنْهُ كُلَّهُ دُونَ الصَّحِيحِ بِالْخِلْعَةِ وَالدَّنَانِيرِ . قَالَ مُرَّ وَخُذْهُ . فَمَضَيْتُ وَأَخَذْتُ جَمِيعَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ فَكَتَبْتُ فِيهِ سِنِينَ .

وَوَجَدْتُ فِي تَارِيخِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ قَالَ : اجْتَازَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَتِّيُّ الْكَاتِبُ وَكَانَ مَزَّاحاً « وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بَابٌ » وَعَلِيُّ بْنُ هِلَالٍ جَالِسٌ عَلَى بَابِ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ أَبِي غَالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ . فَقَالَ لَهُ الْبَتِّيُّ : جُلُوسُ

الأُسْتَاذِ عَلَى الْعَتَبِ رِعَايَةً لِلنَّسَبِ(١). فَغَضِبَ ابْنُ الْبَوَّابِ وَقَالَ: لَوْ أَنَّ إِلَيَّ أَمْرًا مَا مَكَّنْتُكَ مِنْ دُخُولِ هَذِهِ الدَّارِ. فَقَالَ الْبَتِّيُّ: لَا يَتْرُكُ الْأُسْتَاذُ صَنْعَةَ الْوَالِدِ بِحَالٍ. وَلِبَعْضِهِمْ يَهْجُو ابْنَ الْبَوَّابِ:

مَاذَا رَأَيْتُمْ مِنَ النَّسَّاخِ مُتَّخِذًا
سِبَالَ لِصٍّ عَلَى عُثْنُونِ(٢) مُحْتَالِ؟
هَذَا وَأَنْتَ ابْنُ بَوَّابٍ وَذُو عَدَمٍ
فَكَيْفَ لَوْ كُنْتَ رَبَّ الدَّارِ وَالْمَالِ؟

وَكَانَ ابْنُ الْبَوَّابِ يَقُولُ شِعْرًا لَيِّنًا. « وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ الْجُوَيْنِيِّ أَيْضًا قَالَ: وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ أَيْضًا فِي ضِمْنِ رِسَالَةٍ » مِنْهُ:

وَلَوَ اَنِّي أَهْدَيْتُ مَا هُوَ فَرْضٌ
لِلرَّئِيسِ الْأَجَلِّ مِنْ أَمْثَالِي
لَنَظَمْتُ النُّجُومَ عِقْدًا إِذَا رَصْـ
ـصَعَ غَيْرِي جَوَاهِرًا بِلَآلِي
ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَيْهِ وَأَقْرَرْ
تُ بِعَجْزِي فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ قَدْرَكَ يَعْلُو
عَنْ نَظِيرٍ وَمُشْبِهٍ وَمِثَالِ

(١) يشير إلى أن أباه كان بواباً (٢) العثنون: اللحية

فَتَفَاءَلْتُ فِي الْهَدِيَّةِ بِالْأَقْـ ـلَامِ عِلْماً مِنِّي بِصِدْقِ الْفَالِ
فَاعْتَقِدْهَا مَفَاتِحَ الشَّرْقِ وَالْغَرْ
بِ سَرِيعاً وَالسَّهْلِ وَالْأَجْبَالِ
فَهِيَ تَسْتَنُّ إِنْ جَرَيْنَ عَلَى الْقِرْ
طَاسِ بَيْنَ الْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ
فَاخْتَبِرْهَا مُوَقِّعاً بِرُسُومِ الْـ ـبِرِّ وَالْمَكْرُمَاتِ وَالْإِفْضَالِ
وَاحْظَ بِالْمِهْرَجَانِ وَابْلِ جَدِيدَ الدْ
دَهْرِ فِي نِعْمَةٍ بِغَيْرِ زَوَالِ
وَابْقَ لِلْمَجْدِ صَاعِدَ الْجَدِّ عِزًّا
وَالرَّئِيسَ الْأَجَلَّ نَجْمَ الْمَعَالِي
فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ تَدَعُ الْـ ـحَاسِدَ مِنْهَا مُقَطَّعَ الْأَوْصَالِ
عَضَّدَتْهَا السُّعُودُ وَاسْتَوْطَنَ الْإِقْـ
ـبَالُ فِيهَا وَسَالَمَتْهَا اللَّيَالِي
أَيُّهَا الْمَاجِدُ الْكَرِيمُ الَّذِي يَبْـ
ـدَأُ بِالْعَارِفَاتِ قَبْلَ السُّؤَالِ
إِنَّ آلَاءَكَ الْجَزِيلَةَ عِنْدِي شَرَعَتْ لِي طَرِيقَةً فِي الْمَقَالِ

أَمَّنَتْنِي لَدَيْكَ مِنْ هُجْنَةِ الرَّ
رَدِّ وَفَرْطِ الْإِضْجَارِ وَالْإِمْلَالِ
وَحُقُوقُ الْعَبِيدِ فَرْضٌ عَلَى السَّ
سَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ لِلْمَعَالِي
وَحَيَاةُ الثَّنَاءِ تَبْقَى عَلَى الدَّهْ
رِ إِذَا مَا انْقَضَتْ حَيَاةُ الْمَالِ

وَكَانَ تَحْتَ هَذَا الشِّعْرِ بِخَطِّ الْجُوَيْنِيِّ مَا صُورَتُهُ : هَذَا شِعْرُ ابْنِ الْبَوَّابِ ، وَهُوَ عَوْرَةٌ سَتَرَهَا ذَلِكَ الْخَطُّ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْإِجْمَاعَ وَاقِعٌ فِي أَنَّ الرَّجُلَ يُفْتَنُ بِشِعْرِهِ وَوَلَدِهِ ، لَكَانَ صَاحِبُ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ يَرْتَفِعُ عَنْ هَذِهِ النَّقِيصَةِ[1]. وَكَتَبَ تِلْمِيذُهُ حَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ الْجُوَيْنِيُّ : وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِمَّنْ يُزْرِي عَلَى ذَلِكَ الشِّعْرِ وَهُوَ الْقَائِلُ : وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ فَقَالَ : كَتَبْتُ إِلَى الْمَوْلَى الْقَاضِي الْأَجَلِّ شَرَفِ الدِّينِ السَّدِيدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ — أَمْتَعَ اللهُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا بِبَقَائِهِ — وَقَدْ أَبْلَلْتُ مِنْ مَرْضَةٍ صَعْبَةٍ :

عَبْدَ الْإِلَهِ السَّدِيدَ حَقًّا ... بِغَيْرِ زُورٍ وَغَيْرِ مَيْنِ
يَا شَرَفَ الدِّينِ يَا فَرِيدًا ... شُرِّفَ بِالْفَضْلِ دَوْلَتَيْنِ

(١) يريد بالفضيلة الخط ، وبالنقيصة شعره «عبد الخالق»

يَا تَاجَ فَخْرِي وَكَنْزَ فَقْرِي وَيَا مُعِينِي وَنُورَ عَيْنِي

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي أَسًى وَأَمْضِي

وَكِدْتَ تَبْقَى بِلَا جُوَيْنِي

وَكَتَبَ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُوَيْنِيُّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ـ عَمَّرَهَا اللهُ تَعَالَى بِدَوَامِ الْعِزِّ ـ : وَقَالَ الْمَعَرِّيُّ وَضَرَبَ عَلِيَّ بْنَ هِلَالٍ مَثَلًا :

طَرِبْتُ لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهْنًا مَا لَهُنَّ وَمَالِي ؟

فَيَا بَرْقُ لَيْسَ الْكَرْخُ دَارِي وَإِنَّمَا

رَمَى بِي إِلَيْهِ الدَّهْرُ مُنْذُ لَيَالِي

فَهَلْ فِيكَ مِنْ مَاءِ الْمَعَرَّةِ نَغْبَةٌ(١)

تُغِيثُ بِهَا ظَمْآنَ لَيْسَ بِسَالِي ؟

وَلَاحَ هِلَالٌ مِثْلُ نُونٍ أَجَادَهَا

بِمَاءِ النُّضَارِ الْكَاتِبُ ابْنُ هِلَالِ

وَمِنْهَا :

إِذَا لَاحَ إِيمَاضٌ سَتَرْتُ وُجُوهَهَا

كَأَنِّي عَمْرٌو وَالْمَطِيُّ سَعَالِي

(١) أي جرعة

هَذَا بَيْتٌ مُشْكِلُ التَّفْسِيرِ بَعِيدُ الْمَرْمَى ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرَو أبْنَ تَمِيمِ بْنِ مُرِّ بْنِ أُدِّ بْنِ طَابِخَةَ وَلَدَ الْعَنْبَرَ وَالْهُجَيْمَ وَمَازِنَ[1] ، تَقُولُ الْعَرَبُ : إِنَّ هؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ الثَّلَاثَةَ أُمُّهُمُ السِّعْلَاةُ وَهِيَ الْغُولَةُ ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ تَمِيمٍ تَزَوَّجَهَا فَوَلَدَتْ لَهُ هؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ . وَيَقُولُونَ: إِنَّ السِّعْلَاةَ إِذَا رَأَتِ الْبَرْقَ طَلَبَتْهُ ، وَكَانَ عَمْرٌو يَحْفَظُهَا مِنَ الْبَرْقِ إِذَا لَاحَ فَيُغَطِّي وَجْهَهَا ، فَغَفَلَ عَنْهَا مَرَّةً فَلَاحَ الْبَرْقُ فَطَلَبَتْهُ وَقَالَتْ : يَا عَمْرُو أُوصِيكَ بِوَلَدِكَ خَيْراً ، وَمَضَتْ وَلَمْ تَعُدْ إِلَيْهِ ، فَهَذَا مَعْنَى بَيْتِ الْمَعَرِّيِّ ، وَقَدْ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَيْضاً مَثَلًا ، فَقَالَ يَمْدَحُ رَجُلًا يُعْرَفُ بِابْنِ بَدْرٍ بِجَوْدَةِ الْخَطِّ فَقَالَ :

يَا ابْنَ بَدْرٍ عَلَوْتَ فِي الْخَطِّ قَدْراً
حِينَمَا قَايَسُوكَ بِابْنِ هِلَالِ
ذَاكَ يَحْكِى أَبَاهُ فِي النَّقْصِ لَمَّا
جِئْتَ تَحْكِي أَبَاكَ عِنْدَ الْكَمَالِ

قَرَأْتُ بِخَطِّ سَلَامَةَ بْنِ عِيَاضٍ : رَأَيْتُ بِالرَّيِّ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ

(١) مازن ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، إذ المراد بها القبيلة «عبد الخالق»

هِلَالٍ كِتَابَ مَنْ نُسِبَ مِنَ الشُّعَرَاءِ إِلَى أُمِّهِ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَهُمْ خَمْسُونَ شَاعِراً ، وَعَلَى ظَهْرِهِ « كَتَبَهُ عَلِيُّ بْنُ هِلَالٍ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ » وَبَعْدَ الْبَسْمَلَةِ : « يَرْوِيهِ ابْنُ عَرَفَةَ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ » وَفِي آخِرِهِ بِخَطِّهِ : « نَقَلْتُهُ مِنْ نُسْخَةٍ وَجَدْتُ عَلَيْهَا بِخَطِّ شَيْخِنَا أَبِي الْفَتْحِ عُثْمَانَ بْنِ جِنِّيٍّ النَّحْوِيِّ — أَيَّدَهُ اللهُ — : بَلَغَ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ نَسْخاً مِنْ أَوَّلِهِ وَعَرْضاً » .

وَكَانَ لِابْنِ الْبَوَّابِ يَدٌ بَاسِطَةٌ فِي الْكِتَابَةِ أَعْنِي الْإِنْشَاءَ وَفَصَاحَةٌ وَبَرَاعَةٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ رِسَالَةٌ أَنْشَأَهَا فِي الْكِتَابَةِ وَكَتَبَهَا إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَنَقَلْتُهَا مِنْ خَطِّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُوَيْنِيِّ الْكَاتِبِ أَوَّلُهَا :

قَدِ افْتَتَحْتُ خِدْمَةَ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْجَلِيلِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ تَمْكِينَهُ وَقُدْرَتَهُ وَتَمْهِيدَهُ وَكَبَتَ عَدُوَّهُ — بِالْمِثَالِ الْمُقْتَرِنِ بِهَذِهِ الرُّقْعَةِ افْتِتَاحاً يَصْحَبُهُ الْعُذْرُ إِلَى جَلِيلِ حَضْرَتِهِ مِنْ ظُهُورِ التَّقْصِيرِ فِيهِ،وَالْخَلَلِ الْبَادِي لِمُتَأَمِّلِيهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ حُقُوقِ مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ أَنْ يُخْدَمَ بِالْغَايَاتِ الْمَرْضِيَّةِ مِنْ كُلِّ صِنَاعَةٍ ، تَأَدِّياً لِسُؤْدَدِهِ وَعَلَائِهِ، وَتَصَدِّياً لِلْفَوْزِ بِجَمِيلِ

رَأْيِهِ ، وَلَمْ يَعْدُ بِي عَنْ هٰذِهِ الْقَضِيَّةِ جَهْلٌ بِهَا ، وَقُصُورٌ عَنْ عِلْمِهَا ، لٰكِنِّي هَاجِرٌ لِهٰذِهِ الصِّنَاعَةِ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ هِجْرَةً قَدْ أَوْرَثَتْ يَدِي حُبْسَةً وَوَقْفَةً ، حَائِلَتَيْنِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّصَرُّفِ وَالِافْتِنَانِ وَالْوَفَاءِ بِشَرْطِ الْإِجَادَةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَلَا خَفَاءَ عَلَيْهِ — أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ — بِفَضْلِ الْحَاجَةِ مِمَّنْ تَعَاطَى هٰذِهِ الصِّنَاعَةَ إِلَى فَرْطِ التَّوَفُّرِ عَلَيْهَا ، وَالِانْصِرَافِ بِجُمْلَةِ الْعِنَايَةِ إِلَيْهَا ، وَالْكَلَفِ الشَّدِيدِ بِهَا ، وَالْوُلُوعِ الدَّائِمِ بِمُزَاوَلَتِهَا ، فَإِنَّهَا شَدِيدَةُ النِّفَارِ ، بَطِيئَةُ الِاسْتِقْرَارِ ، مُطْمِعَةُ الْخِدَاعِ ، وَشِيكَةُ النِّزَاعِ ، عَزِيزَةُ الْوَفَاءِ ، سَرِيعَةُ الْغَدْرِ وَالْجَفَاءِ ، نَوَارٌ[1] قَيْدُهَا الْأَعْمَالُ ، شَمُوسٌ قَهْرُهَا الْوِصَالُ ، لَا تَسْمَحُ بِبَعْضِهَا إِلَّا لِمَنْ آثَرَهَا بِجُمْلَتِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ ، وَوَقَفَ عَلَى تَأَلُّفِهَا سَائِرَ زَمَنِهِ ، وَاعْتَاضَهَا عَنْ خِلِّهِ وَسَكَنِهِ[2] ، وَلَا يُؤَيِّسُهُ حِيَادُهَا ، وَلَا يَغُرُّهُ انْقِيَادُهَا ، يُقَارِعُهَا بِالشَّهْوَةِ وَالنَّشَاطِ ، وَيُوَادِعُهَا عِنْدَ الْكَلَالِ وَالْمَلَالِ ، حَتَّى يَبْلُغَ مِنْهَا الْغَايَةَ الْقَصِيَّةَ ، وَيُدْرِكَ الْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ ، وَتَنْقَادَ الْأَنَامِلُ لِتَفْتِيحِ أَزْهَارِهَا ، وَجَلَاءِ أَنْوَارِهَا ، وَتَظْهَرَ الْحُرُوفُ مَوْصُولَةً

(١) بقرة نوار : تنفر من الفحل (٢) السكن : الزوجة

وَمَفصُولَةً، وَمُعَمَّاةً وَمُفتَّحَةً فِي أَحْسَنِ صِيَغِهَا، وَأَبْهَجِ خِلْقَتِهَا، مُنْخَرِطَةَ [١] الْمَحَاسِنِ فِي سِلْكِ نِظَامِهَا، مُتَسَاوِيَةَ الْأَجْزَاءِ فِي تَجَاوُرِهَا وَالْتِيَامِهَا، لَيِّنَةَ الْمَعَاطِفِ وَالْأَرْدَافِ، مُتَنَاسِبَةَ الْأَوْسَاطِ وَالْأَطْرَافِ، ظَاهِرُهَا وَقُورٌ سَاكِنٌ، وَمُفتَّشُهَا بَهِجٌ [٢] فَاتِنٌ، كَأَنَّمَا كَاتِبُهَا وَقَدْ أَرْسَلَ يَدَهُ وَحَثَّ بِهَا قَلَمَهُ، رَجَعَ فِيهَا فِكْرَهُ وَرَوِيَّتَهُ، وَوَقَفَ عَلَى تَهْذِيبِهَا قُدْرَتَهُ وَهِمَّتَهُ، الْقَلْبُ بِهَا فِي حِجْرِ نَاظِرِهِ، وَالْمَعْنَى بِهَا مَظْلُومٌ بِلَفْظِهِ، وَمَا ذَهَبْتُ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ مَذْهَبَ الْمُطْرِفِ الْمُغْرِبِ [٣] بِهَا، وَلَا الْمُعَوِّلِ عَلَى شَوَافِعِهَا [٤]، لَـكِنْ نَهَجْتُ بِهَا سَبِيلًا لِأَمْثَالِهَا إِقَامَةً لِرَسْمِ الْخِدْمَةِ الْمَفْرُوضَةِ لِلسَّادَةِ الْمُنْعِمِينَ عَلَى خَدَمِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ، فَإِنْ سَعِدَتْ بِنَفَاقِهَا عَلَيْهِ وَارْتِضَائِهَا لَدَيْهِ، سَلِمَتْ مِنْ وَصْمَةِ [٥] التَّضْجِيعِ وَالْإِهْمَالِ، وَهُجْنَةِ التَّقْصِيرِ فِي شُكْرِ الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ، وَلِسَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْجَلِيلِ ـ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ـ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ بِتَسَلُّمِ مَا خَدَمْتُ بِهِ، وَتَصْرِيفِهِ بَيْنَ عَالِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) منخرطة : منتظمة (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل « رهج »
(٣) المغرب : المجاوز الحد (٤) الشافع : المعين (٥) الوصمة : العيب

وَحَدَّثَ غَرْسُ النِّعْمَةِ مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ هِلَالٍ الصَّابِئُ فِي كِتَابِ الْهَفَوَاتِ قَالَ: كَانَ فِي الدِّيوَانِ كَاتِبٌ يُعْرَفُ بِأَبِي نَصْرِ بْنِ مَسْعُودٍ فَلَقِيَ يَوْمًا أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ ابْنَ هِلَالٍ الْبَوَّابَ الْكَاتِبَ ذَا الْخَطِّ الْمَلِيحِ فِي بَعْضِ الْمَمَرَّاتِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَهُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْبَوَّابِ: اللهَ اللهَ يَاسَيِّدِي مَا أَنَا وَهَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: لَوْ قَبَّلْتُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْكَ لَكَانَ قَلِيلًا. قَالَ: لِمَ؟ وَلِمَ ذَاكَ يَاسَيِّدِي؟ وَمَا الَّذِي أَوْجَبَهُ وَاقْتَضَاهُ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ تَفَرَّدْتَ بِأَشْيَاءَ مَا فِي بَغْدَادَ كُلِّهَا مَنْ يُشَارِكُكَ فِيهَا، مِنْهَا الْخَطُّ الْحَسَنُ وَأَنَّهُ لَمْ أَرَ مِنْ عُمُرِي كَاتِبًا مِنْ طَرَفِ عِمَامَتِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ غَيْرَكَ. فَضَحِكَ أَبُو الْحَسَنِ مِنْهُ وَجَزَاهُ خَيْرًا وَقَالَ لَهُ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَكْتُمَ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ عَلَيَّ وَلَا تُكْرِمْنِي لِأَجْلِهَا. قَالَ لَهُ: وَلِمَ تَكْتُمُ فَضَائِلَكَ وَمَنَاقِبَكَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَسْأَلُكَ هَذَا فَبَعْدَ جَهْدٍ مَا أَمْسَكَ، وَكَانَتْ لِحْيَةُ ابْنِ الْبَوَّابِ طَوِيلَةً جِدًّا.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَأَمَّا الشِّعْرُ الَّذِي رَثَاهُ بِهِ الْمُرْتَضَى فَهُوَ:

رُدِّيتَ[(١)] يَابْنَ هِلَالٍ وَالرَّدَى عَرَضٌ
لَمْ يُحْمَ مِنْهُ عَلَى سُخْطٍ لَهُ الْبَشَرُ
مَاضَرَّ فَقْدُكَ ؟ وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ
بِأَنَّ فَضْلَكَ فِيهِ الْأَنْجُمُ الزُّهُرُ ؟
أَغْنَيْتَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمِ
مِنَ الْمَحَاسِنِ مَالَمْ يُغْنِهِ الْمَطَرُ
فَلِلْقُلُوبِ الَّتِي أَبْهَجْتَهَا حَزَنٌ
وَلِلْعُيُونِ الَّتِي أَقْرَرْتَهَا سَهَرُ
وَمَا لِعَيْشٍ إِذَا وَدَّعْتَهُ أَرَجٌ
وَلَا لِلَيْلٍ إِذَا فَارَقْتَهُ سَحَرُ
وَمَا لَنَا بَعْدَ أَنْ أَضْحَتْ مَطَالِعُنَا
مَسْلُوبَةً مِنْكَ أَوْضَاحٌ وَلَا غُرَرُ

﴿ ٣٢ – عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِجُونْقَا * ﴾

علي بن الهيثم الكاتب

كَانَ أَحَدَ الْكُتَّابِ الْمُسْتَخْدَمِينَ فِي دِيوَانِ الْمَأْمُونِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، وَكَانَ فَاضِلًا أَدِيبًا كَثِيرَ الِاسْتِعْمَالِ

(١) رديت : هلكت .
(*) راجع بغية الوعاة

للتَّقعيرِ وَالْقَصْدِ لِعَوِيصِ اللُّغَةِ، حَتَّى قَالَ الْمَأْمُونُ فِيمَا حَدَّثَ بِهِ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

قَالَ الْمَأْمُونُ: أَنَا أَتَكَلَّمُ مَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَى سَجِيَّتِي إِلَّا عَلِيَّ بْنَ الْهَيْثَمِ فَإِنِّي أَتَحَفَّظُ إِذَا كَلَّمْتُهُ، لِأَنَّهُ يُغْرِقُ فِي الْإِغْرَابِ. وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الصُّولِيِّ فِي أَخْبَارِ شُعَرَاءِ مِصْرَ قَالَ: وَمِمَّنْ دَخَلَ مِصْرَ خَالِدُ بْنُ أَبَانَ الْكَاتِبُ الْأَنْبَارِيُّ أَخُو عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبَانَ، حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقَطَائِيُّ: أَنَّهُ شَخَصَ إِلَى مِصْرَ فَبَلَغَهُ اتِّسَاعُ حَالِ عَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حُرْمَةٌ وَكِيدَةٌ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ مِصْرَ بِشِعْرٍ طَوِيلٍ مِنْهُ وَكَتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ:

عَلَى الْخَالِقِ الْبَارِي تَوَكَّلْتُ إِنَّهُ
يَدُومُ إِذَا الدُّنْيَا أَبَادَتْ قُرُونَهَا
فِدَاؤُكَ نَفْسِي يَاعَلِيَّ بْنَ هَيْثَمٍ
إِذَا أَكَلَتْ عُجْفُ السِّنِينَ سَمِينَهَا (١)
رَمَيْتُكَ مِنْ مِصْرٍ بِأُمِّ قَلَائِدِي (٢)
تُزَانُ وَقَدْ أَقْسَمْتُ أَلَّا تُهِينَهَا

---

(١) عجف: جمع عجفاء: وهي الجدبة، وأصل العجف: الهزال، فشبه به الجدبه
(٢) يريد القصيدة التي بعث بها إليه، فجعل كل بيت قلادة يطوق بها عنقه

بِأَبْيَاتِ شِعْرٍ خُطَّ بِالتِّبْرِ وَشْيُهَا إِلَيْكَ وَقَدْ مَا حَالَ حَوْلَانِ دُونَهَا

وَيَذْكُرُ فِيهِ خَبَرَهُ مَعَ غُرَمَائِهِ وَالْقَاضِي ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سُفْتَجَةً (١) بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ فِي اسْتِعْمَالِهِ فَحَسُنَتْ حَالُهُ .

وَقَالَ الْجَهْشَيَارِيُّ : كَانَ لِخَالِدِ بْنِ أَبَانَ الْكَاتِبِ الْأَنْبَارِيِّ الشَّاعِرِ حُرْمَةٌ بِعَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ وَبِأَبِيهِ أَيَّامَ مُقَامِهِمْ بِالْأَنْبَارِ ، ثُمَّ شَخَصَ خَالِدُ بْنُ أَبَانَ إِلَى مِصْرَ وَتَزَوَّجَ بِهَا وَوُلِدَ لَهُ ، وَأَضَاقَ وَاخْتَلَّتْ حَالُهُ وَتَدَيَّنَ مِنَ التُّجَّارِ مَا أَنْفَقَهُ ، فَكَثُرَ غُرَمَاؤُهُ وَقَدَّمُوهُ إِلَى الْقَاضِي فَحَبَسَهُ ، ثُمَّ فَلَّسَهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَأَقَامَ بِمِصْرَ وَسَاءَتْ حَالُهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ عَظُمَ قَدْرُهُ ، وَتَقَلَّدَ دِيوَانَ الْخَرَاجِ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ لَمَّا اسْتَوْزَرَهُ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ وَارْتَفَعَ مَعَ الْمَأْمُونِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَصِيدَةً نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ بَيْتًا فِي رَقٍّ بِالذَّهَبِ وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ أَوَّلُهَا :

« عَلَى الْخَالِقِ الْبَارِي » الْأَبْيَاتُ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ

(١) السفتجة : أن تعطى إنسانا مالا فيعطيك كتابة عليه تتمكن بها من استرداد المال « وثيقة » أو « كمبيالة » أو ربما يكون صكا على أحد البنوك « شيك » « عبد الخالق »

إِلَى سُوقِ الدَّوَابِّ فَلَقِيَهُ نَخَّاسٌ(١) فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْحَاجَةُ أَنَاخَتْنَا بِعَقْوَتِكَ(٢)، أَرَدْتُ فَرَساً قَدِ انْتَهَى صَدْرُهُ، وَتَقَلْقَلَتْ عُرُوقُهُ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ، وَيَتَعَاهَدُنِي بِطَرْفِ عَيْنَيْهِ، وَيَتَشَوَّفُ بِرَأْسِهِ، وَيَعْقِدُ عُنُقَهُ(٣)، وَيَخْطُرُ بِذَنَبِهِ، وَيُنَاقِلُ(٤) بِرِجْلَيْهِ، حَسَنَ الْقَمِيصِ(٥) جَيِّدَ الْفُصُوصِ(٦) وَثِيقَ الْقَصَبِ(٧)، تَامَّ الْعَصَبِ، كَأَنَّهُ مَوْجُ لُجَّةٍ، أَوْ سَيْلُ حُدُورٍ. فَقَالَ لَهُ النَّخَّاسُ: هَكَذَا كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ: عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ التَّغْلَبِيُّ كَاتِبُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ كَانَ لَسِناً فَصِيحاً شَاعِراً، عَاتَبَهُ الْفَضْلُ يَوْماً عَلَى تَأَخُّرِهِ عَنْهُ وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ:

وَعَدَّنِي الْفَضْلُ رَخِيصاً جِدَّا ... فَعَقَّنِي وَازْوَرَّ(٨) عَنِّي صَدَّا
وَظَنَّ وَالظُّنُونُ قَدْ تَعَدَّى ... أَنِّي لَا أُصِيبُ مِنْهُ بِدَّا(٩)
أُعِدُّ مِنْهُ أَلْفَ بِدٍّ عَدَّا

---

(١) النخاس: بياع الدواب ودلالها (٢) العقوة: الساحة أو ماحول الدار
(٣) يعقد عنقه: كناية عن رفع رأسه دائما (٤) أى يسرع بنقلهما
(٥) أى حسن المشى بسرعة (٦) أى العينين (٧) أى متين عظم القوائم
(٨) أى استخف بى وأعرض عنى، وكانت فى هذا الأصل «وعدنى»: «وجدنى»
(٩) البد بالكسر: المثل والنظير، فهو يقول: إن الفضل تعدى فى الظن، وظن أنى لا أجد نظيراً له أنتفع منه، لقد أخطأ فانى أعد بدلا منه ألفاً.

وانصرف فلم يعمل للسلطان عملا . حدثنا محمد اليزيدي قال : شهدت المأمون وهو جالس على دكة[1] الشماسية، وعنده أحمد بن الجنيد الإسكافي وجماعة من الخاصة ، إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونقا ، فلما قرب منه قال : يا عدو الله يا فاسق يا لص يا خبيث سرقت الأموال وانتهبتها ، والله لأفرقن بين لحمك وعظمك ولأفعلن ، ثم سكن غضبه قليلا ، فقال أحمد بن الجنيد : نعم والله يا أمير المؤمنين ، إنه وإنه ولم يدع شيئا من المكروه إلا قاله فيه ، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه : يا أحمد ، ومتى اجترأت على هذه الجرأة ؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي ، أما إني سأؤدبك فأؤدب بك غيرك ، يا علي بن الهيثم ، قد صفحت عنك ووهبت لك كل ما كنت أقدر أن أطالبك به ، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال : لا يبرح ابن الجنيد الدار حتى يحمل إلى علي ابن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل ، فلم يبرح حتى حملها .

(١) الدكة : بناء يسطح ويسوى للجلوس عليه مأخوذ من الدكة : للرمل المستوى المسطح « عبد الخالق »

الجَهْشَيَارِيُّ: أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُؤْذَنَ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا وَأَنْ يَجْلِسُوا عَلَى مَرَاتِبِهِمُ الَّتِي كَانَتْ قَدِيمًا إِلَى أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيَأْمُرَ فِيهَا بِأَمْرِهِ فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِ الْعَرَبِ وَتَغَامَزَ الْكُتَّابُ عَلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ دَاوُدَ الْكَاتِبُ لِلْكُتَّابِ: أَطِيعُونِي وَقُومُوا مَعِي، فَمَضَوْا بِأَجْمَعِهِمْ مُسْتَقْبِلِينَ لِعُبَيْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا: لَنَا حَاجَةٌ، فَقَالَ: مَقْضِيَّةٌ، قَالُوا: تَجْلِسُ فِي مَجْلِسِنَا. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ: يُنْكِرُ ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالُوا: هِيَ حَاجَةٌ تَقْضِيهَا لَنَا وَنَحْتَمِلُ مَا يَنَالُكَ فِيهَا. قَالَ: أَفْعَلُ لِعِلْمِي بِمَوْقِعِ الْكُتَّابِ مِنْ قُلُوبِ السَّلَاطِينِ وَقُدْرَتِهِمْ عَلَى إِصْلَاحِ قُلُوبِهِمْ إِذَا فَسَدَتْ، وَإِفْسَادِهَا إِذَا صَلَحَتْ، وَمَالَ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. وَكَتَبَ صَاحِبُ الْمَرَاتِبِ إِلَى الْمَأْمُونِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي جَلَسَ فِيهِ عُبَيْدُ اللهِ أَنْكَرَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ: مَا هَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي جَلَسْتَ فِيهِ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ لِلرَّسُولِ: بَلِّغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنَّا السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: خَدَمُكَ وَعَبِيدُكَ الْكُتَّابُ يَقُولُونَ: الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ مَوْجُودَانِ عِنْدَكَ وَعِنْدَ أَهْلِكَ، أَخَذْتُمْ مِنَّا رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ

النَّبَطِ[١] فَأَخَذْنَا مَكَانَهُ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِكَ ، ذَلِكَ عَلِيُّ ابْنُ الْهَيْثَمِ جَالِسٌ مَعَ الْعَرَبِ ، فَرُدُّوا عَلَيْنَا رَجُلَنَا وَخُذُوا رَجُلَكُمْ ، فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ فِي دَارِهِ وَتَشَوَّسَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ وَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : لَقَدْ مُنِيَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بِبَلَاءٍ عَظِيمٍ ، وَكَانَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ الْخُزَيْمِيُّ قَدْ أُغْرِيَ بِهِجَاءِ عَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ الْأَنْبَارِيِّ الْكَاتِبِ ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ وَقَعَ لِأَبِي يَعْقُوبَ عِنْدَهُ مِيرَاثٌ فَدَافَعَهُ فَهَجَاهُ ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ مُتَشَدِّقًا مُتَفَيْهِقًا يَدَّعِي الْعَرَبِيَّةَ وَيَقُولُ : إِنَّهُ تَغْلَبِيٌّ وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا أَنْقُورِيَا ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْخُزَيْمِيُّ :

أَنْقُورِيَا قَرْيَةٌ مُبَارَكَةٌ   تَقْلِبُ فَخَّارَهَا إِلَى الذَّهَبِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَبَّاسِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ الْهَيْثَمِ جُونَقَا ، وَقَدْ حَضَرَهُ مَنَارَةُ صَاحِبُ الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ : يَا مَنَارَةُ اسْتَلَبْتَ[٢] لَوْطِي . فَقَالَ : ـ أَصْلَحَكَ اللهُ ـ مَا ظَنَنْتُكَ تَتَلَقَّانِي بِمِثْلِ هَذَا ؟ شَيْخٌ مِثْلِي يَلْعَبُ بِالصِّبْيَانِ ، فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ ، « اللَّوْطُ : الْإِزَارُ . كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ لَمْ تُحْسِنْ

(١) النبط : قوم من العجم (٢) استلبت : اختلست

عِشْرَتِي وَأَنَّكَ أَخَذْتَ ثِيَابِي » . وَذَكَرَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِّيسِيِّ قَالَ : حَضَرْتُ الْمَأْمُونَ أَنَا وَثُمَامَةُ وَمُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ الطُّوسِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ فَتَنَاظَرُوا فِي التَّشَيُّعِ ، فَنَصَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ مَذْهَبَ الْإِمَامِيَّةِ ، وَنَصَرَ عَلِيُّ ابْنُ الْهَيْثَمِ مَذْهَبَ الزَّيْدِيَّةِ ، وَشَرِقَ[1] الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا ، إِلَى أَنْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ لِعَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ : يَا نَبَطِيُّ مَا أَنْتَ وَالْكَلَامَ ؟ فَقَالَ الْمَأْمُونُ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ : الشَّتْمُ عِيٌّ وَالْبَذَاءُ لُؤْمٌ ، وَقَدْ أَبَحْنَا الْكَلَامَ وَأَظْهَرْنَا الْمَقَالَاتِ ، فَمَنْ قَالَ بِالْحَقِّ حَمِدْنَاهُ ، وَمَنْ جَهِلَ وَقَفْنَاهُ ، وَمَنْ ذَهَبَ عَنِ الْأَمْرِ حَكَمْنَا فِيهِ بِمَا يَجِبُ ، فَاجْعَلَا بَيْنَكُمَا أَصْلًا ، فَإِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْفُرُوعِ ، فَإِذَا افْتَرَعْتُمَا شَيْئًا رَجَعْتُمَا إِلَى الْأُصُولِ ، ثُمَّ عَادَا إِلَى الْمُنَاظَرَةِ فَأَعَادَ مُحَمَّدُ ابْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ لِعَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ لَوْلَا جَلَالَةُ الْمَجْلِسِ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ مِنْ رَأْفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ قَدْ نَهَانَا لَأَعْرَقْتُ جَبِينَكَ ، وَحَسْبُنَا مِنْ جَهْلِكَ غَسْلُكَ الْمِنْبَرَ بِالْمَدِينَةِ . فَاسْتَشَاطَ الْمَأْمُونُ غَضَبًا

(١) شرق الأمر بينهما : بعد واتسع الخلاف

عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ، فعَاذَ بِطَاهِرٍ حَتَّى شفَعَ فِيهِ، فرَضِيَ عَنْهُ. مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ بْنِ مُخَلَّدِ بْنِ أَبَانَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَدْخَلَنِي أَبِي مُخَلَّدُ بْنُ أَبَانَ مَعَ الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْجُنَيْدِ، وَكَانَ مُخَلَّدٌ وَأَحْمَدُ مُتَوَاخِيَيْنِ فِي شِرَاءِ غَلَّاتِ السَّوَادِ، فَأَشْرَفْنَا عَلَى رِبْحِ عَشَرَةِ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ اتَّضَعَ السِّعْرُ فَحَصَلَ عَلَيْنَا وَضِيعَةُ سِتَّةِ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَطُولِبْنَا بِهَا أَشَدَّ مُطَالَبَةٍ، وَاشْتَدَّ كُتَّابُ الْمَأْمُونِ عَلَيْنَا فِيهَا، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَسْتَاكُ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ سَاعَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ. فَدَعَانِي الْمَأْمُونُ يَوْماً وَهُوَ يَسْتَاكُ وَكَلَّمَنِي بِشَيْءٍ ثُمَّ قَالَ لِي: مَا مَعْنَى قَوْلِ الْخُزَيْمِيِّ فِي عَلِيِّ بْنِ الْهَيْثَمِ؟ فَدَبْنَقَا لِذَاكَ الْحَدِيثِ دَبْنَقَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا أَتَكَلَّمُ بِالنَّبَطِيَّةِ وَلَا أَعْلَمُ مَا مَعْنَى هَذَا، وَأَحْمَدُ بْنُ الْجُنَيْدِ أَرْطَنُ بِهَا مِنِّي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِمِسْوَاكِهِ أَنِ انْصَرِفْ فَانْصَرَفْتُ، فَمَا بَلَغْتُ السِّتْرَ حَتَّى لَقِيَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْجُنَيْدِ دَاخِلاً وَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الدَّارِ قَبْلِي انْتَظَرَنِي، وَإِذَا خَرَجْتُ قَبْلَهُ انْتَظَرْتُهُ، فَوَقَفْتُ مُنْتَظِراً لَهُ فَإِذَا بِهِ قَدْ خَرَجَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا كَانَ خَبَرُكَ؟ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ تَوْقِيعَ الْمَأْمُونِ

بخطِّه بتركِ ما كُنَّا نُطَالَبُ بِهِ مِنَ السِّتَّةِ آلَافِ أَلْفٍ[1] عَنِ ابْنِي وَابْنِهِ . وَقَالَ : قَالَ لِي : مَا مَعْنَى قَوْلِ الْخُزَيْمِيِّ فَدَبْنَقًا لِذَا الْحَدِيثِ دَبْنَقًا؟ فَقُلْتُ : ضَرْطًا لِذَا الْحَدِيثِ . فَضَحِكَ وَقَالَ لِي : إِنِّي سَأَلْتُ مُخَلَّدًا عَنْهَا فَلَمْ يَعْرِفْهَا فَاسْأَلْ حَاجَةً . فَقُلْتُ : ابْتَاعَ ابْنِي وَابْنُ مُخَلَّدٍ غَلَّاتِ السَّوَادِ وَقَدَّرْنَا لِلرِّبْحِ فَخَسِرْنَا سِتَّةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَلَا حِيلَةَ لَنَا فِيهَا وَضَيْعَتِي بِجَلُولَا تُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَيَأْمُرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْذِهَا عَنِ ابْنِ مُخَلَّدٍ وَتَسْبِيبِ مَا عَلَى ابْنِي عَلَيَّ لِأَحْتَالَ لَهُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ، تَبْذُلُ نَفْسَكَ وَضَيْعَتَكَ عَنِ ابْنِ مُخَلَّدٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، أَنَا غَرَّرْتُهُ وَأَمَّلْتُ الرِّبْحَ وَمَنَعْتُهُ أَنْ يَعْقِدَهُ عَلَى التُّجَّارِ وَيَتَعَجَّلَ فَضْلَهُ ، وَقَدْ كَانُوا بَذَلُوا لَنَا فِيهِ رِبْحًا كَبِيرًا . فَقَالَ لِي : أَيُّ نَبَطِيٍّ أَنْتَ ؟ هَاتِ الدَّوَاةَ ، فَقَدَّمْتُهَا إِلَيْهِ فَوَقَّعَ بِإِبْرَائِنَا جَمِيعًا مِنَ الْمَالِ وَتَرْكِ ضَيْعَتِي عَلَيَّ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا : بِبَابِي رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا أُرِيدُ أَنْ أَضَعَهُ وَهُوَ يَرْفَعُ نَفْسَهُ ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْثَمِ ، وَالْآخَرُ أُرِيدُ أَنْ أَرْفَعَهُ وَهُوَ يَضَعُ نَفْسَهُ ، وَهُوَ الْفَضْلُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ .

---

(١) صواب التعبير من ستة آلاف الألف

﴿ ٣٣ – عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُنَجِّمِ * ﴾

علي بن يحيى المنجم

أَبُو الْحَسَنِ. كَانَ أَبُوهُ يَحْيَى أَوَّلَ مَنْ خَدَمَ مِنْ آلِ الْمُنَجِّمِ، وَأَوَّلَ مَنْ خَدَمَ الْمَأْمُونَ وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ، وَنَادَمَ ابْنُهُ عَلِيٌّ هَذَا الْمُتَوَكِّلَ، وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّهِ وَنُدَمَائِهِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ عِنْدَهُ، وَخُصَّ بِهِ وَبِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ، وَكَانَ شَاعِراً رَاوِيَةً عَلَّامَةً أَخْبَارِيًّا. مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَدُفِنَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ. وَأَخَذَ أَبُو الْحَسَنِ هَذَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ: إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَشَاهَدَهُ، وَكَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيِ الْخُلَفَاءِ وَيَأْمَنُونَهُ عَلَى أَسْرَارِهِمْ، وَكَانَ حَسَنَ الْمُرُوءَةِ مُمَدَّحاً فَاتَّصَلَ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُصْعَبِيِّ. ثُمَّ اتَّصَلَ بِالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وَعَمِلَ لَهُ خِزَانَةً نَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ كُتُبِهِ وَمِمَّا اسْتَكْتَبَهُ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَكْثَرَ (١)، مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ خِزَانَةُ حِكْمَةٍ قَطُّ، وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا: كِتَابُ الشُّعَرَاءِ الْقُدَمَاءِ وَالْإِسْلَامِيِّينَ، كِتَابُ أَخْبَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، كِتَابُ الطَّبِيخِ.

---

(١) أي أكثر مما نقل إليها من كتبه، وما التي بعد أفعل التفضيل نافية «عبد الخالق»

(*) راجع تاريخ بغداد جزء ١٢

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَي مُشْتَهِراً بِالْأَدَبِ كُلِّهِ مَائِلًا إِلَى أَهْلِهِ مُعْتَنِياً بِأُمُورِهِمْ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفاً لَهُمْ ، وَكَانَ يُوَصِّلُ كَثِيراً مِنْهُمْ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ ، وَيَسْتَخْرِجُ لَهُمْ مِنْهُمُ الصِّلَاتِ ، وَإِنْ جَرَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حِرْمَانٌ وَصَلَهُ مِنْ مَالِهِ .

وَكَانَ يَبْلُغُ مِنْ عِنَايَتِهِ بِهِمْ وَرَغْبَتِهِ فِي نَفْعِهِمْ أَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا أَهْدَى إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ عَنْهُمُ الْهَدَايَا الظَّرِيفَةَ الْمَلِيحَةَ لِيَسْتَخْرِجَ لَهُمْ بِذَلِكَ مَا يُحِبُّونَ .

قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَي قَالَ : قَدِمَ عَلَى أَبِي إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ ، فَأَوْصَلَ شِعْرَهُ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ فِيهِ ، فَاسْتَخْرَجَ لَهُ مِنْهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

أَضْحَى عَلِيُّ بْنُ يَحْيَي وَهُوَ مُشْتَهِرٌ
بِالصِّدْقِ فِي الْوَعْدِ وَالتَّصْدِيقِ فِي الْأَمَلِ
لَوْ زِيدَ بِالْجُودِ فِي رِزْقٍ وَفِي أَجَلٍ
لَزَادَ جُودُكَ فِي رِزْقِي وَفِي أَجَلِي

ثُمَّ وَصَلَهُ مِنْ مَالِهِ — لَمَّا عَزَمَ إِدْرِيسُ عَلَى الِانْصِرَافِ

إِلَى بَلَدِهِ – بِجُمْلَةٍ جَلِيلَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ إِدْرِيسُ مُقِيماً عِنْدَهُ فِي ضِيَافَتِهِ إِلَى وَقْتِ ٱرْتِحَالِهِ ، فَقَالَ إِدْرِيسُ عِنْدَ وَدَاعِهِ إِيَّاهُ :

مَا مَنْ دَعَوْتُ وَلَبَّانِي بِنَائِلِهِ
كَمَنْ دَعَوْتُ فَلَمْ يَسْمَعْ وَلَمْ يُجِبِ
إِنِّي وَجَدْتُ عَلِيًّا إِذْ نَزَلْتُ بِهِ
خَيْراً مِنَ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالذَّهَبِ

وَحَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمُنَجِّمِ فِي كِتَابِ الْأَمَالِي لَهُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو أَحْمَدَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ : وَفَدَ عَلَيَّ عَافِيَةُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ خَاقَانَ ٱبْنِ الْأَهْتَمِ السَّعْدِيُّ مِنَ الْبَصْرَةِ فَأَنْزَلْتُهُ عَلَيَّ وَأَحْسَنْتُ ضِيَافَتَهُ ، وَرَعَيْتُ لَهُ حُرْمَةَ الْأَدَبِ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ ، فَأَقَامَ مَعِي مُدَّةً فِي كِفَايَةٍ وَكَرَامَةٍ وَحُسْنِ ضِيَافَةٍ ، وَحَمَلْتُهُ عَلَى فَرَسٍ وَٱسْتَوْصَلْتُ لَهُ جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِي ، فَأَخَذْتُ لَهُ مِنْهُمْ مَا تَأَثَّثَ[1] بِهِ حَالُهُ وَأُصْلِحَ بِهِ شَأْنُهُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُهُ لِلْمُتَوَكِّلِ – رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ – وَوَصَفْتُ لَهُ أَدَبَهُ ، وَأَنَّ مَعَهُ ظَرْفاً يَصْلُحُ بِهِ لِمُجَالَسَتِهِ ، فَأَمَرَنِي بِإِحْضَارِهِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ فَوَصَلَهُ

(١) أي ثبت به حاله واستقر

وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقاً وَجَالَسَهُ ، فَمَكَثَ مُدَّةً عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ انْفَرَجَتِ الْحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَكَفَرَ مَا كَانَ مِنْ إِحْسَانِي إِلَيْهِ ، وَبَسَطَ لِسَانَهُ يَذْكُرُنِي بِمَا لَمْ أَسْتَحِقَّهُ مِنْهُ ، وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُغْرِيهِ بِي لِمَا رَأَى مِنْهُ ، فَيَضْحَكُ الْمُتَوَكِّلُ مِمَّا يَجْرِي ، وَيَجِيئُنِي ذَلِكَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : فَأَهْدَى فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ النَّوَارِيزِ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فَرَساً فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ فَاسْتَحْسَنَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ فَقَالَ : أَمَا تَرَى إِلَى هَذَا الْفَرَسِ الَّذِي أَهْدَاهُ عَافِيَةُ ، مَا أَحْسَنَهُ وَأَعْتَقَهُ (١) ؟! هَذَا خِلَافُ مَا يَصِفُهُ بِهِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى مِنْ صِغَرِ الْهِمَّةِ وَضِيقِ النَّفْسِ وَالْخَسَاسَةِ ، مَنْ تَبْلُغُ هِمَّتُهُ إِلَى أَنْ يُهْدِيَ مِثْلَ هَذَا الْفَرَسِ لَا يُوصَفُ بِالْخَسَاسَةِ وَلَا بِضِيقِ النَّفْسِ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَقْصِدُنِي بِالْكَلَامِ وَيُرِيدُ الْعَبَثَ بِي ، فَتَرَكْتُهُ حَتَّى أَطْنَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَبَلَغَ مِنْهُ مَا أَرَادَ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَيْسَ مَنْ أَهْدَى مِثْلَ هَذَا الْفَرَسِ عِنْدَكَ ذَا هِمَّةٍ وَقَدْرٍ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : قُلْتُ : فَأَبْعَدُهُمَّةً وَأَرْفَعُ قَدْراً مَنْ حَمَلَهُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ

(١) العتيق من الخيل : الأصيل الكريم

حَمَلَهُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ أَنَا حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَقَالَ : يَا عَافِيَةُ مَا يَقُولُ عَلِيٌّ ؟ قَالَ : فَقَالَ : صَدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ حَمَلَنِي عَلَيْهِ . قَالَ : فَانْكَسَرَ عَنِّي ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْفَتْحِ خَجِلًا فَسَرَيْتُ الْحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَافِيَةَ حَتَّى هَجَاهُ مَنْ كَانَ يَطُوفُ بِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، فَقَالَ فِيهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فَنَنٍ وَكُنْتُ أَدْخَلْتُهُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَجَالَسَهُ وَشَكَرَ لِي ذَلِكَ إِذْ كَفَرَهُ عَافِيَةُ :

سَتَعْلَمُ أَنَّ لُؤْمَ بَنِي تَمِيمٍ سَيَظْهَرُ مِنْهُ لِلنَّاسِ الْخَفِيُّ
وَمَا إِنْ ذَاكَ أَنَّكَ مِنْ تَمِيمٍ وَلَكِنْ رُبَّمَا جَرَّ الدَّعِيُّ

وَقَالَ فِيهِ أَبُو هِفَّانَ :

لَوْ كُنْتَ عَافِيَةً لَكُنْتَ مُحَبَّبًا
فِي الْعَالَمِينَ كَمَا تُحَبُّ الْعَافِيَهْ

وَقَالَ فِيهِ أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَاذُرِيُّ :

مَنْ رَآهُ فَقَدْ رَأَى عَرَبِيًّا مُدَلَّسَا
لَيْسَ يَدْرِي جَلِيسُهُ أَفَسَا أَمْ تَنَفَّسَا ؟

وَقَالَ فِيهِ أَبُو الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ :

أَبَا حَسَنٍ بِمَنْصِبِكَ الصَّمِيمِ أَتَأْذَنُ فِي السَّلَاحِ عَلَى التَّمِيمِي ؟

فَوَالرَّحْمَنِ لَوْلَا أَلْفُ سَوْطٍ لَفَارَقَ رُوحُهُ رَوْحَ النَّسِيمِ

وَهَجَاهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ فَقَالَ :

أَأَهْجُو تَمِيماً إِنْ تَعَرَّضَ مُلْصَقٌ
إِلَيْهَا دَعِيٌّ قَدْ نَفَتْهُ قُرُومُهَا ؟
فَآخُذُهَا طُرًّا بِذَنْبِ دَعِيِّهَا
فَأَيْنَ نُهَا قَوْمِي وَأَيْنَ حُلُومُهَا ؟؟
وَمَا فِي دَعِيِّ الْقَوْمِ ثَأْرٌ لِثَائِرٍ
وَلَمْ تَقْتَرِفْ ذَنْباً فَيُهْجَى صَمِيمُهَا
أَعَافِيَ إِنَّ اللُّؤْمَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ
وَشَرُّ خِلَالِ الْأَدْعِيَاءِ قَدِيمُهَا

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : وَتَوَقَّى بِهِ الْأَمْرُ فِي مُنَابَذَتِي إِلَى أَنِ ادَّعَى فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ بِحَضْرَةِ الْمُتَوَكِّلِ أَنَّهُ أَحْسَنُ مُرُوءَةً مِنِّي . فَقَالَ الْفَتْحُ : مِحْنَةُ هَذَا سَهْلَةٌ ، يُوَجِّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْزِلِهِمَا مَنْ يُحْضِرُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الطَّعَامِ حَاضِراً ، فَدَعَا الْمُتَوَكِّلُ بِقَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ وَقَالَ : امْضِ إِلَى مَنْزِلِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى فَانْظُرْ مَا تَجِدُ فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ حَاضِراً فَأَحْضِرْهُ ، وَامْنَعْهُمْ مِنْ أَنْ يَشْتَرُوا شَيْئاً أَوْ يَعْمَلُوهُ ، وَافْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ بِمَنْزِلِ عَافِيَةَ ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِ

عَلِيُّ بْنِ يَحْيَى فَوَجَدَ فِيهِ طَعَاماً عَتِيداً تَحْمِلَ جَوْنَةً[١] حَسَنَةً، وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِ عَافِيَةَ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ غَيْرَ سُفْرَةٍ خَلَقَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي مَجْلِسِهِ، فَأَمَرَ فَأُنْزِلَتْ فَوَجَدَ فِيهَا كِسَراً مِنْ خُبْزٍ خُشْكَارٍ[٢] وَمِلْحاً مِنْ مِلْحِ السُّوقِ، وَقِطْعَةَ جُبْنٍ يَابِسٍ، وَقِطْعَةً مِنْ سَمَكٍ مَالِحٍ، وَقَصْعَةً مَكْسُورَةً فِيهَا ذَلِكَ الْمَالِحُ، وَخِرْقَةً وَسِخَةً مُنْقَطِعَةً، تَحْمِلَ السُّفْرَةَ بِحَالِهَا وَصَارَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْجَوْنَةَ فَاسْتَحْسَنَهَا وَقَالَ لِلْفَتْحِ : أَمَا تَرَى مَا أَنْظَفَ هَذَا الطَّعَامَ وَأَحْسَنَهُ ؟! وَأَحْضَرَ السُّفْرَةَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا هُوَ الَّذِي وَجَدْتُهُ فِي مَنْزِلِ عَافِيَةَ .قَالَ : افْتَحُوهَا، فَفُتِحَتْ فَاسْتَقْذَرَ مَا رَأَى فِيهَا وَعَجِبَ مِنْهُ وَقَالَ : يَا فَتْحُ، أَظَنَنْتَ أَنَّ رَجُلاً يُجَالِسُنِي وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِعِدَّةِ صِلَاتٍ فَيَكُونُ هَذَا مِقْدَارَ مُرُوءَتِهِ ؟ فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَالَهُ عُذْرٌ، فَدَعَا بِخَادِمٍ مِنْ خَدَمِهِ وَقَالَ: امْضِ إِلَى عُبَيْدِاللهِ بْنِ يَحْيَى فَقُلْ لَهُ : أَخْرِجْ إِلَيَّ مَا وَصَلَ إِلَى عَافِيَةَ مِنْ مَالِي مِنْ رِزْقٍ وَصِلَةٍ مُنْذُ خَدَمَنِي إِلَى هَذَا الْوَقْتِ، فَمَضَى الْخَادِمُ فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ وَافَى بِرُقْعَةٍ مِنْ عُبَيْدِ اللهِ وَفِيهَا مَبْلَغُ

---

(١) الجونة بفتح الجيم : الخابية المطلية بالقار (٢) الخشكار : طعام يعمل من اللبن والسمن والسويق

مَاصَارَ إِلَى عَافِيَةَ، فَإِذَا هُوَ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: يَافَتْحُ، أَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَبَيَّنَ أَثَرُ النِّعْمَةِ عَلَى مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَالُ؟ مَا فِي هَذَا خَيْرٌ وَلَا يَصْلُحُ مِثْلُهُ لِمُجَالَسَتِي؟ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمُجَالَسَةِ وَأَمَرَ بِنَفْيِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَهِيَ بَلَدُهُ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجُهُ طَالَبَتْهُ صَاحِبَةُ الْمَنْزِلِ بِأُجْرَتِهِ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا بِبَقِيَّةِ مَالِهَا عَلَيْهِ حُبًّا(١) كَانَ فِي الدَّارِ خَلَقًا، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِابْنِ الْمُنَجِّمِ قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فَعَرَّفْتُهُ ذَلِكَ فَعَجِبَ مِنْهُ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمَرْأَةِ وَمَسْأَلَتِهَا فَأَخْبَرَتْ بِهِ، فَأَمَرَ لَهَا بِصِلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ فِي أَخْذِ الْحُبِّ وَإِنْفَاذِهِ مَعَ رَسُولٍ قَاصِدٍ خَلْفَ عَافِيَةَ يَلْحَقُهُ بِالْبَصْرَةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى صَاحِبِ الْمَعُونَةِ وَصَاحِبِ الصَّدَقَةِ وَالْخَرَاجِ وَالْقَاضِي وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ بِحُضُورِ الْجَامِعِ وَالتَّقَدُّمِ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْحُضُورِ وَإِحْضَارِ عَافِيَةَ وَتَسْلِيمِ الْحُبِّ إِلَيْهِ بِحَضْرَتِهِمْ وَإِشْهَادِهِمْ عَلَيْهِ وَتَعْرِيفِهِمْ مَا كَانَ مِنْ خَبَرِهِ مَعَ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةِ دَارِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَصَارَ بِهِ عَافِيَةُ شُهْرَةً فِي بَلَدِهِ.

---

(١) الحب: الجرة الضخمة أو الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة ذات العروتين وغطاؤها يدعى الكرامة ومنه المثل: « حبا وكرامة » كقولهم: كليهما وتمرا أى وزدني أى أعطى حبا وغطاءها « عبد الخالق »

وَحَدَّثَ هَارُونُ عَنْ عَمِّهِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى قَالَ : كُنْتُ أُنَادِمُ الْمُتَوَكِّلَ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي ، فَغَلَبَ عَلَيَّ النَّبِيذُ فَأَطْرَقْتُ كَالْمَهْمُومِ وَأَنَا مُنْتَصِبٌ قَالَ : فَدَعَا الْمُتَوَكِّلُ بِنَصْرٍ سَلْهَبٍ وَقَالَ : امْضِ إِلَى مَنْزِلِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى فَانْظُرْ مَا تَجِدُ فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ فَاحْمِلْهُ إِلَيَّ وَأَعْجِلْهُمْ غَايَةَ الْإِعْجَالِ وَلَا تَدَعْهُمْ يُهَيِّئُونَ شَيْئًا ، قَالَ : فَمَضَى نَصْرٌ فَامْتَثَلَ أَمْرَهُ وَحَمَلَ جُونَةً مَمْلُوءَةً مِنْ ضُرُوبِ الطَّعَامِ وَجَاءَ بِهَا إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَفُتِحَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَفَاحَتْ بِرَائِحَةٍ شَوَّقَتْهُ إِلَى الطَّعَامِ ، وَاسْتَحْسَنَ مَا رَأَى فِيهَا فَأَكَلَ مِنْهَا وَالْفَتْحُ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى مَا أَحْسَنَ هَذَا الطَّعَامَ وَمَا أَطْيَبَهُ وَأَنْظَفَهُ ؟! وَلَوْ كَانَ عَلِيٌّ أَعَدَّ هَذَا الْمِثْلِ مَا كَانَ مِنَّا مَا زَادَ عَلَى حُسْنِ هَذِهِ الْجُونَةِ وَطِيبِ مَا فِيهَا . قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ : هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدُلُّ عَلَى مُرُوءَتِهِ ، وَإِنَّهُ لَيَجِبُ أَنْ يُعَانَ عَلَيْهَا . قَالَ : فَصَاحَ بِي يَا عَلِيُّ ، فَقُمْتُ قَائِمًا وَقُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : تَعَالَ ، فَقَرُبْتُ مِنْهُ فَقَالَ انْظُرْ : إِلَى هَذِهِ الْجُونَةِ وَمَا فِيهَا ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُ ؟ قُلْتُ : أَرَى طَعَامًا حَسَنًا . قَالَ : فَتَدْرِي مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَ قُلْتُ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : فَإِنَّهَا مِنْ مَنْزِلِكَ ، وَإِنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا

وَقَصَّ عَلَيَّ القِصَّةَ وَقَالَ : قَدْ وَاللهِ سَرَّنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ مُرُوءَتِكَ وَسُرُورِكَ، وَكَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ خَدَمَ الْمُلُوكَ، قَالَ لِي: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، قَالَ: أَنْتَ وَاللهِ تَسْتَحِقُّهَا وَمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهَا، وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ دَفْعِهَا إِلَيْكَ إِلَّا كَرَاهَةُ الشُّنْعَةِ وَأَنْ يُقَالَ: وَصَلَ جَلِيساً مِنْ جُلَسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَلَكِنِّي أُوَصِّلُهَا إِلَيْكَ مُتَفَرِّقَةً وَأُضَمِّنُ فَتْحاً إِذْكَارِي بِذَلِكَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَهَا، وَقَدْ وَصَلْتُكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى غَيْرِ صَرْفٍ فَانْصَرِفْ بِهَا مَعَكَ . قَالَ : وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهَا فَأُحْضِرَتْ عَشْرُ بِدَرٍ وَحُمِلَتْ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُتَابِعُ لِي الصِّلَاتِ حَتَّى وَفَّانِي مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى: وَأَحْصَيْتُ مَا وَصَلَ إِلَيَّ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ مِنْ رِزْقٍ وَصِلَةٍ فَكَانَ مَبْلَغُهُ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ. قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ يَرْثِيهِ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّماً
وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
وَلَوِ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تُرَابَهُ
فَلَطَالَمَا عَنِّي حَمَلْتَ نَوَائِبِي

وَفِي كِتَابِ النُّورَيْنِ لِلْحُصَرِيِّ: وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُنَجِّمِ: « فَلا أَدْرِي أَهُوَ هذَا أَمْ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمُنَجِّمِ؟ »:

وَمِنْ طَاعَتِي إِيَّاهُ أَمْطَرَ نَاظِرِي
إِذَا هُوَ أَبْدَى مِنْ ثَنَايَاهُ لِي بَرْقَا
كَأَنَّ جُفُونِي تُبْصِرُ الْوَصْلَ هَارِباً
فَمِنْ أَجْلِ ذَا تَجْرِي[1] لِتُدْرِكَهُ سَبْقَا

وَلِعَلِيٍّ هذَا ابْنٌ يُكْنَى أَبَا عِيسَى وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، كَانَ أَدِيباً وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى يَرْثِي الْمَأْمُونَ وَيَمْدَحُ الْمُعْتَصِمَ:

مَنْ ذَا عَلَى الدَّهْرِ يُعْذِينِي فَقَدْ كَثُرَتْ
عِنْدِي جِنَايَتُهُ يَامَعْشَرَ النَّاسِ
أَخْنَى عَلَى الْمَلِكِ الْمَأْمُونِ كَلْكَلَهُ
فَصَارَ رَهْنَاً لِأَحْجَارٍ وَأَرْمَاسِ
قَدْ كَادَ[2] يَنْهَدُّ رُكْنُ الدِّينِ حِينَ ثَوَى
وَيَتْرُكُ النَّاسَ كَالْفَوْضَى بِلَا رَاسِ

(١) أي تفيض ماء خوف أن يهرب الوصل حتى تدركه
(٢) في الأصل « كان »

حَتَّى تَدَارَكَهُمْ بِاللهِ مُعْتَصِمٌ
خَيْرُ الْخَلَائِفِ مِنْ أَوْلَادِ عَبَّاسِ

وَدَخَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى وَقَدْ أُصِيبَ بِبَعْضِ أَهْلِهِ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بِبِرٍّ قَبْلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: بَلَغَنِي مُصَابُكَ، وَوَصَلَ إِلَيَّ ثَوَابُكَ، فَأَحْسَنَ اللهُ جَزَاءَكَ وَعَزَاءَكَ. قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي نَفْسِهِ:

عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى جَامِعٌ لِمَحَاسِنٍ
مِنَ الْعِلْمِ مَشْغُوفٌ بِكَسْبِ الْمَحَامِدِ
فَلَوْ قِيلَ: هَاتُوا فِيكُمُ الْيَوْمَ مِثْلَهُ
لَعَزَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجِيئُوا بِوَاحِدِ

وَلَهُ:

سَيَعْلَمُ دَهْرِي إِذْ تَنَكَّرَ أَنَّنِي
صَبُورٌ عَلَى نُكْرَانِهِ غَيْرُ جَازِعِ
وَأَنِّي أَسُوسُ النَّفْسَ فِي حَالِ عُسْرِهَا
سِيَاسَةَ رَاضٍ بِالْمَعِيشَةِ قَانِعِ
كَمَا كُنْتُ فِي حَالِ الْيَسَارِ أَسُوسُهَا
سِيَاسَةَ عَفٍّ فِي الْغِنَى مُتَوَاضِعِ

وَأَمْنَعُهَا الْوِرْدَ الَّذِى لَا يَلِيقُ بِي
وَإِنْ كُنْتُ ظَمْآنًا بَعِيدَ الشَّرَائِعِ (١)

وَلَهُ :

بِأَبِي وَاللهِ مَنْ طَرَقَا كَابْتِسَامِ الصُّبْحِ إِذْ خَفَقَا
زَادَنِي شَوْقًا بِرُؤْيَتِهِ وَحَشَا قَلْبِي بِهِ حُرَقَا
مَنْ لِقَلْبٍ هَائِمٍ كَلِفٍ كُلَّمَا سَكَّنْتُهُ قَلِقَا
زَارَنِي طَيْفُ الْحَبِيبِ فَمَا زَادَ أَنْ أَغْرَى بِيَ الْأَرَقَا

وَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ أَحَدُ شُعَرَاء الْعَسْكَرِ يَرْثِيهِ (٢) :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَاعَلِيُّ مُسَلِّمًا
وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
وَلَوِ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تُرَابَهُ
فَلَطَالَمَا عَنِّى حَمَلْتَ نَوَائِبِي
وَدَمِي فَلَوْ أَنِّى عَلِمْتُ بِأَنَّهُ
يَرْوِى ثَرَاكَ ـ سَقَاهُ ـ (٣) صَوْبُ الصَّائِبِ

(١) جمع شريعة : مورد الماء (٢) البيتان الأولان قد سبق ذكرهما منسوبين لابن بسام وبقية الأبيات تقدمت (٣) هذه الجملة دعائية معترضة

لَسَفَكْتُهُ أَسَفاً عَلَيْكَ وَحَسْرَةً
وَجَعَلْتُ ذَاكَ مَكَانَ دَمْعٍ سَاكِبِ
فَلَئِنْ ذَهَبْتَ بِمِلْءِ قَبْرِكَ سُؤْدَداً
لَجَمِيلُ مَا أَبْقَيْتَ لَيْسَ بِذَاهِبِ

وَحَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ فِي نِشْوَارِهِ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الْأَزْرَقُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ بِكَرْكَرَ مِنْ نَوَاحِي الْقُفْصِ ضَيْعَةٌ نَفِيسَةٌ لِعَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمُنَجِّمِ وَقَصْرٌ جَلِيلٌ فِيهِ خِزَانَةُ كُتُبٍ عَظِيمَةٌ يُسَمِّيهَا خِزَانَةَ الْحِكْمَةِ يَقْصِدُهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ فَيُقِيمُونَ فِيهَا وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا صُنُوفَ الْعِلْمِ ، وَالْكُتُبُ مَبْذُولَةٌ فِي ذَلِكَ لَهُمْ ، وَالصِّيَانَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَالنَّفَقَةُ فِي ذَلِكَ مِنْ مَالِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ، فَقَدِمَ أَبُو مَعْشَرٍ الْمُنَجِّمُ مِنْ خُرَاسَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ لَا يُحْسِنُ كَبِيرَ شَيْءٍ مِنَ النُّجُومِ ، فَوُصِفَتْ لَهُ الْخِزَانَةُ فَمَضَى وَرَآهَا فَهَالَهُ أَمْرُهَا ، فَأَقَامَ بِهَا وَأَضْرَبَ عَنِ الْحَجِّ وَتَعَلَّمَ فِيهَا عِلْمَ النُّجُومِ وَأَعْرَقَ فِيهِ حَتَّى أَلْحَدَ ، وَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِهِ بِالْحَجِّ وَبِالدِّينِ وَالْإِسْلَامِ أَيْضاً . وَذَكَرَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ :

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ : قَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِعَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُنَجِّمِ :

اهجُ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي الْجَنُوبِ . فقال : يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ مَرْوَانُ حتى أَهْجُوهُ ؟ قَالَ : مَرْوَانُ مولى بني أُمَيَّةَ ومولى القوم منهم ، وبعدُ : فإنهم بنو عمي وأنت العداوة بيننا ، فأنت من أنت ؟ قال : أنا مولاك يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : دعنا من هذا البرود ، اهجُ الرَّجُلَ وَإِلَّا أَمَرْتُهُ أَنْ يَهْجُوكَ . فوقف ساعة متفكراً فاندفع مَرْوَانُ يقول :

أَلَا إِنَّ يَحْيَى لَا يُقَاسُ إِلَى أَبِي
وَعِرْضُ عَلِيٍّ لَا يُقَاسُ إِلَى عِرْضِي
أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْبَاطِ أَكْثَرُ فَخْرِهِمْ
إِذَا فَخَرَ الْأَشْرَافُ بَعْضاً عَلَى بَعْضِ
تَنَحُّلَ أَصْلاً فِي الْمَجُوسِ وَدَعْوَةً
إِلَيْهِمْ نَفَاهَا مَنْ بِحُكْمِهِمِ يَقْضِي
أَبَى ذَاكَ آذَرْبَادُ فِيكُمْ فَأَنْتُمُ
مِنَ السَّفَلِ الْأَرْذَالِ وَالنَّبَطِ الْمَحْضِ
حَدِيثُكُمُ غَثٌّ وَقُرْبُكُمُ أَذًى
وَآدَابُكُمْ مَمْزُوجَةُ الْمَقْتِ بِالْبُغْضِ

تَسَوَّقْتُمُ عِنْدَ الإِمَامِ بِحُبِّهِ
وَسُوقُكُمُ عِنْدَ الرَّوَافِضِ بِالرَّفْضِ
مَتَى مَا تَعَاطَى المَجْدَ وَالفَخْرَ أَهْلُهُ
فَلَسْتُمْ مِنَ الإِبْرَامِ فِيهِ وَلَا النَّقْضِ
إِخَالُ عَلِيًّا مِنْ تَكَامُلِ مَقْتِهِ
يُطَاحِرُ وَجْهِي وَهُوَ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ (١)

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي الحَسَنِ يَحْيَى المُنَجِّمِ فِي أَيَّامِ المُعْتَمِدِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُهُ هَارُونُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ، رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ المُعْتَمِدَ وَهُوَ فِي دَارِهِ عَلَى سَرِيرِهِ إِذْ بَصُرَ بِي فَقَالَ: أَقْبِلْ عَلَيَّ يَا هَارُونُ، يَزْعُمُ أَبُوكَ أَنَّكَ تَقُولُ الشِّعْرَ فَأَنْشِدْنِي طَرِيدَ هَذَا البَيْتِ:

أَسَالَتْ عَلَى الخَدَّيْنِ دَمْعًا لَوَ انَّهُ
مِنَ الدُّرِّ عِقْدٌ كَانَ ذُخْرًا مِنَ الذُّخْرِ (٢)

(١) يقول: كأنى بعلى يمشى على حر وجهى عند ما يمشى على الأرض، وذلك من استحكام مقته إياى (٢) يريد لو أن دمعها عقد من الدر لكان أعظم ذخر، وأنا أظن أن البيت أصله هكذا:

أسالت على الخدين درا لو انه … من الدمع عقد كان ذخرا من الذخر

وهو حينئذ أجمل معنى «عبد الخالق»

فَلَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئاً وَاُنْتَبَهْتُ. قَالَ: فَرَجَفَ عَلَيْهِ عَلِيُّ ٱبْنُ يَحْيَى غَضَباً وَقَالَ: وَيْحَكَ؟ فَلِمَ لَمْ تَقُلْ؟:

فَلَمَّا دَنَا وَقْتُ الْفِرَاقِ وَفِي الْحَشَا
لِفُرْقَتِهَا لَذْعٌ أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ
أَسَالَتْ عَلَى الْخَدَّيْنِ دَمْعاً لَوَ ٱنَّهُ
مِنَ الدُّرِّ عِقْدٌ كَانَ ذُخْراً مِنَ الذُّخْرِ

قَالَ ٱبْنُ أَبِي طَاهِرٍ: فَانْصَرَفْنَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ حِفْظِ هَارُونَ لِمَا هَجَسَ فِي خَاطِرِهِ، وَلِمُبَادَرَةِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى وَسُرْعَتِهِ فِي الْقَوْلِ.

قَالَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ: حُدِّثْتُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَرَى عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُنَجِّمَ فَأَرَى صُورَتَهُ وَصِغَرَ خِلْقَتِهِ وَدِقَّةَ وَجْهِهِ وَصِغَرَ عَيْنَيْهِ وَأَسْمَعُ بِمَحَلِّهِ مِنَ الْوَاثِقِ وَالْمُتَوَكِّلِ، فَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقُولُ: بِأَيِّ سَبَبٍ يَسْتَظْرِفُهُ الْخَلِيفَةُ وَبِمَاذَا حَظِيَ عِنْدَهُ؟ وَالْقِرْدُ أَمْلَحُ مِنْهُ قَبَاحَةً. فَلَمَّا جَالَسْتُ الْمُتَوَكِّلَ رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى قَدْ دَخَلَ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي غَدَاةٍ مِنَ الْغَدَوَاتِ الَّتِي قَدْ سَهِرَ فِي لَيْلَتِهَا بِالشُّرْبِ وَهُوَ مَخْمُورٌ يَفُورُ حَرَارَةً يَسْتَثْقِلُ

لِكُلِّ أَمْرٍ يَخِفُّ دُونَ مَا يَثْقُلُ [١]، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ، أَمَا تَرَى إِقْبَالَ هَذَا الْيَوْمِ وَحُسْنَهُ وَإِطْبَاقَ الْغَيْمِ عَلَى شَمْسِهِ وَخُضْرَةَ هَذَا الْبُسْتَانِ وَرَوْنَقَهُ؟ وَهُوَ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْفُرْسُ وَتَشْرَبُ فِيهِ لِأَنَّهُ هُرْمُزْ رُوزٍ، وَتُعَظِّمُهُ غِلْمَانُكَ وَأَكَرَتُكَ مِثْلِي مِنَ الدَّهَاقِينَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ يَا سَيِّدِي أَنَّ الْقَمَرَ مَعَ الزُّهَرَةِ، فَهُوَ يَوْمُ شُرْبٍ وَسُرُورٍ وَتَجَلٍّ [٢] بِالْفَرَحِ، فَهَشَّ إِلَيْهِ وَقَالَ: وَيْلَكَ يَا عَلِيُّ، مَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي خُمَاراً. فَقَالَ: إِنْ دَعَا سَيِّدِي بِالسِّوَاكِ فَاسْتَعْمَلَهُ وَغَسَلَ بِمَاءِ الْوَرْدِ وَجْهَهُ، وَشَرِبَ شَرْبَةً مِنْ رُبِّ الْحِصْرِمِ [٣] أَوْ مِنْ مَتْنَةٍ [٤] مُطَيَّبَةٍ مُبَرَّدًا ذَلِكَ بِالثَّلْجِ انْحَلَّ كُلُّ مَا يَجِدُ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ كُلِّ مَا أَشَارَ بِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا سَيِّدِي، وَإِلَى أَنْ تَفْعَلَ ذَاكَ تَحْضُرُ عِجْلَانِيَّتَانِ [٥] بَيْنَ يَدَيْكَ مِمَّا يُلَائِمُ الْخُمَارَ وَيُفِيقُ [٦] الشَّهْوَةَ وَيُعِينُ عَلَى تَخْفِيفِهِ. فَقَالَ: أَحْضِرُوا عَلِيًّا كُلَّ مَا يُرِيدُ، فَأُحْضِرَتِ الْعِجْلَانِيَّتَانِ بَيْنَ

(١) أى فضلا عن استثقاله لما هو ثقيل (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل: « وتخل » (٣) الحصرم : الثمر قبل نضجه، وربه : عصيره (٤) المتنة : الدلو (٥) لعله يريد ما يتعجله الانسان من الطعام كالأقط والتمر باللبن فهى نسبة إلى عجلان وهو ما يتعجله الانسان أو أن ذلك نوع خاص من الطعام منسوب إلى عجلانية بلد بعمرو الديباج (٦) يفيق الشهوة : ينبهها ويوقظها

يَدَيْهِ وَفَرَارِيجُ (١) كَسْكَرَ قَدْ صُفِّفَتْ عَلَى أَطْبَاقِ الْخِلَافِ وَطَبِيخُ حُمَّاضِيَّةٍ وَحِصْرِمِيَّةٍ وَمَطْجَنَةٍ (٢) لَهَا مُرَيْقَةٌ ، فَلَمَّا فَاحَتْ رَوَائِحُ الْقُدُورِ هَشَّ لَهَا الْمُتَوَكِّلُ فَقَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ : أَذِقْنِي ، فَجَعَلَ يُذِيقُهُ مِنْ كُلِّ قِدْرٍ بِجَرْفٍ يَشْرَبُ بِهَا ، فَهَشَّ إِلَى الطَّعَامِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . فَالْتَفَتَ عَلِيٌّ إِلَى صَاحِبِ الشَّرَابِ فَقَالَ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَارَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَرَابٌ رَيْحَانِيٌّ وَيُزَادَ فِي مِزَاجِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الشُّرْبِ فَيُهَنِّئَهُ اللهُ إِيَّاهُ إِنْ شَاءَ اللهُ . قَالَ : فَلَمَّا أَكَلَ الْمُتَوَكِّلُ وَأَكَلْنَا نَهَضْنَا فَغَسَلْنَا أَيْدِينَا وَعُدْنَا إِلَى مَجَالِسِنَا وَغَنَّى الْمُغَنُّونَ ، فَجَعَلَ عَلِيٌّ يَقُولُ : هَذَا الصَّوْتُ لِفُلَانٍ ، وَالشِّعْرُ لِفُلَانٍ ، وَجَعَلَ يُغَنِّي مَعَهُمْ وَبَعْدَهُمْ غِنَاءً حَسَنًا إِلَى أَنْ قَرُبَ الزَّوَالُ ، فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : أَيْنَ نَحْنُ مِنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ فَأَخْرَجَ عَلِيٌّ أَسْطُرْلَابًا (٣) مِنْ فِضَّةٍ فِي خُفِّهِ ، فَقَاسَ الشَّمْسَ وَأَخْبَرَ عَنِ الِارْتِفَاعِ وَعَنِ الطَّالِعِ وَعَنِ الْوَقْتِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْظُمُ فِي عَيْنِي حَتَّى صَارَ كَالْجَبَلِ ، وَصَارَ

(١) فراريج : صغار الدجاج ، وكسكر : كورة واسعة تنسب إليها الفراريج الكسكريه والخلاف : شجر (٢) الحماضية : طبيخ نبات يسمى الحيض ، والحصرمية من الحصرم : وهو أول العنب ، والمطجنة : مايقلى فى الطاجن ، يريد : وأحضر ماطبخ من هذه الأصناف (٣) الأصطرلاب : آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب

مَقَابِحُ وَجْهِهِ مَحَاسِنَ، فَقُلْتُ: لِأَمْرٍ مَا قُدِّمْتَ، فِيكَ أَلْفُ خَصْلَةٍ: طَبِيبٌ وَمُضْحِكٌ، وَأَدِيبٌ وَجَلِيسٌ، وَحِذْقُ طَبَّاخٍ، وَتَصَرُّفُ مُغَنٍّ، وَفِكْرُ مُنَجِّمٍ، وَفِطْنَةُ شَاعِرٍ، مَا تَرَكْتَ شَيْئاً مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ إِلَّا مَلَكْتَهُ.

قَالَ جَحْظَةُ: وَحَدَّثَنِي زَرْزُورٌ غُلَامُ الْمُتَوَكِّلِ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُنَجِّمَ وَقَدْ أَمَرَهُ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ يُغَنِّيَهُ وَكُنْتُ جَالِساً إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ لِي: قَدْ وَقَعْتُ، وَإِنْ تَمَنَّعْتُ جَدَّ بِي حَتَّى أُغَنِّيَ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مَوْقِعٌ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى أَمْرِهِ وَسُرْعَةُ الطَّاعَةِ لَهُ أَصْوَبُ، اضْرِبْ عَلَيَّ فَضَرَبْتُ عَلَيْهِ وَغَنَّى:

زَارَ مِنْ سَلْمَى خَيَالٌ مَوْهِنَا ... حَبَّذَا ذَاكَ الْخَيَالُ الطَّارِقُ

جَادَ فِي النَّوْمِ بِمَا ضَنَّتْ بِهِ ... رُبَّمَا يَغْنَى بِذَاكَ الْعَاشِقُ

فَقَالَ زِهْ، أَجَدْتَ وَاللهِ يَا عَلِيُّ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: قَدْ فَرَّحْتُكَ يَاسَيِّدِي فَفَرِّحْنِي، فَدَعَاهُ وَحَبَاهُ(١) بِمَشَمَّةِ عَنْبَرٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي صِينِيَّةِ ذَهَبٍ عَلَيْهَا مِكَبَّةٌ مِنْهَا، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَتُخُوتِ ثِيَابٍ. فَقَالَ لِي: يَا أَبَا شَرِيكٍ، أُنَاصِفُكَ؟

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل: «وحياه»

فقلتُ : لا واللهِ ، لا قبلتُ من ذلك لا الكلَّ ولا النصفَ ، فبارك اللهُ لك[١] فيه .

قال جحظةُ : فحدثني عليُّ بن يحيى المنجّم قال : قلتُ مرةً - وقد أخذ مني النبيذُ بين يدي الواثق - لمن كان يسقيني : ويلك، أجهزتَ واللهِ عليَّ، سقيتني الكأسَ حيةً فألَّا قتلتها[٢] . فسمع الواثقُ فقال : لم يعدُ بك قولَ حسان :

إنَّ التي ناولتني فرددتها قُتِلت قُتِلتَ فهاتها لم تقتلِ

ألا تراه أنكر عليه مزجها ؟ قلتُ : حسانُ أعرابيٌّ لا يحسنُ شربَ الخمرِ ، وكان أيضاً يشربُها تغنُّماً[٣] لبُعدِ عهدِه بها ، ولكن أردتُ من ساقيَّ أن يأخذ بقولِ أفتى الخلقِ وأملحِهم أدباً وأعلمِهم بأدبِ الشربِ ، قال : ومن هو ؟ قلتُ : أبو نواس ، قال : حين يقولُ ماذا ؟ قلتُ : حين يقولُ :

لا تجعلِ الماءَ لها قاهراً ولا تُسلِّطها على مائِها

فقيل لي لمّا حضرتُ من الغدِ : إنَّ الواثقَ قال : للهِ درُّه ، ما أسرعَ جوابَه وأحسنَ انتزاعَه ، لكنه أخرجَ عربدتَه

(١) لم تكن كلمة « لك » في الأصل ، على أن الكلام يتم بدونها على طريق الإيجاز

(٢) يريد فهلا مزجتها بالماء (٣) التغنم : عد الشيء غنيمة ، وكأنه يريد : يشربها منتهزا الفرصة لا أنها عادة له .

كلّها على حسّانَ بنِ ثابتٍ، فلمّا حضرتُ بين يديهِ قالَ لي: هِيه[١] يا عليُّ سكرتَ أمسِ؟ فقلتُ يا سيّدي من شرب سكِر، ومن كانَ أمرُهُ إلى نفسهِ في نبيذهِ رفق، ومن كانَ أمرُهُ إلى غيرهِ خرِق[٢]. قالَ: فعربدتَ على حسّانَ وثلبتَهُ وما يستحقُّ ذلك، وإنّهُ لطَبٌّ بشربِ الكأسِ مدّاحٌ لشاربيها، أليسَ هوَ الّذي يصفُ ربيعةَ بنَ مُكرّمٍ؟ فبلغَ من ذلكَ أحسنَ ما يكونُ الفتى عليهِ بقولهِ:

نفرتْ قلوصي من حجارةِ حرّةٍ
بُنيتْ على طلقِ اليدينِ وهوبُ

لا تنفِري يا ناقُ منهُ فإنّهُ
شرّيبُ خمرٍ مسعرٌ لحروبِ

وهوَ أيضاً من المعدودينَ في وُصّافِ الخمرِ وشرّابِها، أليسَ هوَ القائلَ؟:

إذا ما الأشرباتُ ذُكِرْنَ يوماً
فهنّ لطيّبِ الرّاحِ الفداءُ

نُوَلّيها الملامةَ إذ ألمنا[٣]
إذا ما كانَ مغثٌ أو لحاءُ

(١) هيه: كلمة استزادة (٢) الخرق: الحمق والجهل (٣) ألام الرجل: أتى ما يلام عليه، والمغث: الشر والقتال، واللحاء: اللوم

وَنَشرَبُهَا فَتتْرُكُنَا مُلُوكًا   وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنَا[1] اللِّقَاءُ

وَيلَكَ، أَلَيسَ هُوَ الَّذِى يَقُولُ؟ :

وَمُمْسِكٍ بِصُدَاعِ الرَّأْسِ مِنْ سُكُرٍ
نَادَيْتُهُ وَهُوَ مَغْلُوبٌ فَفَدَّانِى
لَمَّا صَحَا وَتَرَاخَى الْعَيْشُ قُلْتُ لَهُ :
إِنَّ الْحَيَاةَ وَإِنَّ الْمَوْتَ سِيَّانِ
فَاشْرَبْ مِنَ الْخَمْرِ مَا وَاتَاكَ مَشْرَبُهُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ كُلَّ عَيْشٍ صَالِحٍ فَانِ

فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ حَضَرَكَ وَاللهِ يَا سَيِّدِى لَأَقَرَّ أَنَّكَ أَحفظُ لِعُيُونِ شِعْرِهِ مِنْهُ ، فَالْوَيْلُ لِجَلِيسِكَ ، بِمَاذَا يَنفُقُ عِنْدَكَ وَرِوَايَتُكَ هَذِهِ الرِّوَايَةُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا عَلِىُّ ، إِنَّمَا الْوَيْلُ لِجَلِيسِى إِذَا جَالَسَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا يُحْسِنُ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِى طَاهِرٍ : اجْتَمَعْنَا عِنْدَ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ يَحْيَى أَنَا وَأَبُو هِفَّانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَبْدِىُّ وَأَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ التَّمَّارُ عَلَى نَبِيذٍ فَقَالَ أَبُو هِفَّانَ :

(١) أى يزجرنا

وَقَائِلٍ إِذْ رَأَى عَزْبِي[(١)] عَنِ الطَّلَبِ :

أَنِهْتَ أَمْ نِلْتَ مَا تَرْجُو مِنَ النَّشَبِ ؟؟[(٢)]

قُلْتُ : ابْنُ يَحْيَى عَلِيٌّ قَدْ تَكَفَّلَ لِي

وَصَانَ عِرْضِي كَصَوْنِ الدِّينِ لِلْحَسَبِ

فَقَالَ التَّمَّارُ :

يُذْكِى[(٣)] لِزُوَّارِهِ نَاراً مُنَوَّرَةً

عَلَى يَفَاعٍ[(٤)] وَلَا يُذْكِى عَلَى صَبَبِ[(٥)]

مِنْ فَارِسَ الْخَيْرِ فِي أَبْيَاتِ مَمْلَكَةٍ

وَفِي الذَّوَائِبِ مِنْ جُرْثُومَةِ[(٦)] الْحَسَبِ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ : فَقُلْتُ :

لَهُ فَلَائِقُ[(٧)] لَمْ تُطْبَعْ عَلَى طَبَعٍ

وَنَائِلٌ[(٨)] وَصَلَتْ أَسْبَابُهُ سَبَبِي

كَالْغَيْثِ يُعْطِيكَ بَعْدَ الرِّيِّ وَابِلَهُ

وَلَيْسَ يُعْطِيكَ مَا يُعْطِيكَ عَنْ طَلَبِ

---

(١) عزبى : بعدى (٢) النشب : المال والعقار (٣) يذكى : يوقد
(٤) اليفاع : التلال المشرفة ، أو كل ما ارتفع من الأرض
(٥) الصبب : ما انحدر من الأرض (٦) ذوائب الشيء : أعاليه ،
والجرثومة : الأصل (٧) أى أمور عجيبة ، ورأيى أنها خلائق جمع خليقة
يريد : أخلاقا بريئة من الدنس (٨) النائل : العطية والمعروف « عبد الخالق »

قَالَ : فوَصلَهُمْ وَخلعَ عليهم وَحمَلَهُمْ . قَالَ عُبَيْدُ اللهِ :حَدَّثني أَبوأَحْمَدَ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى قَالَ:اتَّصلَ أَبي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ وَعلى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ بِخِدْمَتِهِ وَأَدَبِهِ وَافْتِنَانِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي كُلِّ مَا تَشْتَهِيهِ الْمُلُوكُ، وَكَانَ الْفَتْحُ ابْنُ خَاقَانَ هُوَ الَّذِي وَصَفَهُ لِلْمُتَوَكِّلِ ، وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ، لِأَنَّ أَبِي كَانَ مُتَصِلًا بِهِ وَشَدِيدَ الِاخْتِصَاصِ بِخِدْمَتِهِ، حَتَّى لَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَيَدُهُ فِي يَدِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ دَخَلَ عَلَى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ فَأَنْشَدَهُ يَمْدَحُهُ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

سَأَخْتَارُ مِنْ حُرِّ الْكَلَامِ قَصِيدَةً
لِفَتْحِ بْنِ خَاقَانٍ تَفُوقُ الْقَصَائِدَا
يَلَذُّ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاةِ نَشِيدُهَا
وَيُشْنَا (١) بِهَا مَنْ كَانَ لِلْفَتْحِ حَاسِدَا
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْفَتْحَ مُذْ كَانَ يَافِعاً (٢)
لَيَسْمُو إِلَى أَعْلَى ذُرَى الْمَجْدِ صَاعِدَا

(١) يشنا : من شنأ الرجل : أبغضه من عداوة وسوء خلق

(٢) يافع : أى غلام مناهز للبلوغ

قَرِيعُ(١) الْمَوَالِي سَادَ فِي خَمْسَ عَشْرَةً
مَوَالِي بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يُبْقِ وَاحِدَا
وَبَذَّهُمُ(٢) طُرًّا نَدًى وَشَجَاعَةً
فَأَلْقَوْا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ(٣) الْمَقَالِدَا

قَالَ : فَلَمْ أَرَ الْفَتْحَ اهْتَزَّ لِشَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ اهْتِزَازَهُ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَلَا سُرَّ بِأَحَدٍ قَدِمَ عَلَيْهِ سُرُورَهُ بِعَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ، ثُمَّ قَامَ الْفَتْحُ مِنْ فَوْرِهِ فَدَخَلَ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ فَعَرَّفَهُ مَكَانَهُ فَأَذِنَ لَهُ وَاسْتَجْلَسَهُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ نُخَلِعَ عَلَيْهِ خِلَعُ الْمُجَالَسَةِ ، فَكَانَ آنَسَ خَلْقِ اللهِ بِهِ وَأَغْلَبَهُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى الْفَتْحِ ، وَتَقَدَّمَ الْجُلَسَاءَ جَمِيعاً عِنْدَهُ وَوَثِقَ بِهِ حَتَّى عَزَمَ عَلَى إِدْخَالِهِ مَعَهُ إِلَى الْحُرَمِ إِذَا جَلَسَ مَعَهُنَّ . وَذَاكَ أَنَّهُ شَكَا إِلَى الْفَتْحِ أَنَّهُ إِذَا قَعَدَ مَعَ الْحُرَمِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَيَأْنَسُ بِهِ وَقَالَ : قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أُدْخِلَ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى فَأَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ : مَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ غَيْرُهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى فَقَالَ لِلْفَتْحِ : أَنَا قَدَّرْتُ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا بِكَ،فَوَكَّدْتَ عَلَيَّ الْأَمْرَ فِيهِ لَسْتُ أَفْعَلُ . فَقَالَ لَهُ الْفَتْحُ: إِنَّ هَذَا

---

(١) القريع : السيد الرئيس المختار من أهل عصره (٢) بذهم طراً : فاقهم وبذهم جيماً (٣) مذعنين : مطيعين خاضعين

الَّذِي نَدَبَكَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَنْزِلَةٌ لَيْسَ فَوْقَهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْخُصُوصِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ وَشَكَرْتُ تَفَضُّلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ فِيهِ، وَلَكِنْ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ يَسْمَعُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَسْمَعُهُ، ثُمَّ يَتَفَضَّلُ بِالْإِعْفَاءِ مِنْهُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّ النَّاسِ غَيْرَةً، وَأَنَّ النَّبِيذَ رُبَّمَا أَسْرَعَ إِلَيَّ، وَلَسْتُ آمَنُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَأَنْ يَنْسَى عِنْدَ غَلَبَةِ النَّبِيذِ مَا كَانَ مِنْهُ فَيَقُولَ: مَا يَصْنَعُ هَذَا مَعِي عِنْدَ حُرَمِي؟ فَيُعَجِّلَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ لَا يُسْتَدْرَكُ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا عَمَلٌ (١)، قَالَ: فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ: تَخَلَّصْتَ يَا عَلِيُّ مِنِّي بِأَلْطَفِ حِيلَةٍ، وَأَعْفَاهُ. قَالَ يَحْيَى: وَحَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ: يَا عَلِيُّ، لَكَ عِنْدِي ذَنْبٌ - قَالَ هَذَا وَنَحْنُ بِدِمَشْقَ - قَالَ: فَأَكْبَرْتُ ذَلِكَ وَقُمْتُ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُخْطِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا الذَّنْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَلَعَلَّهُ كَذِبُ كَاشِحٍ أَوْ بَغْيُ حَاسِدٍ، فَقَالَ: لَا خَيْرَ فِيمَنْ أَثِقُ بِهِ. قَالَ فَقُلْتُ: يَتَفَضَّلُ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَعْرِيفِي الذَّنْبَ، فَإِنْ كَانَ لِي عُذْرٌ اعْتَذَرْتُ، وَإِلَّا اعْتَرَفْتُ وَعُذْتُ بِعَفْوِ

(١) أى وقت أعمل فيه للخلاص

أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: أَتَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ وَتَسْأَلَ غَيْرِي؟ فَقُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بَخْتَيْشُوعُ (١) أَنَّكَ وَجَّهْتَ إِلَيْهِ وَاسْتَقْرَضْتَ مِنْهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَلِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ وَمَا ذَلِكَ، وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْأَلَنِي فَأَصِلَكَ؟ أَتَأْنَفُ مِنْ مَسْأَلَتِي؟ فَقُلْتُ: يَا أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا مَنَعَنِي ذَلِكَ، وَإِنَّ صِلَاتِ أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ مُتَتَابِعَةٌ عِنْدِي مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَلَكِنَّ بَخْتَيْشُوعَ مِمَّنْ آنَسُ بِهِ، فَاسْتَعَرْتُ مِنْهُ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِأَنَّ تَفَضُّلَ أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مُتَأَخِّرٍ عَنِّي فَأَرُدُّهَا مِنْ مَالِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: قَدْ عَفَوْتُ لَكَ عَنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ فَلَا تَعُدْ إِلَى مِثْلِهَا، وَإِنِ احْتَجْتَ فَلَا تَسْأَلْ غَيْرِي أَوْ تَبْذُلْ وَجْهَكَ لَهُ، ثُمَّ خَدَمَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنْتَصِرَ بْنَ الْمُتَوَكِّلِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ أَيْضاً، وَقَدَّمَهُ الْمُنْتَصِرُ عَلَى جَمَاعَةِ جُلَسَائِهِ وَقَلَّدَهُ أَعْمَالَ الْحَضْرَةِ كُلَّهَا «الْعِمَارَاتِ وَالْمُسْتَغَلَّاتِ وَالْمَرَمَّاتِ وَالْحَظَائِرِ وَكُلَّ مَا عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ إِلَى الْبَطِيحَةِ مِنَ الْقُرَى» ثُمَّ

(١) بختيشوع بن جورجس هو طبيب يونانى الاصل، اتصل بهارون الرشيد وخدمه وكانت له منزلة عنده. وكان أبوه جورجس طبيب أبى جعفر المنصور وابنه يدعى جبرائيل بن بختيشوع كان من أمهر الأطباء، اتخذه جعفر بن يحيى البرمكى طبيبه الخاص، وحظى عند الخلفاء ونال منهم أموالا لم ينلها أحد غيره منهم. «عبد الخالق»

خَدَمَ الْمُسْتَعِينَ بِاللهِ فَقَدَّمَهُ وَأَحَبَّهُ وَأَحَلَّهُ مَحَلَّهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَقَرَّهُ الْمُسْتَعِينُ عَلَى مَا تَقَلَّدَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْحَضْرَةِ ، ثُمَّ حَدَثَتِ الْفِتْنَةُ وَانْحَدَرَ مَعَ الْمُسْتَعِينِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ إِلَى أَنْ خُلِعَ الْمُسْتَعِينُ ، فَأَقَامَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى يَغْدُو وَيَرُوحُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْخَلْعِ إِلَى أَنْ حَلَّهُ مِنَ الْبَيْعَةِ الَّتِى كَانَتْ فِى عُنُقِهِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْمُسْتَعِينُ قَبْلَ الْخَلْعِ بِسَنَةٍ يَأْكُلُ إِلَّا مَا يُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنْ مَنْزِلِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى فِى الْجَوْنِ إِلَى دَارِ أَبِى الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَيُفْطِرُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ يَصُومُ فِى تِلْكَ الْأَيَّامِ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ : قَالَ لِى أَبِى : صِرْتُ إِلَى الْمُسْتَعِينِ لَمَّا صِيرَ بِهِ إِلَى قَصْرِ الرُّصَافَةِ فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ : قُرْبَ دَايَةَ الْمُعْتَزِّ وَعِيسَى بْنَ فَرْخَانْشَاه وَهُمْ يَسْأَلُونَهُ عَنْ جَوْهَرِ الْخِلَافَةِ ، فَقَالَتْ لِى قُرْبُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ « بَسْ » مَا كَانَ لَنَا مِنْكَ نَصِيبٌ ؟ يَاهَذَا ، كَاتَبَنَا النَّاسُ كُلُّهُمْ غَيْرَكَ . قَالَ قُلْتُ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ لَيْسَ لِتَقْصِيرٍ فِيمَا يَجِبُ عَلَىَّ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ رَحِمَهُ اللهُ وَمِنْ حَقِّ وَلَدِهِ ، وَلَكِنْ كَانَ فِى عُنُقِى طَوْقٌ يَحْظُرُ عَلَىَّ ذَلِكَ ، قَالَ : قَالَتْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ . قَالَ : ثُمَّ خَلَصَ الْأَمْرُ

لِلْمُعْتَزِّ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَبَهُ لِلْمُنَادَمَةِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى فَشَخَصَ إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى ، فَتَلَقَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَزُّ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ أَجْمَلَ لِقَاءٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَوَصَلَهُ، وَقَلَّدَهُ الْأَسْوَاقَ وَالْعِمَارَاتِ وَمَا كَانَ يَتَقَلَّدُهُ قَبْلَ خِلَافَتِهِ ، وَخُصَّ بِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ حَتَّى تَقَدَّمَ عِنْدَهُ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ . قَالَ : فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّهُ حَسَبَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَزِّ مِنْ صِلَتِهِ وَرِزْقِهِ مُنْذُ خَدَمَهُ إِلَى أَنْ تَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ ، فَكَانَ مَبْلَغُهُ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَقَلَّدَهُ الْمُعْتَزُّ الْقَصْرَ الْكَامِلَ فَبَنَاهُ وَوَصَلَهُ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنْهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَقْطَعَهُ ضَيْعَةً . وَفِي الْمُعْتَزِّ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى :

بَدَا لَابِساً بُرْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... بِأَحْسَنَ مِمَّا أَقْبَلَ الْبَدْرُ طَالِعَا
سَمِيُّ النَّبِيِّ وَابْنُ وَارِثِهِ الَّذِي ... بِهِ اسْتَشْفَعُوا أَكْرِمْ بِذَلِكَ شَافِعَا !
فَلَمَّا عَلَا الْأَعْوَادَ قَامَ بِخُطْبَةٍ ... تَزِيدُ هُدَى مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ تَابِعَا
وَكُلُّ عَزِيزٍ خَشْيَةً مِنْهُ خَاشِعٌ(١) ... وَأَنْتَ تَرَاهُ خَشْيَةَ اللهِ خَاشِعَا

(١) في الأصل « خاشعاً »

فَأَمَّا الْمُهْتَدِي فَإِنَّهُ حَقَدَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ كَانَتْ تَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِي مَجَالِسِ الْخُلَفَاءِ ، فَانْحَرَفَ عَنْهُ الْمُهْتَدِي لِمَيْلِهِ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَكَانَ الْمُهْتَدِي يَقُولُ : لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يَسْلَمُ مِنِّي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى ؟ إِنِّي لَأَهُمُّ بِهِ فَكَأَنِّي أُصْرَفُ عَنْهُ ، وَوَهَبَ اللهُ لَهُ السَّلَامَةَ مِنَ الْمُهْتَدِي إِلَى أَنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ قَصِيرَةً ، ثُمَّ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ عَلَى اللهِ فَحَلَّ مِنْهُ مَحَلَّهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَقَدَّمَهُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً ، وَوَصَلَهُ وَقَلَّدَهُ مَا كَانَ يَتَقَلَّدُ مِنْ أَعْمَالِ الْحَضْرَةِ ، وَقَلَّدَهُ بِنَاءَ الْمَعْشُوقِ فَبَنَى لَهُ أَكْثَرَهُ ، وَكَانَ الْمُوَفَّقُ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَتَقْدِيمِهِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ لَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا ذُكِرَ عَلَى[1] أَفْضَلِ مَا يَكُونُ وَلِيُّ نِعْمَةٍ ، وَكَانَ يَذْكُرُهُ كَثِيراً فِي مَجَالِسِهِ ، وَيَصِفُ أَيَّامَهُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ وَأَحَادِيثَهُ وَيَحْكِيهَا لِجُلَسَائِهِ وَيُعَجِّبُهُمْ مِنْ ذَكَائِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَفَضْلِهِ . وَتُوُفِّيَ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَدُفِنَ بِسَامَرَّا ، وَشِعْرُهُ كَثِيرٌ وَمَشْهُورٌ ، رَأَيْتُ الْعُلَمَاءَ الْقُدَمَاءَ يُكْثِرُونَ الْعَجَبَ

(١) خبر كان

بِهِ وَلَيْسَ عِنْدِى كَذَلِكَ، فَلِذَلِكَ أَقْلَلْتُ مِنَ الْإِتْيَانِ بِهِ إِلَّا مَا كَانَ فِى ضِمْنِ خَبَرٍ.

وَلَهُ مِنَ الْوَلَدِ الذُّكُورِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عِيسَى، وَأَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ، وَأَبُو أَحْمَدَ يَحْيَى، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ هَارُونُ.

﴿ ٣٤ – عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ * ﴾

على بن يوسف القفطى

ابْنِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ قُرَيْشِ بْنِ أَبِي أَوْفَى بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ عَادِيَةَ بْنِ حَيَّانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ تَيْمِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، أَبُو الْحَسَنِ الْقِفْطِيُّ يُعْرَفُ بِالْقَاضِى الْأَكْرَمِ، أَحَدُ الْكُتَّابِ الْمَشْهُورِينَ الْمُبَرِّزِينَ فِى النَّظْمِ وَالنَّثْرِ، وَكَانَ أَبُوهُ الْقَاضِى الْأَشْرَفُ كَاتِبًا أَيْضًا وَمُنْشِئًا، وَكَانَتْ أُمُّهُ امْرَأَةً مِنْ بَادِيَةِ الْعَرَبِ مِنْ قُضَاعَةَ، وَأُمُّهَا جَارِيَةٌ حَبَشِيَّةٌ كَانَتْ لِأُخْتِ أَبِي عَزِيزٍ قَتَادَةَ الْحَسَنِيِّ أَمِيرِ مَكَّةَ، تَزَوَّجَهَا أَحَدُ بَنِي عَمِّهَا الْعَلَوِيِّينَ وَجَاءَتْ مِنْهُ بِأَوْلَادٍ، ثُمَّ مَاتَ عَنْهَا فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَلِيٍّ فَجَاءَتْ مِنْهُ بِبَنِينَ وَبَنَاتٍ مِنْهُمْ أُمُّ الْقَاضِى الْأَكْرَمِ – أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ –، وَكَانَ

(*) راجع بغية الوعاة

وَالِدُهُ الْأَشْرَفُ خَرَجَ يَشْتَرِي فَرَساً مِنْ تِلْكَ الْبَوَادِي ، وَقَدْ قَارَبُوا أَرْضَ مِصْرَ لِلنُّجْعَةِ فَرَآهَا فَوَقَعَتْ مِنْهُ بِمَوْقِعٍ فَتَزَوَّجَهَا وَنَقَلَهَا إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَتْ رُبَّمَا خَرَجَتْ فِي الْأَحْيَانِ إِلَى الْبَادِيَةِ اسْتِرْوَاحاً عَلَى مَا أَلِفَتْهُ وَنَشَأَتْ عَلَيْهِ ، وَيَخْرُجُ ابْنُهَا مَعَهَا مُدَّةً (١) ، قَالَ : وَكَانَتِ امْرَأَةً صَالِحَةً مُصَلِّيَةً حَسَنَةَ الْعِبَادَةِ فَصِيحَةَ اللَّهْجَةِ ، وَكَانَتْ إِذَا أَرَدْتُ سَفَراً اشْتَغَلَتْ بِمَا يُصْلِحُ أُمُورِي فِي السَّفَرِ وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ :

أُجَهِّزُ زَيْداً لِلرَّحِيلِ وَإِنَّنِي
بِتَجْهِيزِ زَيْدٍ لِلرَّحِيلِ ضَنِينُ

وَحَدَّثَنِي — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — قَالَ : كُنْتُ وَأَنَا صَبِيٌّ قَدْ قَدِمْتُ مِنْ مِصْرَ وَاسْتَصْحَبْتُ سِنَّوْراً أَصْبَهَانِيًّا عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الصَّبْوَةُ ، وَاتَّفَقَ أَنْ وَلَدَتْ عِدَّةً مِنَ الْأَوْلَادِ فِي دَارِنَا ، فَنَزَلَ سِنَّوْرٌ ذَكَرٌ فَأَكَلَ بَعْضَ تِلْكَ الْجِرَاءِ فَغَمَّنِي ذَلِكَ ، وَأَقْسَمْتُ أَنْ لَابُدَّ لِي مِنْ قَتْلِ الَّذِي أَكَلَهَا ، فَصَنَعْتُ شَرَكاً وَنَصَبْتُهُ فِي عُلِّيَّةٍ فِي دَارِنَا وَجَلَسْتُ ، فَإِذَا بِالسِّنَّوْرِ قَدْ وَقَعَ فِي

---

(١) وتوفي علي بن يوسف القفطي صاحب الترجمة في شهر رمضان سنة ست وأربعين وستمائة بحلب ، ودفن بظاهر حلب مقام إبراهيم عليه السلام

الْحِبَالَةِ[1] ، فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ وَبِيَدِي عُكَّازٌ وَفِي عَزْمِي هَلَاكُهُ ، وَكَانَ لَنَا جِيرَةٌ وَقَدْ خَرِبَ الْحَائِطُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَنَصَبُوا فِيهِ بَارِيَةً[2] إِلَى أَنْ يَحْضُرَ الصُّنَّاعُ ، وَكَانَ لِرَبِّ تِلْكَ الدَّارِ بِنْتَانِ لَمْ يَكُنْ فِيمَا أَظُنُّ أَحْسَنَ مِنْهُمَا صُورَةً وَجَمَالًا وَشَكْلًا[3] وَدَلَالًا ، وَكَانَتَا مَعْرُوفَتَيْنِ بِذَلِكَ فِي بَلَدِنَا وَكَانَتَا بِكْرَيْنِ ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ إِذَا قَدِ انْكَشَفَ جَانِبُ الْبَارِيَةِ فَوَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى مَا يَبْهَرُ الْمَشَايِخَ، فَكَيْفَ الشُّبَّانُ؟ حُسْنًا وَجَمَالًا ، وَإِذَا هُمَا تُومِئَانِ إِلَيَّ بِالْأَصَابِعِ تَسْأَلَانِي إِطْلَاقَهُ ، قَالَ : فَأَطْلَقْتُهُ وَنَزَلْتُ وَفِي قَلْبِي مَا فِيهِ لِكَوْنِي كُنْتُ أَوَّلَ بُلُوغِي وَالْوَالِدَةُ جَالِسَةٌ فِي الدَّارِ لِمَرَضٍ كَانَ بِهَا . فَقَالَتْ لِي : مَا أَرَاكَ قَتَلْتَهُ كَمَا كَانَ عَزْمُكَ . فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ هُوَ الْمَطْلُوبَ ، إِنَّمَا هُوَ سِنَّوْرٌ غَيْرُهُ . فَقَالَتْ : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هَلْ أُومِئَ إِلَيْكَ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى تَرَكْتَهُ؟ فَقُلْتُ: مَنْ يُومِئُ إِلَيَّ ؟ وَلَا أَعْرِفُ مَعْنَى كَلَامِكِ . فَقَالَتْ عَلَى ذَلِكَ : يَا بُنَيَّ اسْمَعْ مِنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

(١) الحبالة : المصيدة (٢) البارية : الحصير ، فكأنهم جعلوا سترا من البارى
(٣) الشكل والدلال بمعنى

ثِنْتَانِ لَا أَرْضَى انْتِهَا كَهُمَا عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ (١)

وَكَانَ مَعَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْتٌ آخَرُ أُنسِيتُه. قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءً وَقَعَ عَلَى نَارٍ فَأَطْفَأَهَا، فَمَا صَعِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَطْحٍ وَلَا غُرْفَةٍ إِلَى أَنْ فَارَقْتُ الْبِلَادَ، وَلَقَدْ جَاءَ الصَّيْفُ فَاحْتَمَلْتُ حَرَّهُ وَلَمْ أَصْعَدْ إِلَى سَطْحٍ فِي تِلْكَ الصَّيْفِيَّةِ، ثُمَّ وَجَدْتُ هَذَا الْبَيْتَ فِي أَبْيَاتِ الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا:

قَالَتْ وَقُلْتُ تَحَرَّجِي وَصِلِي

حَبْلَ امْرِئٍ كَلِفٍ بِكُمْ صَبِّ

صَاحِبْ إِذًا بَعْلِي فَقُلْتُ لَهَا: الْغَدْرُ أَمْرٌ لَيْسَ مِنْ طِبِّي (٢)

ثِنْتَانِ لَا أَصْبُو لِوَصْلِهِمَا عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ

أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ خَائِنَهُ وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي

أَلشَّوْقُ أَقْتُلُهُ بِرُؤْيَتِكُمْ قَتْلَ الظَّمَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ

قَالَ لِي: وُلِدْتُ فِي أَحَدِ رَبِيعَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

---

(١) قال صاحب العقد الفريد يفرق ما بين الأخلاق فى الأشخاص، فأورد لأبي نواس:

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

والباعثى والناس قد رقدوا حتى أتيت حليلة البعل

ثم أورد بيتين للأحوص هذا أحدهما، وقد جاء المؤلف ببقية الأبيات فيما بعد

(٢) الطب بالكسر: الشأن والعادة «عبد الخالق»

بِمَدِينَةِ قِفْطَ مِنَ الصَّعِيدِ الْأَعْلَى إِحْدَى[1] الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتِ حَيْثُ الْأَرْضُ الْأَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ فِي أَوَّلِ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي، وَبِهَا قَبْرُ قِبْطَ بْنِ مِصْرَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

وَنَشَأَ[2] بِالْقَاهِرَةِ. اجْتَمَعْتُ بِخِدْمَتِهِ فِي حَلَبَ فَوَجَدْتُهُ جَمَّ الْفَضْلِ، كَثِيرَ النُّبْلِ، عَظِيمَ الْقَدْرِ، سَمْحَ الْكَفِّ، طَلْقَ الْوَجْهِ حُلْوَ الْبَشَاشَةِ، وَكُنْتُ أُلَازِمُ مَنْزِلَهُ وَيَحْضُرُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَأَرْبَابُ الْعِلْمِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا فَاتَحَهُ فِي فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ كَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ وَالْأُصُولِ وَالْمَنْطِقِ وَالرِّيَاضَةِ وَالنُّجُومِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالتَّارِيخِ وَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَجَمِيعِ فُنُونِ الْعِلْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا قَامَ بِهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ، وَانْتَظَمَ فِي وَسَطِ عِقْدِهِمْ أَحْسَنَ انْتِظَامٍ. وَلَهُ تَصَانِيفُ أَذْكُرُهَا فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِحَلَبَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ:

ضِدَّانِ عِنْدِي قَصَّرَا هِمَّتِي … وَجْهٌ حَيِيٌّ وَلِسَانٌ وَقَاحْ

إِنْ رُمْتُ أَمْرًا خَانَنِي ذُو الْحَيَا … وَمِقْوَلِي يُطْمِعُنِي فِي النَّجَاحْ

فَأَنَّنِي فِي حَيْرَةٍ مِنْهُمَا … لِي مِخْلَبٌ مَاضٍ وَمَا مِنْ جَنَاحْ

(١) فى الأصل: « أحد » (٢) هذا ابتداء كلام المؤلف

شِبْهُ جَبَانٍ فَرَّ مِنْ مَعْرَكٍ
خَوْفاً وَفِي يُمْنَاهُ عَضْبُ[1] الْكِفَاحْ

وَأَنْشَدَنِي — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — فِي أَعْوَرَ لِنَفْسِهِ :

شَيْخٌ لَنَا يُعْزَى[2] إِلَى مُنْذِرٍ مُسْتَقْبَحُ الأَخْلَاقِ وَالْعَيْنِ
مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ ، تَحَدَّثْ بِهِ بِفَرْدِ عَيْنٍ وَلِسَانَيْنِ

وَمِمَّا أَمْلَاهُ عَلَيَّ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — مِنْ مَنْثُورِ كَلَامِهِ مِنْ فَصْلٍ : وَأَمَّا سُؤَالُهُ عَنْ سَبَبِ التَّأَخُّرِ وَالتَّجَمُّعِ ، وَالتَّوَقُّفِ عَنِ التَّطَاوُلِ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالتَّوَسُّعِ ، وَالتَّعَجُّبُ مِنَ ٱلتِزَامِي قَعْرَ الْبَيْتِ ، وَٱرْتِضَائِي بَعْدَ السَّبْقِ بِأَنْ أَكُونَ السُّكَّيْتَ ، فَلَا تَنْسُبْنِي فِي ذَلِكَ إِلَى تَقْصِيرٍ ، وَكَيْفَ ؟ وَلِسَانِي فِي اللُّسْنِ غَيْرُ أَلْكَنٍ[3] ، وَبَنَانِي فِي الْبَيَانِ غَيْرُ قَصِيرٍ ، وَلَقَدْ أَعْدَدْتُ لِلرِّيَاسَةِ أَسْبَابَهَا ، وَلَبِسْتُ لِكِفَاحِ أَهْلِهَا جِلْبَابَهَا ، وَمَلَكْتُ مِنْ مَوَادِّهَا نِصَابَهَا[4] ، وَتَسَلَّمْتُ لِأَحْلَاسِهَا[5] ، وَضَارَبْتُ أَضْرَابَهَا ، وَبَارَيْتُهُمْ[6] فِي مَيْدَانِ الْفَضَائِلِ ، فَكُنْتُ السَّابِقَ وَكَانُوا الْفُسْكُلَ[7] ، وَظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ حَلَلْتُ مِنَ الدَّوْلَةِ

---

(١) العضب : السيف القاطع (٢) أي ينسب (٣) أي غير عيي ولا ثقيل لا يفصح (٤) أي حظا وفيرا منها (٥) أي ما يركب عليها (٦) باريتهم : سابقتهم (٧) أي المتأخرين

أَمْكَنَ[١] مَكَانِهَا ، وَأَصْبَحْتُ إِنْسَانَ عَيْنِهَا وَعَيْنَ إِنْسَانِهَا ، فَإِذَا الظُّنُونُ مُخْلِفَةٌ ، وَشِفَارُ[٢] عُيُونِ الْأَعْدَاءِ مُرْهَفَةٌ[٣] ، وَالْفِرْقَةُ الْمَظْنُونَةُ بِالْإِنْصَافِ غَيْرُ مُنْصِفَةٍ ، وَصَارَ مَا اعْتَمَدْتُهُ مِنْ أَسْبَابِ التَّقْرِيبِ مُبْعِدًا ، وَمَنِ اعْتَقَدْتُهُ لِي مُسَاعِدًا غَدَا عَلَيَّ مُسْعِدًا[٤] ، وَمَنْ أَعْدَدْتُهُ لِمُرَادِي مَوْرِدًا أَصْبَحَ لِمَثَالِبِي مُورِدًا ، وَجُسْتُ[٥] مَقَاصِدَ الْمَرَاشِدِ فَوَجَدْتُهَا بِهِمْ[٦] مُقْفَلَةً ، وَمَتَى أَظْهَرْتُ فَضِيلَةً اعْتَمَدُوا فِيهَا تَعْطِيلَ الْمُشَبِّهَةِ وَشُبَهَ الْمُعَطِّلَةِ[٧] ، وَإِذَا رَكِبْتُ أَشْهَبَ النَّهَارِ لِنَيْلِ مَرَامٍ رَكِبُوا أَدْهَمَ اللَّيْلِ لِنَقْضِ ذَلِكَ الْإِبْرَامِ ، وَإِنْ سَمِعُوا مِنِّي قَوْلًا أَذَاعُوا ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا اخْتَلَقُوا مِنَ الْكَذِبِ مَا اسْتَطَاعُوا ، وَقَدْ صِرْتُ كَالْمُقِيمِ وَسْطَ أَفَاعٍ لَا يَأْمَنُ لَسْعَهَا ، وَكَالْمُجَاوِرِ لِنَارٍ يَتَّقِي شَرَّهَا وَيَسْتَكْفِي لَذْعَهَا . وَاللهُ الْمَسْئُولُ تَوْسِيعَ الْأُمُورِ إِذَا ضَاقَتْ مَسَالِكُهَا ، وَهُوَ

---

(١) أي أثبت وأعلى منزلة فيها (٢) الشفار : منابت شعر الجفون

(٣) أي شاخصة (٤) مسعدا : معينا (٥) أي التمست (٦) أي بسببهم

(٧) يريد أنه عند ماتظهر فضيلة يتعمدون ويقولون فيها ما ينفيها، ويوجدون فيها الشبه كما تفعل المشبهة « طائفة تلبس أمر الله وصفاته على الناس » ويقصدون إليه كما يقصده للمعطلة « الذين يقولون بتعطيل بعض الصفات » فيعطلون فضيلته « عبد الخالق »

المرجوّ لإصلاح قلوب الملوك على ممالكهم ، إذ هو رب المملكة ومالكها . وها أنا جاثم جثوم الليث في عرينه ، وكامن كمون الكمي(١) في كمينه ، وأعظم ما كانت النار لهبا إذا قل دخانها ، وأشد ما كانت السفن جريا إذا سكن سكانها ، والجياد تراض ليوم السباق ، والسهام تكن في كنائنها(٢) لإصابة الأحداق ، والسيوف لا تنتضى(٣) من الأغماد إلا ساعة الجلاد(٤) ، واللآلئ لا تظهر من الأسفاط(٥) إلا للتعليق على الأجياد . وبينما أنا كالنهار الماتع(٦) طاب برداه ، إذ تراني كالسيف القاطع خشن حداه ، ولكل أقوام أقوال ، ولكل مجال أبطال نزال ، وسيكون نظري بمشيئة الله الدائم ونظرهم لمحة ، وريحي في هذه الدولة المنصورة عادية(٧) ، وريحهم فيها نفحة ، وها أنا مقيم تحت كنف إنعامها ، راج وابل إكرامها من هاطل غمامها ، منتظر لعدوي وعدوها أن تكأ سهامها من وبيل انتقامها ،

(١) الكمي : الشجاع أو لابس السلاح (٢) الكنانة : وعاء السهام وتسمى الخريطة أيضا (٣) أي لا تستل (٤) الجلاد : المضاربة (٥) الأسفاط : الأوعية (٦) الماتع : الطويل (٧) نسبة إلى عاد قوم هود ، الذين أرسل الله عليهم ريحا عاتية أتت عليهم .

وَأَمْلَى عَلَيَّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ شِيثٍ ـ وَكَانَ قَدِ انْصَرَفَ عَنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ بِأَمْرٍ مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ـ: مَقْدَمُ سَعْدٍ مُؤْذِنٌ بِسُمُوٍّ وَمَجْدٍ لِلْمَجْلِسِ الْجَمَالِيِّ لَا زَالَ غَادِياً فِي السَّعَادَةِ وَرَائِحاً، مَمْنُوحاً مِنَ اللهِ بِالنِّعَمِ وَ(١) مَانِحاً، مُيَسَّرًا لَهُ أَرْجَحُ الْأَعْمَالِ كَمَا لَمْ يَزَلْ عَلَى الْأَمَاثِلِ رَاجِحاً، مُوَضَّحاً لَهُ قَصْدُ السَّبِيلِ كَوَجْهِهِ الَّذِي مَا بَرِحَ مُسْفِرًا وَاضِحاً؛ قَدْ رَدَّ اللهُ بِأَوْبَتِهِ مَا نَزَحَ مِنَ السُّرُورِ، وَأَعَادَ بِعَوْدَتِهِ الْجَبْرَ إِلَى الْقَلْبِ الْمَكْسُورِ، وَلَأَمَ بِإِلْمَامِهِ صُدُوعاً فِي الصُّدُورِ، وَالْوَاجِبُ التَّفَاؤُلُ بِالْعَوْدِ إِذِ الْعَوْدُ أَحْمَدُ، وَأَلَّا تَخْطُرَ الطِّيَرَةُ بِبَالٍ إِذْ نَهَى عَنِ التَّطَيُّرِ أَحْمَدُ، بَلْ يُقَالُ: انْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَتَوَطَّنَ مِنَ النِّعْمَةِ الظَّاهِرِيَّةِ جَنَّةً وَحَرِيرًا، وَدَعَا عَدُوُّهُ لِعَوْدِهِ ثُبُورًا(٢)، وَصَلِيَ مِنْ نَارِ حَسَدِهِ سَعِيرًا، أَسْعَدَ اللهُ مَصَادِرَهُ وَمَوَارِدَهُ، وَوَفَّرَ مَكَارِمَهُ وَمَحَامِدَهُ، وَأَيَّدَ سَاعِدَهُ وَمُسَاعِدَهُ.

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غَازِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ حَلَبَ مَطْلَعُهَا:

---

(١) لم تكن هذه الواو موجودة في الأصل

(٢) اقتباس من قوله تعالى « لاتدعوا اليوم ثبورا » كما أن ماقبله كذلك.

لَا مَدْحَ إِلَّا لِلَمِيكِ الزَّمَانْ مَنِ الْمُنَى فِي بَابِهِ وَالْأَمَانْ
غِيَاثُ دِينِ اللهِ فِي أَرْضِهِ
إِنْ أَخْلَفَ الْبَرْقُ وَضَنَّ الْعَنَانْ(١)
فِي كَفِّهِ مَلْحَمَةٌ(٢) لِلنَّدَى مِثْلُ الَّتِي تُعْهَدُ يَوْمَ الطِّعَانْ
فَالْعُسْرُ مَصْرُوعٌ بِسَاحَاتِهِ
وَالْيُسْرُ سَامٍ فِي ظُهُورِ الرِّعَانْ(٣)
وَرَاحَتَاهُ رَاحَةٌ لِلْوَرَى عَلَى كَرِيمِ الْخَلْقِ مَخْلُوقَتَانْ
فَكَفُّهُ الْيُمْنَى لِبَسْطِ الْغِنَى
وَكَفُّهُ الْيُسْرَى لِقَبْضِ الْعِنَانْ(٤)

وَمِنْهَا :

تُعْرِبُ(٥) فِي الْهَيْجَاءِ أَسْيَافُهُ عَنْ حَرَكَاتٍ مِثْلَ لَفْظِ اللِّسَانْ
كَسْرٌ وَفَتْحٌ بِبِلَادِ الْعِدَى وَبَعْدَهُ ضَمٌّ لِمَالٍ مُهَانْ

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ وَلَدَيْهِ :

بِكْرَانِ بَلْ بَدْرَانِ مَا يُكْسَفَانْ رَوْحَانِ لِلْمُلْكِ وَرَيْحَانَتَانْ

(١) أي عنان السماء ، والمراد المطر (٢) أي معركة ، والندى : الكرم ، كناية عن نهاية الجود والعطاء (٣) الرعان . الجبال الطويلة (٤) العنان : زمام الدابة ، والمراد عنان الملك (٥) تعرب : تبيء « عبد الخالق »

لُؤْلُؤَتَا بَحْرٍ وَإِنْ شِئْتَ قُلْ   يَاقُوتَتَا نَحْرٍ وَعِقْدَا لَبَانْ (١)
فَرْعَانِ فِي دَوْحَةِ عِزٍّ سَمَتْ   غَيْثَانِ بَلْ بَحْرَانِ بَلْ رَحْمَتَانْ
سَيَمْلِكَانِ الْأَرْضَ حَتَّى يُرَى   لِي مِنْهُمَا حَرَّانُ وَالرَّقَّتَانْ (٢)

وَمِنْهَا:

فَاسْلَمْ عَلَى الدَّهْرِ شَدِيدَ الْقُوَى   ذَا مِرَّةٍ (٣) مَاشَدَّ كَفٌّ بَنَانْ
وَاسْتَوْطِنِ الشَّهْبَاءَ (٤) فِي عِزَّةٍ   وَاخْسِسْ بِغُمْدَانٍ وَقَعْبَيْ (٥) لِبَانْ

وَأَنْشَدَنِي أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

إِذَا أَوْجَفَتْ (٦) مِنْكَ الْخُيُولُ لِغَارَةٍ   فَلَا مَانِعٌ (٧) إِلَّا الَّذِي مَنَعَ الْعَهْدُ
نَزَلْتَ بِأَنْطَاكِيَةٍ غَيْرَ حَافِلٍ   بِقِلَّةِ جُنْدٍ إِذْ جَمِيعُ الْوَرَى جُنْدُ

(١) اللبان: الصدر أو وسطه (٢) بلاد معروفة (٣) المرة. قوة الخلق وشدته (٤) كانت هذه الكلمة فى الأصل « الشبهاء » (٥) القعب: القدح الضخم الغليظ، والشهباء: حلب، وغمدان قصر، يشير بقعبي لبان إلى قول الشاعر:

* تلك المكارم لا قعبان من لبن * البيت

وسيأتى ذكره مع غيره من الأبيات، وأخسس تعجب وصلت همزته (٦) أوجفت: اضطربت (٧) أى ليس من يمنع منك امرأ إلا العهد الذى يكون بينكما «عبد الخالق»

فَكَمْ أَهْيَفٍ (١) حَازَتْهُ هِيفُ رِمَاحِكُمْ
وَكَمْ نَاهِدٍ (٢) أَوْدَى بِهَا فَرَسٌ نَهْدُ
لَئِنْ حَلَّ فِيهَا ثَعْلَبُ الْغَدْرِ لَاوِنٌ
فَسُحْقًا لَهُ قَدْ جَاءَهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ
وَكَانَ قَدِ اغْتَرَّ اللَّعِينُ بِلِينِكُمْ
وَأَعْظَمُ نَارٍ حَيْثُ لَا لَهَبٌ يَبْدُو
جَنَى النَّحْلَ مُغْتَرًّا وَفِي النَّحْلِ آيَةٌ
فَطَوْراً لَهُ سُمٌّ وَطَوْراً لَهُ شَهْدُ (٣)
تَمُدُّكَ أَجْنَادُ الْمُلُوكِ تَقَرُّبًا
وَجُنْدُ السَّخِينِ الْعَيْنِ جَزْرٌ (٤) وَلَا مَدٌّ
تُهَنَّا بِهَا بِكْراً خَطَبْتَ مِلَاكَهَا
فَأَعْطَتْ يَدَ الْمَخْطُوبِ وَانْتَظَمَ الْعِقْدُ
فَجَيْشُكَ مَهْرٌ وَالْبُنُودُ حُمُولُهُ
وَأَسْهُمُكُمْ تِبْرٌ وَسُمْرُ الْقَنَا نَقْدُ

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الضَّادِ وَالظَّاءِ وَهُوَ مَا اشْتَبَهَ

---

(١) أي ضامر البطن دقيق الخصر من الخيل (٢) ناهد من الخيل
(٣) يريد : جنى الشهد منك لما أظهرت له لين المعاملة ، ولم يدر أن النحل يكون سما كما يكون شهدا (٤) الجزر : انحسار الماء عن الشط ، والمد : ارتفاع مائه وامتداده إلى البر

فِى اللَّفْظِ وَاخْتَلَفَ فِى الْخَطِّ، كِتَابُ الدُّرِّ الثَّمِينِ فِى أَخْبَارِ الْمُتَيَّمِينَ، كِتَابُ مَنْ أَلْوَتِ الْأَيَّامُ إِلَيْهِ فَرَفَعَتْهُ ثُمَّ الْتَوَتْ عَلَيْهِ فَوَضَعَتْهُ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُصَنِّفِينَ وَمَا صَنَّفُوهُ، كِتَابُ أَخْبَارِ النَّحْوِيِّينَ كَبِيرٌ، كِتَابُ تَارِيخِ مِصْرَ مِنِ ابْتِدَائِهَا إِلَى مُلْكِ صَلَاحِ الدِّينِ إِيَّاهَا فِى سِتِّ مُجَلَّدَاتٍ، كِتَابُ تَارِيخِ الْمَغْرِبِ وَمَنْ تَوَلَّاهَا مِنْ بَنِى تُومَرْتَ، كِتَابُ تَارِيخِ الْيَمَنِ مُنْذُ اخْتُطَّتْ إِلَى الْآنَ، كِتَابُ الْمُحَلَّى فِى اسْتِيعَابِ وُجُوهِ كَلَّا، كِتَابُ الْإِصْلَاحِ لِمَا وَقَعَ مِنَ الْخَلَلِ فِى كِتَابِ الصِّحَاحِ لِلْجَوْهَرِىِّ، كِتَابُ الْكَلَامِ عَلَى الْمُوَطَّإِ لَمْ يَتِمَّ إِلَى الْآنَ، كِتَابُ الْكَلَامِ عَلَى الصَّحِيحِ لِلْبُخَارِىِّ لَمْ يَتِمَّ، تَارِيخُ مَحْمُودِ ابْنِ سُبُكْتِكِينَ وَبَنِيهِ إِلَى حِينِ انْفِصَالِ الْأَمْرِ عَنْهُمْ، كِتَابُ أَخْبَارِ السَّلْجُوقِيَّةِ مُنْذُ ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ إِلَى نِهَايَتِهِ، كِتَابُ الْإِينَاسِ فِى أَخْبَارِ آلِ مِرْدَاسٍ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى وَذِكْرِ مَجَامِعِهِمْ، كِتَابُ مَشْيَخَةِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ الْكِنْدِىِّ، كِتَابُ نُهْزَةِ الْخَاطِرِ وَنُزْهَةِ النَّاظِرِ فِى أَحْسَنِ مَا نُقِلَ مِنْ عَلَى ظُهُورِ الْكُتُبِ.

وَكَانَ الْأَكْرَمُ الْقَاضِى الْمَذْكُورُ جَمَّاعَةً لِلْكُتُبِ حَرِيصاً

عَلَيْهَا جِدًّا ، لَمْ أَرَ مَعَ اشْتِمَالِي عَلَى الْكُتُبِ وَبَيْعِي لَهَا وَتِجَارَتِي فِيهَا أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْهُ بِهَا ، وَلَا أَكْثَرَ حِرْصًا مِنْهُ عَلَى اقْتِنَائِهَا ، وَحَصَلَ لَهُ مِنْهَا مَا لَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ ، وَكَانَ مُقِيمًا بِحَلَبَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَشَأَ بِمِصْرَ وَأَخَذَ بِهَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِنَصِيبٍ ، وَلِيَ وَالِدُهُ الْقَاضِي الْأَشْرَفُ النَّظَرَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ عُثْمَانَ بْنِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَصَحِبَهُ الْقَاضِي الْأَكْرَمُ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا مَعَ وَالِدِهِ مُدَّةً فَآنَسَ وُلَاةُ الْمَقْدِسِ مِنَ الْقَاضِي الْأَكْرَمِ ـ أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ — شَرَفَ نَفْسٍ وَعُلُوَّ هِمَّةٍ ، فَأَحَبُّوهُ وَاشْتَمَلُوا عَلَيْهِ ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَتَّسِمَ بِخِدْمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مُسْتَقِلًّا ، وَإِنَّمَا كَانَ يَسْأَمُ الْعَمَلَ وَيَعْتَمِدُ عَلَى رَأْيِهِ فِي تَدْبِيرِ الْأَحْوَالِ ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ إِلَّا فِيمَا لَا يَقُومُ غَيْرُهُ فِيهِ مَقَامَهُ ، وَاتَّفَقَ مَا اتَّفَقَ بَيْنَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيِّ بْنِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ ابْنِ أَيُّوبَ ـ وَالْأَكْرَمُ حِينَئِذٍ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ـ فَاقْتَضَتِ الْحَالُ — لِا تِّسَامِهِ بِخِدْمَةٍ فِي حَيِّزِ الْمَلِكِ — أَنْ خَرَجَ مِنَ الْقُدْسِ فِيمَنْ خَرَجَ مِنْهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَصَحِبَ فَارِسَ

الدِّينِ مَيْمُونًا الْقَصْرِىَّ وَإِلَى الْقُدْسِ وَنَابُلُسَ ، فَالْتَحَقَا بِالْمَلِكِ الظَّاهِرِ غَازِى بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بِحَلَبَ فِى قِصَّةٍ يَطُولُ شَرْحُهَا ، فَلَمَّا حَصَلَ بِحَلَبَ كَانَ مَعَ مَيْمُونٍ الْقَصْرِىِّ عَلَى سَبِيلِ الصَّدَاقَةِ وَالْمَوَدَّةِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْخِدْمَةِ وَالْكِتَابَةِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ كَاتِبَ مَيْمُونٍ وَوَزِيرَهُ مَاتَ ، فَأَلْزَمَهُ مَيْمُونٌ خِدْمَتَهُ وَالِاتِّسَامَ بِكِتَابَتِهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى مَضَضٍ وَاسْتِحْيَاءٍ ، وَدَبَّرَ أُمُورَهُ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ ، وَسَاسَ جُنْدَهُ أَحْسَنَ سِيَاسَةٍ وَتَدْبِيرٍ ، وَفَرَّغَ بَالَ مَيْمُونٍ مِنْ كُلِّ مَا يُشْغَلُ بِهِ بَالُ الْأُمَرَاءِ ، وَأَقْطَعَ[1] الْأَجْنَادَ إِقْطَاعَاتٍ رَضُوا بِهَا وَانْصَرَفُوا شَاكِرِينَ لَهُ ، لَمْ يُعْرَفْ مُنْذُ تَوَلَّى أَمْرَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ مَيْمُونٌ جُنْدِىٌّ اشْتَكَى أَوْ تَأَلَّمَ ، وَكَانَ وَجِيهًا عِنْدَ مَيْمُونٍ الْمَذْكُورِ يَحْتَرِمُهُ وَيُعَظِّمُ شَأْنَهُ ، وَيَتَبَرَّكُ بِآرَائِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ مَيْمُونٌ فِى لَيْلَةٍ صَبِيحَتُهَا ثَالِثَ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَأَقَرَّ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِى بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ خِزَانَتَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُلَازِمٌ لِبَيْتِهِ مُتَشَاغِلٌ بِالْعِلْمِ وَتَصْنِيفِ الْكُتُبِ إِلَى أَنِ احْتَاجَ دِيوَانُهُ إِلَيْهِ ، فَعَوَّلَ

(١) أى أنعم على الجنود بقطع من الأرض مكافأة لهم على خدماتهم .

فِي إِصْلَاحِهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُجْتَنِبٌ غَيْرُ رَاضٍ ، وَحَدَّثَنِي أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ قَالَ :

قَالَ حَدَّثَنِي وَالِدِي قَالَ : قَدِمْتُ مَعَ وَالِدِي إِلَى مِصْرَ أَوَّلَ قَدْمَةٍ وَلَمْ نَسْتَصْحِبْ دَوَابَّ ، لِأَنَّنَا انْحَدَرْنَا فِي السُّفُنِ وَقُلْتُ لِأَبِي: نَأْخُذُ مَعَنَا دَوَابَّ ؟ فَقَالَ : يَعْسُرُ أَمْرُهَا عَلَيْنَا فَدَعْنَا نَمْضِ بِالرَّاحَةِ فِي الْمَرْكَبِ ، وَإِذَ وَصَلْنَا مَا نَعْدَمُ مَا نَرْكَبُ ، فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى مِصْرَ خَرَجْنَا نَمْشِي إِلَى أَنْ جَاءَ بِي إِلَى سُوقِ وَرْدَانَ ، وهُنَاكَ تِلْكَ الْحَمِيرُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْبِغَالِ ، فَقَالَ لِي وَالِدِي: ارْكَبْ أَيَّهَا شِئْتَ لِنَمْضِيَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَامْتَنَعْتُ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَا رَكِبْتُ حِمَاراً قَطُّ . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنَ الْمُضِيِّ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَمَا تَصْنَعُ ؟ قُلْتُ لِأَبِي (١) : تُؤَخِّرُ الْمُضِيَّ الْيَوْمَ حَتَّى نَشْتَرِيَ مَرْكُوباً إِمَّا فَرَساً وَإِمَّا بَغْلَةً أَرْكَبُهَا أَنَا وَاصْنَعْ أَنْتَ بِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ ، فَعَذَلَنِي فَلَمْ أَرْعَوِ فَاجْتَازَ بِنَا رَجُلٌ لَهُ هَيْئَةٌ وَشَارَةٌ فَتَقَدَّمَ وَالِدِي إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، تَعْرِفُ الْقَاضِيَ الْأَشْرَفَ أَبَا الْحَجَّاجِ يُوسُفَ بْنَ الْقَاضِي الْأَمْجَدِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيَّ الْقِفْطِيَّ ؟ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ . قَالَ : امْضِ فِي أَمَانِ اللهِ . ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخَرُ فَسَأَلَهُ

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل : « قال أبي » ، وقد أشار إليها هامش الأصل وقال : يريد : قلت أنا « عبد الخالق »

مِثْلَ ذَلِكَ السُّؤالِ حَتَّى سَأَلَ جَمَاعَةً فَلَمْ يَكُنْ مِنهُمْ مَنْ يَعْرِفُهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: وَيْلَكَ، إِذَا كُنْتَ فِي مَدِينَةٍ لَا يَعْرِفُكَ بِهَا أَحَدٌ فَمَا تَصْنَعُ بِهَذَا التَّخَرُّقِ[1] وَالتَّرْتِيبِ فِي الْمَرْكُوبِ؟ ارْكَبْ وَدَعْ عَنْكَ الْكِبْرِيَاءَ وَالْعَظَمَةَ الَّتِي لَا تُجْدِي هٰهُنَا شَيْئاً. قَالَ: فَرَكِبْتُ حِينَئِذٍ وَمَضَيْنَا إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَكَانَ لِهَذَا السَّبَبِ مُتَفَقِّدَ الْخُيُولِ الْمَشْهُورَةِ بِالْجَوْدَةِ وَكَثْرَةِ الثَّمَنِ حَتَّى لَقَدْ حَدَّثَنِي: أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ دِحْيَةَ الْحَافِظَ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْقَاضِي الْأَشْرَفِ الْقِفْطِيِّ فَقَالَ: أَلَيْسَ هُوَ صَاحِبَ الْخُيُولِ الْمُسَوَّمَةِ[2] وَالْعَبِيدِ الرُّوقَةِ[3]؟ فَمَا أَوْلَاهُ إِذَنْ بِقَوْلِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ:

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ
وَفَارِسَهَا الْمَشْهُورَ فِي كُلِّ مَوْكِبِ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ
أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ
وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وَأَتَّقِي
أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ

---

(١) أى التوسع (٢) المسومة : المعلمة (٣) أى الحسان، وهو يستعمل بلفظ واحد مع المفرد والمثنى والجمع مذكراً كان أومؤنثاً

فَصلٌ: قَالَ الأَكْرَمُ مِنْ إِنْشَائِي مِنْ جُمْلَةِ كِتَابٍ أَنْشَأْتُ عَنِ الْمَقَرِّ الأَشْرَفِ الْمَلَكِيِّ الظَّاهِرِيِّ عِنْدَ رَحِيلِ عَسْكَرِ الْفِرَنْجِ عَنْ حِصْنِ الْخَوَابِي: وَلَمَّا وَرَدَتِ الرَّايَةُ الْبَاطِنِيَّةُ صَدَرَتْ فِي نَجْدَتِهِمُ الْعَسَاكِرُ الظَّاهِرِيَّةُ تَحْتَ الأَلْوِيَةِ الإِمَامِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ وَسَارَ فِي الْمُقَدَّمَةِ أَلْفُ فَارِسٍ مِنْ أَنْجَادِ الأَنْجَادِ [1] وَأَمْثَالِ الأَطْوَادِ [2] وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَثْنُونَ [3] عَنِ الطَّعْنِ عِنَانًا، وَلَا يَسْأَلُونَ عِنْدَ الِانْتِدَابِ إِلَى الْكَرِيهَةِ عَمَّا قِيلَ بُرْهَانًا، وَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَتَرَاءَى الْفَرِيقَانِ، قَمَعَ حِزْبَ الإِنْجِيلِ حِزْبُ الْقُرْآنِ، وَخَفَضَ صَوْتَ النَّاقُوسِ صَوْتُ الأَذَانِ، وَفَلَّ جَيْشُ بْنُ يُوسُفَ جَمْعَ بَنِي إِسْحَاقَ، وَعَلَا عَلَمُ الأَحْمَرِ عَلَى بَنِي الأَصْفَرِ أَهْلِ الشِّقَاقِ، وَحَرَّكَتِ الأَهْوِيَةُ أَلْسُنَ الأَلْوِيَةِ بِأَصْوَاتِ النُّجْحِ فَقَالَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ: تَعَالَ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ مِنَ الْقِتَالِ، فَقَدْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَمَا أَوْدَتْ مِنَ الْمُنَاجَزَةِ [4] قُوَّةُ جَانِبٍ وَلَا شِدَّةُ مُحَاجَزَةٍ، وَإِنَّمَا مَنَعَ [5] جَبَلٌ وَعْرٌ ضَاقَ مَسْلَكُهُ، وَتَعَذَّرَ مَجَالُهُ عَلَى الْفُرْسَانِ وَمُعْتَرَكُهُ، وَامْتَنَعَتْ مِنْهُ أَسْبَابُ النِّزَالِ، «وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ

---

(١) الانجاد: الشجعان الذين لا يعجزهم أي أمر، وفي الأصل «أحاد» بدلا من أنجاد
(٢) الطود: الجبل العظيم المرتفع (٣) أي يمنعون (٤) المناجزة: المبارزة والمقاتلة (٥) أي جعلهم في منعة

كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » . فَقُلِعَتِ الْقَلْعَةُ مِنْ خِنَاقِهَا ، وَأَفْلَتَتْ مِنْ يَدِ الْقَابِضِ بِسَاقِهَا ، وَاشْتَغَلَ الْعَدُوُّ عَنْهَا بِإِعْمَالِ رَأْيِهِ فِي الْخَلَاصِ ، وَذَلِكَ لِمَا تَحَقَّقَهُ مِنْ تَرَادُفِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَلَاتَ (١) حِينَ مَنَاصٍ ، وَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِلْمُشَاوَرَةِ تَنَاقَضَتْ مِنْهُمُ الْآرَاءُ عِنْدَ الْمُحَاوَرَةِ ، وَأَوْجَبَ ذَلِكَ اخْتِلَافًا مِنْ جَمِيعِهِمْ قَضَى بِافْتِرَاقِ جُمُوعِهِمْ ، وَبَاتُوا لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ وَلَهُمْ ضَوْضَاءُ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا وَقَدْ خَلَا مِنْهُمُ الْفَضَاءُ ، لَمْ يُلْفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَا وُجِدَ لِمَنْزِلِهِمْ إِلَّا النُّؤْيُ (٢) وَالْوَتِدُ ، وَذَلِكَ لِرَأْيٍ أَجْمَعُوا عَلَيْهِ لَمَّا تَحَقَّقُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ الْهَرَبِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلِلْوَقْتِ نَدَبَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ جَمَاعَةً مِنَ الصُّنَّاعِ لِإِصْلَاحِ مُخْتَلِّهَا ، وَرَفْعِ مَا فُرِّقَ مِنْ تَلِّهَا ، وَحَمَلَ إِلَيْهَا مَا عَدِمَتْهُ مِنَ الْآلَةِ عِنْدَ الْقِتَالِ . وَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِحَمْلِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الذَّخِيرَةِ وَالْمَالِ ، وَقَدْ شَرَعَ وَالشُّرُوعُ مُلْزِمٌ بِالْإِكْمَالِ .

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ الْأَكْرَمُ أَدَامَ اللهُ تَمْكِينَهُ قَالَ :

(١) أى ليس هذا وقت الخلاص والمفر (٢) حفير حول البناء أو الخيمة يمنع السيل من الوصول إليها

خَرَجْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ إِلَى ظَاهِرِ مَدِينَةِ حَلَبَ عَلَى سَبِيلِ التَّسْيِيرِ، فَرَأَيْتُ عَلَى جَانِبِ قُوَيْقٍ[1] عِدَّةَ مَشَايِخَ بِيضِ اللِّحَى، وَقَدْ سَكِرُوا مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَهُمْ عُرَاةٌ يُصَفِّقُونَ وَيَرْقُصُونَ عَلَى صُورَةٍ مُنْكَرَةٍ بَشِعَةٍ فَاسْتَعَذْتُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَرَجَعْتُ مَغْمُومًا بِذَلِكَ وَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ وَرَكِبْتُ لِلطُّلُوعِ إِلَى الْقَلْعَةِ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ صُعْلُوكٌ فَقَالَ: انْظُرْ فِي حَالِي نَظَرَ اللهُ إِلَيْكَ يَوْمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُتَّقُونَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا خَبَرُكَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ صُعْلُوكٌ وَكَانَ لِي دَابَّةٌ أَسْتَرْزِقُ عَلَيْهَا لِلْعَائِلَةِ[2] فَاتَّهَمَنِي الْوَالِي بِالْخَيُولِ بِسَرِقَةِ مِلْحٍ، فَأَخَذَ دَابَّتِي ثُمَّ طَالَبَنِي بِجِبَايَةٍ فَقُلْتُ: خُذِ الدَّابَّةَ. فَقَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا وَأُرِيدُ جِبَايَةً أُخْرَى. فَقُلْتُ لَهُ: أَبْشِرْ بِمَا يَسُرُّكَ وَطَلَعْتُ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَتَابَكُ طُغْرُلُ الظَّاهِرِيُّ وَقُلْتُ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مُبَاحَةٌ، النَّاسُ مُشْتَرِكُونَ فِيهَا: الْكَلَأُ، وَالْمَاءُ، وَالْمِلْحُ».

---

(١) قويق: نهر مدينة حلب (٢) الكلام هنا مرصوص بدون نظر إلى بلاغة أو رقي في الأسلوب، وما أشبهه بترجمة أحمد المأموني التي سلفت «عبد الخالق»

وَقَدْ جرَى كَيْتَ وَكَيْتَ وَلَا يَلِيقُ بِمِثْلِكَ ، وَأَنتَ عَامَةَ وَقْتِكَ جَالِسٌ عَلَى مُصَلَّاكَ مُسْتَقْبِلٌ الْقِبْلَةَ وَالسُّبْحَةُ فِي يَدِكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي بَلَدِكَ . فَقَالَ : اُكْتُبِ السَّاعَةَ إِلَى جَمِيعِ النَّوَاحِي بِرَفْعِ الْجِبَايَاتِ وَمَحْوِ اسْمِهَا أَصْلًا ، وَأْمُرِ الْوُلَاةَ أَنْ يَعْمَلُوا بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَدٌّ مِنَ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ يُقَامُ فِيهِ عَلَى الْفَوْرِ ، وَلَا يُلْتَمَسُ مِنْهُ شَيْءٌ آخَرُ ، وَمُرِ السَّاعَةَ بِإِرَاقَةِ كُلِّ خَمْرٍ فِي الْمَدِينَةِ ، وَرَفْعِ ضَمَانِهَا ، وَاُكْتُبْ إِلَى جَمِيعِ النَّوَاحِي الَّتِي تَحْتَ حُكْمِي بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَوْعِدْ مَنْ يُخَالِفُ ذَلِكَ عُقُوبَتَنَا فِي الدُّنْيَا عَاجِلًا ، وَعُقُوبَةَ الْخَالِقِ فِي الْآخِرَةِ آجِلًا ، فَخَرَجْتُ وَجَلَسْتُ فِي الدِّيوَانِ ، وَكَتَبْتُ بِيَدِي وَلَمْ أَسْتَعِنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْكُتَّابِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ كِتَابًا إِلَى وُلَاةِ الْأَطْرَافِ ثُمَّ أَنْشَدَ :

وَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ
يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

وَكَانَ الْمَحْصُولُ مِنْ ضَمَانِ مَا أُطْلِقَ مَا مِقْدَارُهُ مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ فِي السَّنَةِ ، وَإِنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مَا يُسْتَقْبَلُ فِي السَّنَةِ

الآتية من رُخص الكروم وتعطل ضماناتها وقلة دخلها بهذا السبب «كان ذلك[1]» ألف ألف درهم أو ما يقاربها، وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة، وكان ينوب بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعة من الكتاب، وكان حسن الخط على طريقة ابن مقلة، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلباً للراحة ونظراً في مصالحه، فطلب من السلطان إذنا فقال: يحتاج في ذلك إلى إذن صاحبك، فكتب العماد إلى القاضي: يلتمس غيره ليؤذن له فقد طالت غيبته عن أهله، فكتب القاضي في الجواب كتاباً يقول فيه: وأما التماس العوض عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره؟ وهو ذو لسان صهصلق[2] منطيق، وخاطر ينفق عن سعة في كل مضيق.
وكتب إلى القاضي الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور:

نميل إلى جوانبه كأنا … إذا ملنا نميل على أبينا

(١) لم تكن كلتا «كان ذلك» موجودتين في الأصل

(٢) الصهصلق: الشديد الصوت، والمنطيق: البليغ

فَكَتَبَ القَاضِى الْجَوَابَ وَضَمَّنَهُ :

فَدَيْتُكَ مِنْ مَائِلٍ كَالغُصُونِ   إِذَا مِلْنَ أَدْنَيْنَ مِنِّى الثِّمَارَا

وَتَزَهَّدَ وَالِدُهُ وَتَرَكَ الْعَمَلَ وَأَقَامَ بِالْيَمَنِ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا فِى رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

وَحَدَّثَنِى أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ قَالَ : حَجَجْتُ فِى مَوْسِمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ وَالِدِى فِى صُحْبَتِى فَصَادَفْتُ بِمَكَّةَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بَلَدِنَا ، وَكُنْتُ بَعِيدَ الْعَهْدِ بِلِقَاءِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَرَآنِى رَجُلٌ فَالْتَحَقَ بِى كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَنْ فِى صُحْبَتِهِ مِنْ بَلَدِنَا فَأَخْبَرَهُمْ بِنَا فَجَاءَ وَهُمْ إِلَى مَنْزِلِنَا فَقَضَوْا حَقَّنَا بِالسَّلَامِ وَالسُّؤَالِ وَالْحُرْمَةِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى رِحَالِهِمْ فَجَاءَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا حَضَرَهُ لَمْ يَحْتَفِلُوا لَهُ[1] ، وَكَانَ فِيمَا جَاءُونَا بِهِ ظَرْفٌ كَبِيرٌ مَمْلُوءٌ عَسَلًا ، وَآخَرُ سَمْنًا عَلَى جَمَلٍ وَهُوَ وَقْرُهُ[2] ، فَأَلْقَاهُ فِى خَيْمَتِنَا فَأَمَرْتُ الْغِلْمَانَ أَنْ يَعْمَلُوا مِنْهُ حَيْسًا[3] فَيُكْثِرُوا عَلَى عَادَةِ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَأَكَلْنَا وَأَكْثَرْنَا زِيَادَةً عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُنَا ، ثُمَّ طُفْنَا بِالْبَيْتِ وَعُدْنَا إِلَى رِحَالِنَا وَنِمْتُ

---

(١) يريد بجملة لم يحتفلوا له : أنهم لم يجتمعوا لما قدموه إليه ، بل كان كل واحد يحضر وحده (٢) يريد : حمله الذى يقدر على حمله (٣) الحيس : طعام مركب من تمر وسمن وسويق .

فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي الْحَرَمِ أَطُوفُ، وَإِذَا رَجُلٌ شَدِيدُ الْأُدْمَةِ[١] مُشَوَّهُ الْخِلْقَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَخْرَجَنِي مِنَ الْحَرَمِ مِنْ بَابِ إِبْرَاهِيمَ فَإِذَا بِهِ قَدْ وَقَفَنِي عَلَى الظَّرْفَيْنِ بِعَيْنِهِمَا لَا أَرْتَابُ بِهِمَا فَقَالَ لِي: أَتَعْرِفُ هَذَيْنِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، هَذَانِ ظَرْفَانِ جَاءَنَا بِهِمَا رَجُلٌ عَلَى سَبِيلِ الْهَدِيَّةِ، أَحَدُهُمَا سَمْنٌ وَالْآخَرُ عَسَلٌ، فَقَالَ لِي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، ثُمَّ حَطَّ يَدَهُ عَلَى بَطْنِهِمَا وَعَصَرَ فَخَرَجَ مِنْ فَمِهِمَا[٢] نَارٌ أَحْسَسْتُ بِلَفْحِهَا فِي وَجْهِي، وَجَعَلْتُ أَمْسَحُ فَمِي مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِمَا وَانْزَعَجْتُ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَيْتُ، وَقُمْتُ مِنْ فِرَاشِي خَائِفًا فَمَا اسْتَطَعْتُ النَّوْمَ إِلَى الْغَدَاةِ، وَاجْتَمَعْتُ بِمُهْدِيهِمَا وَكَانَ يُعْرَفُ بِابْنِ الشُّجَاعِ فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَيْنِ الظَّرْفَيْنِ مَا خَبَرُهُمَا؟ فَقَالَ: اشْتَرَيْتُهُمَا وَجِئْتُ بِهِمَا، فَقُلْتُ: يَا هَذَا، هَلْ فِيهِمَا شُبْهَةٌ؟ فَتَحَلَّفَ أَنَّهُمَا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالْحَالِ فَبَكَى حِينَئِذٍ، وَمَدَّ يَدَهُ فَأَخَذَ بِيَدِي وَعَاهَدَنِي أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عُهْدَتِهِ وَقَالَ: وَاللهِ مَا أَعْرِفُ أَنَّ فِي مَالِي شُبْهَةً، إِلَّا أَنَّ لِي أُخْتَيْنِ مَا أَنْصَفْتُهُمَا فِي تَرِكَةِ أَبِيهِمَا،

(١) الأدمة: قال في القاموس بعد أن فسر الأدمة بعدة ألوان: ومنها السمرة

(٢) كانت هذه الكلمة في الأصل «فيها». «عبد الخالق»

وَأَنَا أُعَاهِدُ اللهَ أَنَّنِي أَرْجِعُ مِنْ وَجْهِي هَذَا وَأُعْطِيهِمَا حَتَّى أُرْضِيَهُمَا .

قَالَ الصَّاحِبُ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ : فَعَلِمْتُ أَنَّهَا لِي مَوْعِظَةٌ ، فَعَاهَدْتُ اللهَ أَلَّا آكُلَ بَعْدَهَا مِنْ طَعَامٍ لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ وَجْهُهُ ؟ فَكَانَ لَا يَأْكُلُ لِأَحَدٍ طَعَامًا وَيَقُولُ : النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ بَوَاطِنَ الْأُمُورِ وَيَظُنُّونَنِي أَفْعَلُ[1] ذَلِكَ كِبْرًا ، وَمِنْ أَيْنَ لِي بِمَا يَقُومُ بِعُذْرِي عِنْدَهُمْ ؟ ثُمَّ كُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَضْرَتِهِ بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ وَقَدْ عَادَ مِنَ الْقَلْعَةِ بِحَلَبَ فَقَالَ لِي : جَرَتِ الْيَوْمَ طَرِيفَةٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : هَاتِ خَبَرَهَا — أَدَامَ اللهُ إِمْتَاعَنَا بِكَ — ، فَمَا زِلْتَ تَأْتِي بِالطَّرَائِفِ وَالطُّرَفِ .

فَقَالَ : حَضَرْتُ الْيَوْمَ فِي مَجْلِسِ الْمَلِكِ الرَّحِيمِ أَتَابَكَ طُغْرُلَ الظَّاهِرِيِّ وَحَضَرَتِ الْمَائِدَةُ وَفِيهَا طَعَامُ الْمُلُوكِ : شِوَاءٌ وَشَرَائِحُ وَسَنْبُوسَكٌ[2] وَحَلَاوَاتٌ وَغَيْرُهَا كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ ، فَتَأَمَّلْتُهُ فَنَفَرَتْ نَفْسِي مِنْهُ وَلَمْ تَقْبَلْهُ مَعَ كَوْنِي قَدْ قَارَبْتُ الظُّهْرَ وَلَمْ أَتَغَدَّ

---

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « أقول » (٢) كانت فى الأصل « سنبوسج » بالجيم ، وقد بحثت عنها فى كتب اللغة ، فوجدت المذكور فيها سنبوسك وهو المشهور ، على أنى علمت أن الجيم كثيرا ما تكتب كافا كما تقول فى جوجك : كشك ، وفى انجلترا : انكلترا ، وسبق أنى رأيت مؤلفا فى وريقات قديم الطبع فيه مثل هذه الأشياء .

فَلَمْ أَنْبَسِطْ وَلَا مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ . فَقَالَ لِي : مَالَكَ لَا تَأْكُلُ وَكَانَ قَدْ عَرَفَ عَادَتِي ؟ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ نَفْسِي لَا تَقْبَلُ هَذَا الطَّعَامَ وَلَا تَشْتَهِيهِ . فَقَالَ : لَعَلَّكَ شَبْعَانُ ، فَقُلْتُ : لَا وَاللهِ ، إِلَّا أَنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي نُفُوراً مِنْهُ ، فَأَشَارَ إِلَى غُلَامٍ فَدَخَلَ دَارَهُ وَجَاءَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا عِدَّةُ غَضَائِرَ [1] مِنَ الدَّجَاجِ فَلَمْ تَقْبَلْ نَفْسِي إِلَّا دَجَاجَةً وَاحِدَةً مَعْمُولَةً تَحْتَ رُمَّانٍ فَمَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهَا وَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا .

قَالَ : فَرَأَيْتُ أَتَابَكَ وَهُوَ يَتَعَجَّبُ فَقُلْتُ لَهُ : مَا الْخَبَرُ ؟ فَقَالَ : اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الطَّعَامِ شَيْءٌ أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَجْهُهُ وَهُوَ مِنْ عَمَلِ مَنْزِلِي غَيْرَ هَذِهِ الدَّجَاجَةِ ؟ وَأَمَّا [2] الْبَاقِي فَجَاءَنَا مِنْ جِهَةٍ مَا [3] نَفْسِي بِهَا طَيِّبَةٌ ، وَتَشَارَكْتُ أَنَا وَهُوَ فِي تِلْكَ الدَّجَاجَةِ مَعَ بَعْضِي لِحَبِّ الرُّمَّانِ ، وَكَانَ أَتَابَكُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ مَالِ الْجَوَالِي [4] فَقَطْ ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ [5] . فَقَالَ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ : اعْلَمْ أَنِّي لَا أَحْسَبُ هَذَا كَرَامَةً لِي وَلَكِنِّي أَعُدُّهُ نِعْمَةً مِنَ اللهِ فِي حَقِّي ، فَإِنَّ امْتِنَاعِي لَمْ يَكُنْ عَنْ شَيْءٍ كَرِهْتُهُ

(١) أي أشياء ناعمة طيبة ، مفردها غضيرة (٢) كانت العبارة في الأصل - والباقي الخ
(٣) ما : نافية (٤) جمع جالية ، وقد تقدم معناها ، والغرض أنه يأكل مما ليس له
(٥) هذه الجملة من كلام الراوي ، وفاعل قال ضمير يعود على الصاحب « عبد الخالق »

وَلَا رَيْبٍ اُطّلعتُ عَلَيْهِ، وَلَـكِنْ كَانَ انْقِبَاضاً وَنَفْرَةً لَا أَعْرِفُ سَبَبَهَا، وَلَا الإِبَانَةَ عَلَى مَعْنَاهَا.

كَانَ صَفِيُّ الدِّينِ الْأَسْوَدُ عِنْدَ نُزُولِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ بِحَلَبَ قَدْ عَرَضَ كِتَاباً لَهُ يُعْرَفُ بِالتَّذْكِرَةِ لِابْنِ مُسَيْلِمَةَ «وَكَانَ مَعْرُوفاً بِالْبَغَاءِ» أَحَدِ كُتَّابِ مِصْرَ يَشْتَمِلُ عَلَى قَوَانِينِ الْـكِتَابَةِ وَآيِينِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ، وَأَخْبَارِ مُلُوكِ مِصْرَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّداً، وَدُفِعَ لَهُ فِيهِ مَا سَمَحَ بِبَيْعِهِ، وَعَرَضَ عَلَى الصَّاحِبِ الْـكَبِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَكْرَمِ أَدَامَ اللهُ عُلَاهُ وَكَبَتَ أَعْدَاءَهُ، فَأَرَادَ شِرَاءَهُ وَاتَّفَقَ رَحِيلُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ إِلَى الْجَزِيرَةِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ثَمَنَهُ وَزِيَادَةً فِي مِثْلِهِ وَافِرَةً، فَلَمَّا عَلِمَ صَفِيُّ الدِّينِ أَنَّ الْمُشْتَرِيَ هُوَ الْوَزِيرُ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ ضَنَّ بِالْـكِتَابِ وَاغْتَبَطَ، وَاحْتَجَّ وَخَلَطَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ قَدَّمَهُ لِلْخِزَانَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ، فَكَتَبَ الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْقَيْلَوِيِّ — وَكَانَ وَسِيطَهُ فِي شِرَاءِ الْـكِتَابِ الْمَذْكُورِ — مَا هَذِهِ نُسْخَتُهُ:

العزُّ لِلّهِ وحدَهُ

أَتَانِى كِتَابٌ مِنْ حَبِيبٍ فَشَاقَنِى
إِلَيْهِ وَزَادَ الْقَلْبَ وَجْداً عَلَى وَجْدِ

وَكِدْتُ لِمَا أَضْمَرْتُ مِنْ لَاعِجِ الْهَوَى
وَوَجْداً عَلَى مَافَاتَ أَقْضِى مِنَ الْوَجْدِ

وُقِفَ عَلَى الْكِتَابِ الْكَرِيمِ الصَّادِرِ عَنِ الْمَجْلِسِ السَّامِى الْقَضَائِىِّ الْعِزِّىِّ — لَا زَالَتْ سِيَادَتُهُ تَتَجَدَّدُ، وَسَعَادَتُهُ تَتَأَكَّدُ، وَفَوَاضِلُهُ تَتَرَدَّدُ، وَفَضَائِلُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ تَصْدُرُ، وَفِى الْمَجَالِسِ تُورَدُ — وَعَلِمْتُ إِشَارَتَهُ فِى التَّذْكِرَةِ الْمُسَيْلِمِيَّةِ وَالنِّيَّةَ فِى حَمْلِهَا إِلَى الْخِزَانَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ، وَلَقَدْ زُفَّتْ إِلَى أَجَلِّ خَاطِبٍ، وَرَقِيَتْ بَعْدَ انْحِطَاطِهَا إِلَى أَسْنَى الْمَرَاتِبِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِكْرَ فِكْرِ أَكَابِرَ، فَمَا هِىَ إِلَّا بِنْتُ عِدَّةِ آبَاءٍ، وُلِدَتْ عَلَى فِرَاشِ عَوَاهِرَ، كَانَ عَلَيْهِ الْبِغَاءُ فِى الْعَالَمِينَ عَلَامَةً، أَعْنِى ابْنَ مُسَيْلِمَةَ ذَا الدَّاءِ، وَأَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ، فَجَاءَتْ ذَاتَ غَرَامٍ لَا يَشْفِى قَطْمَهَا إِلَّا السُّودَانُ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَكُونَ نَاكِحَهَا الثَّانِىَ لِاتِّفَاقِ الْأَلْوَانِ، وَأَبَى اللهُ لَهَا إِلَّا أَنْ تُهْدَى إِلَى الْمَقَرِّ

الأَرْفَعِ ، وَأَنْ يَقَعَ[1] الإِبْتِنَاءُ بِالْبَغِيّ مِنَ الْهُمَامِ الأَرْوَعِ ، وَلَسْتُ يَائِساً عَلَى عَدَمِهَا ، وَلَا رَاجِياً[2] شِفَاءَ كَلْمِي بِكَلِمِهَا :

تَحَمَّلَ أَهْلُهَا عَنِّى فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

وَكَأَنِّى بِسَامِيهِ عَرَضَ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى مَنْ لَا أُسَمِّيهِ ، فَقَرَنَ حَاجِبَيْهِ ، وَلَوَى شَفَتَيْهِ ، وَلَمَسَ عُثْنُونَهُ تَعَجُّباً ، وَأَمَالَ عِطْفَيْهِ تَظَرُّفاً وَقَالَ : أَذْكَرَنِى سَجْعَ الْكُهَّانِ ، وَأَسْمَعَنِي قَعْقَعَةَ صَعْصَعَةَ بْنِ صَوْحَانَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُونَ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْثَةُ مَصْدُورٍ ، صَدَرَ نَافِثُهَا بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ ، وَأَمَّا سُؤَالُهُ عَمَّا حَصَلَ مِنَ الْكُتُبِ فِي غَيْبَتِهِ ،

فَمَا هِيَ إِلَّا الْبَحْرُ جَادَ بِدُرِّهِ وَمَكَّنَنِي مِنْ لُجِّهِ وَسَوَاحِلِهْ

حَصَلَ مِنْ نَفَائِسِهَا أَعْلَاقٌ نَفِيسَةٌ ، وَأَضْحَتْ عَلَى بُغْضِ الْمُزَاحِمِ عَلَيْهَا مَوْقُوفَةً حَبِيسَةً ، لَوِ امْتَدَّتْ يَدٌ إِلَيْهَا لَشَلَّتْ ، وَلَوْ سَعَتْ إِلَيْهَا قَدَمٌ لَمَا أَقَلَّتْ جُثَّتَهَا وَلَا اسْتَقَلَّتْ ، لَا ابْنُ الْعَدِيمِ يَعْدَمُهَا ، وَلَا الْقَيْلَوِيُّ يُقَلِّلُهَا ، وَلَا الصَّفِيُّ يَصْطَفِيهَا ، وَلَا الْمُجِدُّ يَخْتَزِلُهَا ،

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « يضع » (٢) فى الأصل : « راج »

خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

وَتَعْدَادُ الْمُجَدَّدِ مِنْهَا يَقْصُرُ عَنْهُ الْكِتَابُ، وَيَقْصُرُ دُونَهُ الْخِطَابُ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

﴿ ٣٥ – أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْطِقِيُّ * ﴾

أبو علي المنطقي

لَمْ أَظْفَرْ بِاسْمِهِ وَهُوَ مُجِيدٌ. قَالَ الْخَالِعُ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَتَنَقَّلَ عَنْهَا فِي الْبِلَادِ، وَمَدَحَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَابْنَ عَبَّادٍ، وَانْقَطَعَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى نَصْرِ بْنِ هَارُونَ، ثُمَّ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَسَنِ الْوَزِيرِ، وَكَانَ جَيِّدَ الطَّبَقَةِ فِي الشِّعْرِ وَالْأَدَبِ عَالِمًا بِالْمَنْطِقِ قَوِيَّ الرُّتْبَةِ فِيهِ، وَجَمَعَ دِيوَانَهُ وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْ بَيْتٍ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَاتَ بِشِيرَازَ بَعْدَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَكَانَ ضَعِيفَ الْحَالِ ضَيِّقَ الرِّزْقِ عَارِفًا[1].

« وَجَدْتُ عَلَى حَاشِيَةِ الْأَصْلِ مَا هَذَا صُورَتُهُ: « إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » . مَا يَحْتَاجُ مُسْتَدِلٌّ عَلَى أَنَّ الْأَرْزَاقَ لَيْسَتْ بِالِاسْتِحْقَاقِ بِأَقْوَى مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ لَوْ وُفِّيَ حَقَّهُ لَكَانَ أَعْظَمَ قَدْرًا مِنَ الْمُتَنَبِّي، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِدُونِهِ فِي الشِّعْرِ جَوْدَةً وَصِحَّةَ مَعْنًى وَمَتَانَةَ لَفْظٍ وَحَلَاوَةَ اسْتِعَارَةٍ وَسَلَاسَةَ كَلَامٍ،

(١) رجل عارف : صبور

(*) لم نعثر على من ترجم له فيما رجعنا إليه من مظان

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مَزَّاحاً طَيِّبَ الْعِشْرَةِ حَادَّ النَّادِرَةِ ، وَأُصِيبَ بِعَيْنِهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ . وَهَذَا الْقَدْرُ حَكَاهُ الْخَالِعُ مِنْ خَبَرِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَ ذَلِكَ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَا رِئْمُ وَجْدِي فِيكِ لَيْسَ يَرِيمُ (١)
بَيْنَ الضُّلُوعِ وَإِنْ رَحَلْتِ مُقِيمُ
لَا تَحْسَبِي قَلْبِي كَرَبْعِكِ خَالِياً
فِيهِ وَإِنْ عَفَتِ الرُّسُومُ رُسُومُ (٢)
تَبْلَى الْمَنَازِلُ وَالْهَوَى مُتَجَدِّدٌ   وَتَبِيدُ خَيْمَاتٌ وَيَبْقَى الْخِيمُ (٣)

وَمِنْ شِعْرِهِ لَمَّا أُصِيبَ بِبَصَرِهِ :

مَا لِلْهُمُومِ إِذَا مَا هِيمُهَا (٤) وَرَدَتْ
عَلَيَّ لَمْ تَقْضِ مِنْ وِرْدٍ إِلَى صَدَرِ (٥)
كَأَنَّمَا وَافَقَ الْأَعْشَابَ رَائِدُهَا
لَدَى حِمَايَ فَقَدْ أَلْقَى عَصَا السَّفَرِ
إِنْ يَجْرَحِ الدَّهْرُ مِنِّي غَيْرَ جَارِحَةٍ
فَفِي الْبَصَائِرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْبَصَرِ

(١) أي لايفارق (٢) رسوم مبتدأ خبره فيه (٣) الخيم : الطبع
(٤) الهيم جمع أهيم : الابل العطاش (٥) الورد : الاقبال على الماء ، والصدر : الرجوع عن الماء . يريد أنها لاتفارقه

وَلَهُ فِي الْخَمْرِ :

وَقَهْوَةٍ مِثْلَ رَقْرَاقِ السَّرَابِ غَدَا
حَبَبُ الْمِزَاجِ عَلَيْهَا جَيْبَ مَزْرُورِ

تَخْتَالُ إِنْ بَثَّ فِيهَا الْمَاءُ لُؤْلُؤَهُ
مَا بَيْنَ عِقْدَيْنِ مَنْظُومٍ وَمَنْثُورِ

سَلَّتْهَا مِثْلَ سَلِّ الْفَجْرِ صَارِمَهُ
وَأَحْجَمَ اللَّيْلُ فِي أَثْوَابِ مَوْتُورِ

كَأَنَّهَا إِذْ بَدَتْ وَالْكَأْسُ تَحْجُبُهَا
رُوحٌ مِنَ النَّارِ فِي جِسْمٍ مِنَ النُّورِ

إِذَا تَعَاطَيْتُ مَحْزُونًا أَبَارِقَهَا
لَمْ يَعْدُنِي كُلُّ مَفْرُوحٍ وَمَسْرُورِ

أُمْسِي غَنِيًّا وَقَدْ أَصْبَحْتُ مُفْتَقِرًا
كَأَنَّنِي الْمَلْكُ بَيْنَ النَّايِ وَالزِّيرِ (١)

وَلَهُ فِي نَصْرِ بْنِ هَارُونَ :

يَنَالُ عُلَاهُ مَا السُّهَا عَنْهُ عَاجِزٌ (٢)
وَيَسْقِي نَدَاهُ مَنْ تَجَاوَزَهُ الْقَطْرُ

---

(١) يقول : أمسى غنيا وكنت فقيرا فى الصباح ، وذاك من شربى الخمر ، فهو يشعر بالغنى والملك إذا ماصحبهما السماع (٢) يريد أن علاه ينال ما بعد حتى مايعجز السها عنه ، والسها : كوكب بعيد العلو ، وقوله : يسقى نداه ، الخ يريد به أن كرم هذا الممدوح وعطاءه يعمان جميع المحتاجين . « عبد الخالق »

وَيَصْنَعُ فِي الْأَعْدَاءِ خَوْفُ انْتِقَامِهِ
مِنَ الْقَتْلِ مَالَا تَصْنَعُ الْبِيضُ وَالسُّمْرُ
لَأَعْطَيْتَ حَتَّى اسْتَنْزَرَ[1] الْغَيْثُ فِعْلَهُ
وَآمَنْتَ حَتَّى قِيلَ لَمْ يُخْلَقِ الذُّعْرُ

وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً :

بِهِ تَخْضَرُّ أَغْصَانُ الْأَمَانِي ... وَيُجْبَرُ عِنْدَهُ الْأَمَلُ الْكَسِيرُ
وَتَبْسِمُ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ ... كَمَا ابْتَسَمَتْ عَنِ الشَّنَبِ الثُّغُورُ
لَقَدْ سَهُلَتْ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى ... لَقَالَ النَّاسُ لَمْ تَكُنِ الْوُعُورُ
وَكَيْفَ أَخَافُ دَهْراً ؟ أَنْتَ بَيْنِي
وَبَيْنَ صُرُوفِهِ أَبَداً سَفِيرُ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي ابْنِ مَعْرُوفٍ :

فِي الْبَرْقِ لِي شَاغِلٌ عَنْ لَمْعَةِ[2] الْبَرْقِ
بَدَا وَكَانَ مَتَى مَا يَبْدُ لِي يَشُقِ[3]
مُنَفِّراً[4] سِرْبَ نَوْمِي عَنْ مَرَاتِعِهِ
كَأَنَّمَا اشْتُقَّ مَعْنَاهُ مِنَ الْأَرَقِ

---

(١) استنزر : استقل ، والمعنى أن الغيث بعد غيثه الذى يجود به قليلا ، فالضمير فى فعله راجع إلى الغيث (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : ملة (٣) البرق الأول : مكان ، والثانى : برق السحاب (٤) حال من الفاعل فى بدا « عبد الخالق »

أَخُو ثَنَايَا الَّتِي بِالْقَلْبِ مُذْ طَعَنَتْ
أَضْعَافُ مَا بِوِشَاحَيْهَا مِنَ الْقَلَقِ (١)

مَا كَانَ يَسْرِقُ مِنْ حِرْزِ الْجُفُونِ كَرًى
لَوْ أَنَّهُ مِنْ لَمَاهَا غَيْرُ مُسْتَرِقِ (٢)

وَلَهُ :

نُوَارُ وَهْيَ نَوَارٌ مِنْ مُسَاعَفَتِي
وَهِنْدُ وَهْيَ بِبِيضِ الْهِنْدِ تَعْتَصِمُ (٣)

تِرْبَانِ إِنْ تَكُ مِنْ جَدْوَاهُمَا تَرِبَتْ
يَدُ الْمُحِبِّ فَوِجْدَانُ الْهَوَى عَدَمُ (٤)

غَضُّ الْمُحَيَّا إِذَا لَاحَظْتَ وَجْنَتَهُ
كَادَتْ لِحَاظُكَ فِي دِيبَاجِهَا تَسِمُ (٥)

(١) أضعاف مبتدا خبره بالقلب ، والجملة صلة ، والثنايا : الأسنان ، وقد شبه البرق بأسنانها فى البريق واللمعان (٢) لو أن البرق لم يسرق من لماها لما قدر على سرقة الكرى من الجفون ، واللمى : سمرة فى الشفة ، أوشربة سواد فيها ، ويقصد الشاعر به بريق الأسنان ولمعانها (٣) نوار الأولى : علم ، والثانية بمعنى نفور ، وهند الأولى : علم ، والثانية : لحاظها إذ جعلها مثل سيوف الهند مضاء وإصابة

(٤) تربت يداه : لا أصاب خيرا وقيل معناها لله دره ، وقيل : أصاب التراب وعلى كل حال فالمراد أنه نال شيئاً ولكنه كالعدم ، و وجدان الهوى عدم مهما نلت من المحبوب ، فان جدواه لاتوازن شيئا مما يفعله الهوى (٥) غض المحيا : نضر الوجه ، ولحاظك تكاد تجعل علامة فى وجنتيه إذا نظرت إليه ، وفى هذا البيت تشبيه وجهه بالديباج

« عبد الخالق »

وَلَهُ يُعَاتِبُ :

صَافَيْتُ فَضْلَكَ لَا مَا أَنْتَ بَاذِلُهُ
وَعَاشِقُ الْفَضْلِ يُغْرَى كُلَّمَا عُذِلَا

إِنِّى أُعِيذُكَ مِنْ قَوْلِى لِسَائِلِهِ[1] :
لَقَدْ حَدَوْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ جَمَلَا

وَقَالَ فِى صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ :

لَا عَضَّنِي الدَّهْرُ الْخَئُونُ فَإِنَّهُ
قَدْ كَانَ قَبْلَ رُقَاكَ صِلاًّ أَرْقَمَا[2]

أَنْتُمْ بِحَارٌ جَارِيَاتٌ بِالنَّدَى
لَكِنَّهَا فِى الرَّوْعِ جَارِيَةٌ دَمَا

وَلَهُ :

لَيْثٌ أَبُو شِبْلَيْنِ لَمْ يُسْلِمْهُمَا[3]
كَرَمُ الْجُدُودِ وَلَا سُمُوُّ جُدُودِ

لِلْمَجْدِ سِرٌّ لَمْ يُضَيَّعْ فِيهِمَا   وَالرَّاحُ سِرٌّ فِى جَنَى الْعُنْقُودِ

(١) يريد السائل عن الفضل ، ومقول القول : لقد حدوت ، فهو يقول لصاحبه : إنى أربأ بك عن قولى : لقد حدوت ولكن الخ (٢) رق جمع رقية ، والمراد : ما تعوذ به من عطاياه فأمن عض الدهر ، والصل الأرقم : الحية الخبيثة المنقطة

(٣) يريد : لم يسلمهما إلى غير المطلوب ما ثبتا عليه من كرم الجدود وإقبال الحظوظ ، والبيت بعده غاية فى الابداع «عبد الخالق»

وَلَهُ :

أَكُفُّكُمُ تُعْطِى وَيَمْنَعُنَا الْحَيَا
وَأَقْلَامُكُمْ تَمْضِى وَتَنْبُو الصَّوَارِمُ
وَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ إِنْ يَكُ لِلْعُلَا
جَنَاحاً فَأَنْتُمْ لِلْجَنَاحِ الْقَوَادِمُ
مَضَى وَبَقِيتُمْ أَبْحُراً وَأَهِلَّةً ... وَزَهْرُ الرُّبَا يَبْقَى وَتَمْضِى الْغَمَائِمُ

وَلَهُ :

قَوْلِى يُقَصِّرُ عَنْ فَعَالِكْ ... تَقْصِيرَ جَدِّكَ عَنْ كَمَالِكْ
وَالْحَمْدُ يَنْبُتُ كُلَّمَا ... هَطَلَتْ سَمَاءٌ مِنْ نَوَالِكَ

وَلَهُ[1] :

كَأَنَّ دَبِيبَهَا فِى كُلِّ عُضْوٍ
دَبِيبُ النَّوْمِ فِى أَجْفَانِ سَارِى
صَدَعْتُ بِهَا رِدَاءَ الْهَمِّ عَنِّى ... كَمَا صَدَعَ الدُّجَى وَضَحُ النَّهَارِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِى عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَذْكُرُ الصِّدْقَ :

مَا زِلْتَ تُنْصِفُ فِى قَضَايَاكَ الْعُلَا
قُلْ لِى : فَمَا بَالُ الضُّحَى يَتَظَلَّمُ ؟

(١) يظهر أنه يصف الخمر

أَهْدَيْتَ رَوْنَقَهُ إِلَى جُنْحِ الدُّجَى
فَاعْتَنَّ[1] أَشْهَبَ وَهُوَ طِرْفٌ أَدْهَمُ
حَتَّى كَأَنَّ اللَّيْلَ صُبْحٌ مُشْرِقٌ
وَكَأَنَّ ضَوْءَ الصُّبْحِ لَيْلٌ مُظْلِمُ
هِيَ لَيْلَةٌ لَبِسَتْ رِضَاكَ فَأَشْرَقَتْ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ بِسُخْطِكَ تُظْلِمُ
مَا كَانَ فِي ظَنِّ امْرِىءٍ مِنْ قَبْلِهَا[2]
أَنَّ الْمُلُوكَ عَلَى اللَّيَالِي تَحْكُمُ

وَلَهُ :

أَنَامَ جُفُونَ الْحِقْدِ وَالْحِقْدُ سَاهِرٌ
وَأَيْقَظَ طَرْفَ الْمَجْدِ وَالْمَجْدُ نَائِمُ
إِذَا أَشْكَلَتْ يَوْمًا لُغَاتُ انْتِقَامِهِ
عَلَى مَعْشَرٍ فَالْمُرْهَفَاتُ تَرَاجِمُ
وَمَنْ شَاجَرَ الْأَيَّامَ عَنْ مَأْرَاتِهَا
فَأَمْضَى لِسَانَيْهِ الْقَنَا وَالصَّوَارِمُ

(١) اعتن : بدا أمامك واعترض . والشهب : بياض يصدعه سواد

(٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : بعدها

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَقَفْنَا بِهَا وَالشَّوْقُ يَفْرِى قُلُوبَنَا
لَوَاعِجُهُ وَالصَّبْرُ غَيْرُ مُطَاوِعِ

سُقِيتِ[1] رُجُوعَ الظَّاعِنِينَ فَإِنَّنَا
نُجِلُّكِ عَنْ سُقْيَا الغَمَامِ الْهَوَامِعِ

فُجِعْنَا بِأَبْكَارِ الْمُنَى يَوْمَ خَاطَبَتْ
رُبُوعَكَ أَبْكَارُ الْخُطُوبِ الْفَوَاجِعِ

وَمِنْهَا :

وَخَيْلٍ إِذَا كَظُّ[2] الطِّرَادِ أَرَاحَهَا
أَصَابَتْ بِحَرِّ الطَّعْنِ بَرْدَ الشَّرَائِعِ

تَكَادُ تَرَى بِالسَّمْعِ حَتَّى كَأَنَّمَا
نَوَاظِرُهَا مَخْلُوقَةٌ فِى الْمَسَامِعِ

إِذَا مَا دَجَا لَيْلُ الْكَرِيهَةِ أَطْلَعَتْ
نُجُومَ قَنًا يَغْرُبْنَ بَيْنَ الْأَضَالِعِ

---

(١) يدعو لها بالسقيا ، وهذه السقيا التى يقصدها هي رجوع أهلها الظاعنين إليها

(٢) كظ الطراد : شدته ، والشرائع جمع شريعة : موارد الماء ، يقول الشاعر : إن هذه الخيل إذا أسلمتها شدة الطراد والقتال إلى الراحة بعد انتهاء الحرب فإنها تصيب أى تجد بدلا من حر الطعن برد الشرائع .

وَلَهُ :

عَلَى عَجَلٍ أَلَمَّ بِهِ الْخَيَالُ فَإِنَّ كَرَاهُ بَعْدَكُمُ مُحَالُ
فَبَاتَ مُعَانِقاً وَالْجِيدُ وَهْمٌ وَمُرْتَشِفاً وَأَحْلَى الرِّيقِ آلُ
لَدَى لَيْلٍ كَأَنَّ النَّجْمَ فِيهِ عَلَى خَدِّ الظَّلَامِ الْجَوْنِ خَالُ
يُضَامُ الرُّمْحُ لَيْسَ لَهُ مَدَارٌ وَيَكْبُو الطَّرْفُ لَيْسَ لَهُ مَجَالُ
طُبِعْتُ عَلَى الْوَفَاءِ الْمَحْضِ قِدْماً كَمَا طُبِعَتْ عَلَى الْقَطْعِ النِّصَالُ

وَمِنْهَا :

تَوَسَّمَتِ الْقَوَابِلُ فِيهِ مَجْداً فَقَالَتْ : أَوَّلُ الْبَدْرِ الْهِلَالُ
وَأَطْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى الْعَطَايَا إِذَا غُنِّي فَأَسْمَعَهُ السُّؤَالُ
مُصَاحِبُ هِمَّةٍ خَفَّتْ عَلَيْهَا مِنَ الْأَيَّامِ أَعْبَاءٌ ثِقَالُ
كَرُمْتَ فَلَوْ سَأَلْنَاكَ الْمَسَاعِي (١) وَهَبْتَ وَغَيْرُهَا تَهَبُ الرِّجَالُ
وَأَكْرَمُ مَنْ قِرَاكَ فَتًى عَلَيْهِ بَنُو الدُّنْيَا وَأُمُّهُمُ عِيَالُ

وَقَالَ فِي الْوَزِيرِ ابْنِ صَالِحَانَ :

عَلَى الطَّيْفِ أَنْ يَغْشَى الْعَمِيدَ الْمُتَيَّمَا
وَلَيْسَ عَلَيْهِ رَدُّ نَوْمٍ تَصَرَّمَا

---

(١) يريد مساعيه التي يسمو إليها وهي مما يضن به الانسان ولكنه سمح بكل شيء وغيره من الرجال لا يهب كما تهب ، وإنما يعطى غير المساعي ، ولهذا جعله أكرم قار ، وجعل العالم من بنين وأمهات عيالا عليه .

خَيَالٌ سَرَى يبْغِي خيَـالًا وَمُغْرَمٌ
بِلُبْسِ قَمِيصِ اللَّيْـلِ يَمَّمَ مُغْرَمَا
دَنَا وَالظَّلَامُ الْجَوْنُ غَضٌّ شَبَابُهُ
فَأَهْدَى إِلَيْـهِ الشَّيْبَ لَمَّا تَبَسَّمَا[1]
أَتِلْكَ اللآلِي مِنْ ثَنَـايَاهُ أُلِّفَتْ
عَلَيْـهِ عقُوداً أَمْ تَقَـلَّدَ أَنْجُمَا[2]؟؟
أَمَا وَالْحِمَا إِنَّ الْـكَرَى لَسَمِيُّهُ
عَلَى مُقْلَتِي مُذْ أَخْلَقَتْ جِدَّةُ الْحِمَا[3]
لَأَشْكَلَ حَتَّى مَا يَعُودُ بَنُو الْهَوَى
مَعَـالِمَهُ الْأَنْضَاءَ إِلَّا تَوَهُّمَـا[4]
وَلَيْـلٍ أَكَلْنَا الْعِيسَ تَحْتَ رِوَاقِهِ
بِأَيْدِي سُرًى تَثْنِي الرَّوَاسِمَ أَرْسُمَا[5]

(١) يقول : جاءه الخيال والليل حالك السواد ، فلما تبسم أضاء الظلام، فالشيب مراد به الضوء (٢) ومن هنا يقول : أثنايا المحبوب الشبيهة باللآلىء نظمت عليه عقودا أم ما نراه نجوما ؟ وهذا تجاهل العارف . (٣) يقسم بحمى حبيبه أن الكرى مذ أخلقت جدة الحمى برحيل أهله إذ صار كالثوب الخلق لأشكل ، فجواب القسم فى البيت التالى : لأشكل . (٤) يريد صار مشكلا حتى أن المحبين لا يعودون معالمه المهزولة إلا توهما ، وأما أنهم يناءون فلا شىء من هذا . (٥) أكلنا العيس تجوز مراد به : أنهم ركبوا العيس إذ رواق الليل ممدود ، وكأن الآكل أيدى السرى التى جعلت العيس كالرسوم الباقية من الديار إذ هزلت من السرى ، والرواسم : الابل « عبد الخالق »

بَهِيمٌ نَضَوْنَا بُرْدَهُ وَهُوَ مُخْلِقٌ ... وَكُنَّا لَبِسْنَاهُ قَشِيبًا مُسَهَّمًا (١)

هَدَاهَا (٢) إِلَى مَغْنَى الْوَزِيرِ نَسِيمُهُ ... وَمِنْ شَرَفِ الْأَخْلَاقِ أَنْ تَتَنَسَّمَا

يَصُوبُ عَلَى الْعَافِينَ مُزْنُ بَنَانِهِ ... فَيُكْبِتُ حُسَّادًا وَيُنْبِتُ أَنْعُمَا

وَلَهُ :

غَيُّ الْهَوَى لِلصَّبِّ غَايَةُ رُشْدِهِ ... فَذَرِيهِ مِنْ حَلِّ الْمَلَامِ وَعَقْدِهِ

قَرُبَتْ مَرَاكِبُ وَعْظِهِ وَلَجَاجُهُ ... فِي الْحُبِّ يُنْتِجُ قُرْبُهُ مِنْ بُعْدِهِ

وَاللَّيْلُ تُكْحَلُ مُقْلَتَاهُ بِإِثْمِدٍ ... وَالْأُفْقُ يُزْهِرُ دُرُّهُ (٣) فِي عِقْدِهِ

فَكَأَنَّ زِنْجِيًّا تَبَسَّمَ ثَغْرُهُ ... إِسْفَارُ ذَاكَ اللَّوْنِ فِي مُرْبَدِّهِ (٤)

تَعَبُ الْفَتَى جِسْرٌ إِلَى (٥) رَاحَاتِهِ ... يُفْضِي وَنَهْضَةُ جَدِّهِ فِي جِدِّهِ

وَإِذَا ابْنُ عَزْمٍ لَمْ يَقُمْ مُتَجَرِّدًا ... لِلْحَادِثَاتِ فَصَارِمٌ فِي غِمْدِهِ

---

(١) البهيم : الليل ، والقشيب : الجديد ، والمسهم : المخطط ، ونضاه من برده : جرده منه (٢) الضمير فى هداها راجع للعيس (٣) يقول : إن الليل قد حلك سواده كأنما كحل بإثمد ، والأفق أزهرت نجومه الدرية (٤) جملة تبسم خبر كأن ، وكأن ومعموليها خبر مقدم ، وإسفار مبتدأ مؤخر ، يريد أن الليل مظلم تسفر فيه النجوم الزاهرة كأنه زنجى يبتسم ، فتشبه إسفار ضوء النجوم فى مربد الليل الحالك السواد بزنجى يبتسم (٥) إلى راحاته متعلق بيفضى « عبد الخالق »

فَالسَّيْفُ سُمِّيَ فِي النَّوَائِبِ عُدَّةً لِمَضَائِهِ فِيهِنَّ لَا لِفِرِنْدِهِ

وَمِنَ الْمَدْحِ :

تُثْنِي عَلَيْهِ وَإِنْ تَكَرَّمَ غَيْرُهُ فَتَرَاهُ مَشْكُورًا بِمَا لَمْ يُسْدِهِ

عِلْمًا بِأَنَّ بَنِي السَّمَاحِ تَعَلَّمُوا مِنْهُ فَكُلُّ صَنِيعَةٍ مِنْ عِنْدِهِ

وَلَهُ فِي عَضُدِ الدَّوْلَةِ :

أَرَبْعَ الصِّبَا غَالَتْكَ بَعْدِي يَدُ الصِّبَا

وَصَعَّدَ طَرْفُ الْبَيْنِ فِيكَ وَصَوَّبَا؟؟

لَئِنْ رَمَقَتْ عَيْنُ النَّوَى حُورَ عِينِهِ[1]

فَبِنَّ لَقَدْ غَادَرْنَ قَلْبًا مُعَذَّبَا

تَأَوَّدْنَ قُضْبَانًا وَلُحْنَ أَهِلَّةً

وَغَازَلْنَ غِزْلَانًا وَلَاحَظْنَ رَبْرَبَا

وَمِنْهَا :

رَدَدْتَ شَبَابَ الْمُلْكِ نَضْرًا وَلَمْ يَزَلْ

بِغَيْرِكَ مُغْبَرَّ الْمَفَارِقِ أَشْيَبَا

فَلَوْ كَانَتِ الْأَيَّامُ قَبْلَكَ رَحَّبَتْ

بِشَخْصٍ لَقَالَتْ إِذْ تَرَاءَيْتَ مَرْحَبَا

(١) يريد العين جمع عيناء : واسعة العين الشبيهات بالحور

وَلَهُ قصيدَةٌ إِلَى أَبِي بَكرٍ الْعَلَّافِ يَتَشَوَّقُهُ :

كَأَنَّ الْبَيْنَ تِرْبُ الْمَوْتِ لَكِنْ
يُوَارِى فِي الضَّنَا لَا فِي الثِّيَابِ

وَلَوْلَا أَنَّ فَرْطَ الشَّوْقِ وَاشٍ
بِحُبِّكَ لَاسْتَزَدْتُكَ ضِعْفَ مَا بِي

جَمَعْتَ غَرَائِبَ الْآدَابِ حَتَّى
إِذَا قُرِنَتْ إِلَى النِّعَمِ الرِّغَابِ

ظَلِلْتُ مُنَادِيًا فِي كُلِّ أُفْقٍ
بِصَوْتِ الْبَذْلِ حَيَّ عَلَى انْتِهَابِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْعَلَاءِ بْنِ الْحَسَنِ الْوَزِيرِ :

أُعَاطِى كُئُوسَ اللَّهْوِ كُلَّ غَرِيرَةٍ
إِذَا مَا انْثَنَتْ قَدَّتْ فُؤَادَكَ بِالْقَدِّ

تُلَاحِظُ عَنْ سِحْرٍ وَتُسْجِرُ عَنْ دُجًى
وَتُسْفِرُ عَنْ صُبْحٍ وَتَبْسِمُ عَنْ عِقْدِ (١)

إِذَا نَثَرَتْ أَيْدِى الصَّبَا دُرَّ لَفْظِهَا
نَظَمْنَ عَلَى الْأَحْشَاءِ عِقْدًا مِنَ الْوَجْدِ

كَمَا نَظَمَتْ كَفَّا أَبِي الْقَاسِمِ الْعُلَا
نِظَامَ لَآلِي السِّمْطِ بِالنَّثْرِ لِلرِّفْدِ

(١) من أبدع أنواع التقسيم ، إذ لحاظها سحر ، وشعرها المسجر ليل ، ووجهها صبح ، ومبسمها عقد من الدر ، وشعر مسجر : مسترسل

إِذَا اتَّصَلَتْ أَقْلَامُهُ بِطُبَاتِهِ
تَقَطَّعَ مَا بَيْنَ الطَّوَائِلِ وَالْحِقْدِ
فَلَا يَهْنَأِ الْأَعْدَاءَ أَنَّ مَكَانَهُ
خَفِيٌّ فَقَدْ تَخْفَى الشَّرَارَةُ فِي الزَّنْدِ

وَلَهُ :

نِعَمٌ لَوَ انَّ النَّاسَ وُرْقُ حَمَائِمٍ
لَغَدَتْ لَهُمْ بَدَلًا مِنَ الْأَطْوَاقِ
وَمَوَاهِبٌ تَمْضِي وَيَبْقَى ذِكْرُهَا سِمَةً عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ الْبَاقِي

وَلَهُ :

أَرَاعَكَ صِدْقُ الطَّيْفِ أَمْ كَذِبُ الْحُلْمُ
وَكَمْ مِنْ خَيَالٍ وَشْكُ إِلْمَامِهِ لَمَمْ
سَرَى وَالدُّجَى قَدْ حَالَ صِبْغُ قَمِيصِهِ
وَفِي ذَيْلِهِ نَارٌ مِنَ الصُّبْحِ تَضْطَرِمْ
كَأَنَّ نُهُوضَ الْفَجْرِ فِي أُخْرَيَاتِهِ
بَدَاءُ بَيَاضِ الشَّيْبِ فِي أَسْوَدِ اللِّمَمْ
أَمِينٌ عَلَى سِرِّ الْمَعَالِي وَسَيْفُهُ
عَلَى مُهَجِ الْأَعْدَاءِ فِي الرَّوْعِ مُتَّهَمْ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الدُّلجِيّ

لَأَصْبِرَنَّ عَلَى مَاسَاءَنِي زَمَنِي
صَبْرُ الْكَرِيمِ عَلَى الإِقْلَالِ إِكْثَارُ
مَدَحْتُ قَوْمًا فَإِنْ حَاضَ اللِّسَانُ بِهِمْ
فَسَوْفَ يَعْقُبُ ذَاكَ الْحَيْضَ أَطْهَارُ
إِذَا الْمُعَمَّرُ تِرْبُ الْمَجْدِ أَلْثَمَنِي رُكْنَيْ يَدٍ ثَمَدُمَا تُسْدِيهِ تَيَّارُ[1]
يَدٌ هِيَ الْغَيْثُ أَوْ فِيهَا مَوَاطِنُهُ فَكُلُّ مَا صَافَحَتْهُ فَهُوَ نَوَّارُ
هُنَاكَ أَخْطُبُ وَالْعَلْيَا مَنَابِرُهَا مَنْصُوبَةٌ وَجَبِينُ الدَّهْرِ حُوَّارُ[2]

وَلَهُ :

وَأَبْنَاءِ حَاجَاتٍ أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ
يَدُ السَّيْرِ كَأْسَ الأَيْنِ وَاللَّيْلُ دَامِسُ
يَمِيلُونَ فَوْقَ الْعِيسِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ
شُرُوبٌ تَسَاقَى وَالرِّحَالُ الْمَجَالِسُ
أَصَاخُوا وَقَدْ غَنَّيْتُهُمْ بِاسْمِ مَاجِدٍ
لِأَقْلَامِهِ تَعْنُو الرِّمَاحُ الْمَدَاعِسُ[3]

---

(١) إذا مكنني من لثم ركني يده فهناك أخطب ، وجعل ثمد يده أى قليلها جعله تيارا ، وأصل الثمد : البقية القليلة من الماء (٢) الحوار : الدقيق الأبيض يشبه به جبين الدهر (٣) رمح مدعس : كثير الطعن

وَلَمَّا بَلَغْنَاهُ تَهَلَّلَ عَارِضٌ ... سَقَى صَوْبُهُ الدُّنْيَا وَمَثْوَاهُ فَارِسُ

وَقَالَ فِى الْوَزِيرِ ابْنِ صَالَحَانَ

هُوَ الْبَرْقُ إِلَّا زَفْرَةٌ تَتَضَرَّمُ ... وَعَبْرَةُ مُشْتَاقٍ تَسُحُّ وَتَسْجُمُ

تَبَسَّمَ حَتَّى كَادَ يَبْكِى وَرُبَّمَا ... تَرَاءَى فَأَبْكَى الْبَارِقُ الْمُتَبَسِّمُ (١)

وَلَمَّا أَلَمَّ الطَّيْفُ شَكَّكَ أَنَّنَا ... لِدِقَّةِ شَخْصَيْنَا الْخَيَالُ الْمُسَلِّمُ ؟

مَزَجْتُ كُئُوسَ الرِّيقِ مِنْهُ بِأَدْمُعِى

فَبِتُّ أُسَقَّى قَهْوَةً مَزْجُهَا دَمُ

فَلَيْتَ فُؤَادِى ذَابَ فِى جَفْنِ مُزْنَةٍ

بِهَا رُوِّيَتْ دُورٌ ظِمَاءٌ وَأَرْسُمُ (٢)

وَخَرْقٍ (٣) رَحِيبِ الْبَاعِ لَوْ نِيطَ طُولُهُ

بِعُرْوَةِ عُمْرٍ لَمْ تَكَدْ تَتَصَرَّمُ

رَمَيْتُ فَمَا أَشْوَيْتُ (٤) ثُغْرَةَ نَحْرِهِ

وَمَا كُلُّ مَا تَرْمِى بِهِ الْعِيسَ يُسْهِمُ

---

(١) التركيب : ربما تراءى البارق الباسم فأبكى . (٢) يتمنى أن يكون فؤاده ذائبا فى جفن مزنة أروت رسوما ودورا ظماء ، فيكون قد أروى بقلبه دار الحبيبة

(٣) الخرق : الصحراء ، وصفها بالسعة والطول حتى أنها لو نيطت بعمر ، فان العمر يتصرم وهى لاتكاد تتصرم (٤) أشوى الجمل : أصاب شواه ، والشوى : ما ليس مقتلا كالأطراف ، وقحف الرأس ، وثغرة النحر ، فهو يقول : رميت بجملى فى هذه الفلاة فما تعب ، ولذلك يقول : ليس كل ما ترمى به العيس يجعلها ضامرة ، ويسهم : معناه يصيبها بالداء « عبد الخالق »

بَلَغْنَا بِهَا مَغْنَاهُ وَهِىَ أَهِلَّةٌ
فَلَاحَتْ لَنَا أَخْلَاقُهُ وَهِىَ أَنْجُمُ

وَلَهُ يَمْدَحُ :

يُصِيخُ إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا
سُرَى إِبِلِى فِى مَسْمَعَيْهِ سِرَارُ

وَكَمْ خَامِلٍ أَمْطَاهُ حَارِكَ[1] رُتْبَةٍ
حَرَاكٌ وَيَعْلُو التُّرْبُ حِينَ يُثَارُ

فَأَبَيْتَ أَنْ تَقِرِّ[2] عُيُونُ رَكَائِبِى
وَلَا غَرْوَ غَايَاتُ السُّيُولِ قَرَارُ

مَدَدْتَ إِلَى طَعْنِ الْكُمَاةِ عَزَائِمًا
طِوَالُ الْعَوَالِى بَيْنَهُنَّ قِصَارُ

فَمَا كَرُمَتْ كَرْمَانُ حَتَّى افْتَكَكْتَهَا
وَلَا أَصْحَرَتْ حَتَّى ارْتَجَتْكَ صُحَارُ[3]

إِذَا صَدَّ وَجْهُ الْبَحْرِ عَنْهَا تَيَقَّنَتْ
بِأَنَّكَ بَدْرٌ فِى يَدَيْهِ بِحَارُ

(١) الحارك : أعلى الكاهل ، (٢) اضطر الشاعر أن يقول : تقرر بالسكون

(٣) صحار وكرمان : مدينتان ، يقول : إن كرمان لم تهدأ حتى افتككتها من العدو ، وما أصحرت عزائمك : أى برزت إلى الصحراء حتى رجتك صحار أن تمتلكها

« عبد الخالق »

وَلَهُ :

جَذِلٌ بِمَا يُعْطِيهِمُ فَكَأَنَّمَا أَخْذُ الْمُؤَمِّلِ مِنْ نَدَاهُ عَطَاءُ
عَفْوٌ تَسِيلُ بِهِ الشِّعَابُ كَأَنَّمَا فِيهِ الذُّنُوبُ وَقَدْ طَفَوْنَ غُثَاءُ

وَلَهُ :

وَلَمَّا اسْتَرَدَّ الصُّبْحُ عَارِيَةَ الدُّجَى تَوَلَّى بَطِيئاً وَالدُّمُوعُ عِجَالُ
وَلَمْ أَرَ لِابْنِ الشَّوْقِ كَاللَّيْلِ سُلَّماً إِلَى حَاجَةٍ فِي الصُّبْحِ لَيْسَ تُنَالُ
كَرِيمٌ تَبَقَّتْ مِنْ سَجَايَاهُ فَضْلَةٌ
فَأَضْحَتْ عَلَى خَدَّيْهِ وَهِيَ جَمَالُ

وَلَهُ :

وَدَارِ وَغًى ثَنَتْهَا مُقْرَبَاتٌ بَرَاقِعُهَا شُحُوبٌ أَوْ سُهُومُ
نَزَلْتَ بِعَسْكَرٍ لِلطَّيْرِ فِيهِ عَسَاكِرُ حَوْلَ حَوْمَتِهَا تَحُومُ
بِحَيْثُ سَرَائِرُ الْأَغْمَادِ تَبْدُو وَقَلْبُ النَّقْعِ لِلسَّارِي كَتُومُ
تَصَالَحَتِ الْحُتُوفُ عَلَى الْأَعَادِي
وَيَضْحَكُ لِلطُّلَى مِنْهَا خُصُومُ
إِذَا أَوْرَدْتَهَا صَدَرَتْ رِوَاءً وَخَلَّتْ هَامَ قَوْمٍ وَهْيَ هِيمُ

وَلَهُ :

إِنْ كَتَمَ اللَّيْلُ حَدَّثَ الْعَبَقُ عَنْهَا وَبَعْضُ الْحَدِيثِ يُنْتَشَقُ

رُدّى عَلى الْعَيْنِ فَهِيَ طامِعَةٌ كَاسَ رُقَادٍ أَرَاقَهَا الأَرَقُ

وَلَهُ

عَلَيَّ إذا غنَيْتُ أَنْ تطرَبَ الْعُلَا فَلَيْتَ فُؤَادِي لِلسُّرُورِ مُنَادِمُ
وَيجْهَلُ قَوْلِي فِيكَ قَوْمٌ وَلَمْ يَكُنْ
لِيَفْهَمَ أَيْكٌ مَاتَقُولُ الْحَمَائِمُ

وَلَهُ :

غَدَاةَ صَدَقْتُ فَكَذَّبَتْنِي وَلَوْلَا الشَّقَاوَةُ لَمْ أَصْدُقِ
وَقَدْ كُنَّ مَا طَلَنَنَا حِقْبَةً فَلَيْتَ الْمِطَالَ عَلَيْنَا بَقِي

وَلَهُ :

دِمَنٌ مَرِضْنَ مِنَ الْبِلَى فَكَأَنَّمَا تَأْبَى الرِّيَاحُ طُلُولَهَا عُوَّادَا
مِنْ كُلِّ مُدْنَفَةِ الرُّسُومِ كَأَنَّهَا
مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِلْمُحِبِّ فُؤَادَا
إِنْ لَمْ يَطِرْ شَرَرُ السُّرَى مِنِّي فَلَا
قَدَحَتْ يَدِي لِلْمَكْرُمَاتِ زِنَادَا
فِي كُلِّ لَيْلٍ ثَاكِلٍ[1] لِصَبَاحِهِ
وَكَأَنَّمَا كُسِيَ الظَّلَامَ حِدَادَا

---

(١) ثاكل . صفة الليل بمعنى فاقد يريد استمرار السرى وطول الليل ، فكنى عن ذلك بقوله ثاكل

دَاجٍ إِذَا زُرّتْ عَلَى جُيُوبِهِ كُنْتُ الْحُسَامَ وَكَانَتِ الْأَغْمَادَا
أَحْسِنْ بِأَخْلَاقِ الظَّلَامِ وَإِنْ جَلَا[1]
وَجْهاً تَعَوَّضَ بِالشُّحُوبِ سَوَادَا
جَمَلٌ وَلَـكِنْ مَا يَلَذُّ رُكُوبَهُ
إِلَّا امْرُوٌ يَجِدُ الْمُنَى أَقْتَادَا
يَلْقَاهُ نَشْوَانَ الْجُفُونِ وَإِنَّمَا بَاتَتْ مُدَامَةُ مُقْلَتَيْهِ سُهَادَا[2]

وَلَهُ :

مَنَازِلَ ذَاتِ الْوَقْفِ إِنِّى لَوَاقِفٌ
عَلَيْكِ وَمَاءُ الْقَلْبِ لَا الدَّمْعَ ذَارِفُ
بَلِيتِ وَلَمْ يَبْلَ الْجَدِيدُ مِنَ الْهَوَى
وَحُلْتِ وَمَا حَالَ الْغَرَامُ الْمُحَالِفُ
أَتَرْقَا جُفُونِى وَالْحَيَا عَنْكِ مُمْسِكٌ
وَيَرْفُقُ وَجْدِى وَالْبِلَى بِكِ عَانِفُ ؟
وَقَالُوا انْتَشَى مِنْ غَيْرِ كَاسٍ وَلَوْ سُقُوا
هَوًى لَدَرَوْا أَنَّ السُّلَافَ السَّوَالِفُ
ضَعَائِفُ كَرَّاتِ اللَّحَاظِ وَإِنَّمَا تُبَرِّحُ بِالْجَلْدِ الْقَوِىِّ الضَّعَائِفُ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « خلا » (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : سوادا

وَلَهُ :

لَيْتَ النَّوَى تَرَكَتْنَا فِى يَدِ الْعَذَلِ
فَالسُّقْمُ بُؤْسٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْأَجَلِ
صَارَ الصُّدُودُ لَهَا أُمْنِيَّةً مَعَهَا
وَمَنْ لِذَائِقِ طَعْمِ الْمَوْتِ بِالْعِلَلِ؟
وَالْقَلْبُ أَوَّلُ مَنْ شَطَّ الْفِرَاقُ بِهِ
فَأَيْنَ مَسْرَحُ هَذَا الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ؟

وَلَهُ فِى عَضُدِ الدَّوْلَةِ :

لَوْ أَنَّ بَعْضَ سَمَاحِهَا فِى مُزْنَةٍ
يَوْمًا لَأَوْرَقَ مِنْ نَدَاهَا الْجَلْمَدُ
يَا رَاقِدَ الْأَسْيَافِ إِلَّا عَنْ وَغًى
جَفْنُ الْوَرَى فِى حَوْمَتَيْهِ مُسَهَّدُ
مَا بَالُ خَيْلِكَ مَا تُقَاتُ سِوَى السُّرَى
وَظُبَاكَ فِى غَيْرِ الطُّلَى مَا تُغْمَدُ
عَادَاتُ بِيضِ الْهِنْدِ عِنْدَكَ أَنْ تُرَى
حُمْرًا كَمَا مَسَّ اللُّجَيْنَ الْعَسْجَدُ

وَلَهُ :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الدَّهْرِ مُسْدِىَ نِعْمَةٍ
يَجُودُ بِهَا عَفْواً وَيَأْخُذُهَا غَصْبَا

إِذَا كُنْتَ عُذْرَ الدَّهْرِ فِى سُوءِ مَاجَنَتْ
يَدَاهُ فَذَنْبٌ أَنْ تَعُدَّ لَهُ ذَنْبَا(١)

وَلَهُ :

مُضِىءُ فِرِنْدِ الْقَوْلِ مَاضِى شَبَاتِهِ
فَلَوْ لَمْ يَكُنْ وَشْياً لَقِيلَ مُهَنَّدُ

يُفَارِقُ فَاهُ وَهُوَ فِى الْحُسْنِ جَوْهَرٌ
وَيَلْقَى عِدَاهُ وَهُوَ فِى الْوَقْعِ جَلْمَدُ

وَلَهُ :

خِرْقٌ(٢) تَصُولُ يَدُ الزَّمَانِ فَيُتَّقَى
وَيَجُودُ أَقْوَامٌ سِوَاهُ فَيُشْكَرُ

مُعْطٍ عَلَى شُكْرِ الصَّنِيعِ وَكُفْرِهِ
مَا كُلُّ مَا سَقَتِ الْغَمَائِمُ يُثْمِرُ

(١) المراد أنه لا يحق لك أن تعد للدهر ذنبا إذا كنت سببا فى سوء عمله واعتذر بأنك السبب (٢) الخرق : السيد الكريم ، والمراد أن الزمان من جنده ، فاذا صالت يد الزمان اتقى الناس هذا السيدالكريم ، كما أنه يشكر إذا جاد غيره « عبد الخالق »

دَامَتْ لَكَ النُّعمَى وَدُمْتَ لِآملٍ
آرَابُهُ عَنْ رَوْضِ غَيْرِكَ تُذْعَرُ (١)

وَبَقِيتَ مَا بَقِيَ الْقَرِيضُ فَإِنَّهُ عَلَقٌ عَلَى كَرِّ الْخُطُوبِ مُعَمَّرُ

وَلَهُ :

قَوْمٌ بِخَدِّ الْحَيَا مِنْ جُودِهِ خَجَلٌ
كَمَا بِقَلْبِ الرَّدَى مِنْ بَأْسِهِ وَجَلُ
فِي رَأْيِهِ مِنْ غِرَارَىْ سَيْفِهِ عِوَضٌ
وَفِي عَطَايَاهُ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا بَدَلُ

وَلَهُ :

ظَلَّتْ تَعَضُّ لِتَوْدِيعِي أَنَامِلَهَا فَخِلْتُهَا نَظَّمَتْ دُرًّا عَلَى عَنَمِ
يَا رُبَّ لَا إِثْمَ فِي الْحُبِّ لَوْ عَلِمَتْ
أَنِّي أَلَذُّ مَلَامِي فِيكَ لَمْ تَلُمِ

وَلَهُ :

إِنِّي إِذَا مَا الْخِلُّ خَادَعَهُ عَنِّي الزَّمَانُ فَحَالَ عَنْ عَهْدِي
جَانَبْتُهُ وَلَوَ انَّهُ عُمُرِي وَقَطَعْتُهُ وَلَوَ انَّهُ زَنْدِي

(١) تذعر : تشرد وتخوف

وَلَهُ:

أَتَيْتُكَ طَوْعَ الشَّوْقِ أَمْسِ فَرَدَّنِي
عَلَى عَقِبِي عُذْرٌ لَهُ الْمَجْدُ لَائِمُ
وَقَالُوا ثَنَتْ أَجْفَانَهُ عَنْكَ غَفْوَةٌ
وَلَا غَرْوَ قَدْ تُغْفِي الْأُسُودُ الضَّرَاغِمُ
وَلَكِنْ نَسِيمُ الرَّاحِ نَمَّ وَرُبَّمَا
أَتَتْكَ بِمَا لَا رَيْبَ فِيهِ النَّمَائِمُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ظَرْفَ الْعُلَى عُدْتُ مُنْشِداً:
وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضاً لَنَائِمُ

وَلَهُ:

يَدُ مُوسَى تَذُمُّ صُحْبَةَ فِيهِ ... هُوَ يَمْحُو سُطُورَ مَا تُولِيهِ
يَبْعَثُ النَّائِلَ الْجَسِيمَ فَيَقْفُو ... هُ بِمَنٍّ عَلَى الْعُفَاةِ سَفِيهِ
لَيْتَ أَنَّ الْمَشِيبَ يَهْدِيهِ مُوسَى ... وَهُوَ مُسْتَرْجِعٌ لِمَا يُهْدِيهِ
كَأَخِيهِ الزَّمَانِ يَأْخُذُ مَا يُعْـ
ـطِي . وَمَا ضَلَّ مُقْتَدٍ بِأَخِيهِ[1]

---

(١) ماضل مقتد بأخيه جملة معناها : أن من يقفو أثر أخيه لايضل
« عبد الخالق »

وَلَهُ :

وَمَا قُلْتُ إِلَّا مَا عَلِمْتُ وَلَمْ أَكُنْ
كَحَامِدِ وِرْدٍ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ غِبِّهِ
وَذَنْبُ زَمَانِي أَهْلُهُ غَيْرَ أَنَّنِي
أَرَاكَ لَهُ عُذْراً مَحَا شَطْرَ ذَنْبِهِ

﴿ ٣٦ – عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ يُعْرَفُ بِابْنِ الْبَقَّالِ * ﴾

على بن يوسف بن البقال

يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَالِعُ: هُوَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ وَمِمَّنْ نَادَمَ الْمُهَلَّبِيَّ وَنَفَقَ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ لَهُ مُحَاضَرَةٌ حَسَنَةٌ وَبِضَاعَةٌ فِي الْأَدَبِ صَالِحَةٌ ، وَطَبَقَةٌ فِي الشِّعْرِ جَيِّدَةٌ ، يَذْهَبُ مَذْهَبَ النَّامِي فِي التَّطْبِيقِ وَالتَّجْنِيسِ وَطَلَبِ الصَّنْعَةِ ، وَكَانَ بِكَثْرَةِ نَوَادِرِهِ وَمِزَاحِهِ مُسْتَطَاباً مُتَقَبَّلاً ، وَكَانَ حَسَنَ الْيَسَارِ جَمِيلَ الزِّيِّ يَلْبَسُ الدُّرَّاعَةَ ، وَخَلَّفَ لَمَّا مَاتَ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أَيَّامِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَمَنْزِلُهُ فِي سِكَّةِ الْعَجَمِ مِنَ الزُّبَيْدِيَّةِ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَخَلَّفَ ابْنَةً وَزَوْجَةً فَأَحَبَّتِ امْرَأَتُهُ أَحَدَ بَنِي الْمُنَجِّمِ وَزَوَّجَتِ ابْنَتَهَا بِهِ ، فَأَنْفَقَتِ الْمَالَ عَلَيْهِ وَمَاتَتِ

(*) راجع بغية الوعاة

الزَّوْجَةُ[1] وَلَازَمَتْهُ أُمُّهَا تَخْدُمُهُ كَمَا تَخْدُمُ الْمُنْقَطِعَاتُ .

قَالَ : وَكَانَ ابْنُ الْبَقَّالِ بَخِيلًا جَشِعاً ، وَكَانَ يَتَلَقَّانِي فِي أَيَّامِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فَيَقُولُ : يَا سَيِّدِي مَا عِنْدَكَ مِنْ حَدِيث الشُّعَرَاءِ ؟ فَأَقُولُ : قَدْ أُمِرَ لَهُمْ بِمَالٍ وَلَكَ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْهَا كَذَا وَكَذَا وَأُكْثِرُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ :

مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى
وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

وَلَقِيَنِي مَرَّةً وَالسَّلَامِيُّ مَعِي فَسَأَلَنِي عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَأَجَبْتُهُ بِمِثْلِ الْجَوَابِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ السَّلَامِيُّ : يَكْذِبُ ، وَاللهِ مَا أَمَرَ إِلَّا بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ ، فَقَالَ : « حَوَالَيْنَا الصُّدُودُ وَلَا عَلَيْنَا » . وَأَنْشَدَ الْخَالِعُ لِابْنِ الْبَقَّالِ يُعَاتِبُ بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ :

وَإِنِّي فِي اسْتِعْطَافِ رَأْيِ مُحَمَّدٍ
عَلَيَّ وَمَدِّي نَحْوَ مَعْرُوفِهِ يَدِي
لَكَالْمُبْتَغِي — مِنْ بَعْدِ تِسْعِينَ حِجَّةً
تَقَمُّصَهَا — رَجْعَ الشَّبَابِ الْمُجَدَّدِ
سَأَشْكُو اعْتِدَاءً مِنْكَ لَوْلَاهُ مَا دَرَتْ
صُرُوفُ اللَّيَالِي فِي الْهَوَى كَيْفَ تَعْتَدِي

(١) أي ابنته

فَلِلّهِ قَلْبِي حِينَ أُدْعُو إِلَى الْهَوَى وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ غَيْرُ مُهْتَدِي

وَلَهُ :

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَدُونَنَا
عُيُونٌ تَرَامَى بِالظُّنُونِ ضَمِيرُهَا
أَمَاطَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ بُرْقُعًا
فَغَيَّبَنَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ نُورُهَا

وَلَهُ :

يَا مُذْنِبًا وَيَقُولُ إِنِّي مُذْنِبٌ مَا إِنْ سَمِعْتُ بِظَالِمٍ يَتَظَلَّمُ
لَكَ صُورَةٌ ذَلَّ الْجَمَالُ لِحُسْنِهَا
تَقْضِي بِجَوْرٍ فِي النُّفُوسِ وَتَحْكُمُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ طَرْفَكَ مُشْعَرٌ
سُقْمًا وَأَنْتَ بِسُقْمِهِ لَا تَعْلَمُ

وَلَهُ :

يَا طَرْفَهَا هَبْ لِطَرْفِي لَذَّةَ الْوَسَنِ
وَاسْتَبْقِ مَا لَا يُقِلُّ الثَّوْبَ مِنْ بَدَنِي
حَاشَاكَ فِيَّ مِنَ الشَّكْوَى وَإِنْ ذَهَبَتْ
عَيْنِي مِنَ الدَّمْعِ أَوْ قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ

وَلَا أَقُولُ وَلَوْ أَتْلَفْتَنِي أَسَفًا
يَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْ حُبِّيكَ لَمْ يَكُنِ

وَلَهُ :

لَئِنْ كَانَ طَرْفِي فَازَ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ
لَقَدْ عَادَ طَرْفِي بِالْبَلَاءِ عَلَى قَلْبِي
جَعَلْتَ الْهَوَى ذَنْبِي فَإِنْ كُنْتُ مُذْنِبًا
بِهِ فَإِلَيْكَ الْعُذْرَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبُعْدَ مِنْكَ مُقَرِّبِي
تَبَاعَدْتُ كَيْ أَحْظَى عَلَى الْبُعْدِ بِالْقُرْبِ
مُحَمَّدُ لَا تَجْمَعْ إِلَى الْهَجْرِ غَدْرَةً
فَحَسْبِي الَّذِي بِي مِنْ فِرَاقِكَ يَا حَسْبِي

وَلَهُ يَمْدَحُ الْمُهَلَّبِيَّ :

أَنَوَارُ أَنْتِ كَمَا دُعِيتِ نَوَارُ؟
لَمْ تَقْضِ مِنْكِ قَضَاءَهَا الْأَوْطَارُ
يَا لَحْظَةً لَحْظُ الْحِمَامِ مُعِيدُهَا ... مَا كَانَ مِنْكِ لِنَاظِرٍ إِنْظَارُ
وَإِذَا تُسَاقِطُكَ الْحَدِيثَ تَخَالُهُ ... كَأْسًا عَلَيْكَ مِنَ الْعُقَارِ تُدَارُ

إِنِّي ذَكَرْتُكِ وَالْغَرَامُ مُوَاصِلٌ
نَفَسًا عَلَيْكِ يَهِيجُهُ التَّذْكَارُ
مُتَوَقِّدٌ مِنْهُ الضَّمِيرُ كَأَنَّمَا نِيرَانُهُ مِنْ وَجْنَتَيْكِ تُعَارُ
هُوَ فِي الْجُفُونِ إِذَا مَرَتْهُ زَفْرَةٌ
مَاءٌ يَمُورُ وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ
وَلَرُبَّ لَيْلٍ مِنْ ذُرَاكِ خِمَارُهُ لِلنَّجْمِ فِيهِ مِنَ الْغَمَامِ خِمَارُ
قَدْ قُلْتُ حِينَ طَلَعْتِ فِيهِ كَبَدْرِهِ(١)
أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَشَابَهُ الْأَقْمَارُ ؟
يَا صَاحِبَيَّ قِفَا بِنَجْدٍ عَبْرَةً
حَيْثُ الدُّمُوعُ إِذَا ابْتَدَرْنَ بِدَارُ
فِي مَنْزِلٍ لَبِسَتْ بِمَا لَبِسَ الْبِلَى
مِنِّي الْمَشِيبَ عَذَائِرٌ وَعِذَارُ
وَلَئِنْ مَحَتْكِ يَدُ الْخُطُوبِ فَمَا امَّحَى(٢)
لِهَوَى دِيَارِكِ فِي الْفُؤَادِ دِيَارُ
وَلَرُبَّمَا اهْتَزَّتْ رُبُوعُكِ بِالنَّدَى
وَتَنَفَّسَتْ بِنَسِيمِكِ الْأَسْحَارُ

---

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل : «بيدره» (٢) أصلها : انمحى أدغمت النون في الميم

وَمِنْهَا فِي الْمَدْحِ :

وَإِذَا بَدَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ ضَاحِكًا
فَهُنَاكَ تَسْكُبُ دَمْعَهَا الْأَعْمَارُ(١)

حَتَّى إِذَا بَصُرُوا بِعَقْدِ لِوَائِهِ عَقَدَتْ مَهَابَتَهَا بِهِ(٢) الْأَسْرَارُ

فِي شَرْبِ هَيْجَاءٍ إِذَا اصْطَبَحُوا الْقَنَا
فَالطَّعْنُ سُكْرٌ وَالْحِمَامُ خُمَارُ(٣)

لَهُمُ مِنَ الْبِيضِ الرِّقَاقِ تَحِيَّةٌ فِي حَسْوِهَا وَمِنَ الدِّمَاءِ عُقَارُ

نَهَضَتْ بِعِبْءِ الْمُلْكِ مِنْكَ عَزَائِمٌ
لِلدَّهْرِ بَيْنَ عِثَارِهِنَّ عِثَارُ

لَكَ هَضْبَةٌ فِي الْمُلْكِ قَحْطَانِيَّةٌ طُرُقُ الْحَوَادِثِ نَحْوَهَا أَوْعَارُ

بِجِبَالِ أَنْدِيَةِ الْوَقَارِ إِذَا احْتَبَوْا
وَلُيُوثِ مَلْحَمَةِ الْوَغَى إِنْ ثَارُوا

عَجَبًا لِأَبْنَاءِ الْمُهَلَّبِ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْدِلُوا فِي الْمَجْدِ حَتَّى جَارُوا

لَمْ يَطْوِهِمْ دَهْرٌ مَضَى إِلَّا لَهُمْ بِالْجُودِ فِي آثَارِهِ آثَارُ

فَعَطَاؤُكَ الرِّزْقُ الْمُقَسَّمُ فِي الْوَرَى
وَالدَّهْرُ أَنْتَ وَسَيْفُكَ الْمِقْدَارُ

---

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل « الأعمار » (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل « بها » . (٣) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « قار » .

وَلَهُ أَيْضاً فِى الْمُهَلَّبِيّ :

لِعَيْنَيْكَ إِذْ سَارَ الْخَلِيطُ الْمُغَوِّرُ
عَلَى كُلِّ وَادٍ دَمْعَةٌ تَتَحَدَّرُ
نَعَمْ إِنَّ رَسْماً بَاتَ يَطْوِى بِهِ النَّوَى
مَحَاسِنَ كَانَتْ بِالْأَوَانِسِ تُنْشَرُ
أَرَى(١) وَانِياً مِنْ عَبْرَةٍ كَيْفَ لَا يَنِى
وَعَلَّمَ طَرْفاً رَاقِداً كَيْفَ يَسْهَرُ
وَقَفْنَا وَمِنْ أَلْحَاظِنَا وَقُلُوبِنَا
لَنَا رَائِدَا شَوْقٍ مُسِرٌّ وَمُظْهِرُ
يُحَلِّى رُبَى آرَامِهِ وَنُحُورَنَا
جُفُونٌ بِسِمْطَيْهَا مِنَ الدَّمْعِ جَوْهَرُ
فَمِنْ بَيْنِ مَعْقُودٍ يَبِينُ فَرِيدُهُ عَلَيْنَا وَمَحْلُولٍ عَلَيْهِنَّ يُنْثَرُ
وَسِرْبٍ رَمَيْنَ النَّجْمَ فِى أُخْرَيَاتِهِ
بِسَافِرَةٍ عَنْ وَجْهِهَا الشَّمْسُ تُسْفِرُ
بَدَتْ وَيَمِينُ الصُّبْحِ يَبْدُو لِثَامُهُ
فَلَمْ يَدْرِ لَيْلٌ أَىُّ صُبْحَيْهِ أَنْوَرُ ؟

(١) أرى فعل ماض ، فاعله ضمير يعود على رسما فى البيت قبله ، ووانيا مفعول أول ، وكيف لا ينى مفعول ثان

وَمَادَتْ فَقُلْنَا الْغُصْنُ جَادَتْ بِهِ النَّقَى
بِمَا آدَ مِنْ مَجْرَى الْوِشَاحِ الْمُؤَزَّرُ(١)
أَعَاطِلُ أَجْيَادِ الْأَمَانِي مِنَ الَّتِي
بِهَا الْوَفْرُ أَمْ مَا اسْتَهْلَكَ الْعِرْضُ أَوْفَرُ؟
لَئِنْ عُدَّ فَخْراً لُبْسُكَ الْمَجْدَ مِنْ أَبٍ
فَلُبْسُ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ الْمَجْدَ أَفْخَرُ
وَمَا يَنْفَعُ الْمُمْتَاحَ(٢) يَجْلُو مَوَارِداً
إِذَا كَانَ ظَمْآنًا مِنَ الْوِرْدِ يَصْدُرُ
أَلَا بَادِرَا عَوْنَ الْعَوَانِي بِرِحْلَةٍ
يَذِلُّ لَهَا خَدٌّ مِنَ الْعِيسِ أَصْعَرُ
أَمَا تَرَيَانِ اللَّيْلَ يَحْدُو ظَلَامَهُ
بِوَجْهِ الْقَبِيصِيِّ(٣) الصَّبَاحُ الْمُنَوَّرُ
فَتًى يَمْتَرِي سَجْلَيْ نَدَاهُ وَبَأْسِهِ
لَهَاذِمُ تُدْمِي أَوْ غَمَائِمُ تُمْطِرُ

(١) المؤزر صفة للغصن ، أو فاعل لآد ، والمعنى على أحد هذين المرادين
(٢) الممتاح : الطالب للماء ، يريد أن طالب الماء لافائدة من اجتلائه الموارد مادام يصدر عنها ظمآن (٣) القبيصى : هو المهلبى نسبة إلى قبيصة أحد أولاد المهلب
« عبد الخالق »

وَكَالدَّهْرِ لَا يَدْرِي الَّذِي هُوَ رَائِمٌ
بِخَطْبٍ إِذَا مَا أَمَّهُ كَيْفَ يَحْذَرُ

وَيَوْمٍ رَمَاهُ النَّقْعُ مِنْهُ بِلَيْلَةٍ ... كَوَاكِبُهَا فِيهِ الْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
طَلَعْنَ مِنَ الْأَغْمَادِ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ ... فَلَا خَائِنٌ إِلَّا لَهَا مِنْهُ مُضْمَرُ[(١)]
دَلَفْتَ كَأَنَّ الْمَوْتَ كَانَ مُؤَامِراً ... سُيُوفَكَ مِنْهُ وَالنُّفُوسُ تَقَطَّرُ
بِمَجْرٍ[(٢)] لَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ طَلِيعَةٌ ... وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْهُ ذَيْلٌ مُجَرَّرُ

سَحَبْتَ رِدَاءَ الْمَوْتِ فِيهِ بِوَقْعَةٍ
رِدَاءُ الْفَتَى فِيهِ مِنَ الطَّعْنِ أَقْمَرُ[(٣)]

وَأَضْحَكْتَ مِنْهُ الْجَوَّ وَالنَّقْعُ كَاتِمٌ
بِهِ الشَّمْسَ عَنْ شَمْسٍ[(٤)] بِهَا الْبِيضُ تَشْهَرُ

بِحَيْثُ شُفُوفُ الْأَتْحَمِيِّ مُفَاضَةٌ
إِذَا زَعْزَعَ الْخَطِّيُّ وَالتَّاجُ مِغْفَرُ[(٥)]

---

(١) مضمر اسم مكان من الاضمار ، والمراد به القلب (٢) المجر : الجيش العظيم

(٣) أقمر : صفة لرداء الفتى ، والقمرة : بياض فيه كدرة ، أو اللون إلى الخضرة وهذا أنسب ، وفيه الثانية راجعة إلى الموت . (٤) يريد أن الوقعة حجبت فيها الشمس بالنقع وظهرت فيها شمس أخرى من البيض أي السيوف . (٥) الأتحمى : البرد ، والشفوف جمع شف : ما رق من الثياب ، والمغفر كمنبر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح ، ومفاضة صفة للدرع المحذوفة ، أي سابغة ، فالمعنى أن مكان شفوف الأتحمى درعا سابغة ، ومكان التاج مغفرا في وقت الحرب الذي أشار إليه بقوله زعزع الخطى « عبد الخالق »

تُفَرِّقُ فِي تَفْرِيقِهَا الْهَامَ وَالتَّقَى
عَلَى قَدَرٍ فِيهَا الْحِمَامُ الْمُقَدَّرُ
عَزَائِمُ يَرْمِينَ الْخُطُوبَ كَأَنَّمَا
يُقَارِعُ مِنْهَا عَسْكَرَ الدَّهْرِ عَسْكَرُ

وَلَهُ فِي الْمُهَلَّبِيِّ أَيْضاً :

عِنْدِي لِذَا الدَّهْرِ إِعْقَابِي إِسَاءَتَهُ
بِالصَّفْحِ إِنْ أَعْقَبَ الْإِصْرَارَ بِالنَّدَمِ
أَمْسَتْ مَنَازِلُ مَنْ جَنَّتْ مُصَافِحَةً
أَيْدِي النُّحُولِ عَلَيْهَا أَيْدِيَ الْقِدَمِ
وَلَوْ مَلَكْتُ لَهَا السُّقْيَا وَهَامَتُهَا
تَكَفْكِفُ الْمَحْلَ عَنْهَا أَدْمُعُ الرَّحِمِ
لَقُلْتُ لِلسُّحِّ مِنْ أَيْدِي الْوَزِيرِ إِذَا
حَلَلْتَ نَاحِلَةَ الْأَطْلَالِ لَا تَرِمِ
الْيَعْرُبِيُّ الَّذِي خَلَّى الطَّرِيقَ لَهُ
مَنْ بَاتَ يَأْخُذُ رُعْباً مِنْهُ بِاللَّقَمِ (١)

(١) اللقم كنتم : معظم الطريق أو وسطه ويكون كبصر ، والمعنى أنه من بني يعرب ومن صفته أن من كان يبيت بمعظم الطرق ويستولي عليها خلى الطريق وأفسحه له رعبا منه « عبد الخالق »

يُزَاحِمُ اللَّيْلَ لَيْلٌ مِنْ جَحَافِلِهِ
وَيَقْذِفُ الْوَهَدَاتِ الْجُرْدَ بِالْأَكَمِ
أَطَارَ مِنْهُمْ قَذَاةً فِي عُيُونِهِمُ
لَوْ أَنَّهَا فِي جُفُونِ الدَّهْرِ لَمْ يَنَمِ
أَبْقَى لَهُ الْخَوْفَ فِي أَثْنَاءِ يَقْظَتِهِمْ
مَا بَاتَ يُرْسِلُهُ لَيْلًا إِلَى الْحُلُمِ (١)
عَافَتْ سُيُوفُكَ فِي الْهَيْجَا لُحُومَهُمُ
فَهُنَّ يَأْكُلْنَ مِنْهَا إِكْلَةَ الْبَشِمِ

وَلَهُ أَيْضاً فِيهِ :

رَوْعَةٌ بِالْفِرَاقِ قَبْلَ الْفِرَاقِ
شَرِقَتْ بِالدُّمُوعِ مِنْهَا الْمَآقِي
جَدَّ جِدُّ الْبُكَا فَأَهْدَيْنَ بَاقِي الدْ
دَمْعِ مِنْهَا إِلَى كَرًى غَيْرِ بَاقِ
فَاضَ تَنْدَى بِهِ الْخُدُودُ وَلَوْ غَا
ضَ لَأَمْسَتْ مِنْهُ الْحَشَا فِي احْتِرَاقِ

(١) المعنى أن ما يرسله من الأحلام المزعجة إذا ناموا أبقى له خوفهم منه أثناء يقظتهم، وهذا كما قال السابق للشريف الرضى :

وعلى عدوك يا بن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته ، وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام

«عبد الخالق»

وَعَذَارَى تُدْنِيكَ مِنْ سِرْبِهَا الْعِيـ
ـسُ دُنُوَّ الْأَجْفَانِ لِلْأَحْدَاقِ
مُخْطَفَاتٍ لَوْ شِئْنَ مِنْ هَيَفِ الْـ
ـخَصْرِ تَبَدَّلْنَ خَاتَماً مِنْ نِطَاقِ
حَالِيَاتٍ تُبْدِي الْمَعَاصِمَ وَالسُّو
قَ وَتُخْفِي الْأَجْيَادَ فِي الْأَطْوَاقِ
لَا يَغُرَّنْكَ غَفْلَةُ الدَّهْرِ فَالْعَزْ مَةُ إِمْضَاؤُهَا مَعَ الْإِطْرَاقِ
قَدْ أَرَانَا ابْتِسَامَهُ الدَّهْرُ لَمَّا أَطْلَعَ الْجُودُ شَمْسَهُ بِالْعِرَاقِ
بِالْمُصَفَّى اللُّبَابِ وَالْأَرْوَعِ الْبَسْـ سَامِ بِشْراً وَالْفَاتِقِ الرَّتَّاقِ
وَمُبِيرٍ مُعَانِدِي الْمُلْكِ حَدًّا مَاضِياً فِي شِقَاقِهِمْ وَالنِّفَاقِ
حِينَ حَرُّ الْهَوَى بِحَرَّانَ وَالْبِيـ ـضُ لَهَا مِنْ غَمَائِمِ الْهَامِ سَاقِ
بَعْدَ مَا زَعْزَعَ الْجَزِيرَةَ بِالْـ
ـخَطِّيِّ يَكْرَعْنَ فِي الدِّمَاءِ الدِّفَاقِ[1]
وَأَطَارَتْ بِجَوِّ سِنْجَارَ الْمَوْ تَ ظُبَاهُ نَاراً بِلَا إِحْرَاقِ
فِي غَمَامٍ مِنَ الْعَجَاجِ وَوَبْلٍ يَسِمُ الْأَرْضَ مِنْ حَمِيمِ[2] الْعِتَاقِ

---

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « الرقاق » (٢) المراد بحميم العتاق : عرق الخيل

حِينَ وَالَى بِهَا شَوَازِبَ (١) يُفْضِـ
ـينَ إِلَى كُلِّ دَارَةٍ (٢) مِنْ طِرَاقِ
كَالْحِيَاتِ كَأَنَّمَا نَفَثَ الصِّـ
ـصَابَ الْعَوَالِي (٣) مِنْهُنَّ فِي الْأَشْدَاقِ

وَكَانَ ابْنُ الْبَقَّالِ يَتَرَفَّعُ عَنْ الاخْتِلَاطِ بِالشُّعَرَاءِ وَيَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ الرُّؤَسَاءُ يُكْرِمُونَهُ وَيَقُومُونَ لَهُ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ ابْنُ الْعَمِيدِ يُقَدِّمُهُ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَيُعَظِّمُهُ ، وَأَحْضَرَهُ الْمُهَلَّبِيُّ فَأَنْشَدَهُ بِحَضْرَةِ الْمُتَنَبِّي قَصِيدَةً فِيهِ .

قَالَ : تحَدَّثَنِي الْإِمَامُ الْهَاشِمِيُّ قَالَ : قَالَ لِي الْمُتَنَبِّي : مَا رَأَيْتُ بِبَغْدَادَ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُقْطَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَاعِرٍ إِلَّا ابْنَ الْبَقَّالِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : وَحَدَّثَنِي الْأُسْتَاذُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ مَحْفُوظٍ وَقَدْ جَرَى ذِكْرُ ابْنِ الْبَقَّالِ فَقَالَ : كَانَ أَقَلُّ مَا فِيهِ الشِّعْرَ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ وَعُرِفَ بِهِ ، وَإِنَّهُ كَانَ يَضْطَلِعُ بِعُلُومٍ كَثِيرَةٍ مِنْ جُمْلَتِهَا الْكَلَامُ ، وَكَانَ قَوِيًّا فِيهِ مُقَدَّمًا فِي الْمَعْرِفَةِ بِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ بِتَكَافُؤِ الْأَدِلَّةِ وَهُوَ بِئْسَ الْمَذْهَبُ .

---

(١) الشوازب : الرماح (٢) الدارة : ما استدار من الرمل ، والطراق : الطرق ، والغرض أنها تفضى إلى كل مكان (٣) العوالى فاعل نفث ومنهن متعلق بنفث . « عبد الخالق »

﴿ ٣٧ – عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ الْكَاتِبُ مِنْ وَلَدِ أَبِي لُبَابَةَ * ﴾

عمارة بن حمزة الكاتب

مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، مَوْلَى السَّفَّاحِ ، ثُمَّ مَوْلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ . وَكَانَ تَيَّاهاً مُعْجَباً ، جَوَاداً كَرِيماً ، مَعْدُوداً فِي سَرَاةِ النَّاسِ ، وَكَانَ فَصِيحاً بَلِيغاً ، وَكَانَ أَعْوَرَ دَمِيماً (١) ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ وَالْمَهْدِيُّ بَعْدَهُ يُقَدِّمَانِهِ وَيَحْتَمِلَانِ أَخْلَاقَهُ ، لِفَضْلِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَكِفَايَتِهِ وَوُجُوبِ حَقِّهِ ، وَوَلِيَ لَهُمَا أَعْمَالاً كِبَاراً .

وَلَهُ تَصَانِيفُ : مِنْهَا كِتَابُ رِسَالَةِ الْخَمِيسِ الَّتِي تُقْرَأُ لِبَنِي الْعَبَّاسِ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ الْمَجْمُوعَةِ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ الْمَاهَانِيَّةِ مَعْدُودَةٌ فِي كُتُبِ الْفَصَاحَةِ الْجَيِّدَةِ ، وَكَانَ يُقَالُ : بُلَغَاءُ النَّاسِ عَشَرَةٌ : عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ ، وَعِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ ، وَخَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَحَجْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَجْرٍ ، وَأَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَمَسْعَدَةُ ، وَالْهِزَبْرُ بْنُ صَرِيحٍ ، وَعَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عَدِيٍّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ صُبَيْحٍ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسٍ : قَلَّدَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ عِمَارَةَ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « ذميما بالذال المعجمة »

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

ٱبْنَ حَمْزَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ، مِنْ وَلَدِ أَبِي لُبَابَةَ مَوْلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ ضِيَاعَ مَرْوَانَ وَآلِ مَرْوَانَ ، خَلَا ضِيَاعٍ لِوَلَدِ عُمَرَ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلعَزِيزِ فَإِنَّهَا لَمْ تُقْبَضْ ، وَضِيَاعِ مَنْ وَالَاهُمْ وَسَاعَدَهُمْ .

وَقَالَ ٱلْخَطِيبُ : عِمَارَةُ مِنْ وَلَدِ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ٱبْنِ عَبَّاسٍ ، جُمِعَ لَهُ بَيْنَ وِلَايَةِ ٱلْبَصْرَةِ ، وَفَارِسَ ، وَٱلْأَهْوَازِ ، وَٱلْيَمَامَةِ ، وَٱلْبَحْرَيْنِ ، وَٱلْعُرُضِ [1] ، وَهٰذِهِ ٱلْأَعْمَالُ جُمِعَتْ لِلْمُعَلَّى بْنِ طَرِيفٍ صَاحِبِ نَهْرِ ٱلْمُعَلَّى ، وَلِمُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ . وَكَانَ عِمَارَةُ سَخِيًّا سَرِيًّا جَلِيلَ ٱلْقَدْرِ ، رَفِيعَ ٱلنَّفْسِ ، كَثِيرَ ٱلْمَحَاسِنِ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ حِسَانٌ ، وَكَانَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ يَعْرِفُ عِمَارَةَ بِٱلْكِبْرِ وَعُلُوِّ ٱلْقَدْرِ وَشِدَّةِ ٱلتَّنَزُّهِ ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ يَعْقُوبَ بْنِ سَلَمَةَ ٱلْمَخْزُومِيَّةِ كَلَامٌ فَاخَرَتْهُ فِيهِ بِأَهْلِهَا ، فَقَالَ لَهَا أَبُو ٱلْعَبَّاسِ : أَنَا أُحْضِرُكِ ٱلسَّاعَةَ عَلَى غَيْرِ أُهْبَةٍ مَوْلًى مِنْ مَوَالِيَّ ، لَيْسَ فِي أَهْلِكِ مِثْلُهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ عِمَارَةَ عَلَى ٱلْحَالِ ٱلَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا ، فَأَتَاهُ ٱلرَّسُولُ فِي ٱلْحُضُورِ فَاجْتَهَدَ فِي تَغْيِيرِ زِيِّهِ ، فَلَمْ يَدَعْهُ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى أَبِي ٱلْعَبَّاسِ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ

(١) العرض بالضم : بلدة من أعمال الشام

خَلْفَ السِّتْرِ ، وَإِذَا عِمَارَةُ فِي ثِيَابٍ مُمَسَّكَةٍ قَدْ لَطَّخَ لِحْيَتَهُ بِالْغَالِيَةِ، حَتَّى قَامَتْ[1] وَاسْتَتَرَ شَعْرُهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ تَرَانِي عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَالِ ، فَرَمَى إِلَيْهِ بِمُدْهُنٍ[2] كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيهِ غَالِيَةٌ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَرَى لَهَا فِي لِحْيَتِي مَوْضِعاً ؟ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ عِقْداً وَكَانَ لَهُ قِيمَةٌ جَلِيلَةٌ ، وَقَالَتْ لِلْخَادِمِ : أَعْلِمْهُ أَنِّي أَهْدَيْتُهُ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ ، وَشَكَرَ أَبَا الْعَبَّاسِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَنَهَضَ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : إِنَّمَا أُنْسِيَهُ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ لِلْخَادِمِ : الْحَقْهُ بِهِ وَقُلْ لَهُ : هَذَا لَكَ ، فَلِمَ خَلَّفْتَهُ ؟ فَاتَّبَعَهُ الْخَادِمُ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : مَا هُوَ لِي ، فَارْدُدْهُ ، فَلَمَّا أَدَّى الرِّسَالَةَ قَالَ لَهُ : إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَهُوَ لَكَ ، وَانْصَرَفَ الْخَادِمُ بِالْعِقْدِ ، وَعَرَّفَ أَبَا الْعَبَّاسِ مَا جَرَى ، وَامْتَنَعَ مِنْ رَدِّهِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَقَالَ : قَدْ وَهَبَهُ لِي فَاشْتَرَتْهُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ[3] :

وَكَانَ عِمَارَةُ يَقُولُ : يُخْبَزُ فِي دَارِي أَلْفَا رَغِيفٍ فِي كُلِّ

(١) يريد أنها غلبت بلونها على شعره فاستتر (٢) المدهن بضم الميم والهاء : ما يجعل فيه الدهن ، أو آلته ، وهو من النوادر التي جاءت على غير قياس .

(٣) يخيل إلى أن موضع الفخر هبته العقد على غلو ثمنه للخادم

يَوْمٍ ، يُؤْكَلُ مِنْهَا أَلْفٌ وَتِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَغِيفاً حَلَالًا ، وَآكُلُ مِنْهَا رَغِيفاً وَاحِداً حَرَاماً ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (١) ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا أَعْجَبَ قَوْلَ النَّاسِ : فُلَانٌ رَبُّ الدَّارِ ، إِنَّمَا هُوَ كَلْبُ الدَّارِ (٢) وَكَانَتْ نَخْوَةُ عِمَارَةَ وَتِيهُهُ يُتَوَاصَفَانِ (٣) وَيُسْتَسْرَفَانِ (٤) ، فَأَرَادَ أَبُو جَعْفَرٍ أَنْ يَعْبَثَ بِهِ ، وَخَرَجَ يَوْماً مِنْ عِنْدِهِ فَأَمَرَ بَعْضَ خَدَمِهِ أَنْ يَقْطَعَ حَمَائِلَ سَيْفِهِ لِيَنْظُرَ أَيَأْخُذُهُ أَمْ لَا ؟ وَسَقَطَ السَّيْفُ ، وَمَضَى عِمَارَةُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ (٥)

وَحَدَّثَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ : أَنَّ عِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ كَانَ مِنْ تِيهِهِ إِذَا أَخْطَأَ يَمْضِي عَلَى خَطَئِهِ وَيَتَكَبَّرُ عَنِ الرُّجُوعِ وَيَقُولُ : نَقْضٌ وَإِبْرَامٌ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، الْخَطَأُ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ يَوْماً يُمَاشِي الْمَهْدِيَّ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ وَيَدُهُ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ فَقَالَ : أَخِي وَابْنُ عَمِّي عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ ، فَلَمَّا وَلَّى

(١) لم أدر سبب الحرمة ، ولعله يحرم على نفسه ما في بيته لأنه يقرى الضيفان فاذا بقي رغيف يرى نفسه بخيلا ، فاذا أكله استغفر الله خوف أن يكون فيه مطمع من غيره ، والعدد هنا الغرض منه المبالغة على ما أظن (٢) يريد أنه كالكلب إنما يأكل الفضلات

(٣) يتواصفان : أي يتحدث بوصافتهما ، وجودتهما وحسنهما .

(٤) يستسرفان : أي ينسبان إلى الاسراف ، ومجاوزة حد الاعتدال

(٥) أي أدرك المقصود وأن هناك عبثا فلم يلتفت « عبد الخالق »

الرَّجلُ ذَكَرَ الْمهدِيُّ ذَلِكَ لِعِمَارَةَ كَالْمَازِحِ ، فَقَالَ عِمارَةُ : إِنَّمَا انْتَظَرْتُ أَنْ تقُولَ : مَوْلَايَ ، فَأَنفضَ وَاللهِ يدِي مِنْ يَدِكَ ، فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ .

وَحُكِيَ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ أَنَّهُ قَالَ : انْصَرَفْتُ يَوْماً مِنْ دَارِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ بَعْدَ أَنْ بَايَعَ لِلْمَهْدِيِّ بِالْعَهْدِ إِلَى مَنْزِلِي ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَيْهِ صَارَ إِلَيَّ الْمَهْدِيُّ فَقَالَ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُبَايِعَ لِأَخِي جَعْفَرٍ بِالْعَهْدِ بَعْدِي ، وَأُعْطِي اللهَ عَهْداً لَئِنْ فعلَ لَأَقْتُلَنَّهُ .

قَالَ : فَمَضَيْتُ مِنْ فَوْرِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ قَالَ : هِيهِ[1] يَا عِمَارَةُ ، مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ : أَمْرٌ حَدَثَ ، أَنَا ذَاكِرُهُ ، قَالَ : فَأَنَا أُخْبِرُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُخْبِرَنِي ، جَاءَكَ الْمَهْدِيُّ فَقَالَ لَكَ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، قُلْتُ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَأَنَّكَ كُنْتَ ثَالِثَنَا ، قَالَ : قُلْ لَهُ : نَحْنُ أَشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ نُعَرِّضَهُ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزْدَادَ : قَلَّدَ الْمَنْصُورُ عِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ الْخَرَاجَ بِكُوَرِ دَجْلَةَ ، وَالْأَهْوَازِ ، وَكُوَرِ فَارِسَ ، وَتُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ

---

(١) هيه : كلمة استزادة أيضاً كايه ، وربما استعملت مكررة ، فيقال : هيه هيه .

سَنَةَ ثمانٍ وَخمسينَ ومِائةٍ وعِمارةُ يتقلّدُ جميعَ هذهِ الكُوَرِ، وَبلغَ موسَى الهادِى حَالُ بنتٍ لِعمارَةَ جَميلةٍ فرَاسلها، فقالت لأَبيها ذَلِكَ: فقالَ: ابعثِى إِليهِ فِى المَصيرِ إِليكِ، وأعلميهِ أَنّكِ تقدِرينَ عَلَى إِيصالِهِ إِليكِ فِى موضعٍ يخفَى أَثَرُهُ، فأَرسلَتْ إِليهِ بذَلِكَ، وَحملَ موسَى نفسَهُ عَلَى المَصيرِ إِليهَا، فأدخلَتْهُ حجرَةً قدْ فُرِشَتْ وَأُعِدّتْ لهُ، فلمّا حصلَ فِيهَا دَخلَ عليهِ عِمارَةُ فقَالَ لهُ: «السّلامُ عليكَ أيُّها الأَمِيرُ» مَاذا تصنعُ هَهُنا؟ أَتّخذْناكَ وَلِىَّ عهدٍ فِينا، أوْ فحلاً لِنسائِنا؟ ثُمّ أَمَرَ بهِ فَبُطِحَ[1] فِى موضِعِهِ، وَضَرَبَهُ عِشرينَ دِرّةً خفيفةً وَرَدّهُ إِلَى منزلِهِ، فحقدَ الهادِى ذَلكَ عليهِ، فلمّا وَلِىَ الخلافةَ دَسّ عليهِ رَجُلًا يدّعِى عَليهِ أَنّهُ غصبَهُ الضّيْعةَ المعروفةَ بالبيضاءِ بالكوفةِ، وكانتْ قِيمتُها أَلفَ أَلفِ دِرْهمٍ، فبيْنَا الهادِى ذَاتَ يومٍ قدْ جلسَ لِلمظالِمِ وَعِمارَةُ بنُ حَمزةَ بِحضرَتِهِ إِذْ وثبَ الرّجلُ فتظلّمَ مِنهُ، فقالَ لهُ الهادِى: قُمْ فاجلِسْ معَ خصمِكَ، وَأَرادَ إِهانتَهُ فقالَ: إِنْ كانتِ الضّيْعةُ لِى فهِىَ لهُ، وَإِنْ كانتْ لهُ فهِىَ لهُ، وَلا أُساوِى هَذَا النّذْلَ

(١) بطح فى موضعه بالبناء للمجهول: أى ألقى على وجهه

فِي الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ مُغْضَباً . وَقَلَّدَ الْمَهْدِيُّ عِمَارَةَ بْنَ حَمْزَةَ الْخَرَاجَ بِالْبَصْرَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ الْأَحْدَاثَ (١) مَعَ الْخَرَاجِ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَقَلَّدَهُ الْأَحْدَاثَ مُضَافَةً إِلَى الْخَرَاجِ ، وَكَانَ عِمَارَةُ أَعْوَرَ دَمِيماً ، فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

أَرَاكَ وَمَا تَرَى إِلَّا بِعَيْنٍ وَعَيْنُكَ لَا تَرَى إِلَّا قَلِيلَا
وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ بِمِلْءِ عَيْنٍ فَخُذْ مِنْ عَيْنِكَ الْأُخْرَى كَفِيلَا
كَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ بَعْدَ شَهْرٍ بِبَطْنِ الْكَفِّ تَلْتَمِسُ السَّبِيلَا

وَمَدَحَهُ سَلَمَةُ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ :

بَلَوْتُ وَجَرَّبْتُ الرِّجَالَ بِخِبْرَةٍ وَعِلْمٍ وَلَا يُنْبِيكَ عَنْهُمْ كَخَابِرِ
فَلَمْ أَرَ أَحْرَى مِنْ عِمَارَةَ فِيهِمُ بِوُدٍّ وَلَا أَوْفَى بِجَارٍ مُجَاوِرِ
وَأَكْرَمَ عِنْدَ النَّائِبَاتِ بَدَاهَةً إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الدَّوَائِرِ

---

(١) يراد بها ما تجدد من النواحي ، أو ما تجدد من شئون الادارة

تَمَسَّكْ بِحَبْلٍ مِنْ عِمَارَةَ وَاعْتَصِمْ
بِرُكْنٍ وَفِيٍّ عَهْدُهُ غَيْرُ غَادِرِ[(١)]

كَأَنَّ الَّذِي يَنْتَابُهُ[(٢)] عَنْ جِنَايَةٍ ... يَمُتُّ بِقُرْبَى عِنْدَهُ وَأَوَاصِرِ
فَنِعْمَ مَعَاذُ الْمُسْتَجِيرِ وَمُنْزَلُ الْـ ... ـكَرِيمِ وَمَثْوَى كُلِّ عَانٍ وَزَائِرِ

وَلِعِمَارَةَ شِعْرٌ، مِنْهُ مَا أَنْشَدَهُ الْجَهْشِيَارِيُّ :

لَا تَشْكُوَنْ دَهْراً صَحِحْتَ بِهِ ... إِنَّ الْغِنَى فِي صِحَّةِ الْجِسْمِ
هَبْكَ الْإِمَامَ أَكُنْتَ مُنْتَفِعاً ... بِغَضَارَةِ[(٣)] الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ ؟

وَكَرِهَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ لِتِيهِهِ وَعُجْبِهِ، فَذَكَرَ الْأَرْقَطُ : أَنَّهُ رَفَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى عِمَارَةَ أَنَّهُ اخْتَانَ مَالًا كَثِيراً، فَسَأَلَهُ الْمَهْدِيُّ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي يَذْكُرُونَهَا فِي جَانِبِ بَيْتِي مَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا، فَقَالَ : أَشْهَدُ إِنَّكَ لَصَادِقٌ وَلَمْ يُرَاجِعْهُ فِيهَا. وَدَخَلَ صَالِحُ بْنُ خَلِيلٍ النَّاسِكُ عَلَى الْمَهْدِيِّ فَوَعَظَهُ وَأَبْكَاهُ طَوِيلًا، وَذَكَرَ لَهُ سِيرَةَ الْعُمَرَيْنِ[(٤)]، فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : بِفَسَادِ الزَّمَانِ

(١) المعنى لا يغدر بعهده، وقد أسند عدم الغدر للعهد على حد قوله تعالى : « عيشة راضية » أى صاحبها، فهذا عهد غير غادر أى صاحبه

(٢) المعنى : أن الجانى عليه كأن له به صلة وقربى فهو لا يؤاخذه

(٣) الغضارة : النعمة والسعة وطيب العيش (٤) العمران : عمر بن الخطاب وأبو بكر رضى الله عنهما . « عبد الخالق »

وتغيُّرِ أَهلِهِ وما حدَثَ لَهُ مِنَ العاداتِ، وذَكَرَ لَهُ جَماعةً مِنْ أَصحابِهِ وما لَهُمْ مِنَ الأَموالِ والنِّعْمَةِ، وذَكَرَ فيهِمْ عِمارَةَ ابْنَ حَمْزَةَ وقالَ: بَلَغَني أَنَّ لَهُ أَلْفَ دُوَاجٍ [1] بوَبَرٍ، سِوَى مَا لا وَبَرَ فيهِ، وسِوَى غيرِها مِنَ الأَصنافِ الَّتي يُتَدَثَّرُ [2] بِها. وكانَ الفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خالِدِ بْنِ بَرْمَكَ شَديدَ الكِبْرِ، عَظيمَ التِّيهِ والعُجْبِ، فعوتِبَ في ذَلِكَ فقالَ: هَيْهاتَ، هذا شيءٌ حمَلْتُ عليهِ نفسي، لِما رأيتُهُ مِنْ عِمارَةَ بْنِ حَمْزَةَ، فإِنَّ أَبي كانَ يَضْمَنُ فارِسَ مِنَ المَهْدِيِّ، فَحَلَّ عليهِ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فأَخرَجَ ذَلِكَ كاتِبُ الدِّيوانِ، فأَمَرَ المَهْدِيُّ أَبا عَوْنٍ عَبْدَ اللهِ ابْنَ يَزيدَ بِمُطالَبَتِهِ وقالَ لَهُ: إِنْ أَدَّى إِلَيْكَ المالَ قبلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِنا هذا وإِلَّا فَأْتِني بِرَأْسِهِ، وكانَ مُتَغَضِّبًا عَلَيْهِ، وكانَتْ حِيلَتُهُ [3] لا تَبْلُغُ عُشْرَ المالِ، فقالَ لي: يا بُنَيَّ إِنْ كانَتْ لَنا حِيلَةٌ فليسَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ عِمارَةَ ابْنِ حَمْزَةَ وإِلَّا فأَنا هالِكٌ، فامْضِ إِلَيْهِ فمَضَيْتُ إِلَيْهِ، فلَمْ يُعِرْني الطَّرْفَ، ثُمَّ تقَدَّمَ مِنْ ساعَتِهِ بِحَمْلِ المالِ فحُمِلَ إِلَيْنا،

(١) الدواج بتخفيف الواو وتشديدها: اللحاف الذي يلبس (٢) يتدثر بها؛ مجهول تدثر الرجل بالثوب: اشتمل به (٣) يريد أنه لا يقدر أن يجمع بحيلته أكثر من عشر المال

فَلَمَّا مضَى شَهْرَانِ جَمَعْنَا الْمَالَ فقَالَ أَبِي : أمْضِ إِلَى الشَّرِيفِ الْحُرِّ الْكَرِيمِ فَأَدِّ إِلَيْهِ مَالَهُ ، فَلَمَّا عرَّفْتُهُ خَبَرَهُ غضِبَ وَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَ كُنْتُ قَسْطَارًا [1] لِأَبِيكَ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، وَلَكِنَّكَ أَحْيَيْتَهُ وَمَنَنْتَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا الْمَالُ قَدِ اسْتَغْنَى عَنْهُ . فَقَالَ : هُوَ لَكَ . فَعُدْتُ إِلَى أَبِي فَقَالَ : لَا ، وَاللهِ مَا تَطِيبُ نَفْسِي لَكَ بِهِ ، وَلَكِنْ لَكَ مِنْهُ مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَتَشَبَّهْتُ بِهِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا لِي لَا أَسْتَطِيعُ مُفَارَقَتَهُ .

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي كِتَابٍ لَهُ صَنَّفَهُ فِي السَّخَاء : حَدَّثَنَا الْقَاضِي الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدٍ الْوَرَّاقُ ، حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقُرَشِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ الْمَكِّيُّ قَالَ : بَعَثَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَكِّيُّ بَعْضَ وَلَدِهِ إِلَى عُمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ ، فَأَدْخَلَهُ الْحَاجِبُ ، قَالَ : ثُمَّ أَدْنَانِي إِلَى سِتْرٍ مُسْبَلٍ فَقَالَ : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ مُحَوِّلٌ وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ ، فَقَالَ لِيَ الْحَاجِبُ : سَلِّمْ ، فَسَلَّمْتُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ : اذْكُرْ حَاجَتَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : — جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ —

(١) قسطارا : أى منتقدا للدراهم « صرافاً » من قسطر الدراهم : انتقدها

أَخُوكَ أَبُو أَيُّوبَ يُقرِئُكَ السَّلَامَ ، وَيَذْكُرُ دَيْناً بَهَضَهُ (١) وَسَتَرَ وَجْهَهُ ، وَيَقُولُ : لَوْلَاهُ لَكُنْتُ مَكَانَ رَسُولِي ، تَسْأَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَاءَهُ عَنِّي ، فَقَالَ : وَكَمْ دَيْنُ أَبِيكَ ؟ فَقُلْتُ : ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : وَفِي مِثْلِ هَذَا أُكَلِّمُ الْأَمِيرَ ؟ يَا غُلَامُ : احْمِلْهَا مَعَهُ ، وَمَا الْتَفَتَ إِلَيَّ وَلَا كَلَّمَنِي غَيْرَ هَذَا .

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ الْجُمَحِيُّ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ : كَانَ أَبِي يَأْمُرُنِي بِمُلَازَمَةِ عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ ، قَالَ: فَاعْتَلَّ عِمَارَةُ وَكَانَ الْمَهْدِيُّ سَيِّءَ الرَّأْيِ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي يَوْماً : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَوْلَاكَ عِمَارَةُ عَلِيلٌ ، وَقَدْ أَفْضَى إِلَى بَيْعِ فَرْشِهِ وَكِسْوَتِهِ . فَقَالَ : غَفَلْنَا عَنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ بَلَغَ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ! احْمِلْ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَارَبِيعُ ، وَأَعْلِمْهُ أَنَّ لَهُ عِنْدِي بَعْدَهَا مَا يُحِبُّ . قَالَ : فَحَمَلَهَا أَبِي مِنْ سَاعَتِهِ وَقَالَ لِي : اذْهَبْ بِهَا

(١) بهضه : الدين وغيره ، وبهظه : فدحه وثقل عليه ، وهو بالظاء أكثر

إِلَى عَمِّكَ وَقُلْ لَهُ : أَخُوكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : أَذْكَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَكَ ، فَاعْتَذَرَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَنْكَ ، وَأَمَرَ لَكَ بِهَذِهِ الدَّرَاهِمِ وَقَالَ : لَكَ عِنْدِي مَا تُحِبُّ . قَالَ : فَأَتَيْتُهُ وَوَجْهُهُ إِلَى الْحَائِطِ ، فَسَلَّمْتُ فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : ابْنُ أَخِيكَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ . فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ ، وَأَبْلَغْتُهُ الرِّسَالَةَ فَقَالَ : قَدْ كَانَ طَالَ لُزُومُكَ لَنَا ، وَقَدْ كُنَّا نُحِبُّ أَنْ نُكَافِئَكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ نَتَمَكَّنْ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ ، انْصَرِفْ بِهَا فَهَذِهِ لَكَ. قَالَ: فَهِبْتُهُ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْهِ ، فَتَرَكْتُ الْبِغَالَ عَلَى بَابِهِ وَانْصَرَفْتُ إِلَى أَبِي ، فَأَعْلَمْتُهُ الْخَبَرَ فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ ، خُذْهَا — بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا — فَلَيْسَ عِمَارَةُ مِمَّنْ يُرَاجَعُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ مَلَكْتُهُ .

قَالَ ابْنُ عَبْدُوسٍ : وَكَانَ الْمَاءُ زَائِدًا فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَرَكِبَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَالْقُوَّادُ لِيَعْرِفُوا الْمَوَاضِعَ الْمَخُوفَةَ مِنَ الْمَاءِ لِيَحْفَظُوهَا ، فَفَرَّقَ الْقُوَّادَ ، وَأَمَرَ بِإِحْكَامِ الْمُسَنَّيَاتِ ، وَسَارَ إِلَى الدُّورِ ، فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى قُوَّةِ الْمَاءِ وَكَثْرَتِهِ . فَقَالَ قَوْمٌ : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا الْمَاءِ ! فَقَالَ يَحْيَى : قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي سَنَةٍ مِنَ السِّنِينَ ، وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ خَالِدٌ - يَعْنِي أَبَاهُ -

وَجَّهَنِي فِيهَا إِلَى عِمَارَةَ بْنِ حَمْزَةَ فِي أَمْرِ رَجُلٍ كَانَ يُعْنَى بِهِ مِنْ أَهْلِ جُرْجَانَ، وَكَانَتْ لَهُ ضِيَاعٌ بِالرَّيِّ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ يُعْلِمُهُ أَنَّ ضِيَاعَهُ تُحِيِّفَتْ[1] فَخَرِبَتْ، وَأَنَّ نِعْمَتَهُ قَدْ نَقَصَتْ، وَحَالَهُ قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَأَنَّ صَلَاحَ أَمْرِهِ فِي تَأْخِيرِهِ بِخَرَاجِهِ سَنَةً، وَكَانَ مَبْلَغُهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، لِيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى عِمَارَةِ ضَيْعَتِهِ، وَيُؤَدِّيَهُ فِي السَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَهُ غَمَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ، وَكَانَ بِعَقِبِ مَا أَلْزَمَهُ إِيَّاهُ أَبُو جَعْفَرٍ مِنَ الْمَالِ الَّذِي خَرَجَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ بِهِ عَنْ مِلْكِهِ وَاسْتَعَانَ بِجَمِيعِ إِخْوَانِهِ فِيهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ: مَنْ هَهُنَا نَفْزَعُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ: بَلَى عِمَارَةُ ابْنُ حَمْزَةَ، فَصِرْ إِلَيْهِ وَعَرِّفْهُ حَالَ الرَّجُلِ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَمَدَّتْ[2] دِجْلَةُ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فَأَعْلَمْتُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: قِفْ لِي غَدًا بِبَابِ الْجِسْرِ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَنَهَضْتُ ثَقِيلَ الرِّجْلَيْنِ، وَعُدْتُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَالِدِي بِالْخَبَرِ، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، تِلْكَ سَجِيَّتُهُ،

(١) تحيفت: أي نقصت من حيفها، أي نواحيها (٢) أمدت الخ: من الامداد: وهو سيلان مائها، وكثرة فيضانه، والمد مقابل الجزر

فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاغْدُ لِوَعْدِهِ ، فَغَدَوْتُ إِلَى بَابِ الْجِسْرِ ، وَقَدْ جَادَتْ دَجْلَةُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِمَدٍّ عَظِيمٍ قَطَعَ الْجُسُورَ ، وَانْتَظَمَ النَّاسُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ جَمِيعاً يَنْظُرُونَ إِلَى زِيَادَةِ الْمَاءِ ، فَبَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ إِذَا بِزَوْرَقٍ قَدْ أَقْبَلَ وَالْمَوْجُ يُخْفِيهِ مَرَّةً وَيُظْهِرُهُ أُخْرَى ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : غَرِقَ ، غَرِقَ ، نَجَا ، نَجَا ، حَتَّى دَنَا مِنَ الْجُرْفِ ، فَإِذَا عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ فِي الزَّوْرَقِ بِلَا شَيْءٍ مَعَهُ ، وَقَدْ خَلَّفَ دَوَابَّهُ وَغِلْمَانَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رَكِبَ مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ نَبُلَ فِي عَيْنِي وَمَلَأَ صَدْرِي ، فَنَزَلْتُ وَغَدَوْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : — جُعِلْتُ فِدَاكَ — فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقَالَ : كُنْتُ أَعِدُكَ وَأُخْلِفُ يَابْنَ أَخِي ؟ اُطْلُبْ لِي بِرْذَوْنَ كِرَاءٍ ، قَالَ : فَقُلْتُ : بِرْذَوْنِي ، فَقَالَ : هَاتِ ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِرْذَوْنِي فَرَكِبَ ، وَرَكِبْتُ بِرْذَوْنَ غُلَامِي ، وَتَوَجَّهَ يُرِيدُ أَبَا عُبَيْدِ اللهِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى الْخَرَاجِ ، وَالْمَهْدِيُّ بِبَغْدَادَ خَلِيفَةٌ لِلْمَنْصُورِ ، وَالْمَنْصُورُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ .

قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى حَاجِبِ أَبِي عُبَيْدِ اللهِ ، دَخَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى نِصْفِ الدَّارِ وَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ قَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَأَجْلَسَهُ فِيهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَعْلَمَهُ عِمَارَةُ حَالَ الرَّجُلِ

وَسَأَلَهُ إِسْقَاطَ خَرَاجِهِ ، وَهُوَ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ، وَإِسْلَافَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مِائَتَىْ أَلْفٍ يَرُدُّهَا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ : هَذَا لَا يُمْكِنُنِي ، وَلَكِنِّي أُؤَخِّرُهُ بِخَرَاجِهِ إِلَى الْعَامِ الْمُقْبِلِ . فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ أَقْبَلُ غَيْرَ مَا سَأَلْتُكَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ فَاقْنَعْ بِدُونِ ذَلِكَ لِتَوجِدَ[1] لِيَ السَّبِيلَ إِلَى قَضَاءِ حَاجَةِ الرَّجُلِ . فَأَبَى عِمَارَةُ وَتَلَوَّمَ[2] عُبَيْدُ اللهِ قَلِيلًا ، فَنَهَضَ عِمَارَةُ فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ بِكُمِّهِ وَقَالَ : أَنَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ فِي مَالِي ، فَعَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ . وَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ إِلَى عَامِلِ الْخَرَاجِ بِإِسْقَاطِ خَرَاجِ الرَّجُلِ لِسَنَتِهِ ، وَالِاحْتِسَابِ بِهِ عَلَى أَبِي عُبَيْدِ اللهِ وَإِسْلَافِهِ مِائَتَىْ أَلْفِ دِرْهَمٍ تُرْتَجَعُ مِنْهُ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ وَخَرَجْنَا فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَقَمْتَ عِنْدَ أَخِيكَ وَلَمْ تَعْبُرْ فِي هَذَا الْمَدِّ ؟ قَالَ : لَسْتُ أَجِدُ بُدًّا مِنَ الْعُبُورِ ، فَصِرْتُ مَعَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ وَوَقَفْتُ حَتَّى عَبَرَ .

هَذِي الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ[3] مِنْ لَبَنٍ
شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « لتوجدنى » (٢) تلوم : فى الأمر تلوما : تمكث فيه وانتظر (٣) قعبان : مثنى قعب : وهو قدح يروى الرجل ، والجمع أقعب وقعاب . وقوله : شيبا مجهول شاب الشىء يشوبه ، أى خلطه ، وألفه للتثنية نائب فاعل

وَدَخَلَ عِمَارَةُ يَوْماً عَلَى الْمَهْدِيِّ فَأَعْظَمَهُ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ هَذَا الَّذِى أَعظَمْتَهُ هَذَا الْإِعْظَامَ كُلَّهُ ؟ فَقَالَ : هَذَا عِمَارَةُ ابْنُ حَمْزَةَ مَوْلَاىَ ، فَسَمِعَ عِمَارَةُ كَلَامَهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَعَلْتَنِي كَبَعْضِ خَبَّازِيكَ وَفَرَّاشِيكَ ، أَلَا قُلْتَ : عِمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ، مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ لِيَعْرِفَ النَّاسُ مَكَانِى ؟ .

﴿ ٣٨ — عُمَرُ بْنُ إِبْرَهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ * ﴾

عمر بن ابراهيم زين العابدين

ابْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ ذِي الدَّمْعَةِ بْنِ زَيْدٍ الْإِمَامِ الشَّهِيدِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ السِّبْطِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُكْنَى أَبَا الْبَرَكَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي أَيَّامِ الْمُقْتَفِي ، وَدُفِنَ فِي الْمَسْبَلَةِ(١) الَّتِي لِلْعَلَوِيِّينَ ، وَقُدِّرَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفاً ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي

(١) موضع تدفن فيه الموتى

(*) راجع بغية الوعاة

سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ زَيْدِبْنِ عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ،عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ ، عَنْ خَالِهِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو السَّعَادَاتِ بْنُ الشَّجَرِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنُ بِنْتِ الشَّيْخِ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَكَانَ خَشِنَ الْعَيْشِ صَابِراً عَلَى الْفَقْرِ ، قَانِعاً بِالْيَسِيرِ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَنَا زَيْدِيُّ الْمَذْهَبِ ، وَلَـكِنِّي أُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ السُّلْطَانِ — يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ — . سَمِعَ بِبَغْدَادَ أَبَا بَكْرٍ الْخَطِيبَ ، وَأَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ النَّاقُورِ ، وَبِالْـكُوفَةِ أَبَا الْفَرَجِ مُحَمَّدَ ابْنَ عَلَاءٍ الْخَازِنَ وَغَيْرَهُ ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ وَسَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ ، وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ وَحَلَبَ مُدَّةً قَالَ : وَحَضَرْتُ عِنْدَهُ وَسَمِعْتُ مِنْهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِصْغَاءِ سَلِيمَ الْحَوَاسِّ ، وَيَـكْتُبُ خَطًّا مَلِيحاً سَرِيعاً عَلَى كِبَرِ سِنٍّ ، وَكُنْتُ أُلَازِمُهُ طُولَ مُقَامِي بِالْـكُوفَةِ فِي الْـكَوْرِ الْخَمْسِ ، مَا سَمِعْتُ مِنْهُ فِي طُولِ مُلَازَمَتِي لَهُ شَيْئاً فِي الِاعْتِقَادِ أَنْـكَرْتُهُ ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ يَوْماً قَاعِداً فِي بَابِ دَارِهِ وَأَخْرَجَ لِي شَذْرَةً مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ ، وَجَعَلْتُ أَفْتَقِدُ فِيهَا حَدِيثَ الْـكُوفِيِّينَ ، فَوَجَدْتُ فِيهَا جُزْءاً

مُتَرْجَماً (١) بِتَصْحِيحِ الْأَذَانِ بِحَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ، فَأَخَذْتُهُ لِأُطَالِعَهُ فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِي وَقَالَ : هَذَا لَا يَصْلُحُ لَكَ ، لَهُ طَالِبٌ غَيْرُكَ ، ثُمَّ قَالَ : يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ ، فَإِنَّ لِكُلِّ نَوْعٍ طَالِباً .

وَسَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلِّدٍ يَقُولُ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى الشَّرِيفِ عُمَرَ جُزْءاً فَمَرَّ بِي حَدِيثٌ فِيهِ ذِكْرُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ : — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — فَقَالَ لِي الشَّرِيفُ : تَدْعُو لِعَدُوَّةِ عَلِيٍّ ؟ أَوْ تَتَرَضَّى عَلَى عَدُوَّةِ عَلِيٍّ ؟! فَقُلْتُ : حَاشَا وَكَلَّا ، مَا كَانَتْ عَدُوَّةَ عَلِيٍّ . وَسَمِعْتُ أَبَا الْغَنَائِمِ ابْنَ النَّرْسِيِّ يَقُولُ : كَانَ الشَّرِيفُ عُمَرُ جَارُودِيَّ الْمَذْهَبِ لَا يَرَى الْغُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَسَمِعْتُهُ (٢) يَقُولُ : دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصُّورِيُّ الْكُوفَةَ فَكَتَبَ بِهَا عَنْ أَرْبَعِمِائَةِ شَيْخٍ ، وَقَدِمَ عَلَيْنَا هِبَةُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ السَّقَطِيُّ ، فَأَفَدْتُهُ عَنْ سَبْعِينَ شَيْخاً مِنَ الْكُوفِيِّينَ ، وَمَا بِالْكُوفَةِ الْيَوْمَ أَحَدٌ يَرْوِي الْحَدِيثَ غَيْرِي ، ثُمَّ يُنْشِدُ :

إِنِّي دَخَلْتُ الْيَمَنَا   لَمْ أَرَ فِيهَا حَسَنَا

---

(١) عنوانه تصحيح الأذان (٢) أي سمعت الشريف عمر ، والتاء فاعل ضمير يعود على أبي الغنائم بن النرسي

فَفِي حَرَامٍ بَلْدَةٌ أَحْسَنُ مَنْ فِيهَا أَنَا

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَحُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيَّيْنِ مَرَّا بِالشَّرِيفِ عُمَرَ وَهُوَ يَغْرِسُ فَسِيلًا[1]، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ : أَيَطْمَعُ هَذَا الشَّيْخُ مَعَ كِبَرِهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ جَنَى هَذَا الْفَسِيلِ ؟! فَقَالَ الشَّرِيفُ : يَا بُنَيَّ ، كَمْ مِنْ كَبْشٍ فِي الْمَرْعَى وَخَرُوفٍ فِي التَّنُّورِ، فَفَهِمَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْهَمِ الآخَرُ ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يَفْهَمْ لِصَاحِبِهِ : « إِيشْ » قَالَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : كَمْ مِنْ نَابٍ يُسْقَى فِي جِلْدِ حُوَارٍ[2]، فَعَاشَ حَتَّى أَكَلَ مِنْ ثَمَرِ ذَلِكَ الْفَسِيلِ . وَلِلشَّرِيفِ تَصَانِيفُ ، مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الشَّيْخِ أَبِي الْبَرَكَاتِ أَيْضاً شَاعِراً أَدِيباً ذَا حَظٍّ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي بَابِهِ . قَالَ تَاجُ الْإِسْلَامِ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْدِيَّ يَقُولُ : لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ طَرَابُلُسَ الشَّامِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْعِرَاقِ ، خَرَجَ لِوَدَاعِنَا الشَّرِيفُ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الْعَلَوِيُّ الْحَسَنِيُّ ، وَوَدَّعَ صَدِيقاً لَنَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ،

---

(١) الفسيل واحده فسيلة : وهي النخلة الصغيرة ، تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغرس (٢) الحوار : بالضم وقد يكسر ، ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه .

فرأيتُ خالَكَ يتفكّرُ فقلتُ لهُ: أقبلْ على صديقِك، فقالَ لِي: قدْ عملتُ أبياتاً اسمعْها، فأنشدَني في الحالِ:

قرّبُوا للنّوى القوارِبَ كيْمَا يقتلُونِي ببينِهِمْ والفراقِ
شرَعُوا فِي دمِي بتشديدِ شُرْعٍ[1] تركُونِي منْ شدِّهَا فِي وثاقِ
قلعُوا حينَ أقلعُوا لفؤادِي ثُمَّ لمْ يلبثُوا لقدْرِ الفُواقِ[2]
ليْتهمْ حينَ ودّعونِي وسارُوا رحِمُوا عبرَتي وطولَ اشتياقِي
هذِهِ وقفةُ الفراقِ فهلْ أحْ ـيا ليوْمٍ يكونُ فيهِ التّلاقِي؟

قالَ فِي تاريخِ الشّامِ: حكَى أبُوطالِبِ بنُ الهرّاسِ الدّمشقيُّ -وكانَ حجّ معَ أبِي البركاتِ- : أنّهُ صرّحَ لهُ بالقوْلِ بالقدَرِ وخلقِ القرْآنِ، فاستعظمَ أبُو طالِبٍ ذلكَ منهُ وقالَ: إنّ الأئمّةَ علَى غيرِ ذلِكَ، فقالَ لهُ: إنّ أهلَ الحقّ يُعرفُونَ بالحقّ، ولا يُعرَفُ الحقّ بأهْلِهِ، قالَ: هذَا معْنى حِكايةِ أبِي طالِبٍ.

---

(١) جمع شراع ككتاب، وأصله بضمتين خففت بتسكين الراء (٢) الفواق: مابين الحلبتين من الوقت، أو مابين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع.

٣٩ – عُمَرُ بْنُ بُكَيْرٍ (١) *

عمر بن بكير

كَانَ صَاحِبَ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ خَصِيصاً بِهِ وَمَكِيناً عِنْدَهُ يُسَائِلُهُ عَنْ مُشْكِلَاتِ الْأَدَبِ ، وَكَانَ رَاوِيَةً نَاسِباً أَخْبَارِيًّا نَحْوِيًّا ، وَلَهُ عَمِلَ الْفَرَّاءُ كِتَابَ مَعَانِي الْقُرْآنِ ، وَذُكِرَ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ الْفَرَّاءِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْأَيَّامِ يَتَضَمَّنُ يَوْمَ الْغُولِ ، يَوْمَ الظَّهْرِ ، يَوْمَ أَرْمَامٍ ، يَوْمَ الْكُوفَةِ ، غَزْوَةَ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ ، يَوْمَ مُبَايِضَ .

حَدَّثَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ ابْنُ عُمَرَ بْنِ بُكَيْرٍ قَالَ : كَانَ أَبِي بَيْنَ يَدَيِ الْمُنْتَصِرِ وَهُوَ أَمِيرٌ ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ كَاتِبُ الْمُنْتَصِرِ فَقَالَ : دَعْنَا مِنَ الرُّسُومِ الدَّاثِرَةِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ ، فَوَثَبَ عُمَرُ بْنُ بُكَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ عَلَيَّ نِعَماً عِظَاماً ، وَلَهُ فِي عُنُقِي مِنَنٌ جَمَّةٌ ، فَقَالَ : مَاهِيَ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : مَلَأَ يَأَيُّهَا الْأَمِيرُ مَنْزِلِي ذَهَباً وَفِضَّةً ، وَأَدْنَى مَجْلِسِي حَتَّى زَالَ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيَّ فَأَلْحَقَنِي

---

(١) فى القاموس وسموا بكيرا كزبير ومن هنا ضبطته « عبد الخالق »

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ، وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

بِرُؤَسَاء أَهْلِ الْعِلْمِ ، كَأَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ ، وَوَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ أَقْدَرَنِي اللهُ بِالْأَمِيرِ عَلَى مُكَافَأَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ أَوْقَاتِهِ ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يُسَهِّلَ إِذْنَهُ ، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ عَلَى يَدِي وَحَبْوَةً لِي وَذَرِيعَةً إِلَى مُكَافَأَةِ الْحَسَنِ فَعَلَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَفْصٍ ، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ ، فَمِثْلُكَ يُسْتَوْدَعُ الْمَعْرُوفَ ، وَعِنْدَكَ يَتِمُّ الْبِرُّ ، وَمِثْلُكَ يُرَغِّبُ الْأَشْرَافَ فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ ، وَقَدْ جَعَلْتُ إِذْنَ الْحَسَنِ إِلَيْكَ ، فَأَدْخِلْهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ حَضَرَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُجَّابِ عَلَيْهِ ، فَقَبَّلَ أَبِي الْبِسَاطَ وَوَثَبَ إِلَى الْبَابِ ، فَأَدْخَلَ الْحَسَنَ وَأَتْكَأَهُ عَلَى يَدِهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَى الْمُنْتَصِرِ أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَالَ لَهُ : قَدْ صَيَّرْتُ إِذْنَكَ إِلَى أَبِي حَفْصٍ ، وَرَفَعْتُ يَدَ الْحَاجِبِ عَنْكَ ، فَاحْضُرْ إِذَا شِئْتَ مِنْ غُدُوٍّ أَوْ رَوَاحٍ ، وَارْفَعْ حَوَائِجَكَ ، وَتَكَلَّمْ بِكُلِّ مَا فِي صَدْرِكَ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَاللهِ مَا أَحْضُرُ طَلَبًا لِلدُّنْيَا ، وَلَا رَغْبَةً فِيهَا وَلَا حِرْصًا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ عَبْدٌ يَشْتَاقُ إِلَى سَادَتِهِ ، وَبِلِقَائِهِمْ يَشْتَدُّ ظَهْرُهُ ، وَيَنْبَسِطُ أَمَلُهُ ، وَتَتَجَدَّدُ نِعَمُ اللهِ عِنْدَهُ ، وَمَا أَحْضُرُ لِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْخَطِيبِ يَتَقَدُّ غَيْظًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْتَصِرُ :

فَاحضُرِ الْآنَ أَىَّ وَقْتٍ شِئْتَ ، فَأَكَبَّ الْحسَنُ عَلَى الْبِسَاطِ فَقَبَّلَهُ شُكْراً وَنَهَضَ .

قَالَ أَبِي : وَنَهَضْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا بَعُدْنَا عَنْ عَيْنِ الْمُنْتَصِرِ بَلَغَنِي أَنَّ الْمُنْتَصِرَ قَالَ : هَكَذَا فَلْيَكُنِ الشَّاكِرُونَ ، وَعَلَى أَمْثَالِ هَذَا فَلْيُنْعِمِ الْمُنْعِمُونَ . وَقَالَ الْحسَنُ لِعُمَرَ يَا أَبَا حَفْصٍ : وَاللهِ مَا أَدْرِى بِأَىِّ لِسَانٍ أُثْنِي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ، أَنَا أَوْلَى بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْكَ وَالدُّعَاءِ لَكَ ، خَوَّلْتَنِي الْغِنَى وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى فِى الزَّمَانِ الصَّعْبِ ، وَفِى الْحَالِ الَّتِي كَانَ يَجْفُونِي فِيهَا الْحَمِيمُ ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنِّي وَعَنْ وَلَدِى أَفْضَلَ الْجَزَاءِ . فَقَالَ الْحسَنُ : وَالهفتَا ، أَلَا يَكُونُ ذَلِكَ الْمَعْرُوفُ أَضْعَافَ مَا كَانَ . لَا دَرَّ دَرُّ الْفَوْتِ ، وَتَعْساً لِلنَّدَمِ وَأَحْوَالِهِ ، وَلِلّهِ دَرُّ الْخُزَيْمِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَدُونَ النَّوَى فِى كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ (١)
لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلُ
وَوَدُّ الْفَتَى فِى كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ
إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزْلُ

(١) الثنى من الوادى والجبل منعطفه ، والثنية : طريق العقبة ، وجمعها ثنايا

ثُمَّ قَالَ لِى أَبِى: يَا مُحَمَّدُ اُخْرُجْ مَعَهُ ـ أَعَزَّهُ اللهُ ـ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: فَخَرَجْتُ مَعَهُ فَلَمْ أَزَلْ أُحَادِثُهُ حَتَّى جَرَى ذِكْرُ رَزِينٍ الْعَرُوضِيِّ الشَّاعِرِ، وَكَانَ قَدِ امْتَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ، فَمَاتَ رَزِينٌ قَبْلَ أَنْ يُوصِلَهَا إِلَى الْحَسَنِ، فَقُلْتُ: أَيَّدَ اللهُ الْأَمِيرَ، كَانَ شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مَدَحَ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ وَهِىَ فِى الْعَسْكَرِ مَثَلٌ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُسْمِعَهَا الْأَمِيرَ، قَالَ: فَأَسْمِعْنِيهَا، فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا وَأَوَّلُهَا[1]:

قَرَّبُوا جِمَالَهُمْ لِلرَّحِيلْ   غُدْوَةً أَحِبَّتُكَ الْأَقْرَبُوكْ
خَلَّفُوكَ ثُمَّ مَضَوْا مُدْلِجِينْ   مُنْفَرِداً بِهَمِّكَ مَا وَدَّعُوكْ

وَفِيهَا:

مَنْ مُبْلِغُ الْأَمِيرِ أَخِى الْمَكْرُمَاتِ
مِدْحَةً مُحَبَّرَةً فِى أَلُوكْ[2]؟

تَزْدَهِى كَوَاسِطَةٍ فِى النِّظَامِ   فَوْقَ نَحْرِ جَارِيَةٍ تَسْتَبِيكْ
يَابْنَ سَادَةٍ زُهْرٍ كَالنُّجُومِ   أَفْلَحَ الَّذِينَ هُمْ أَنْجَبُوكْ
إِذْ نَعَشْتَ مَدْحَهُمْ بِالْفَعَالِ   مُحْيِياً سِيَادَةَ مَا أَوْلَوكْ

(١) قد ذكر أبو العلاء المعرى هذه القصيدة الغريبة العروض فى رسائله التى نشرناها

(٢) الأَلوك: الرسالة.

ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ أَخُوكَ النَّجِيبُ
فِيــــهِ كُلُّ مَكْرُمَةٍ وَفِيكْ
ذو الرِّيَاسَتَيْنِ وَأَنْتَ اللَّذَانِ يُحْيِيَانِ سُنَّةَ غَازِى تَبُوكْ
لَمْ تَزَالَا حَيًا لِلْبِـلَادِ وَالْعِبَادِ مَا لَكُمَا مِنْ شَرِيكْ
أَنْتُمَا إِنْ أَقْحَطَ الْعَالَمُونَ
مُنْتَهَى الْغِيَاثِ وَمَأْوَى الضَّرِيكْ[1]
يَابْنَ سَهْلٍ الْحَسَنَ الْمُسْتَغَاثَ
وَفِى الْوَغَى إِذَا اضْطَرَبَ الْفَكِيكْ[2]
مَا لِمَنْ أَلَحَّ عَلَيْهِ الزَّمَانُ مَفْزَعٌ لِغَيْرِكَ يَابْنَ الْمُلُوكْ
لَا وَلَا وَرَاءَكَ لِلرَّاغِبِينَ
مُطَّلَبٌ سِوَاكَ حَاشَا أَخِيكْ

وَالْقَصِيدَةُ غَرِيبَةُ الْعَرُوضِ ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : وَأَنَا وَاللهِ أُنْشِدُهُ وَعَيْنَاهُ تَهْمِي عَلَى خَدِّهِ فَتَقْطُرُ عَلَى نَحْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ مَا أَبْكِي إِلَّا لِقُصُورِ الْأَيَّامِ عَمَّا أُرِيدُهُ لِقَاصِدِي ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَلَهَّفُ وَيَقُولُ : مَا الَّذِي مَنَعَهُ مِنَ اللِّقَاءِ ، تَعَذُّرُ[3] الْحِجَابِ أَمْ قُعُودُ الْأَسْبَابِ ؟ فَقُلْتُ : اعْتَلَّ ـ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ـ عِلَّةً تُوُفِّيَ

(١) الضريك : الفقير السيء الحال (٢) الفكيك : الذى يفك من الضيق
(٣) تعذر الحجاب : مصدر تعذر عن الأمر : أى تأخر

فِيهَا، فَجَعَلَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَكُونُ أَعْجَزَ مِنْ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ حَيْثُ مَاتَ قَبْلَ وُصُولِ النَّابِغَةِ إِلَيْهِ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي رَحَلَ بِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ يَقُولُ:

فَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيتُكَ سَالِمًا   وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ

الْأَبْيَاتَ، فَبَلَغَتِ الْأَبْيَاتُ عَلْقَمَةَ فَأَوْصَى لَهُ بِمِثْلِ نَصِيبِ ابْنٍ لَهُ، وَلَكِنْ هَلْ لِهَذَا الشَّاعِرِ وَارِثٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، بُنَيَّةٌ، قَالَ: تَعْرِفُ مَكَانَهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللهِ مَا يَتَّسِعُ وَقْتِي هَذَا لِمَا أَنْوِيهِ وَلَكِنَّ الْقَلِيلَ وَالْعُذْرَ يَسَعُنَا، ثُمَّ دَعَا غُلَامًا وَقَالَ: هَاتِ، مَا بَقِيَ مِنْ نَفَقَةِ شَهْرِنَا. فَأَتَى بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ فِي صُرَّةٍ فَدَفَعَهَا إِلَيَّ وَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، خُذْ أَلْفًا وَأَعْطِ الصَّبِيَّةَ أَلْفًا، فَأَخَذْتُ الْأَلْفَيْنِ وَانْصَرَفْتُ وَعَمِلْتُ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ. وَمَاتَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ بِسُرَّ مَنْ رَأَى فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: مَا نُسِبَ إِلَى عَلْقَمَةَ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ غَلَطٌ. لِأَنَّ الْوَارِدَ عَلَيْهِ هُوَ الْحُطَيْئَةُ، وَكَانَ عَلْقَمَةُ وَالِيًا عَلَى حُورَانَ، فَلَمَّا قَارَبَهُ مَاتَ عَلْقَمَةُ. فَقَالَ الْحُطَيْئَةُ الْأَبْيَاتَ. لَكِنْ هَكَذَا هَذِهِ الْحِكَايَةُ، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ حَالُهَا؟.

انتهى الجزء الخامس عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء السادس عشر ﴾

﴿ وأوله ترجمة ﴾

﴿ عمر بن أحمد بن أبي جرادة « المعروف بابن العديم » ﴾





فهرس

الجزء الخامس عشر

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى

عبد الجليل

عبد الجليل شلبي

عبد الجليل عيسى شلبي

مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك

مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءاً

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء السادس عشر

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

طبع بمطبعة دار المأمون ويباع في المكاتب الشهيرة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين . أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْعَدِيمِ * ﴾

عمر بن أحمد «ابن العديم»

الْعُقَيْلِيُّ يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ، وَيُلَقَّبُ كَمَالَ الدِّينِ، مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ حَلَبَ وَأَفَاضِلِهِمْ ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ صَاحِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ . وَاسْمُ أَبِي جَرَادَةَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ أَبِي الْقَبِيلَةِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ ابْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ حَفْصَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

وَبَيْتُ أَبِي جَرَادَةَ بَيْتٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ ، أُدَبَاءُ شُعَرَاءُ فُقَهَاءُ ، عُبَّادٌ زُهَّادٌ قُضَاةٌ ، يَتَوَارَثُونَ الْفَضْلَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ وَتَالِياً عَنْ غَابِرٍ ، وَأَنَا أَذْكُرُ قَبْلَ شُرُوعِي فِي ذِكْرِهِ شَيْئاً مِنْ مَآثِرِ هَذَا الْبَيْتِ، وَجَمَاعَةً مِنْ مَشَاهِيرِهِمْ ، ثُمَّ أُتْبِعُهُ بِذِكْرِهِ نَاقِلًا ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كِتَابٍ أَلَّفَهُ كَمَالُ الدِّينِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — ، وَسَمَّاهُ الْأَخْبَارَ الْمُسْتَفَادَةَ فِي ذِكْرِ بَنِي

(*) راجع كتاب فوات الوفيات ج ٨

أَبِي جَرَادَةَ ، وَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ فَأَقَرَّ بِهِ . سَأَلْتُهُ أَوَّلًا : لِمَ سُمِّيتُمْ بِبَنِي الْعَدِيمِ ؟ فَقَالَ : سَأَلْتُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِي عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ وَقَالَ : هُوَ اسْمٌ مُحْدَثٌ لَمْ يَكُنْ آبَائِي الْقُدَمَاءُ يُعْرَفُونَ بِهَذَا وَلَا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّ جَدَّ جَدِّي الْقَاضِيَ أَبَا الْفَضْلِ هِبَةَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ - مَعَ ثَرْوَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَنِعْمَةٍ شَامِلَةٍ - كَانَ يُكْثِرُ فِي شِعْرِهِ مِنْ ذِكْرِ الْعُدْمِ ، وَشَكْوَى الزَّمَانِ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا سَبَبَهُ فَلَا أَدْرِي مَا سَبَبُهُ ؟ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي جَمَالُ الدِّينِ أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ عَمِّي قَالَ : لَمَّا خَتَمْتُ الْقُرْآنَ قَبَّلَ وَالِدِي - رَحِمَهُ اللهُ - بَيْنَ عَيْنَيَّ وَبَكَى وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلهِ يَا وَلَدِي ، هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَرْجُوهُ فِيكَ . حَدَّثَنِي جَدُّكَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَلَفِهِ : أَنَّهُ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا مَنْقَبَةٌ جَلِيلَةٌ لَا أَعْرِفُ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ شَرْوَاهَا [1] ، وَسَأَلْتُ عَنْهَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ حَلَبَ فَصَدَّقُوهَا ، وَقَالَ لِي زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ النَّصِيبِيِّ :

---

(١) شرواها : أي مثلها ، يقال : ماله شروى : أي ماله مثل .

دَعِ الْمَاضِيَ وَاسْتَدِلَّ بِالْحَاضِرِ ، فَإِنَّنِي أَعُدُّ لَكَ كُلَّ مَنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي وَقْتِنَا هَذَا ، وَهُمْ خَلْقٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ خَتَمَ الْقُرْآنَ ، وَجَعَلَ يَتَذَكَّرُهُمْ وَاحِداً وَاحِداً فَلَمْ يَخْرِمْ[1] بِوَاحِدٍ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — قَالَ : وَكَانَ عَقِبُ بَنِي أَبِي جَرَادَةَ مِنْ سَاكِنِي الْبَصْرَةِ فِي مَحِلَّةِ بَنِي عُقَيْلٍ بِهَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ انْتَقَلَ مِنْهُمْ عَنْهَا مُوسَى بْنُ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ إِلَى حَلَبَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَ وَرَدَهَا تَاجِراً وَحَدَّثَنِي قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ قَالَ : سَمِعْتُ وَالِدِي يَذْكُرُ فِيمَا يَأْثُرُهُ[2] عَنْ سَلَفِهِ : أَنَّ جَدَّنَا قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَوْطَنَ حَلَبَ قَالَ : وَسَمِعْتُ وَالِدِي يَذْكُرُ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ وَقَعَ طَاعُونٌ بِالْبَصْرَةِ فَخَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَقَدِمُوا الشَّامَ فَاسْتَوْطَنَ جَدُّنَا حَلَبَ قَالَ : وَكَانَ لِمُوسَى مِنَ الْوَلَدِ مُحَمَّدٌ وَهَارُونُ وَعَبْدُ اللهِ . فَأَمَّا مُحَمَّدٌ فَلَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ ، وَلَا أَدْرِي أَعْقَبَ أَمْ لَا ؟ وَأَمَّا الْعَقِبُ[3] الْمَوْجُودُ الْآنَ فَلِهَارُونَ وَهُوَ جَدُّنَا ، وَلِعَبْدِ اللهِ وَهُمْ

(١) فلم يخرم بواحد : أي لم ينقص واحدا . (٢) تأثره عن سلفه : أي نقله عنه ، وتبع أثره . (٣) العقب : الولد وولد الولد

أَعْمَامُنَا. فَمِنْ وَلَدِ عَبْدِاللهِ: الْقَاضِي أَبُو طَاهِرٍ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ هَذَا الْبَيْتِ وَأَعْيَانِهِمْ ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ يَرْثِيهِ — وَكَانَتْ قَدْ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ وَفَاةِ وَالِدِ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ أُخْتُهُ بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ ، فَتَوَجَّعَ لِلْمَاضِيَيْنِ — :

صَبَرْتُ لَا عَنْ رِضًى مِنِّي وَإِيثَارِ
وَهَلْ يَرُدُّ بُكَائِي حَتْمَ أَقْدَارِ ؟
أَرُومُ كَفَّ دُمُوعِي وَهْيَ فِي صَبَبٍ
وَأَبْتَغِي بَرْدَ قَلْبِي وَهْوَ فِي نَارِ
مَا لِلَّيَالِي تُعَرِّي جَانِبِي أَبَداً
مِنْ أُسْرَتِي وَأَخِلَّائِي وَأَوْزَارِي (١)
تَلَذُّ (٢) طَعْمَ مُصِيبَاتِي فَأَحْسَبُهَا
تَظْمَا فَيُرْوِي صَدَاهَا مَاءُ أَشْفَارِي

(١) أوزاري : جمع وزر ، والوزر محركة : الملجأ والمعتصم (٢) فاعل تلذ ضمير يعود على الليالي في البيت السابق ، يقصد الشاعر : أن الليالي مولعة به فهي ترميه دائما بالمصائب حتى حسبها ظامئة لا يروى ظمأها إلا دموع عينه .

مَحَاسِنٌ جَدَّتِ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهَا
وَطَالَمَا صُنْتُهَا عَنْ لَحْظِ أَبْصَارِ
وَوَاضِحٍ كَسَنَا الْإِصْبَاحِ أَنْقُلُهُ
مِنْ رَأْيِ عَيْنِي إِلَى سِرِّى وإِضْمَارِى
إِنَّ الرَّدَى أَقْصَدَتْنِي غَيْرَ طَائِشَةٍ
سِهَامُهُ فِي فَتًى كَالْكَوْكَبِ الْوَارِى[1]
رَمَتْهُ صَائِبَةُ الْأَقْدَارِ مِنْ كَثَبٍ
وَمَا رَعَتْ[2] عِظَمَ أَقْدَارٍ وَأَخْطَارِ

وَهِيَ قَصِيدَةٌ غَرَّاءُ طَوِيلَةٌ. وَمِنْهُمْ أَبُو الْمَجْدِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مُحَمَّدٍ، شَيْخٌ فَاضِلٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، سَمِعَ بِحَلَبَ أُسْتَاذَهُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنَ ابْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْقِنَّسْرِينِيَّ الْمُقْرِئَ مُؤَلِّفَ كِتَابِ التَّهْذِيبِ فِي اخْتِلَافِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَسَمِعَهُ وَلَدُهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ حِسَانٌ مِنْهَا:

تَوَسْوَسَ عَنْ عَلِيِّ الزَّمَانُ فَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مُعْضِلَهْ
فَلَوْ جَعَلُوا أَمْرَهُ لَيْلَةً إِلَيَّ لَأَصْبَحَ فِي سِلْسِلَهْ

(١) الوارى: المتقد اللامع، يقال ورت: النار وريا: اتقدت فهى وارية
(٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل « وما رعت »

وَمَاتَ الشَّيْخُ أَبُو الْمَجْدِ بِحَلَبَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ صَدْرُ زَمَانِهِ، وَفَرْدُ أَوَانِهِ، ذُو فُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَخَطُّهُ مَلِيحٌ جِدًّا، عَلَى غَايَةٍ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالصِّحَّةِ، وَلَهُ شِعْرٌ يَكَادُ يَخْتَلِطُ بِالْقَلْبِ، وَيَسْلُبُ اللُّبَّ لَطَافَةً وَرِقَّةً، تَصَدَّرَ بِحَلَبَ لِإِفَادَةِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ مُتَفَرِّداً بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَرَتَّبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ لِأَبِي عُبَيْدٍ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ، وَشَرَعَ فِي شَرْحِ أَبْيَاتِهِ شُرُوعاً لَمْ يُقَصِّرْ فِيهِ، ظَفِرْتُ مِنْهُ بِكَرَارِيسَ مِنْ مُسَوَّدَاتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ: سَمِعَ بِحَلَبَ وَالِدَهُ أَبَا الْمَجْدِ وَأَبَا الْفَتْحِ عَبْدَ اللهِ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ الْحَلَبِيَّ وَأَبَا الْفِتْيَانِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلْطَانَ بْنِ حَيُّوسٍ الشَّاعِرَ وَغَيْرَهُمْ. وَرَحَلَ عَنْ حَلَبَ قَاصِداً لِلْحَجِّ فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَسَمِعَ بِهَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَلِيٍّ الْمُقْرِئَ وَغَيْرَهُ، وَلَمْ يَتَيَسَّرْ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْعَامِ حَجٌّ، فَعَادَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى حَلَبَ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْمَوْصِلِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَمِعَ بِهَا، وَأَدْرَكَهُ تَاجُ الْإِسْلَامِ أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ

السَّمْعَانِيُّ فَسَمِعَ مِنْـهُ بِحَلَبَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ وَافِرَةٌ ، وَذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي الْمُذَيَّلِ لِتَـارِيخِ بَغْدَادَ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْـكِتَابِ فِي مَوْضِعِهِ بِمَا ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ بِهِ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ قَالَ : سَمِعْتُ وَالِدِي — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : كَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ بِخَطِّهِ ثَلَاثَ خَزَائِنَ مِنَ الْـكُتُبِ لِنَفْسِهِ ، وَخِزَانَةً لِابْنِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، وَخِزَانَةً لِابْنِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ . وَمِنْ شِعْرِهِ « أَنْبَأَنَا بِهِ تَاجُ الدِّينِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْـكِنْدِيُّ » مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ فِيهَا طُولَ اللَّيْلِ :

فُؤَادٌ بِالْأَحِبَّةِ مُسْتَطَارُ ... وَقَلْبٌ لَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارُ
وَمَا أَنْفَكُّ مِنْ هَجْرٍ وَصَدٍّ ... وَعَتْبٍ لَا يَقُومُ لَهُ اعْتِذَارُ
وَعَيْنٍ دَمْعُهَا جَمٌّ غَزِيرٌ ... وَلَكِنْ نَوْمُهَا نَزْرٌ غِرَارُ
كَأَنَّ جُفُونَهَا عِنْدَ التَّلَاقِي ... تُلَاقِيهَا الْأَسِنَّةُ وَالشِّفَارُ
وَهَذَا حَالُهَا وَهُمُ حُلُولٌ ... فَكَيْفَ بِهَا إِذَا خَلَتِ الدِّيَارُ ؟
أَبِيتُ اللَّيْلَ مُرْتَقِباً[١] كَئِيباً ... لِهَمٍّ فِي الضُّلُوعِ لَهُ أُوَارُ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْفَلَكِ اعْتَرَاهَا ... فُتُورٌ أَوْ تَخَوَّنَهَا الْمَدَارُ

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « مرتقتا »

وَمِنْهَا :

فَيَا لَكِ لَيْلَةً طَالَتْ وَدَامَتْ فَلَيْسَ لِصُبْحِهَا عَنْهَا انْسِفَارُ
أُسَائِلُهَا لِأَبْلُغَ مُنْتَهَاهَا لَعَلَّ الْهَمَّ يُذْهِبُهُ النَّهَارُ

وَمَاتَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً. وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ، وَكَانَ فَاضِلًا كَاتِبًا شَاعِرًا أَدِيبًا، يَكْتُبُ النَّسْخَ عَلَى[1] طَرِيقَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ، وَالرِّقَاعَ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ، وَخَطُّهُ حُلْوٌ جَيِّدٌ جِدًّا خَالٍ مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ . سَمِعَ أَبَاهُ بِحَلَبَ. وَكَتَبَ عَنْهُ السَّمْعَانِيُّ عِنْدَ قُدُومِهِ حَلَبَ. وَسَارَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَاتَّصَلَ بِالْعَادِلِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ وَزِيرِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَنِسَ بِهِ ، ثُمَّ نَفَقَ بَعْدَهُ عَلَى الصَّالِحِ بْنِ رُزِّيكَ وَخَدَمَهُ فِي دِيوَانِ الْجَيْشِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِي صَدْرِ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ الْقَاهِرِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ :

(١) لم تكن كلمة « على » فى الأصل

سَرَى مِنْ أَقَاصِي الشَّامِ يَسْأَلُنِي عَنِّي
خَيَالٌ إِذَا مَا زَادَ يَسْلُبُنِي مِنِّي
تَرَكْتُ لَهُ قَلْبِي وَجِسْمِي كِلَيْهِمَا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا أَنْ يُعَرِّسَ [1] فِي جَفْنِي
وَإِنِّي لَيُدْنِينِي اشْتِيَاقِي إِلَيْكُمُ
وَوَجْدِي بِكُمْ لَوْ أَنَّ وَجْدَ الْفَتَى يُدْنِي
وَأَبْعَثُ آمَالِي فَتَرْجِعُ حُسَّراً
وُقُوفاً عَلَى ضِنٍّ [2] مِنَ الْوَصْلِ أَوْ ظَنِّ
فَلَيْتَ الصَّبَا تَسْرِي بِمَكْنُونِ سِرِّنَا
فَتُخْبِرَنِي عَنْكُمْ وَتُخْبِرَكُمْ عَنِّي
وَلَيْتَ اللَّيَالِي الْخَالِيَاتِ عَوَائِدٌ
عَلَيْنَا فَنَعْتَاضَ السُّرُورَ مِنَ الْحُزْنِ

وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَا ضَرَّهُمْ يَوْمَ جَدَّ الْبَيْنُ لَوْ وَقَفُوا
وَزَوَّدُوا كَلِفاً [3] أَوْدَى بِهِ الْكَلَفُ

---

(١) يعرس : أي ينزل ويقيم (٢) ضن بكسر الضاد مصدر ضن : أي بخل
(٣) الكلف كفرح : الرجل العاشق المحب ، والكلف بفتح اللام مصدر

تَخَلَّفُوا عَنْ وَدَاعِي ثُمَّتَ ارْتَحَلُوا
وَأَخْلَفُونِي وُعُوداً مَا لَهَا خَلَفُ[(١)]

وَأَوْصَلُونِي بِهَجْرٍ بَعْدَ مَا وَصَلُوا
حَبْلِي وَمَا أَنْصَفُونِي لَكِنِ انْتَصَفُوا

فَلَيْتَهُمْ عَدَلُوا فِي الْحُكْمِ إِذْ مَلَكُوا
وَلَيْتَهُمْ أَسْعَفُوا بِالطَّيْفِ مَنْ شَعَفُوا[(٢)]

مَا لِلْمُحِبِّ وَلِلْعُذَّالِ وَيْحَهُمُ ؟
خَانُوا وَمَانُوا[(٣)] وَلَمَّا عُنِّفُوا عَنُفُوا

أَسْتَوْدِعُ اللهَ أَحْبَاباً أَلِفْتُهُمُ
لَكِنْ عَلَى تَلَفِي يَوْمَ النَّوَى ائْتَلَفُوا

عَمْرِي لَئِنْ نَزَحَتْ بِالْبَيْنِ دَارُهُمُ
عَنِّي فَمَا نَزَحُوا دَمْعِي وَمَا نَزَفُوا

يَا حَبَّذَا نَظْرَةٌ مِنْهُمْ عَلَى عَجَلٍ
تَكَادُ تُنْكِرُنِي طَوْراً وَتَعْتَرِفُ

سَقَتْ عُهُودَهُمُ غَدَّاءُ[(٤)] وَاكِفَةٌ
تَهْمِي وَلَوْ أَنَّهَا مِنْ أَدْمُعِي تَكِفُ

---

(١) ما لها خلف : أي إن هذه الوعود لن يخلفها لقاء ووصل يحققانها (٢) شعفه : غشى قلبه وأحرقه (٣) مانوا : كذبوا ، وكانت فى الأصل بالتاء لا بالنون
(٤) الغداء : الغادية : وهى السحابة تنشأ غدوة

أَحْبَابنَا ذَهِلَتْ أَلْبَابُنَا وَمَحَا
عِتَابنَا لَكُمُ الْإِشْفَاقُ وَالْأَسَفُ

بَعُدْتُمُ فَكَأَنَّ الشَّمْسَ وَاجِبَةٌ (١)
مِنْ بَعْدِكُمْ وَكَأَنَّ الْبَدْرَ مُنْخَسِفُ

يَالَيْتَ شِعْرِىَ هَلْ يَحْظَى بِرُؤْيَتِكُمْ
طَرْفِى وَهَلْ يَجْمَعَنْ مَا بَيْنَنَا طَرَفُ (٢)؟؟

وَمُضْمِرٍ فِى حَشَاهُ مِنْ مَحَاسِنِكُمْ
لَفْظًا هُوَ الدُّرُّ لَا مَا يُضْمِرُ الصَّدَفُ

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ حَالَ الدَّهْرُ بَيْنَهُمَا
أَوْ لَفْظَتَيْنِ لِمَعْنًى لَيْسَ يَخْتَلِفُ

فَأَقْصَدَتْنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ نَابِلَةً (٣)
حَتَّى كَأَنَّ فُؤَادَيْنَا لَهَا هَدَفُ

فَهَلْ تَعُودُ لَيَالِى الْوَصْلِ ثَانِيَةً
وَيُصْبِحُ الشَّمْلُ مِنَّا وَهْوَ مُؤْتَلِفُ؟

وَنَلْتَقِى بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ أَحِبَّتِنَا كَمِثْلِ مَا يَتَلَاقَى اللَّامُ وَالْأَلِفُ

(١) واجبة : وجبت الشمس وجبا ووجوبا : أى غابت . ومنخسف : أى ذاهب الضوء مظلم (٢) الطرف بسكون الراء : العين . والطرف : بالتحريك : الناحية .
(٣) النابل : الحاذق بالنبل ، والنبل : السهام ، ومصدر نبل أى رمى

وَمَا كَتَبْتُ عَلَى مِقْدَارِ مَا ضَمِنَتْ[1]
مِنِّى الضُّلُوعُ وَلَا مَا يَقْتَضِى اللَّهَفُ
فَإِنْ أَتَيْتُ بِمَكْنُونِى فَمِنْ عَجَبٍ
وَإِنْ عَجَزْتُ فَإِنَّ الْعُذْرَ مُنْصَرِفُ[2]

وَمِنْهُمْ: أَخُوهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، كَانَ ظَرِيفاً لَطِيفاً أَدِيباً شَاعِراً كَاتِباً ، لَهُ الْخَطُّ الرَّائِقُ ، وَالشِّعْرُ الْفَائِقُ، وَالتَّهْذِيبُ الَّذِى تَبَحَّرَ فِى جَوْدَتِهِ وَيَلْتَحِقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ابْنِ الْبَوَّابِ ، وَالتَّأَنُّقُ فِى الْخَطِّ الْمُحَرَّرِ الَّذِى يَشْهَدُ بِالتَّقَدُّمِ فِى الْفَضْلِ وَإِنْ تَأَخَّرَ . سَمِعَ بِحَلَبَ أَبَاهُ أَبَا الْحَسَنِ وَغَيْرَهُ ، وَكَتَبَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ أَمِيناً عَلَى خَزَائِنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ وَذَا مَنْزِلَةٍ لَطِيفَةٍ مِنْهُ ، وَمِنْ شِعْرِهِ « وَكَتَبَهُ بِلِيقَةِ ذَهَبٍ » :

مَا اخْتَرْتُ إِلَّا أَشْرَفَ الرُّتَبِ خَطًّا أُخَلِّدُهُ فِى الْكُتُبِ
وَالْخَطُّ كَالْمِرْآةِ نَنْظُرُهَا فَنَرَى مَحَاسِنَ صُورَةِ الْأَدَبِ
هُوَ وَحْدَهُ حَسَبٌ يُطَالُ بِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّاهُ[3] مِنْ حَسَبِ

---

(١) جاء فى لسان العرب : ويقال : ضمن الشىء بمعنى تضمنه ، ومنه قولهم : مضمون الكتاب كذا وكذا . (٢) أى منصرف عنى ، يعنى أن عذره فى عجزه عن الاتيان بمكنون ما تضمنته ضلوعه باد لا يسأل عنه (٣) إلاه : أى غيره

مَا زِلْتُ أُنْفِقُ فِيهِ مِنْ ذَهَبٍ حَتَّى جَرَى فَكَتَبْتُ بِالذَّهَبِ

وَقَالَ أَيْضاً وَهُوَ بِدِمَشْقَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ :

أَمُتُّ بِبَذْلِي خَالِصاً مِنْ مَوَدَّتِي
إِلَى مَنْ سَوَاهُ عِنْدَهُ الْمَنْعُ وَالْبَذْلُ
وَتَحْسَبُ نَفْسِي — وَالْأَمَانِي ضَلَّةٌ[1] —
بِأَنِّيَ مِنْ شُغْلِ الَّذِي هُوَ لِي شُغْلُ
أَلَا إِنَّ هَذَا الْحُبَّ دَاءٌ مُوَافِقٌ وَإِنَّ شِفَاءَ الدَّاءِ مُمْتَنِعٌ سَهْلُ
عَفَى اللّٰهُ عَمَّنْ إِنْ جَنَى فَاحْتَمَلْتُهُ
تَجَنَّى فَعَادَ الذَّنْبُ لِي وَلَهُ الْفَضْلُ
وَمَنْ كُلَّمَا أَجْمَعْتُ عَنْهُ تَسَلِّياً
تَبَيَّنْتُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي غَيْرِهِ جَهْلُ
سَأُعْرِضُ إِلَّا عَنْ هَوَاهُ فَإِنَّهُ
جَمِيلٌ بِمِثْلِي حُبُّ مَنْ مَالَهُ مِثْلُ[2]
وَأَلْقَى مَقَالَ النَّاصِحِينَ بِمَسْمَعٍ
ضَرَبْتُ عَلَيْهِ بِالْغَوَايَةِ[3] مِنْ قَبْلُ

(١) الضلة : بكسر الضاد : ضد الهدى ، أى تحسب نفسى أننى أشغل من قلب هذا الحبيب مثل ما يشغل من قلبي (٢) قوله : حب من ماله مثل : أى من ليس له نظير (٣) الغواية : الضلال

فَعِنْدِى وَإِنْ أَخْفَيْتُ ذَاكَ عَنِ الْعِدَى
عَزِيمَةُ هَمٍّ(١) لَا تَكِلُّ وَلَا تَأْلُو(٢)
وَلِى فِى حَوَاشِى كُلِّ عَذْلٍ تَلَفُّتٌ
إِلَى حُبِّ مَنْ فِى حُبِّهِ قَبُحَ الْعَذْلُ
وَإِنِّى لَأُدْنِى مَا أَكُونُ مِنَ الْهَوَى
إِذَا أَرْجَفَ(٣) الْوَاشُونَ بِى أَنَّنِى أَسْلُو

هَذَا لَعَمْرِى وَاللهِ الْغَايَةُ فِى الْحُسْنِ وَالطَّلَاوَةِ، وَالرَّوْنَقِ وَالْحَلَاوَةِ. وَقَالَ أَيْضاً:

عَادَ قَلْبِى إِلَى الْهَوَى مِنْ قَرِيبِ ... مَا مُحِبٌّ بِعُنْتَهٍ(٤) عَنْ حَبِيبِ
طَالَ يَا هِمَّتِى تَمَادِيكِ فِى الرُّشْـ ... ـدِ خُذِى مِنْ غَوَايَةٍ بِنَصِيبِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتِ حُسْناً غَرِيباً ... فَاسْتَعِدِّى لَهُ بِوَجْدٍ غَرِيبِ
يَا غَزَالًا مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الْعُجْـ ... ـبِ فَهَزَّتْ عِطْفَيْهِ(٥) هَزَّ الْقَضِيبِ

---

(١) الهم : ما هم به الانسان فى نفسه ، وهم بالشىء : نواه وأراده وعزم عليه ، وعندى عزيمة هم الخ : أى عندى عزيمة قوية لا تكل ولا تقصر عن مرادها حين همها بالشىء وعزمها على فعله (٢) لاتألو : أى لاتقصر (٣) أرجف الواشون : أى خاضوا فيه وتحدثوا عنه بما ذكره فى البيت (٤) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « بميته » (٥) عطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وركيه ، والجمع أعطاف

بَيْنَ أَلْحَاظِكَ الْمِرَاضِ[1] وَبَيْنِي نَسَبٌ لَوْ رَعَيْتَ حَقَّ النَّسِيبِ
أَنْتَ أَجْرَيْتَ أَعْيُنَ الدَّمْعِ مِنْ عَيْـ ـنِي وَأَوْرَيْتَ زَنْدَ قَلْبِي الْكَئِيبِ
لَا تَقُلْ لَيْسَ لِي بِذَلِكَ عِلْمٌ فَعَلَى مُقْلَتَيْكَ سِيمَا مَرِيبِ[2]
مَا تَعَدِّيكَ فِي الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ؟! إِنَّ حَظِّي لَدَيْكَ حَظُّ أَدِيبِ

وَمَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَمِنْهُمُ ابْنُ أَخِيهِ أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ، وَكَانَ يُجِيدُ الْكِتَابَةَ وَجَمَعَ مَجَامِيعَ حَسَنَةً، وَجَمَعَ شِعْرَ وَالِدِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحَسَنِ، وَشِعْرَ عَمِّهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ الْقَاهِرِ، وَلَهُ شِعْرٌ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْهُ :

مَنْ ذَا مُجِيرِي مِنْ يَدَيْ شَادِنٍ مُهَفْهَفِ الْقَدِّ مَلِيحِ الْعِذَارْ
قَدْ كَتَبَ الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ أَسْطُرَ مِسْكٍ طِرْسُهَا جُلَّنَارْ[3]

فَهَؤُلَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى. وَأَمَّا أَخُوهُ هَارُونُ بْنُ مُوسَى، فَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اشْتَرَى بِحَلَبَ مِلْكًا فِي قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِأَوْرَمَا الْكُبْرَى، وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ : زُهَيْرٌ وَأَحْمَدُ،

---

(١) الألحاظ : العيون — والمراض جمع مريض ، وعين مريضة : أى فيها فتور
(٢) المريب : من يجعلك فى ريبة وشك (٣) الجلنار : معرب كلنار بالفارسية ومعناه : ورد الرمان — واحده جلنارة

وَالْعَقِبُ لِزُهَيْرٍ وَهُوَ الَّذِي اشْتَرَى أَكْثَرَ أَمْلَاكِ بَنِي أَبِي جَرَادَةَ، مِثْلِ أَوْرَمَ الْكُبْرَى، وَيَحْمُولَ، وَأَقْذَارَ وَلُؤْلُؤَةَ وَالسِّنِ وَهِيَ قُرًى، وَوَقَفَ وَقْفاً عَلَى شِرَا فَرَسٍ [1] يُجَاهَدُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. وَتُوُفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. فَمِنْ وَلَدِ زُهَيْرٍ: أَبُو الْفَضْلِ وَهُوَ [2] أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى، وِلَادَتُهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. سَمِعَ بِحَلَبَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ السَّبِيعِيَّ وَغَيْرَهُ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ أَخِيهِ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ، وَمُشْرِقٌ الْعَابِدُ وَجَمَاعَةٌ، وَلَعَلَّهُ مَاتَ فِي حُدُودِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ. وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ زُهَيْرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوسَى وَهُوَ الْعَدِيمُ، إِلَيْهِ يُنْسَبُونَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ لِمَ سُمُّوا ذَلِكَ؟ وَمِنْهُمْ: وَلَدُهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ابْنِ زُهَيْرٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِمَدِينَةِ حَلَبَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السِّمْنَانِيِّ، وَكَانَ السِّمْنَانِيُّ إِذْ ذَاكَ قَاضِيَ حَلَبَ. أَنْشَدَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي

(١) فى القاموس: الفرس للذكر والأنثى، أوهى فرسة (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل: «هذا».

جَرَادَةَ ، أَنْشَدَنِي وَالِدِي لِجَدِّ أَبِيهِ الْقَاضِي هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ يَحْيَى يَذْكُرُ أَبَاهُ وَيَفْتَخِرُ بِهِ :

أَنَا ابْنُ مُسْتَنْبِطِ الْقَضَايَا وَمُوضِحِ الْمُشْكِلَاتِ[1] حَلَّا
وَابْنُ الْمَحَارِيبِ لَمْ تُعَطَّلْ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ تُتْلَى
وَفَارِسِ الْمِنْبَرِ اسْتَكَانَتْ عِيدَانُهُ مِنْ حِجَاهُ ثِقْلَا

تُوُفِّيَ بَعْدَ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْهُمْ ابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ ، كَانَ كَبِيرَ الْقَدْرِ جَمِيلَ الْأَمْرِ ، مُبَجَّلًا عِنْدَ آلِ مِرْدَاسٍ ، لَهُ شِعْرٌ جَزْلٌ فَصِيحٌ ذُو مَعَانٍ دِقَاقٍ ، يَتَرَفَّعُ قَدْرُهُ عَنْهُ[2] ، وَإِنَّمَا يَقُولُ بِبَلَاغَتِهِ وَبَرَاعَتِهِ . سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِيهِ ، وَلَعَلَّهُ لَقِيَ أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيَّ وَقَرَأَ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ لِلْقَضَاءِ فِي أَوَائِلِ دَوْلَةِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْمَكَارِمِ مُسْلِمِ بْنِ

(١) مستنبط القضايا : أي مستخرج باطنها بفهمه واجتهاده ، وموضح المشكلات حلا : أي الذي يوضح العويص الغامض من المسائل التي أشكل فهمها على غيره ، فيحلها ويفتح مغاليقها . (٢) يقول : إنه شعر القاضي أبي الفضل هبة الله بن أحمد هو شعر جزل فصيح الخ ، وإن منزلة القاضي وقدره يترفعان عن قول الشعر ، وإنه إنما كان يقوله مطاوعة لبلاغته وبراعته

قُرَيْشٍ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ القَاضِي كِسْرَى بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ كِسْرَى، وَكُتِبَ تَقْلِيدُهُ مِنْ بَغْدَادَ عَنِ الْمُقْتَدِي بِاللهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ:

لِي بِالْغُوَيْرِ (١) لُبَانَاتٌ ظَفِرْتُ بِهَا
قَدْ سُدَّ مِنْ دُونِهَا لِي أَوْضَحُ الطُّرُقِ
وَبِالثَّنِيَّةِ بَدْرٌ لَاحَ فِي غُصُنٍ
أَصْمَى فُؤَادِي لَهَا سَهْمٌ مِنَ الْمَلَقِ (٢)
سَرَّاقَةٌ لِقُلُوبِ النَّاظِرِينَ لَهَا
وَمَا يُقَامُ عَلَيْهَا وَاجِبُ السَّرَقِ (٣)
لَا يُفْلِتُ الْمَرْءُ مِنْ أَشْرَاكِ مُقْلَتِهَا
وَإِنْ تَخَلَّصَ لَمْ يُفْلِتْ مِنَ الْعَقَقِ (٤)
وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ ذَا شُعَلٍ
لَوْلَا بَقَا اللَّيْلِ قُلْنَا غُرَّةُ الْفَلَقِ (٥)
وَلَائِمٍ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ وَاكِفَةٌ
لَا يَسْتَبِينُ لَهَا جَفْنٌ مِنَ الْغَرَقِ

---

(١) الغوير : ماء لبنى كلب ، ومنه قول الزباء « عسى الغوير أبؤسا » واللبانات جمع لبانة : الحاجة (٢) الثنية : العقبة أو الجبل أو الطريق فيه ، وأصمى فؤادى : أى أصابه إصابة قاتلة ، والملق : مصدر ملق : أى أظهر الود واللطف وليس به (٣) يريد بذلك أنه لاحد عليها (٤) من معانى العقق الانشقاق ، وحفرة عميقة فى الأرض (٥) السجف : الستر ، والفلق : الصبح ، وبقا : مقصور بقاء

يَقُولُ: أَفْنَيْتَهُ وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ ... وَلَمْ تَصُنْهُ لِتَوْدِيعٍ وَمُفْتَرَقِ

وَلَهُ:

رَبْعٌ لِهِنْدٍ بِاللِّوَى مَصْرُومُ ... أَقْوَى فَمَا آوٍ بِهِ مَنْهُومُ[1]

أَخْفَاهُ إِلْحَاحُ الْبِلَى فَضَلَلْتُ فِي
إِنْشَادِهِ[2] لَوْلَا النَّسِيمُ تَهُومُ

تَضْيَافُ طَرْفِي فِيهِ دَمْعٌ سَاجِمٌ
وَقِرَى[3] فُؤَادِي فِي ذُرَاهُ هُمُومُ

هَلْ عَاذِرٌ فِي الرَّبْعِ رَأْيَ عِيسِهِمْ
تُخْدَى لَهَا وَخْدٌ بِهِمْ وَرَسِيمُ ؟

وَهَوًى تُبَعِّدُهُ اللَّيَالِي وَالنَّوَى ... إِنْ قَرَّبَتْهُ خَوَاطِرٌ وَرُسُومُ

يَا صَاحِبَيَّ خُذَا الْمَطَايَا وَخْدَهَا
بِدَمِي فَمَا اغْتَالَتْهُ إِلَّا الْكُومُ[4]

أَمُضَيِّنُ أَحْكَامَ الْهَوَى وَأَعِنَّهُ ... وَمُسَاعِدُ الْمَرْءِ الظَّلُومِ ظَلُومُ

---

(١) المنهوم: المولع بالشيء، وأقوى الربع: خلا من ساكنيه، واللوى: موضع

(٢) نشد فلان الضالة وأنشدها بمعنى واحد: طلبها واسترشد عنها (٣) القرى: ما يقدم للضيف (٤) الكوم: القطعة من الابل، والجمع أكوام، أو جمع أكوم وكوماء: البعير الضخم السنام، وكان الأصل «تدمي فما شغلتها»

وَلَهُ :

وَمَا عَسَى يَطْلُبُ الرِّجَالُ مِنْ رَجُلٍ
كَاسٍ مِنَ الْفَضْلِ إِنْ عُرِّى مِنَ الْمَالِ

كَالْبَارِدِ الْعَذْبِ يَوْمَ الْوِرْدِ مِنْ ظَمَإٍ
وَالصَّارِمِ الْعَضْبِ فِى رَوْعٍ وَأَوْجَالِ (١)

هُمُومُهُ فِى جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ فَمَا
يُلْفَى مُصَاحِبَ أَطْمَاحٍ وَآمَالِ

أَلَذُّ مِنْ ثَرْوَةٍ تَأْتِى بِإِذْلَالٍ
عِزُّ الْقَنَاعَةِ مَعْ صَوْنٍ وَإِقْلَالِ

وَمَا يَضُرُّ امْرَأً أَثْرَتْ مَنَاقِبُهُ
أَنْ أَكْسَبَتْهُ اللَّيَالِى رِقَّةَ الْحَالِ

وَقَالَ أَيْضاً يَمْدَحُ أَبَا الْفَضَائِلِ سَابِقَ بْنَ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرِ ابْنِ صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ صَاحِبَ حَلَبَ وَيَشْكُرُهُ ، إِذْ لَمْ يَسْمَعْ فِيهِ قَوْلَ حُسَّادٍ وَشَوْا (٢) بِهِ إِلَيْهِ :

خَلِّهَا إِنْ ظَمِئَتْ تَشْكُو الْأُوَامَا (٣)
لَا تُقِلْهَا الْأَيْنَ إِنْ طَالَ وَدَامَا

---

(١) الأوجال جمع وجل : الخوف (٢) كانت فى هذا الأصل : « وشدا » وأصلحت (٣) الأوام : العطش أوحره ، والأين : بمعنى الاعياء ، لايبنى منه فعل ، ولا تقلها الأين : أى لا تخرجها ولا ترحها منه ، من الاقالة

وَأُجْعَلِ السَّرْجَ إِذَا مَا سَغِبَتْ
كَلَأً وَالْمَوْرِدَ الْعَذْبَ اللِّجَامَا
أَوْ تَرَاهَا كَالْحَنَايَا[١] بِالسُّرَى وَبِإِسْرَاعٍ إِلَى الْمَرْمَى سِهَامَا
قَصُرَتْ ظَهْراً وَرُسْغاً وَعَسِيباً[٢]
مِثْلَ مَا طَالَتْ عِنَاناً وَحِزَامَا
تَنْصِبُ الْأُذْنَيْنِ حَتَّى خُيِّلَتْ بِهِمَا تُبْصِرُ مَا كَانَ أَمَامَا
وَإِذَا مَا بَارَتِ الرِّيحَ اُغْتَدَتْ
خَلْفَهَا النَّكْبَاءُ حَسْرَى[٣] وَالنُّعَامَى
كَمْ مُقَامِي بَيْنَ أَحْكَامِ الْعِدَى أَتْبَعُ الْقَائِدَ لَا أَعْصِي الزِّمَامَا
أَكْلَةُ الطَّاعِمِ لَا يَرْهَبُ إِثْماً
أَوْ أَسِيرِ الْمَنِّ إِنْ كَفَّ اُحْتِشَامَا[٤]
وَإِلَامَ الْحَظُّ لَا يُنْصِفُنِي
مِنْ زَمَانٍ جَارَ فِي قَصْدِي إِلَامَا؟

---

(١) الحنايا جمع حنية : وهي القوس ، سميت به لانحنائها ـ وهي فعيل بمعنى مفعول
(٢) العسيب : عظم الذنب ، أو منبت الشعر منه (٣) النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح القوم ، ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال ، والجمع نكب ونكباوات ، والنعامي : ريح الجنوب لأنها أبل الرياح وأرطبها ، أو بينها وبين الصبا ، والجمع نعائم (٤) الطاعم : أى المطعوم ، والمن : الاحسان والصنيعة ، والاحتشام : الانقباض والاستحياء

تَعْتَلِي أَرْؤُسَهُ[1] أَذْنَابُهُ فَتَرَى الْأَرْجُلَ تَعْلُو فِيهِ هَامَا
أَتَمَنَّى رَاحَةً تُنْقِذُنِي مِنْهُمُ عَزَّتْ وَلَوْ كَانَتْ لِمَامَا[2]

وَمِنْهَا :

كَمْ رَمَوْنِي عَامِدًا فِي هُوَّةٍ نَارُهَا تَعْلُو اشْتِعَالًا وَاضْطِرَامَا
قَاصِدِي حَتْفِي فَكَانَتْ بِكَ لِي نَارُ إِبْرَاهِيمَ بَرْداً وَسَلَامَا

وَلَهُ فِي الْمَعْنَى مِنْ قَصِيدَةٍ :

هُنِّئْتِ يَا أَرْضَ الْعَوَاجِمِ[3] دَوْلَةً رَوَّى ثَرَاكِ بِهَا أَشَمُّ أَرْوَعُ
قَدْ عَادَ فِي الْأَيَّامِ مَاءُ شَبَابِهَا وَتَسَالَمَتْ حُرَقُ[4] الْأَسَى وَالْأَضْلُعُ
أَشْكُو إِلَيْكَ عِصَابَةً نَبَذُوا الْحَيَا حَسَداً وَشَدُّوا فِي أَذَاىَ وَأَوْضَعُوا[5]

(١) فى الأصل « رءوسه » وهو لا يستقيم والوزن (٢) كانت فى الأصل « هاما » تحريف (٣) فى هامش الأصل : « لعلها العواصم » ، والأشم : السيد ذو الأنفة الكريم ، والأروع : الشهم الذكى الفؤاد (٤) الحرق جمع حرقة : وهى الحرارة ، والأسى : الحزن وتسالمتا : تصالحتا ، أى ابتعد كل منهما عن الآخر (٥) أوضعت الناقة : أسرعت فى سيرها .

رَامُوا ٱبْتِزَازِى مُورِدِى عَنْ أُسْرَتِى
وَتَآزَرُوا فِى قَبْضِهِ وَتَجَمَّعُوا
يَتَطَلَّبُونَ لِى الذُّنُوبَ كَأَنَّنِى
مِمَّنْ عَلَيْهِ بِالشِّنَانِ يُقَعْقَعُ (١)
لَمْ أَخْشَ قَهْرَهُمُ وَنَصْلُكَ (٢) مُصْلَتٌ
دُونِى وَلِى مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ مَرْجِعُ

وَلَهُ :

وَمَا الذُّلُّ إِلَّا أَنْ تَبِيتَ مُؤَمِّلًا
وَقَدْ سَهِرَتْ عَيْنَاكَ وَسْنَانَ هَاجِعًا
أَأَخْشَى ٱمْرَأً أَوْ أَشْتَكِى مِنْهُ جَفْوَةً
إِذَا كُنْتُ بِالْمَيْسُورِ فِى الدَّهْرِ قَانِعًا ؟؟
إِذَا مَا رَآنِى طَالِبًا مِنْهُ حَاجَةً
فَفِى حَرَجٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِى مَانِعًا

وَكَانَ الْمُنَجِّمُونَ قَدْ حَكَمُوا لَهُ أَنَّهُ يَمُوتُ فِى صُدُورِ الرِّجَالِ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ ٱعْتُقِلَ بِالْقَلْعَةِ مُدَّةً لِتُهْمَةٍ أُتُّهِمَ بِهَا بِالْمُمَالَأَةِ (٣)

(١) المثل : ما يقعقع له بالشنان ، يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له .

(٢) نصلك : سيفك ، وكانت فى الأصل : « نصرك »

(٣) الممالأة : المساعدة

لِبعْضِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ أُطْلِقَ بَعْدَ مُدَّةٍ فَنَزَلَ رَاكِباً وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ ، فبيْنَاهُوَ سَائِرٌ إِذْ وَجَدَ أَلَماً فقَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَمْسِكُونِى أَمْسِكُونِى، فَأَخَذُوهُ فِى صُدُورِهِمْ مِنْ عَلَى فَرَسِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَقِيَ عَلَى صُدُورِهِمْ إِلَى أَنْ مَاتَ بِحَلَبَ فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ الْقَاضِى أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِى أَبِى الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِى أَبِى الْحَسَنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ فَقِيهاً فَاضِلًا زَاهِداً عَفِيفاً ، سَمِعَ أَبَاهُ وَغَيْرَهُ ، وَوَلِىَ قَضَاءَ حَلَبَ وَأَعْمَالَهَا وَخَطَابَتَهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ فِى أَيَّامِ تَاجِ الدَّوْلَةِ دَبِيسَ فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ قَاضِياً بِهَا إِلَى أَنْ عَزَلَهُ رِضْوَانُ لَمَّا خَطَبَ لِلْمِصْرِيِّينَ (١) ، وَوَلِىَ الْقَضَاءَ الْقَاضِى الزَّوْزَنِىُّ الْعَجَمِىُّ فِى شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . ثُمَّ عَاوَدَ الْمَلِكُ رِضْوَانُ الْخُطْبَةَ لِبَنِى الْعَبَّاسِ ، فَأَعَادَ الْقَاضِىَ أَبَا غَانِمٍ إِلَى وِلَايَتِهِ وَجَاءَهُ التَّقْلِيدُ مِنْ بَغْدَادَ بِالْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ عَنِ الْقَاضِى عَلِىِّ بْنِ الدَّامَغَانِىِّ بِأَمْرِ الْمُسْتَظْهِرِ فِى صَفَرٍ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَكَانَ مَوْلِدُ الْقَاضِى أَبِى غَانِمٍ فِى رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ

(١) يريد الفاطميين

وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي شَرَعَ فِي عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الَّذِي بِحَلَبَ يُعْرَفُ بِبَنِي الْعَدِيمِ ، وَأَتَمَّهُ ابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الْخَطَابَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَالْإِمَامَةَ بِحَلَبَ ، وَكَانَ حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ وَكَانَ يَؤُمُّ بِالنَّاسِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَهُوَ مُتَكَتِّفٌ تَحْتَ ثِيَابِهِ ، وَيُسْبِلُ أَكْمَامَهُ فَارِغَةً خَوْفًا مِنَ الْوُلَاةِ فِي أَيَّامِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِسْمَاعِيلِيِّينَ يَرَوْنَ رَأْيَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَكَانُوا يُفْطِرُونَ قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمٍ وَيَجْتَمِعُ أَكَابِرُ حَلَبَ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ يُهَنِّئُونَهُمْ ، فَصَعِدَ الْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ لِلْهَنَاءِ فِيمَنْ صَعِدَ ، وَقَدَّمَ لِلنَّاسِ سُكَّرٌ وَلَوْزٌ [1] وَأَخَذَ الْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ لَوْزَةً وَوَضَعَهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ حَلَبَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، لِمَ لَا تَأْكُلُ مِنَ السُّكَّرِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُ يَذُوبُ وَتَبَسَّمَ ، فَضَحِكَ الْوَالِي وَأَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ .

حَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : نَزَلَ جَدُّكَ الْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يُصَلِّي بِالْجَامِعِ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ قُرْبَ الْمِنْبَرِ وَكَانَا جَدِيدَيْنِ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَامَ لِيَلْبَسَهُمَا فَوَجَدَ نَعْلَهُ الْعَتِيقَ مَكَانَهُمَا فَقَالَ لِغُلَامِهِ : أَلَمْ أَنْزِلْ إِلَى الْجَامِعِ

(١) كانتا في الأصل : سكرا ولوزا

بِالْمَدَاسِ الْجَدِيدِ ؟ فَأَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ : بَلَى وَلَـكِنْ جَاءَنَا السَّاعَةَ رَجُلٌ وَطَرَقَ الْبَابَ وَقَالَ : الْقَاضِي يَقُولُ لَـكُمْ : أَنْفِذُوا إِلَيْهِ مَدَاسَهُ الْعَتِيقَ إِلَى الْجَامِعِ ، فَقَدْ سُرِقَ مَدَاسُهُ الْجَدِيدُ فَضَحِكَ وَقَالَ : هَذَا وَاللهِ لِصٌّ شَفِيقٌ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَهُوَ فِي حِلٍّ مِنْهُ . وَالْقَاضِي أَبُو غَانِمٍ هَذَا هُوَ الَّذِي نَهَضَ مِنْ حَلَبَ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ حَصَرَهَا الْفَرَنْجُ وَدَبِيسُ بَعْدَ قَتْلِ بَلْكٍ عَلَى مَنْبِجَ ، حَتَّى أَقْدَمَ الْبُرْسُقِيُّ مِنَ الْمَوْصِلِ فَاسْتَنْقَذَهَا مِنَ الْحِصَارِ ، وَهَرَبُوا لَمَّا سَمِعُوا بِقُدُومِهِ . وَكَانَ أَهْلُ حَلَبَ لَقُوا شِدَّةً وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَمِيرٌ ، وَإِنَّمَا تَوَلَّوْا حِفْظَ الْبَلَدِ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَأَبْلَوْا بَلَاءً حَسَنًا حَسُنَتْ بِهِ الْعَاقِبَةُ .

وَمِنْهُمُ ابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللهِ سُمِّيَ بِاسْمِ جَدِّهِ وَكُنِّيَ بِكُنْيَتِهِ ، وَكَانَ فَقِيهًا مَرْضِيًّا وَرِعًا زَاهِدًا سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْقَاضِي أَبِي غَانِمٍ ، وَكُتِبَ لَهُ عَهْدُهُ مِنْ أَتَابَكَ زَنْكِيِّ بْنِ آقْسُنْقُرَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ لَهُ الْعَهْدُ مِنْ بَغْدَادَ مِنْ قَاضِي الْقُضَاةِ الزَّيْنَبِيِّ بِأَمْرِ [1] الْمُقْتَفِي . وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي

(١) كانت هذه الكلمة في الأصل : « وأمر »

ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

فَلَمَّا قُتِلَ أَتَابَكُ زَنْكِيُّ وَوَلِيَ ابْنُهُ نُورُ الدِّينِ ، وَوَلَّى كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشَّهْرَزُورِيُّ قَضَاءَ الشَّامِ — وَرُزِقَ الْبَسْطَةَ وَالتَّحَكُّمَ فِي الدَّوْلَةِ ، وَقَاوَمَ الْوُزَرَاءَ بَلِ الْمُلُوكَ — الْتَمَسَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هَذَا أَنْ يَكْتُبَ فِي كُتُبِ سِجِلَّاتِهِ ذِكْرَ النِّيَابَةِ عَنْهُ ، فَامْتَنَعَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَلَجَّ ابْنُ الشَّهْرَزُورِيِّ وَسَاعَدَهُ مَجْدُ الدِّينِ بْنُ الدَّايَةِ ، وَهُوَ وَالِي حَلَبَ لِشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ لِأُمُورٍ كَانَ يُخَالِفُهُ فِيهَا فِي أَقْضِيَةٍ يُؤْثِرُ [(1)] فِيهَا جَانِبَ الْحَقِّ عَلَى أَغْرَاضِهِ ، وَتَرَدَّدَتِ [(2)] الْمُرَاسَلَاتُ بَيْنَ نُورِ الدِّينِ وَبَيْنَهُ فِي قَبُولِ النِّيَابَةِ وَهُوَ يَأْبَى إِلَى أَنْ قَالَ ابْنُ الدَّايَةِ : هَذَا تَحَكُّمٌ مِنْهُ فِي الدَّوْلَةِ وَفِيكَ ، إِذْ تَأْمُرُهُ بِشَيْءٍ وَلَا يَمْتَثِلُهُ فَاعْزِلْهُ ، وَوَلِّ مُحْيِيَ الدِّينِ ابْنَ كَمَالِ الدِّينِ : فَقَالَ نُورُ الدِّينِ « بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ » يُسْتَنَابُ لَهُ قَاضٍ حَنَفِيٌّ فَعُزِلَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ وَوُلِّيَ مُحْيِي الدِّينِ قَضَاءَ حَلَبَ ، وَاسْتُنِيبَ لَهُ الْكُودِرِيُّ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَحَجَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

---

(١) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « يوفر » (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « وتردد »

وَكَتَبَ أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ مُنِيرٍ الطَّرَابُلُسِيُّ لِلْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ كِتَابَ الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ لِلْقَاضِي عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيِّ ، وَكَانَ قَدْ وَعَدَهُ بِهَا وَدَافَعَهُ :

يَاحَائِزاً غَايَ كُلِّ فَضْلٍ تَضِلُّ فِي كُنْهِهِ الْإِحَاطَهْ
وَمَنْ تَرَقَّى إِلَى مَحَلٍّ أَحْكَمَ فَوْقَ السُّهَا(١) مَنَاطَهْ
إِلَى مَتَى أُسْعَطُ(٢) التَّمَنِّي وَلَا تَرَى الْمَنَّ بِالْوَسَاطَهْ

وَمَاتَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمِنْهُمُ ابْنُ أُخْتِهِ أَبُو الْمَكَارِمِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرِ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، سَمِعَ بِحَلَبَ وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَسَمِعَ بِهَا مُحَمَّدَ ابْنَ نَاصِرٍ السَّلَامِيَّ وَغَيْرَهُ .

وَحَدَّثَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَيَّدَهُ اللهُ قَالَ : قَالَ لِي شَيْخُنَا أَبُو الْيَمَنِ زَيْدٌ الْكِنْدِيُّ : كَانَ أَبُو الْمَكَارِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ أَبِي جَرَادَةَ سَمِعَ بِبَغْدَادَ الْحَدِيثَ مَعَنَا عَلَى مَشَايِخِنَا

(١) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى ، والمناط : موضع التعليق ، ومنه قولهم : هو منى مناط الثريا : كناية عن البعد . (٢) أسعطه الدواء وسعطه إياه كنفع ونصر : أدخله فى أنفه

فَسَمِعْتُ بِقِرَاءَتِهِ وَوَرَدَ إِلَيْنَا إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكُنَّا نُلَقِّبُهُ «القَاضِي بِسَعَادَتِكَ» وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلَانِسِيَّ دَعَاهُ فِي وَلِيمَةٍ وَكُنْتُ حَاضِرَهَا ، فَجَعَلَ لَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُ عَنْهُ بِمَا سَرَّ أَوْسَاءَ إِلَّا وَقَالَ فِي عَقِبِهِ بِسَعَادَتِكَ ، فَإِنْ قَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ قَالَ : مَاتَ بِسَعَادَتِكَ، وَإِنْ قَالَ لَهُ : مَا خَبَرُ الدَّارِ الْفُلَانِيَّةِ ؟ يَقُولُ : خَرِبَتْ بِسَعَادَتِكَ ، فَسَمَّيْنَاهُ القَاضِي بِسَعَادَتِكَ ، وَكَانَ يَقُولُهَا لِاعْتِيَادِهِ إِيَّاهَا لَا لِجَهْلٍ كَانَ فِيهِ .

وَكَانَ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَفِقْهٌ وَشِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَقَدْ رَوَى الْحَدِيثَ .

وَلِأَبِي الْمَكَارِمِ شِعْرٌ مِنْهُ :

لَئِنْ تَنَاءَيْتُمْ عَنِّي وَلَمْ تَرَكُمْ
عَيْنِي فَأَنْتُمْ بِقَلْبِي بَعْدُ سُكَّانُ
لَمْ أَخْلُ مِنْكُمْ،(١) وَلَمْ أَسْعَدْ بِقُرْبِكُمْ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِوَصْلٍ فِيهِ هِجْرَانُ ؟

وَلَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَاتَ بِحَلَبَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، أَوْ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ. وَمِنْهُمْ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ ابْنُ القَاضِي أَبِي الفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ القَاضِي أَبِي غَانِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) يقول لم أنس ذكركم ، فكأنه قد اعتبر ذكره لهم بمنزلة أنه معهم فى وصل ولقاء

الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَي وَهُوَ عَمُّ جَمَالِ الدِّينِ ، أَحَدُ الْأَوْلِيَاء الْعُبَّادِ ، وَأَرْبَابِ الرِّيَاضَةِ وَالِاجْتِهَادِ ، عَامِلٌ كَثِيرُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَهُوَ حَيٌّ يُرْزَقُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا . وَكَانَ قَدْ تَوَلَّى الْخَطَابَةَ بِجَامِعِ حَلَبَ ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ بَعْدَ الْقَاضِي ابْنِ الشَّهْرَزُورِيِّ فَامْتَنَعَ مِنْهُ ، فَقُلِّدَ الْقَضَاءَ أَخُوهُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ وَالِدُ كَمَالِ الدِّينِ أَيَّدَهُ اللهُ ، وَكَتَبَ جَمَالُ الدِّينِ هَذَا بِخَطِّهِ الْكَثِيرَ وَشُغِفَ بِتَصَانِيفِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ فَجَمَعَ مُعْظَمَ تَصَانِيفِهِ عِنْدَهُ وَكَتَبَ بَعْضَهَا بِخَطِّهِ ، وَكَتَبَ مِنْ كُتُبِ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ⁽¹⁾ وَالْمَصَاحِفِ كَثِيراً ، وَكَانَ خَطُّهُ فِي صِبَاهُ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ الْبَوَّابِ الْقَدِيمَةِ ، وَوَهَبَ لِأَهْلِهِ مَصَاحِفَ كَثِيرَةً بِخَطِّهِ ، وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَتَبَ مُصْحَفاً أَوْ مُصْحَفَيْنِ ، وَجَمَعَ بُرَاوَاتِ الْأَقْلَامِ فَيَكْتُبُ بِهَا تَعَاوِيذَ لِلْحُمَّى وَعُسْرِ الْوِلَادَةِ فَيُعْرَفُ بَرَكَتُهَا . قَالَ : وَسَأَلْتُ عَمِّي عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ سَمِعَ

(١) الرقائق : أى الدقائق جمع رقيقة : ولعله يعنى اللطائف الروحانية

أَبَاهُ وَعَمَّهُ أَبَا الْمَجْدِ عَبْدَ اللهِ وَغَيْرَهُمَا ، وَرَوَى الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ عَلَى الْعَلَاءِ الْغَزْنَوِيِّ ، وَاجْتَمَعَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَكُوشِفَ بِأَشْيَاءَ مَشْهُورَةٍ ، وَهُوَ الْآنَ يَحْيَا فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَمِنْهُمُ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي غَانِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ ، كُلُّ هَؤُلَاءِ وُلُّوا قَضَاءَ حَلَبَ ، وَهَذَا هُوَ وَالِدُ كَمَالِ الدِّينِ صَاحِبِ أَصْلِ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ ، كَانَ يَخْطُبُ بِالْقَلْعَةِ بِحَلَبَ عَلَى أَيَّامِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ ، ثُمَّ وَلِيَ الْخِزَانَةَ فِي أَيَّامِ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ إِلَى أَنْ عُرِضَ الْقَضَاءُ عَلَى أَخِيهِ كَمَا ذَكَرْنَا ، فَامْتَنَعَ مِنْهُ فَقُلِّدَهُ الْقَاضِي هَذَا بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ وَالِياً لِلْقَضَاءِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَمَنْ بَعْدَهُ فِي دَوْلَةِ عِزِّ الدِّينِ ، ثُمَّ عِمَادِ الدِّينِ بْنِ قُطْبِ الدِّينِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ ، وَصَدْراً مِنْ دَوْلَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ إِلَى أَنْ عُزِلَ عَنْ مَنْزِلَيِ الْخَطَابَةِ وَالْقَضَاءِ وَنُقِلَ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ عَزْلُهُ عَنِ الْقَضَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَوَلِيَهُ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الزَّكِيِّ قَاضِي دِمَشْقَ الشَّافِعِيُّ ، وَكَانَ صُرِفَ أَخُوهُ الْأَصغَرُ أَبُو الْمَعَالِي عَبْدُ الصَّمَدِ عَنِ الْخِطَابَةِ قَبْلَهُ ، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ يَئُولُ إِلَى عَزْلِهِ عَنِ الْقَضَاءِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ شَافِعِيَّةٌ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي الْحَجِّ وَالْإِعْفَاءِ مِنَ الْقَضَاءِ فَصُرِفَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ مُرَاجَعَاتٍ . وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِيهِ وَأَبِي الْمُظَفَّرِ سَعِيدِ بْنِ سَهْلٍ الْفَلَكِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، هَذَا مَا كَتَبْتُهُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ آنِفًا عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِصَارِ وَالْإِيجَازِ ، وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ فَضَائِلِهِمْ . وَأَنَا الْآنَ أَذْكُرُ مَنْ أَنَا بِصَدَدِهِ وَهُوَ كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ ابْنِ الْقَاضِي أَبِي الْفَضْلِ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي غَانِمٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي سَعِيدٍ هِبَةِ اللهِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ — كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ آبَائِهِ وَلِيَ قَضَاءَ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا وَهُمْ حَنَفِيُّونَ — وَهُوَ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ حَالِهِ رَكِبْنَا سَنَنَ الْمَقَالِ وَجَدَدَهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ شُرُوطِ هَذَا الْكِتَابِ ، لِكِتَابَتِهِ الَّتِي فَاقَتِ ابْنَ هِلَالٍ ، وَبَلَغَتِ الْغَايَةَ فِي الْجَوْدَةِ

وَالْإِتقَانِ ، وَلِتَصَانِيفِهِ فِي الْأَدَبِ الَّتِي تُذْكَرُ آنِفاً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا أَوْصَافُهُ بِالْفَضْلِ فَكَثِيرَةٌ ، وَسِمَاتُهُ بِحُسْنِ الْأَثَرِ أَثِيرَةٌ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَتَّسِعُ لِأَوْصَافِهِ جَمِيعاً ، وَكَانَ الْوَقْتُ يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ ذِكْرِ مَحَاسِنِهِ سَرِيعاً ، وَرَأَيْتُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْإِتعَابِ التَّصَدِّيَ لِجَمِيعِ فَضَائِلِهِ وَالِاسْتِيعَابَ ، فَاعْتَمَدْتُ عَلَى الْقَوْلِ مُجْمَلًا لَا مُفَصَّلًا ، وَضَرْبَةً[1] لَا مُبَوَّبًا فَأَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُنِيَ بِخِلْقَتِهِ ، فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ وَعَقْلَهُ وَذِهْنَهُ وَذَكَاءَهُ ، وَجَعَلَ هِمَّتَهُ فِي الْعُلُومِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ ، فَقَرَأَ الْأَدَبَ وَأَتْقَنَهُ ، ثُمَّ دَرَسَ الْفِقْهَ فَأَحْسَنَهُ ، وَنَظَمَ الْقَرِيضَ فَجَوَّدَهُ ، وَأَنْشَأَ النَّثْرَ فَزَيَّنَهُ ، وَقَرَأَ حَدِيثَ الرَّسُولِ وَعَرَفَ عِلَلَهُ وَرِجَالَهُ ، وَتَأْوِيلَهُ وَفُرُوعَهُ وَأُصُولَهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَلِقُ الْبَنَانِ جَوَادٌ بِمَا تَحْوِي الْيَدَانِ ، وَهُوَ كَاسْمِهِ كَمَالٌ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ ، لَمْ يَعْتَنِ بِشَيْءٍ إِلَّا وَكَانَ فِيهِ بَارِزاً ، وَلَا تَعَاطَى أَمْراً إِلَّا وَجَاءَ فِيهِ مُبَرِّزاً ، مَشْهُورٌ ذَلِكَ عَنْهُ لَا يُخَالِفُ فِيهِ صَدِيقٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ عَدُوٌّ .

(١) يريد خلطا من ضرب الشيء بالشيء كضربه بالتشديد خلطه

وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ لِلْحَدِيثِ فِي سُرْعَتِهِ وَصِحَّةِ إِيرَادِهِ، وَطِيبِ صَوْتِهِ وَفَصَاحَتِهِ، فَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي أَقَرَّ لَهُ بِهَا كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا، فَإِنَّهُ يَقْرَأُ الْخَطَّ الْعَقِدَ[1] كَأَنَّهُ يَقْرَأُ مِنْ حِفْظِهِ. وَأَمَّا خَطُّهُ فِي التَّجْوِيدِ وَالتَّحْرِيرِ وَالضَّبْطِ وَالتَّقْيِيدِ فَسَوَادُ مُقْلَةٍ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ، وَبَدْرٌ ذُو كَمَالٍ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ:

خِلَالُ الْفَضْلِ فِي الْأَمْجَادِ فَوْضَى ... وَلَكِنَّ الْكَمَالَ لَهَا كَمَالُ

وَإِذَا كَانَ التَّمَامُ مِنْ خَصَائِصِ عَالِمِ الْغَيْبِ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَيْبٍ، فَعَيْبُهُ لِطَالِبِ الْعَنَتِ وَالشَّيْنِ، أَنَّهُ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ إِصَابَتِهِ الْعَيْنَ[2]، هَذَا مَعَ الْعَفَافِ وَالزَّمْتِ، وَالْوَقَارِ وَحُسْنِ السَّمْتِ، وَالْجَلَالِ الْمَشْهُورِ، عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْجُمْهُورِ،

قَادَ الْجُيُوشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... وَلِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي إِشْغَالِ

سَأَلْتُهُ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ لِي: وُلِدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. قَالَ: فَلَمَّا بَلَغْتُ سَبْعَةَ أَعْوَامٍ حُمِلْتُ[3] إِلَى الْمَكْتَبِ فَأُقْعِدْتُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعَلِّمِ فَأَخَذَ يُمَثِّلُ لِي كَمَا يُمَثِّلُ لِلْأَطْفَالِ، وَيَمُدُّ خَطًّا وَيُرَتِّبُ عَلَيْهِ

(١) المتشبث بعضه ببعض كأنه الرمل المنعقد المتراكم (٢) لولا قصده السجع لكان التركيب « يخاف عليه العين من إصابته » فالعين مفعول يخاف ، ومن تعليلية .
(٣) فى الأصل : « حصلت »

ثَلَاثَ سِنِينَ ، فَأَخَذْتُ الْقَلَمَ وَكُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ كَتَبَ « بِسْمِ » وَمَدَّ مَدَّتَهُ فَفَعَلْتُ كَمَا فَعَلَ ، وَجَاءَ مَا كَتَبْتُهُ قَرِيباً مِنْ خَطِّهِ ، فَتَعَجَّبَ الْمُعَلِّمُ وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَئِنْ عَاشَ هَذَا الطِّفْلُ لَا يَكُونُ فِي الْعَالَمِ أَكْتَبُ مِنْهُ . وَصَحَّتْ لَعَمْرِي فِرَاسَةُ الْمُعَلِّمِ فِيهِ ، فَهُوَ أَكْتَبُ مِنْ كُلِّ مَنْ تَقَدَّمَهُ بَعْدَ ابْنِ الْبَوَّابِ بِلَا شَكٍّ .

وَقَالَ : وَخَتَمْتُ الْقُرْآنَ ، وَلِي تِسْعُ سِنِينَ ، وَقَرَأْتُ بِالْعَشْرِ وَلِي عَشْرُ سِنِينَ ، وَحُبِّبَ إِلَيَّ الْخَطُّ وَجَعَلَ وَالِدِي يَحُضُّنِي عَلَيْهِ ، حَدَّثَنِي الشَّيْخُ يُوسُفُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ الزُّهْرِيُّ الْمَغْرِبِيُّ الْأَدِيبُ مُعَلِّمُ وَلَدِهِ بِحَضْرَةِ كَمَالِ الدِّينِ قَالَ :

حَدَّثَنِي وَالِدُ هَذَا « وَأَشَارَ إِلَيْهِ » قَالَ : وُلِدَ لِي عِدَّةُ بَنَاتٍ وَكَبِرْنَ وَلَمْ يُولَدْ لِي غَيْرُ وَلَدٍ وَاحِدٍ ذَكَرٍ ، وَكَانَ غَايَةً فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ ، وَحَفِظَ مِنَ الْقُرْآنِ قَدْراً صَالِحًا وَعُمْرُهُ خَمْسُ سِنِينَ ، وَاتَّفَقَ أَنْ كُنْتُ يَوْماً جَالِساً فِي غُرْفَةٍ لَنَا مُشْرِفَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَمَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ فَاطَّلَعَ ذَلِكَ الطِّفْلُ بِبَصَرِهِ نَحْوَهَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا أَبَتِ إِذَا أَنَا مِتُّ بِمَ تُغَشِّي تَابُوتِي ؟ فَزَجَرْتُهُ وَأَدْرَكَنِي فِي الْوَقْتِ اسْتِشْعَارٌ

شَدِيدٌ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى مَرِضَ وَدَرَجَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ وَلَحِقَ بِرَبِّهِ ، فَأَصَابَنِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يُصِبْ وَالِداً عَلَى وَلَدٍ ، وَامْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَجَلَسْتُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَتَصَبَّرْتُ فَلَمْ أُعْطَ عَلَيْهِ صَبْراً ، فَحَمَلَنِي شِدَّةُ الْوَلَهِ عَلَى قَصْدِ قَبْرِهِ وَتَوَلَّيْتُ حَفْرَهُ بِنَفْسِي ، وَأَرَدْتُ اسْتِخْرَاجَهُ وَالتَّشَفِّيَ بِرُؤْيَتِهِ ، فَلِمَشِيئَةِ اللهِ وَلُطْفِهِ بِالطِّفْلِ أَوْ بِي لِئَلَّا أَرَى بِهِ مَا أَكْرَهُ صَادَفْتُ حَجَراً ضَخْماً ، وَعَالَجْتُهُ فَامْتَنَعَ عَلَيَّ قَلْعُهُ مَعَ قُوَّةٍ وَأَيْدٍ كُنْتُ مَعْرُوفاً بِهِمَا ، فَلَمَّا رَأَيْتُ امْتِنَاعَ الْحَجَرِ عَلَيَّ عَلِمْتُ أَنَّهُ شَفَقَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى الطِّفْلِ أَوْ عَلَيَّ ، فَزَجَرْتُ نَفْسِي وَرَجَعْتُ وَلْهَانَ بَعْدَ أَنْ أَعَدْتُ قَبْرَهُ إِلَى حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ، فَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي النَّوْمِ ذَلِكَ الطِّفْلَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَاهُ عَرِّفْ وَالِدَتِي : أَنِّي أُرِيدُ أَجِيءُ إِلَيْكُمْ فَانْتَبَهْتُ مَرْعُوباً ، وَعَرَّفْتُ وَالِدَتَهُ ذَلِكَ فَبَكَيْنَا وَتَرَحَّمْنَا وَاسْتَرْجَعْنَا ، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ نُوراً خَرَجَ مِنْ ذَكَرِي حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى جَمِيعِ دُورِنَا وَمَحَلَّتِنَا وَعَلَا عُلُوّاً كَبِيراً ، فَانْتَبَهْتُ وَأَوَّلْتُهُ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي : أَبْشِرْ بِمَوْلُودٍ يَعْلُو قَدْرُهُ ، وَيَعْظُمُ أَمْرُهُ ، وَيَشِيعُ بَيْنَ الْأَنَامِ ذِكْرُهُ بِمِقْدَارِ مَا رَأَيْتَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ ،

فَابْتَهَلْتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَدَعَوْتُهُ وَشَكَرْتُهُ ، وَقَوِيَتْ نَفْسِي بَعْدَ الْإِيَاسِ[1] لِأَنِّي كُنْتُ قَدْ جَاوَزْتُ الْأَرْبَعِينَ ، فَلَمْ تَمْضِ إِلَّا هُنَيْهَةٌ حَتَّى اشْتَمَلَتْ وَالِدَةُ وَلَدِي هٰذَا « وَأَشَارَ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ — أَيَّدَهُ اللهُ — » عَلَى حَمْلٍ ، وَجَاءَتْ بِهِ فِي التَّارِيخِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بِقَلْبِي بِحَلَاوَةِ ذَلِكَ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّهُ كَانَ نَحِيفاً جِدًّا ، فَجَعَلَ كُلَّمَا كَبِرَ نَبُلَ جِسْماً وَقَدْراً ، وَدَعَوْتُ عِدَّةَ دَعَوَاتٍ ، وَسَأَلْتُ اللهَ لَهُ عِدَّةَ سُؤَالَاتٍ ، وَرَأَيْتُ فِيهِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ أَكْثَرَهَا .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَوْماً بِحَضْرَتِي كَمَا يَقُولُ النَّاسُ: أَرَاكَهُ اللهُ قَاضِياً كَمَا كَانَ آبَاؤُهُ .فَقَالَ: مَا أُرِيدُ لَهُ ذَلِكَ، وَلٰكِنِّي اشْتَهَيْتُهُ أَنْ يَكُونَ مُدَرِّساً ، فَبَلَّغَهُ اللهُ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ وَالْوَارِدِينَ إِلَيْهَا ، وَأَكْثَرَ السَّمَاعَ عَلَى الشَّيْخِ الشَّرِيفِ افْتِخَارِ الدِّينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيِّ . وَرَحَلَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ مَرَّتَيْنِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّمَائَةٍ ، وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّمَائَةٍ ، وَلَقِيَ بِهَا مَشَايِخَ وَبِدِمَشْقَ أَيْضاً ، وَقَرَأَ عَلَى تَاجِ الدِّينِ أَبِي الْيَمَنِ فِي النَّوْبَتَيْنِ كَثِيراً مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ .

(١) الاياس : القنوط

حدثني كمال الدين ـ أدام الله معاليه ـ قال : قال لي والدي : أحفظ اللمع حتى أعطيك كذا وكذا ، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ ، وهو الضياء بن دهن الحصا ، ثم قال لي : أحفظ القدوري حتى أهب لك كذا وكذا من الدراهم كثيرة أيضاً ، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجود ، وكان والدي رحمه الله يحرضني على ذلك ، ويتولى صقل الكاغد لي بنفسه ، فإني لأذكر مرة وقد خرجنا إلى ضيعة لنا فأمرني بالتجويد . فقلت : ليس ههنا كاغد جيد ، فأخذ بنفسه كاغداً كان معنا رديا ، وتناول شربة أسفيذر(١) وكانت معنا ، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي : اكتب ولم يكن خطه بالجيد ، وإنما كان يعرف أصول الخط ، فكان يقول لي : هذا جيد وهذا ردي ، وكان عنده خط ابن البواب ، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنت منه ما أردت ، ولم أكتب على أحد مشهور إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد ابن البرفطي البغدادي ، ورد إلينا إلى حلب فكتبت عليه أياماً قلائل لم يحصل منه فيها طائل : ثم إن الوالد رحمه الله

(١) يريد اسفيداج « كذا بهامش الأصل »

خَطَبَ لِي وَزَوَّجَنِي بِقَوْمٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ حَلَبَ وَسَاقَ إِلَيْهِمْ مَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِتَقْدِمَتِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَا كَرِهْتُهُ وَضَيَّقَ صَدْرِي مِنْهُمْ ، فَوَهَبَ لَهُمُ الْوَالِدُ جَمِيعَ مَا كَانَ سَاقَهُ إِلَيْهِمْ وَطَلَّقْتُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ وَصَلَنِي بِابْنَةِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ بَهَاءِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْعَجَمِيِّ وَهُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، وَأَعْظَمُ أَهْلِ حَلَبَ مَنْزِلَةً وَقَدْراً وَمَالًا وَحَالًا وَجَاهاً . وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْمَهْرَ وَبَالَغَ فِي الْإِحْسَانِ ، وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ بَارًّا بِي ، لَمْ يَكُنْ يَلْتَذُّ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا الْتِذَاذَهُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِي وَكَانَ يَقُولُ : أَشْتَهِي أَرَى لَكَ وَلَداً ذَكَراً يَمْشِي فَوُلِدَ أَحْمَدُ وَلَدِي وَرَآهُ ، وَبَقِيَ إِلَى أَنْ كَبِرَ وَمَرِضَ مَرْضَةَ الْمَوْتِ ، فَيَوْمَ مَاتَ مَشَى الطِّفْلُ حَتَّى وَقَعَ فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ مَاتَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِي بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ صَاحِبُ حَلَبَ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرَ الْإِكْرَامِ لِي ، وَمَا حَضَرْتُ مَجْلِسَهُ قَطُّ فَأَقْبَلَ [1] عَلَى أَحَدٍ إِقْبَالَهُ عَلَيَّ مَعَ صِغَرِ السِّنِّ ، وَاتَّفَقَ أَنْ مَرِضْتُ فِي شُهُورِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ

(١) كانت في الأصل : « فما أقبل »

مَرَضاً أُيِسَ مِنِّى فِيهِ ، فَكَانَ يَخْطُرُ بِبَالِى وَأَنَا مَرِيضٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا بُدَّ وَأَنْ[1] يَمُنَّ بِالْعَافِيَةِ لِثِقَتِى بِصِحَّةِ رُؤْيَا الْوَالِدِ وَكُنْتُ أَقُولُ : مَا بَلَغْتُ بَعْدُ مَبْلَغاً يَكُونُ تَفْسِيراً لِتِلْكَ الرُّؤْيَا إِلَى[2] أَنْ مَنَّ اللهُ بِالْعَافِيَةِ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، فَذَهَبَ عَنِّى ذَلِكَ الْخَيَالُ ، وَلَيْسَ يَخْطُرُ مِنْهُ فِى هَذَا الْوَقْتِ بِبَالِى شَىْءٌ ، لِأَنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَىَّ سَابِغَةٌ ، وَأَيَادِيَهُ فِى حَقِّى شَائِعَةٌ . قُلْتُ: وَلَمَّا مَاتَ وَالِدُهُ[3] بَقِىَ بَعْدَهُ مُدَّةً ، وَمَاتَ مُدَرِّسُ مَدْرَسَةِ شَادْبُخْتَ ، وَهِىَ مِنْ أَجَلِّ مَدَارِسِ حَلَبَ وَأَعْيَانِهَا ، فَوَلِىَ التَّدْرِيسَ بِهَا فِى ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ ، وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً . هَذَا ، وَحَلَبُ أَعْمَرُ مَا كَانَتْ بِالْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَالْفُضَلَاءِ الرَّوَاسِخِ ، إِلَّا أَنَّهُ رُئِىَ أَهْلًا لِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ ، وَتَصَدَّرَ وَأَلْقَى الدَّرْسَ بِجَنَانٍ قَوِىٍّ وَلِسَانٍ لَوْذَعِىٍّ فَأَبْهَرَ الْعَالَمَ ، وَأَعْجَبَ النَّاسَ .

وَصَنَّفَ مَعَ هَذَا السِّنِّ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ الدَّرَارِى فِى ذِكْرِ الذَّرَارِى جَمَعَهُ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ

(١) وضع الواو بعد لابد ليس من اللغة فى شىء برغم من يقول بأن الواو قد تزاد فى الخبر (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « إلا » (٣) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « والدى »

وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ الَّذِى هُوَ الْيَوْمَ سُلْطَانُ حَلَبَ . كِتَابُ ضَوْءِ الصَّبَاحِ فِى الْحَثِّ عَلَى السَّمَاحِ صَنَّفَهُ لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، — وَكَانَ قَدْ سَيَّرَ مِنْ حَرَّانَ يَطْلُبُهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى خَطِّهِ اشْتَهَى أَنْ يَرَاهُ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَرَّفَهُ — . كِتَابُ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفَادَةِ فِى ذِكْرِ بَنِى أَبِى جَرَادَةَ — ، وَأَنَا سَأَلْتُهُ جَمْعَهُ فَجَمَعَهُ لِى ، وَكَتَبَهُ فِى نَحْوِ أُسْبُوعٍ وَهُوَ عَشْرُ كَرَارِيسَ — . كِتَابٌ فِى الْخَطِّ وَعُلُومِهِ ، وَوَصْفِ آدَابِهِ وَأَقْلَامِهِ وَطُرُوسِهِ ، وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْحِكَمِ ، وَهُوَ إِلَى وَقْتِى هَذَا لَمْ يَتِمَّ . كِتَابُ تَارِيخِ حَلَبَ فِى أَخْبَارِ مُلُوكِهَا وَابْتِدَاءِ عِمَارَتِهَا وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ ، وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْكُتَّابِ . وَشَاعَ ذِكْرُهُ [1] فِى الْبِلَادِ ، وَعُرِفَ خَطُّهُ بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْبَادِ ، فَتَهَادَاهُ الْمُلُوكُ ، وَجُعِلَ مَعَ اللَّآلِئِ فِى السُّلُوكِ ، وَضُرِبَتْ بِهِ فِى حَيَاتِهِ الْأَمْثَالُ ، وَجُعِلَ لِلنَّاسِ فِى زَمَانِهِ حَذْواً وَمِثَالًا ، فَمِمَّا رَغَّبَ فِى خَطِّهِ أَنَّهُ اشْتَرَى وَجْهَةً وَاحِدَةً بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَماً ، وَنَقَلَهَا إِلَى وَرَقَةٍ عَتِيقَةٍ وَوَهَبَهَا

(١) الضمير يعود على صاحب الترجمة

مِنْ حَيْدَرٍ الْكُتُبِيِّ ، فَذَهَبَ بِهَا وَادَّعَى أَنَّهَا بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ وَبَاعَهَا بِسِتِّينَ دِرْهَماً زِيَادَةً عَلَى الَّتِي بِخَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ بِعِشْرِينَ دِرْهَماً ، وَنَسَخَ لِي هَذِهِ الرُّقْعَةَ بِخَطِّهِ فَدَفَعَ فِيهَا كُتَّابُ الْوَقْتِ عَلَى أَنَّهَا بِخَطِّهِ دِينَاراً مِصْرِيًّا وَلَمْ يَطِبْ قَلْبِي بِبَيْعِهَا ، وَكَتَبَ لِي أَيْضاً جُزْءًا فِيهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَائِمَةً نَقَلَهَا مِنْ خَطِّ ابْنِ الْبَوَّابِ فَأُعْطِيتُ فِيهَا أَرْبَعِينَ دِرْهَماً نَاصِرِيَّةً ، قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَ ذَهَباً فَلَمْ أَفْعَلْ ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ ابْنَ الْبَوَّابِ لَمْ يَكُنْ خَطُّهُ فِي أَيَّامِهِ بِهَذَا النَّفَاقِ ، وَلَا بَلَغَ هَذَا الْمِقْدَارَ مِنَ الثَّمَنِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ الْبَوَّابِ . فَمِمَّنْ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَرْفِدُهُ شَيْئاً مِنْ خَطِّهِ سَعْدُ الدِّينِ مَنُوجَهْرُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ مِرَاراً يَزْعُمُ أَنَّهُ أَكْتَبُ مِنِ ابْنِ الْبَوَّابِ ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ فِي الْكِتَابَةِ وَيُقِرُّ لِهَذَا — كَمَالِ الدِّينِ — بِالْكَمَالِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ الْقَيْلَوِيِّ وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِصُحْبَةِ السُّلْطَانِ الْأَشْرَفِ يَسْأَلُهُ سُؤَالَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَطِّهِ وَلَوْ قَائِمَةً أَوْ وَجْهَةً ، وَكَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَى أَنْ يَنْقُلَ لَهُ الْوَجْهَةَ الْمُقَدَّمَ ذِكْرُهَا . وَمِمَّنْ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَرْفِدُهُ خَطَّهُ أَمِينُ الدِّينِ

يَاقُوتٌ الْمَعْرُوفُ بِالْعَالِمِ ، وَهُوَ صِهْرُ أَمِينِ الدِّينِ يَاقُوتٍ الْكَاتِبِ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي جَوْدَةِ الْخَطِّ ، وَتَخَرَّجَ بِهِ أُلُوفٌ وَتَتَلْمَذَ لَهُ مَنْ لَا يُحْصَى . كَتَبَ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ رُقْعَةً وَحَمُوهُ حَيٌّ يُرْزَقُ نُسْخَتُهَا : الَّذِي حَضَّ الْخَادِمَ عَلَى عَمَلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَرْبَابِ الصِّنَاعَاتِ: أَنَّ الصَّدْرَ الْكَبِيرَ الْفَاضِلَ عِزَّ الدِّينِ حَرَسَ اللَّهُ مَجْدَهُ ، لَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَ مَالِكِهَا ، نَشَرَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَجْلِسِ الْعَالِي الْعَالِمِيِّ الْفَاضِلِيِّ كَمَالِ الدِّينِ كَمَّلَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ كَمَا كَمَّلَ اللَّهُ سِيَادَتَهُ ، وَبَلَّغَهُ فِي الدَّارَيْنِ مُنَاهُ وَإِرَادَتَهُ : مَا يَعْجِزُ الْبَلِيغُ عَنْ فَهْمِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُورِدَهُ ، لَكِنَّ فَضَائِلَ الْمَجْلِسِ كَانَتْ تُمْلَى عَلَى لِسَانِهِ وَتَشْغَلُهُ ، فَطَرِبَ الْخَادِمُ مِنَ اسْتِنْشَاقِ رَيَّاهَا . وَاشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَةِ حَاوِيهَا عِنْدَ اجْتِلَاءِ مُحَيَّاهَا ، فَسَمَحَ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَاطِرُ مَعَ تَبَلُّدِهِ بِأَبْيَاتٍ تُخْبِرُ الْمَجْلِسَ مَحَبَّةَ الْخَادِمِ لَهُ وَتَعَبُّدَهُ وَهِيَ :

حَيَا نَدَاكَ كَمَالَ الدِّينِ أَحْيَانَا ... وَنَشْرُ فَضْلِكَ عَنْ مُحَيَّاكَ حَيَّانَا (١)

وَحُسْنُ أَخْلَاقِكَ اللَّاتِي خُصِصْتَ بِهَا ... أَهْدَتْ عَلَى الْبُعْدِ لِي رَوْحًا وَرَيْحَانَا

---

(١) الحيا : الخصب والمطر ، ويمد ، والندى : العطاء . ومحياك : أصله محياك ، والمحيا : جماعة الوجه أو حره ، يقال فلان طاق المحيا ، أى بشوش الوجه ، وحيانا من التحية : أى قال : حياك الله ، وسلام عليك

حَوَيْتَ يَاعُمَرَ الْمَحْمُودُ سِيرَتُهُ خَلْقاً وَخُلْقاً وَأَفْضَالاً وَإِحْسَانَا
إِنْ كَانَ نَجْلُ هِلَالٍ فِى صِنَاعَتِهِ وَنَجْلُ مُقْلَةَ عَيْنَا الدَّهْرِ قَدْ كَانَا
فَأَنْتَ مَوْلَاىَ إِنْسَانُ الزَّمَانِ وَقَدْ غَدَوْتَ فِى الْخَطِّ لِلْعَيْنَيْنِ إِنْسَانَا
قَدْ بَثَّ فَضْلَكَ عِزُّ الدِّينِ مُقْتَصِداً وَنَثَّ⁽¹⁾ شُكْرَكَ إِسْرَاراً وَإِعْلَانَا
فَضَاعَ⁽²⁾ نَشْرُكَ فِى الْحَدْبَاءِ وَاشْتَهَرَتْ آيَاتُ فَضْلِكَ أَرْسَالاً وَوِحْدَانَا
أُثْنِى عَلَيْكَ وَآمَالِى مُعَلَّقَةٌ بِحُسْنِ عَفْوِكَ تَرْجُو مِنْكَ غُفْرَانَا
وَإِنْ تَطَفَّلْتُ فِى صِدْقِ الْوِدَادِ وَلَمْ يَقْضِ التَّلَاقِى لَنَا عَفْواً وَلَا حَانَا
فَمَا أُلَامُ عَلَى شَىْءٍ أَتَيْتُ بِهِ فَالْأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ فِى عِلْمٍ وَفِى أَدَبٍ وَأَرْجَحَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

(١) أى أفشاه (٢) أى تضوع

قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَرْضاً أَنْتَ سَاكِنُهَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

قَدْ هَجَمَ الْكَلَامُ عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِي بِوَجْهٍ وَقَاحٍ ، وَلَمْ يَخْشَ مَعَ عَفْوِ الْمَوْلَى وَصْمَةَ الِافْتِضَاحِ . فَلْيُلْقِ عَلَيْهِ الْمَوْلَى سِتْرَ الْمَعْرُوفِ ، فَهُوَ أَلْيَقُ بِكَرَمِهِ الْمَأْلُوفِ ، وَالسَّلَامُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَمَالُ الدِّينِ بِخَطِّهِ الدُّرِّيِّ ، وَلَفْظِهِ السِّحْرِيِّ ، وَأَنْشَدَنِيهَا لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ أَبَحْتُ حِمَى قَلْبِي مَوَدَّتَهُ
وَمَنْ جَعَلْتُ لَهُ أَحْشَايَ أَوْطَانَا

أَرْسَلْتَ نَحْوِيَ أَبْيَاتاً طَرِبْتُ بِهَا
وَالْفَضْلُ لِلْمُبْتَدِي بِالْفَضْلِ إِحْسَانَا

فَرِحْتُ أَخْتَالُ عُجْباً مِنْ مَحَاسِنِهَا
كَشَارِبٍ ظَلَّ بِالصَّهْبَاءِ نَشْوَانَا !

رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَجَاءَتْ وَهْيَ لَابِسَةٌ
مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالتَّرْصِيعِ أَلْوَانَا

حَكَتْ بِمَنْثُورِهَا وَالنَّظْمِ إِذْ جُمِعَا
بِأَحْرُفٍ حَسُنَتْ ، رَوْضاً وَبُسْتَانَا

جَرَّتْ عَلَى جَرْوَلٍ أَثْوَابَ زِينَتِهَا
إِذْ أَصْبَحَتْ وَهْيَ تَكْسُو الْحُسْنَ حَسَّانَا[1]

أَضْحَتْ تُعَبِّرُ وَجْهَ الْعَنْبَرِيِّ فَمَا
بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

يُمْسِي لَهَا ابْنُ هِلَالٍ حِينَ يَنْظُرُهَا
يَحْكِي أَبَاهُ بِمَا عَانَاهُ نُقْصَانَا

كَذَاكَ أَيْضاً لَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ غَدَا
عَبْداً يَجُرُّ مِنَ التَّقْصِيرِ أَرْدَانَا

أَتَتْ وَعَبْدُكَ مَغْمُورٌ بِعِلَّتِهِ
فَغَادَرَتْهُ صَحِيحاً خَيْرَ مَا كَانَا

وَكَيْفَ لَا تَدْفَعُ الْأَسْقَامَ عَنْ جَسَدِي
وَهْيَ الصَّبَا حَمَلَتْ رَوْحاً وَرَيْحَانَا ؟

فَمَا عَلَى طَيْفِهَا لَوْ عَادَ يَطْرُقُنَا ؟
فَرُبَّمَا زَارَ أَحْيَانًا وَأَحْيَانَا[2]

فَاسْلَمْ وَأَنْتَ أَمِينُ الدِّينِ أَحْسَنُ مَنْ
وَشَّى الطُّرُوسَ بِمَنْظُومٍ وَمَنْ زَانَا

---

(١) جرول وحسان : شاعران معروفان (٢) أحيانا : الأولى جمع الحين : أى أوقاتا ، وأحيانا الثانية : فعل ماض من الحياة

وَلَا تَخَطَّتْ إِلَيْكَ الْحَادِثَاتُ وَلَا
حَلَّتْ بِرَبْعِكَ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَانَا

وَأَنْشَدَنِي كَمَالُ الدِّينِ أَدَامَ اللهُ عَلَاءَهُ لِنَفْسِهِ فِي الْغَزَلِ فَاعْتَمَدَ فِيهِ مَعْنًى غَرِيباً :

وَأَهْيَفَ مَعْسُولِ الْمَرَاشِفِ خِلْتُهُ
وَفِي وَجْنَتَيْهِ لِلْمُدَامَةِ عَاصِرُ
يُسِيلُ إِلَى فِيهِ اللَّذِيذِ مُدَامَةً
رَحِيقاً وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ (١)
فَيَسْكَرُ مِنْهُ عِنْدَ ذَاكَ قَوَامُهُ
فَيَهْتَزُّ تِيهاً وَالْعُيُونُ فَوَاتِرُ
كَأَنَّ أَمِيرَ النَّوْمِ يَهْوَى جُفُونَهُ
إِذَا هَمَّ رَفْعاً خَالَفَتْهُ الْمَحَاجِرُ
خَلَوْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ أَهْلُهُ
وَقَدْ غَارَتِ الْجَوْزَاءُ وَاللَّيْلُ سَاتِرُ
فَوَسَّدْتُهُ كَفِّي وَبَاتَ مُعَانِقِي
إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءٌ مِنَ الصُّبْحِ سَافِرُ

---

(١) فاعل يسيل ضمير يعود على عاصر فى البيت السابق ، والأعاصر جمع أعصار جمع عصر

فَقَامَ يَجُرُّ الْبُرْدَ مِنْهُ عَلَى تُقًى
وَقُمْتُ وَلَمْ تُحْلَلْ لِإِثْمٍ مَآزِرُ
كَذَلِكَ أَحلَى الْحُبِّ مَا كَانَ فَرْجُهُ
عَفِيفاً وَوَصلٌ لَمْ تَشِنْهُ الْجَرَائِرُ

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ بِحَلَبَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَإِمْلَائِهِ :

وَسَاحِرَةِ الْأَجْفَانِ مَعْسُولَةِ اللَّمَى
مَرَاشِفُهَا تُهْدِي الشِّفَاءَ مِنَ الظَّمَا
حَنَتْ لِي قَوْسَيْ حَاجِبَيْهَا وَفَوَّقَتْ (١)
إِلَى كَبِدِي مِنْ مُقْلَةِ الْعَيْنِ أَسْهُمَا
فَوَاعَجَبا مِنْ رِيقِهَا وَهُوَ طَاهِرٌ
حَلَالٌ وَقَدْ أَضْحَى عَلَيَّ مُحَرَّمَا !
فَإِنْ كَانَ خَمْراً أَيْنَ لِلْخَمْرِ لَوْنُهُ
وَلَذَّتُهُ مَعْ أَنَّنِي لَمْ أَذُقْهُمَا ؟
لَهَا مَنْزِلٌ فِي رَبْعِ قَلْبِي مَحَلُّهُ
مَصُونٌ بِهِ مُذْ أُوطِنَتْهُ لَهَا حِمَى

(١) فوقت : سددت ، يقول : إنها جعلت من حاجبيها قوسا ورمتني بنظراتها القاتلة كالسهام

جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى حَيَاتِي نَخَالَطَتْ
مُحَبَّتُهَا رُوحِي وَلَحْمِي وَالدَّمَا

تَقُولُ: إِلَى كَمْ تَرْتَضِي الْعَيْشَ أَنْكَداً
وَتَقْنَعُ أَنْ تُضْحِي صَحِيحاً مُسَلَّمَا؟

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللهِ وَاُطْلُبِ الْغِنَى
تَفُزْ مُنْجِداً إِنْ شِئْتَ أَوْ شِئْتَ مُتْهِمَا

فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْوَرَى
تَكَفَّلَ لِي بِالرِّزْقِ مَنّاً وَأَنْعُمَا

وَمَا ضَرَّنِي أَنْ كُنْتُ رَبَّ فَضَائِلٍ
وَعِلْمٍ عَزِيزَ النَّفْسِ حُرّاً مُعَظَّمَا

إِذَا عَدِمَتْ كَفَّايَ مَالًا وَثَرْوَةً
وَقَدْ صُنْتُ نَفْسِي أَنْ أُذَلَّ وَأُحْرَمَا

وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
لِأَخْدُمَ مَنْ لَا قَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا

لَا يَظُنَّنَّ النَّاظِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ قَائِلَهَا فَقِيرٌ(١) وَقِيرٌ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِعَكْسِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ ـ وَاللهُ يَحُوطُهُ ـ رَبُّ ضِيَاعٍ وَاسِعَةٍ

(١) فقير وقير: يقال: فقير وقير على الاتباع، أو أن وقيرا بمعنى مثقل بالفقر، فهو فعيل بمعنى مفعول، من وقره: إذا أثقله

وَأَمْلَاكٍ جَمَّةٍ، وَنِعْمَةٍ كَبِيرَةٍ، وَعَبِيدٍ كَثِيرَةٍ، وَإِمَاءٍ وَخَيْلٍ وَدَوَابٍّ، وَمَلَابِسَ فَاخِرَةٍ وَثِيَابٍ. وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ اشْتَرَى دَاراً كَانَتْ لِأَجْدَادِهِ قَدِيماً بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَلَكِنْ نَفْسَهُ وَاسِعَةٌ، وَهِمَّتَهُ عَالِيَةٌ، وَالرَّغَبَاتُ فِي الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّاغِبِينَ، وَالشَّهْوَةُ لَهَا عَلَى قَدْرِ الطَّالِبِينَ. وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ فِي التَّارِيخِ:

إِحْذَرْ مِنَ ابْنِ الْعَمِّ فَهُوَ مُصَحَّفٌ(١)
وَمِنَ الْقَرِيبِ فَإِنَّمَا هُوَ أَحْرُفُ

الْقَافُ مِنْ قَبْرٍ غَدَا لَكَ حَافِراً
وَالرَّاءُ مِنْهُ رَدًى لِنَفْسِكَ يَخْطَفُ

وَالْيَاءُ يَأْسٌ دَائِمٌ مِنْ خَيْرِهِ وَالْبَاءُ بُغْضٌ مِنْهُ لَا يَتَكَيَّفُ

فَاقْبَلْ نَصِيحَتِيَ الَّتِي أَهْدَيْتُهَا إِنِّي بِأَبْنَاءِ الْعُمُومَةِ أَعْرَفُ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ سَالِكاً طَرِيقَ أَهْلِهِ فِي الِافْتِخَارِ:

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَنْ جَنَى
عَلَيَّ وَأَعْفُو حِسْبَةً وَتَكَرُّمَا

(١) أى غم، والتصحيف: تغيير فى الكلمة بإعجام أو إهمال

وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وِقَايَةً
وَلَوْ لَمْ يُغَادِرْ ذَاكَ عِنْدِيَ دِرْهَمَا
وَأَسْلُكُ آثَارَ الأُلَى اكْتَسَبُوا الْعُلَا
وَحَازُوا خِلَالَ الْخَيْرِ مِمَّنْ تَقَدَّمَا
أُولَئِكَ قَوْمِي الْمُنْعِمُونَ ذَوُو النُّهَى
بَنُو عَامِرٍ فَاسْأَلْ بِهِمْ كَيْ تَعَلَّمَا
إِذَامَادُعُوا عِنْدَ النَّوَائِبِ إِنْ دَجَتْ
أَنَارُوا بِكَشْفِ الْخَطْبِ مَا كَانَ أَظْلَمَا
وَإِنْ جَلَسُوا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ خِلْتَهُمْ
بُدُورَ ظَلَامٍ وَالْخَلَائِقَ أَنْجُمَا
وَإِنْ هُمْ تَرَقَّوْا مِنْبَراً لِخِطَابَةٍ
فَأَفْصَحُ مَنْ يَوْمًا بِوَعْظٍ تَكَلَّمَا
وَإِنْ أَخَذُوا أَقْلَامَهُمْ لِكِتَابَةٍ
فَأَحْسَنُ مَنْ وَشَّى الطُّرُوسَ وَنَمْنَمَا
بِأَقْوَالِهِمْ قَدْ أُوضِحَ الدُّرُّ وَاغْتَدَى
بِأَحْكَامِهِمْ عِلْمُ الشَّرِيعَةِ مُحْكَمَا

دُعَاؤُهُمُ يَجْلُو الشَّدَائِدَ إِنْ عَرَتْ
وَيُنْزِلُ قَطْرَ الْمَاءِ مِنْ أُفْقِ السَّمَا

وَقَائِلَةٍ يَا ابْنَ الْعَدِيمِ إِلَى مَتَى
تَجُودُ بِمَا تَحْوِى سَتُصْبِحُ مُعْدِمَا ؟

فَقُلْتُ لَهَا : عَنِّى إِلَيْكِ فَإِنَّنِى
رَأَيْتُ خِيَارَ النَّاسِ مَنْ كَانَ مُنْعِمَا

أَبَى اللُّؤْمَ لِى أَصْلٌ كَرِيمٌ وَأُسْرَةٌ
عُقَيْلِيَّةٌ[(١)] سَنُّوا النَّدَى وَالتَّكَرُّمَا

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ وَقَدْ رَأَى فِى عَارِضِهِ شَعْرَةً بَيْضَاءَ وَعُمُرُهُ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ سَنَةً :

أَلَيْسَ بَيَاضُ الْأُفْقِ فِى اللَّيْلِ مُؤْذِنًا
بِآخِرِ عُمْرِ اللَّيْلِ إِذْ هُوَ أَسْفَرَا ؟

كَذَاكَ سَوَادُ[(٢)] النَّبْتِ يَقْرُبُ يُبْسُهُ
إِذَا مَا بَدَا وَسْطَ الرِّيَاضِ مُنَوِّرَا

وَدَخَلْتُ إِلَى كَمَالِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ يَوْماً فَقَالَ لِى: أَلَا تَرَى،

(١) نسبة إلى عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة أبي القبيلة (٢) سواد النبت أي أكثره

أَنَا فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِي، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي لِحْيَتِي شَعَرَاتٍ بِيضاً فَقُلْتُ أَنَا فِيهِ :

هَنِيئاً كَمَالَ الدِّينِ فَضْلًا حُبِيتَهُ
وَنُعْمَاءَ لَمْ يُخْصَصْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلُ
لِدَاتُكَ فِي شُغْلٍ بِدَاعِيَةِ الصِّبَا
وَأَنْتَ بِتَحْصِيلِ الْمَعَالِي لَكَ الشُّغْلُ
بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مِنْ سِنِينِكَ[1] رُتْبَةً
مِنَ الْمَجْدِ لَا يَسْطِيعُهَا الْكَامِلُ الْكَهْلُ
وَلَمَّا أَتَاكَ الْحُكْمُ وَالْفَهْمُ نَاشِئاً
أَشَابَكَ طِفْلًا كَيْ يَتِمَّ لَكَ الْفَضْلُ

﴿ ٢ — عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ * ﴾

أَبُو الْقَاسِمِ الثَّمَانِينِيُّ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ . إِمَامٌ فَاضِلٌ، وَأَدِيبٌ كَامِلٌ، أَخَذَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ جِنِّي، وَكَانَ خَوَاصٌّ[2] النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقْرَءُونَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ بُرْهَانٍ

عمر بن ثابت الثمانيني

(١) أجراه على لغة من يعربه بالحركات على النون (٢) فى الأصل : « وكان من خواص الناس » الخ

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان ، وفى كتاب بغية الوعاة

الْأَسَدِيُّ ، وَعُمُومُهُمْ يَقْرَءُونَ عَلَى الثَّمَانِينِيِّ . مَاتَ الثَّمَانِينِيُّ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى سُوقِ ثَمَانِينَ بُلَيْدٍ صَغِيرٍ بِأَرْضِ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ مِنْ نَاحِيَةِ قَرْدَى. يُقَالُ: إِنَّهَا أَوَّلُ مَدِينَةٍ بُنِيَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الَّذِينَ نَجَوْا مِنَ السَّفِينَةِ كَانُوا ثَمَانِينَ آدَمِيًّا.

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ ، كِتَابُ الْمُفِيدِ فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ شَرْحِ التَّصْرِيفِ الْمُلُوكِيِّ . وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ أَوَّلَ قَرْيَةٍ بُنِيَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَمَانِينَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ ، لِأَنَّ ثَمَانِينَ نَفَرًا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ وَبَنَوْهَا ، وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ نَزَلُوا قَرْدَى وَبَازَبْدَى بِأَرْضِ الْمَوْصِلِ وَهِيَ قَرْيَةُ الثَّمَانِينَ ثُمَّ وَقَعَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ (١) فَمَاتُوا إِلَّا نُوحًا وَسَامَ بْنَ نُوحٍ وَحَامًا وَيَافِثًا وَنِسَاءَهُمْ وَطَبَّقَتِ (٢) الدُّنْيَا مِنْهُمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ » .

---

(١) الوبا بالقصر : الطاعون ، أو كل مرض عام — ويمد فيقال « الوباء » وجمع الأول أوباء ، وجمع الثاني أوبئة . (٢) أي عمرت وامتلأت

﴿٣ — عُمَرُ بْنُ جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ الزَّعفَرَانِيُّ *﴾

عمر بن جعفر الزعفرانى

أَبُو القَاسِمِ يُلقَّبُ دُومَى ، أَحَدُ أَعْيَانِ أَهلِ الْأَدَبِ الْمُخَصَّصِينَ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ الشِّعْرِ مِنَ الْقَوَافِي وَالْعَرُوضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ (١) وَكَانَ فِي عَصْرِهِ ، وَلَهُ : كِتَابُ الْعَرُوضِ فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ ضَخْمَةٍ ، رَأَيْتُهَا بِخَطِّهِ فِي وَقْفِ جَامِعِ حَلَبَ ، وَلَهُ كِتَابُ الْقَوَافِي ، وَكِتَابُ اللُّغَاتِ « ذَكَرَهُمَا ابْنُ النَّدِيمِ » .

﴿ ٤ — عُمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخَطَّاطُ غُلَامُ ابْنِ خرنقا * ﴾

عمر بن الحسين الخطاط

كَانَ كَاتِباً مَلِيحَ الْخَطِّ مَحْظُوظاً مِنْهُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى طَرِيقَةِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ الْبَوَّابِ وَيُجِيدُ فِي ذَلِكَ، وَخَطُّهُ مَشْهُورٌ عِنْدَ كُتَّابِ الْآفَاقِ مَعْرُوفٌ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ صَدَقَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَيَّارُ فِي حَادِيَ عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِدَرْبِ الدَّوَّابِ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ آلَةِ الْكِتَابَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَذَلِكَ

(١) باسم عبد الله بن جعفر

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

أَنَّهُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْبَرَفْطِيِّ الْكَاتِبُ قَالَ :

حَدَّثَنِي أَبُو الْيَمَنِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ : أَنَّهُ بِيعَ لَهُ فِي تَرِكَتِهِ آلَةُ الْكِتَابَةِ بِتِسْعِمَائَةِ دِينَارٍ إِمَامِيَّةٍ ، مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ : دَوَاةٌ بِأَزْهر اشْتَرَاهَا بَعْضُ وَلَدِ زَعِيمِ الدِّينِ بْنِ جَعْفَرٍ صَاحِبِ الْمَخْزَنِ بِتِسْعِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَبِيعَ لَهُ بِالْبَاقِي سَكَاكِينُ وَأَقْلَامٌ وَبَرَاكِرُ[1] وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ .

﴿ ٥ — عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ رَيْطَةَ الْبَصْرِيُّ * ﴾

أَبُو زَيْدٍ مَوْلَى بَنِي نُمَيْرٍ ، وَاسْمُ شَبَّةَ زَيْدٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ شَبَّةَ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ[2] تُرَقِّصُهُ وَتَقُولُ : عمر بن شبة البصرى

يَا بِأَبِي[3] وَشَبَّا   وَعَاشَ حَتَّى دَبَّا   شَيْخاً كَبِيراً خَبَّا

مَاتَ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ بِسَامَرَّا ، وَبَلَغَ مِنَ السِّنِّ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ رَاوِيَةً لِلْأَخْبَارِ عَالِماً بِالْآثَارِ ، أَدِيباً فَقِيهاً صَدُوقاً .

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَهُوَ الْقَائِلُ لِلْحَسَنِ بْنِ مُخَلَّدٍ :

(١) براكر جمع بركار : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر « برجل » وتعرف بالبيكار أيضا ، معربها بيكار (٢) لم تكن هذه الكلمة فى الأصل (٣) يا ، حرف نداء ، والمنادى وهو ولدها محذوف ، وبأبى جار ومجرور متعلق بفعل محذوف تقديره ، أفديك ، ودب : مشى على هينته ، والخب بالفتح ويكسر : ذو الخداع

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان ، وفى كتاب بغية الوعاة

ضَاعَتْ لَدَيْكَ حُقُوقٌ وَاسْتُهِنْتَ بِهَا
وَالْحُرُّ يَأْلَمُ مِنْ هَذَا وَيَمْتَعِضُ
إِنِّى سَأَشْكُرُ نُعْمَى مِنْكَ سَالِفَةً
وَإِنْ تَخَوَّنَهَا مِنْ حَادِثٍ عَرَضُ

وَلَهُ :

أَصْبَحْتُ كَلًّا عَلَى أُنَاسٍ قَدْ كُنْتُ عَنْ مِثْلِهِمْ عَزُوفَا

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْكُوفَةِ، كِتَابُ الْبَصْرَةِ، كِتَابُ أُمَرَاءِ الْمَدِينَةِ، كِتَابُ أُمَرَاءِ مَكَّةَ، كِتَابُ السُّلْطَانِ، كِتَابُ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، كِتَابُ الْكُتَّابِ، كِتَابُ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، كِتَابُ الْأَغَانِي، كِتَابُ التَّارِيخِ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ، كِتَابُ أَخْبَارِ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنٍ، كِتَابُ أَشْعَارِ الشُّرَاةِ، كِتَابُ النَّسَبِ، كِتَابُ أَخْبَارِ بَنِي نُمَيْرٍ، كِتَابُ مَا يَسْتَعْجِمُ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ، كِتَابُ الِاسْتِعَانَةِ بِالشِّعْرِ وَمَا جَاءَ فِي اللُّغَاتِ، كِتَابُ الِاسْتِعْظَامِ، كِتَابُ النَّحْوِ وَمَنْ كَانَ يَلْحَنُ مِنَ النَّحْوِيِّينَ[1]، كِتَابُ طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ.

(١) فى بعض النسخ المطبوعة ، كتاب الاستعظام للنحو ومن كان يلحن من النحويين

وَكَانَ لِأَبِي زَيْدٍ ٱبْنٌ ٱسْمُهُ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ، وَكَانَ شَاعِراً مُجِيداً، اُعْتُبِطَ[1] قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مَبْلَغَ الْمَشْهُورِينَ، مَاتَ بَعْدَ أَبِيهِ بِعَشْرِ سِنِينَ. وَمِنْ شِعْرِ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ:

وَقَائِلَةٍ لَمْ يَبْقَ لِلنَّاسِ سَيِّدٌ
فَقُلْتُ: بَلَى عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ جَعْفَرِ

وَمِنْ شِعْرِ ٱبْنِهِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ:

نَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ فِي الْعَسْكَرِ كَشُؤْمِي وَشُؤْمِ أَبِي جَعْفَرِ
غَدَا النَّاسُ لِلْعِيدِ فِي زِينَةٍ مِنَ الْيَوْمِ فِي مَنْظَرٍ أَزْهَرِ
وَيَغْدُو عَلَيْهِمْ بِلَا أُهْبَةٍ فِرَاراً مِنَ الْمَنْزِلِ الْمُقْفِرِ
فَنَقْعُدُ لِلشُّؤْمِ فِي عُزْلَةٍ مِنَ النَّاسِ نَنْظُرُ فِي دَفْتَرِ

﴿ ٦ — عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ شُعَيْبٍ الْجَنْزِيُّ * ﴾

عمر بن عثمان الجنزي

أَبُو حَفْصٍ، مِنْ أَهْلِ ثَغْرِ جَنْزَةَ[2]، ذَكَرَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ السَّمْعَانِيُّ فَقَالَ: هُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْأَدَبِ، وَلَهُ بَاعٌ طَوِيلٌ فِي الشِّعْرِ وَالنَّحْوِ، وَرَدَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَصَحِبَ الْأَئِمَّةَ وَاقْتَبَسَ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرُ مَا قَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي الْمُظَفَّرِ الْأَبِيوَرْدِيِّ

(١) اعتبط: أي مات شابا صحيحا ليست به علة (٢) أعظم مدينة بأرّان وهي بين شروان وأذربيجان

(*) ترجم له في كتابي أنباء الرواة وبغية الوعاة

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ وَعَادَ ثَانِياً إِلَى بَغْدَادَ، وَذَاكَرَ الْفُضَلَاءَ بِهَا وَبِالْبَصْرَةِ وَخُوزِسْتَانَ، وَبَرَعَ فِي الْعِلْمِ حَتَّى صَارَ عَلَّامَةَ زَمَانِهِ، وَأَوْحَدَ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ، وَكَانَ غَزِيرَ الْفَضْلِ وَافِرَ الْعَقْلِ، حَسَنَ السِّيرَةِ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، مُتَوَدِّداً سَخِيَّ النَّفْسِ، صَنَّفَ التَّصَانِيفَ وَجَمَعَ الْمَجْمُوعَ، وَشَرَعَ فِي إِمْلَاءِ تَفْسِيرِهِ — لَوْ تَمَّ لَمْ يُوجَدْ مِثْلُهُ — سَمِعَ بِهَمَذَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الدُّونِيَّ، كَتَبْتُ عَنْهُ بِمَرْوَ وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ:

أَحَادِيَ عِيسِي إِنْ بَلَغْتَ مُقَامِي
فَبَلِّغْ صِحَابِي لَاعَدِمْتَ سَلَامِي

وَخَبِّرْهُمُ عَمَّا أُعَانِي مِنَ الْجَوَى
وَمِنْ لَوْعَتِي فِي هَجْرِهِمْ وَسَقَامِي

وَقُلْ لَهُمُ: إِنِّي مَتَى مَاذَكَرْتُكُمْ
غَصِصْتُ لِذِكْرَاكُمْ بِكُلِّ طَعَامِ

وَإِنَّ دُمُوعِي كُلَّمَا لَاحَ كَوْكَبٌ
تَرَقْرَقُ فِي خَدِّي كَصَوْبِ غَمَامِ

وَإِنْ هَبَّ مِنْ أَرْضِ الْحَبِيبِ نَسِيمُهُ
تَقَلْقَلَ أَحْشَائِي وَهَاجَ غَرَامِي

وَإِنْ غَرَّدَتْ وَهْنًا[١] حَمَامَةُ أَيْـكَةٍ
أَحَنَّتْ بِنَوْحِي لَحْنَ كُلِّ حَمَامِ[٢]

وَلَهُ :

قَالَتْ وَخَطَتْكَ شَيْبَةٌ كَالْعَيْنِ
كَمْ تَذْرِفُ عَيْنَاكَ ذُرُوفَ الْعَيْنِ ؟
قَدْ قُلْتُ لَهَا : أَيَاسَوَادَ الْعَيْنِ يَزْدَادُ مِنَ الثُّلُوجِ مَاءُ الْعَيْنِ ؟

الْعَيْنُ الْأُولَى : الطَّلِيعَةُ[٣] ، وَمَاتَ الْجَنْزِيُّ فِي رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ بِمَرْوَ ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ . وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ فَقَالَ : هُوَ إِمَامٌ فِي النَّحْوِ وَالْأَدَبِ لَا يُشَقُّ فِيهِمَا غُبَارُهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَحَلَّى بِالْوَرَعِ وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ ، لَـكِنَّ الزَّمَانَ عَانَدَهُ ، وَمَا بَسَطَ فِي أَسْبَابِ مَعَاشِهِ يَدَهُ ، جَاسَ خِلَالَ الدِّيَارِ وَقَالَ : أَدْرَكْتُ زَمَانَ الْأَشَجِّ ، وَرَأَيْتُ مُصَلَّاهُ فِي

(١) الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه (٢) أى هاجته بسبب نوحى لتغريدها لجملته يحن ويضطرب (٣) طليعة الجيش : من يبعث ليطلع طلع العدو والعين الثانية : عين الماء تنبع فى جبل ونحوه ، والعين الثالثة : جارحة البصر التى يبصر بها ، وأراد بقوله : يزداد ماء العين من الثلوج : أن الثلوج إذا تراكمت ثم طلعت الشمس فأذابتها سال الماء فزادت به مياه العيون ، فجعل ذلك تشبيها ضمنيا للشعرات التى شابت ، وأنها هى التى زادت فى بكائه ، كما أن الثلج وهو أبيض كالشيب زاد فى ماء العيون المجاورة له .

طَنْجَةِ الْمَغْرِبِ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَمْكُثْ حَتَّى أَرَاهُ ، وَأَدَّبَ بِنَيْسَابُورَ أَوْلَادَ الْوَزِيرِ فَخْرِ الْمُلْكِ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ نَيْسَابُورَ فِي شُهُورِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا ، وَقَضَى نَحْبَهُ بَعْدَ انْتِقَالِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ ، وَأَنْشَدَ لَهُ قَصِيدَةً وَاحِدَةً فِي مَدْحِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمُّوَيْهِ مِنْهَا :

أَلَمْ تَذْكُرَا رَبْعاً بِعُسْفَانَ عَامِراً   وَبِيضاً يُوَدِّعْنَ الْأَحِبَّةَ خُرَّدَا

يُشَعِّثْنَ بِالْعُنَّابِ ضِغْثَ بَنَفْسَجٍ   وَيَضْرِبْنَ بِالْأُسْرُوعِ خَدًّا مُوَرَّدَا (١)

كَأَنَّ النَّوَى لَمْ تَلْقَ غَيْرَ جَوَانِحِي   وَمُقْلَتِيَ الْعَبْرَى مَرَاداً وَمَوْرِدَا (٢)

وَتَذْرِي عَلَى الْوَرْدِ الْجُمَانَ بِنَرْجِسٍ   حَمَتْهُ بَنَانٌ تَتْرُكُ الصَّبَّ مُقْصَدَا (٣)

---

(١) يشعثن الخ : أى يحللن ضفائرهن التى شبه كل واحدة منها بالضغث من البنفسج فى لونه وهيئته : والضغث : العود والفنن من الشجرة — فهن فى موقف التوديع شعث الرءوس محلولات الغدائر يلطمن ورد خدودهن بأساريع الأصابع . والأسروع : دود أبيض البدن أحمر الرءوس تشبه به الأصابع فى بياضها وحمرة أطرافها بالخضاب — قال امرؤ القيس فى معلقته :

وتعطو برخص غير شثن كأنه   أساريع ظبي أو مساويك إسحل

(٢) المراد : مكان ارتياد الابل ، أى اختلافها فى المرعى مقبلة ومدبرة ، والمورد : مكان ورود الماء (٣) المقصد : من أصابه السهم فقتله مكانه

حَكَى خَدُّهَا دَمْعِي[١] وَقَلْبِيَ قَلْبَهَا[٢]

وَحَاجِبُهَا قَدِّي لِمَا قَدْ تَأَوَّدَا

وَإِنْ بَخِلَتْ عَيْنِي وَضَنَّتْ بِمَائِهَا

إِذَا جَادَ قَلْبِي بِالدِّمَاءِ وَأَنْجَدَا[٣]

وَأَبْدَعُ مِنْهُ أَنَّ حَرَّ أَضَالِعِي

وَلَوْعَاتِهَا تُغْلِي التُّرَابَ الْمُبَرَّدَا

وَشَابَهْتُهَا إِذْ عَرَّضَتْ فِي ثَلَاثَةٍ

تَزِيدُ لَهَا حُسْناً وَتُورِثُنَا الرَّدَى

وَتَصْعَدُ مِنْ صَدْرِي رِيَاحٌ بَوَارِدٌ

إِذَا أَنَا ذُكِّرْتُ اللِّوَى[٤] مُتَنَهِّدَا

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي سَعْدٍ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ الْجَنْزِيُّ لِنَفْسِهِ يُعَزِّى الْكَمَالَ الْمُسْتَوْفِيَ بِزَوْجَتِهِ :

إِذَا جَلَّ قَدْرُ الْمَرْءِ جَلَّ مُصَابُهُ ... وَكُلُّ جَلِيلٍ بِالْجَلِيلِ يُصَابُ

يَرُوحُ الْفَتَى فِي غَفْلَةٍ عَنْ مَآلِهِ ... وَيَشْغَلُهُ عَنْهُ هَوًى وَشَبَابُ

---

(١) حكى خدها دمعى : أى فى الحمرة ، فهو يبكى دما . (٢) وقلبى قلبها : أى وحكى قلبى قلبها : والقلب بالضم : سوار فهى مفتول أوغير مفتول — يريد أن قلبه نضب دمه وجف ، فهو فى يبس قلبها — وحكى قده وقوامه حاجبها : لانه انحنى وتأود

(٣) أنجد : ساعد ، من النجدة . (٤) أى إذا ذكرت اللوى وهومكان مجتمعنا ، تنفست رياحا باردة لارتياحى إلى الذكرى .

فَلَمْ يَتَفَكَّرْ أَنَّ مَنْ عَاشَ مَيِّتٌ
وَأَنَّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَأَنَّ ثَرَاءً يَقْتَنِيهِ مُشَتَّتٌ   وَأَنَّ بِنَاءً يَبْتَنِيهِ خَرَابُ
وَنِعْمَةُ ذِي الدُّنْيَا بَلَاءٌ وَمِحْنَةٌ   وَمَاذِيُّهَا (١) سُمٌّ يَضُرُّ وَصَابُ
وَفَرْحَتُهَا عِنْدَ الْأَكَايِسِ تَرْحَةٌ   وَسَلْسَالُهَا لِلْأَوْلِيَاءِ سَرَابُ
فَلَا يَخْدَعَنَّ الْمَرْءَ نُعْمَى حَلَالُهَا   حِسَابٌ عَلَيْهِ وَالْحَرَامُ عِقَابُ
وَلِلدَّهْرِ مُسْتَوْفٍ عَلَيْهِمْ مُنَاقِشٌ
لَهُ مَعَ أَهْلِ الْخَافِقَيْنِ خِطَابُ
عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مُشْرِفَانِ لِرَبِّهِ   غَدًا لَهُمَا فِيمَا أَتَتْهُ كِتَابُ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

﴿ ٧ — عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَطَّابِ بْنِ بِشْرٍ التَّمِيمِيُّ * ﴾

عمر بن عثمان التميمي

أَبُو حَفْصٍ النَّحْوِيُّ ، مَغْرِبِيٌّ ، لَهُ كِتَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَيُعْرَفُ بِكِتَابِ الْمُكْتَفِي .

﴿ ٨ — عُمَرُ بْنُ أَبِي عُمَرَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ * ﴾

عمر بن محمد القاضي

ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدِ بْنِ دِرْهَمٍ الْقَاضِي . حَدَّثَ

(١) الماذى : العسل ، والصاب . شجر مر ، أو عصارته .

(*) راجع بغية الوعاة

(*) راجع بغية الوعاة

أَبُو القَاسِمِ التَّنُوخِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ عَيَّاشٍ الْقَاضِي قَالَ : لَمَّا قَلَّدَ الْمُقْتَدِرُ أَبَا الْحُسَيْنِ (١) بْنَ أَبِي عُمَرَ الْقَاضِي الْمَدِينَةَ رِيَاسَةً فِي حَيَاةِ أَبِيهِ أَبِي عُمَرَ خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ الْخَلْقُ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْجُنْدِ وَالتُّجَّارِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ حَتَّى خَرَجَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَعَلَيْهِ الْخِلَعُ ، فَسَارُوا مَعَهُ قَالَ : وَكُنْتُ فِيهِمْ « لِلصِّهْرِ (٢) الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَلِأَنَّهُ كَانَ أَحَدَ شُهُودِهِمْ » فَصَارَ عَمِّي وَأَنَا مَعَهُ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ وَالْمَوْكِبِ خَوْفاً مِنَ الزِّحَامِ ، وَمَعَنَا شَيْخٌ أَسَنُّ أَسْمَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ وَأُنْسِيتُهُ أَنَا ، فَكُنَّا لَا نَجْتَازُ بِمَوْضِعٍ إِلَّا سَمِعْنَا ثَلْبَ النَّاسِ لِأَبِي الْحُسَيْنِ وَتَعَجُّبَهُمْ مِنْ تَقَلُّدِهِ رِيَاسَةً . فَقَالَ عَمِّي لِلشَّيْخِ يَا أَبَا فُلَانٍ : أَمَا تَرَى كَثْرَةَ تَعَجُّبِ النَّاسِ مِنْ تَقَلُّدِ هَذَا الصَّبِيِّ مَعَ فَضْلِهِ وَنَفَاسَتِهِ وَعِلْمِهِ وَجَلَالَةِ سَلَفِهِ ؟! فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَا تَعْجَبْ مِنْ هَذَا ، فَلَعَهْدِي وَقَدْ رَكِبْتُ مَعَ أَبِي عُمَرَ يَوْمَ خُلِعَ عَلَيْهِ بِالْحَضْرَةِ وَقَدِ اجْتَزْنَا بِالنَّاسِ وَهُمْ مُعْجَبُونَ مِنْ تَقَلُّدِهِ أَضْعَافَ هَذَا الْعَجَبِ حَتَّى خِفْنَا أَنْ

(١) أبو الحسين هذا : كنية صاحب الترجمة (٢) ما بين القوسين من كلام التنوخي ينبه به على العلاقة بين ابن عياش وصاحب الترجمة

يَثِبُوا عَلَيْنَا ، وَهٰذَا أَبُو عُمَرَ الْآنَ وَقَدْرُهُ فِي الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ ، وَلٰكِنَّ النَّاسَ يُسْرِعُونَ إِلَى الْعَجَبِ مِمَّا لَمْ يَأْلَفُوهُ .

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ كَبِيرٌ لَمْ يَتِمَّ ، كِتَابُ الْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ لَطِيفٌ ، وَهُوَ فِيمَا أَحْسَبُ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي ذٰلِكَ .

حَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ وَالْخَطِيبُ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ بْنِ زِنْجِيٍّ الْمُؤَدِّبِ قَالَ : كَانَ بَيْنَ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ وَرْقَاءَ وَبَيْنَ الْقَاضِي أَبِي عُمَرَ وَوَلَدِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَوَدَّةٌ وَكِيدَةٌ ، فَعَنَّ لِأَبِي أَحْمَدَ سَفْرَةٌ لَمْ يُوَدِّعْ فِيهَا الْقَاضِيَيْنِ ، فَلَمَّا عَادَ مِنْ سَفْرَتِهِ لَمْ يَقْصِدَاهُ وَلَمْ يَعْرِفَا خَبَرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمَا :

أَأَسْتَجْفِي أَبَا عُمَرٍ وَأَشْكُو ... أَمِ اسْتَجْفِي فَتَاهُ أَبَا الْحُسَيْنْ ؟؟
بِأَيِّ قَضِيَّةٍ وَبِأَيِّ حُكْمٍ ... أَلَحَّا فِي قَطِيعَةِ وَاصِلَيْنْ [1] ؟؟
فَمَا جَاءَا وَلَا بَعَثَا رَسُولًا ... وَلَا كَانَا لِحَقٍّ قَاضِيَيْنْ
وَإِنَّ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَكُونَا ... لِمَنْ وَالَاهُمَا مُتَوَالِيَيْنْ
فَإِنْ نَعْتِبْ فَحَقًّا غَيْرَ أَنَّا ... نُجِلُّ عَلَى الْعِتَابِ الْقَاضِيَيْنْ

وَأَنْفَذَ الرُّقْعَةَ إِلَى أَبِي عُمَرَ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَلْقَاهَا إِلَى

(١) عبر بواصلين وهو مثنى عن نفسه ، أو لعل آخر كان معه فى سفره .

وَلَدِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَقَالَ : أَجِبْهُ ، فَأَنْتَ أَقْوَمُ بِجَوَابِ هَـذَا الْـكَلَامِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

تَجَنَّ وَاظْلِمْ فَلَسْتَ مُنْتَقِلًا عَنْ خَالِصِ الْوُدِّ أَيُّهَا الظَّالِمْ
كَتَبْتَ تَشْكُو قَطِيعَةً سَلَفَتْ وَخِلْتَ أَنِّى لِحَبْلِكُمْ صَارِمْ
تَرَكْتَ حَقَّ الْوَدَاعِ مُنْصَرِفًا وَجِئْتَ تَبْغِي زِيَارَةَ الْقَادِمْ
كَأَنَّ حَقِّي عَلَيْكَ مُطَّرَحٌ وَحَقُّ مَا تَبْتَغِيهِ بِي لَازِمْ
أَمْرَانِ لَمْ يَذْهَبَا عَلَى فَطِنٍ وَأَنْتَ بِالْحُكْمِ فِيهِمَا عَالِمْ
وَبَعْدَ ذَا فَالْعِتَابُ مِنْ ثِقَةٍ وَصَدْرُهُ مِنْ حَفِيظَةٍ سَالِمْ

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا رَكِبَ إِلَيْهِمَا وَعَادَ مَعَهُمَا إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُصَافَاةِ .

﴿ ٩ — عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسَفِيُّ الْحَافِظُ * ﴾

وَنَسَفُ هِيَ نَخْشَبُ وَبِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ . كُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ ، وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْقَنْدِ[1] فِي عُلَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ ، ذَكَرَ فِيهَا وَقَالَ : وَمُوسَى بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَغْمَاتِيُّ[2] قَدِمَ عَلَيْنَا سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ شَابٌّ فَاضِلٌ ، وَبَقِيَ عِنْدِي أَيَّامًا عمر بن محمد النسفي

(١) أي العسل (٢) أغمات : ضاحية بالأندلس بها حصن أغمات الذى سجن فيه ابن عباد فى نكبته .

(*) راجع الفوائد البهية

وَكَتَبَ عَنِّي الْكَثِيرَ ، وَلِأَجْلِهِ جَمَعْتُ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ مُجَالَةَ النَّخْشَبِيِّ لِضَيْفِهِ الْمَغْرِبِيِّ ، وَفِيهِ قُلْتُ :

لَقَدْ طَلَعَ الشَّمْسُ مِنْ غَرْبِهَا عَلَى خَافِقَيْهَا وَأَوْسَاطِهَا
فَقُلْنَا : الْقِيَامَةُ قَدْ أَقْبَلَتْ وَقَدْ جَاءَ أَوَّلُ أَشْرَاطِهَا

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي مُوسَى الْأَغْمَاتِيُّ لِنَفْسِهِ :

لَعَمْرُ الْهَوَى إِنِّي وَإِنْ شَطَّتِ النَّوَى
لَذُو كَبِدٍ حَرَّى وَذُو مَدْمَعٍ سَكْبِ
فَإِنْ كُنْتُ فِي أَقْصَى خُرَاسَانَ نَازِحًا
فَجِسْمِي فِي شَرْقٍ وَقَلْبِي فِي غَرْبِ

﴿ ١٠ عُمَرُ بْنُ مُطَرِّفٍ الْكَاتِبُ * ﴾

عمر بن مطرف الكاتب

يُكْنَى أَبَا الْوَزِيرِ ، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ ، وَكَانَ يَتَقَلَّدُ دِيوَانَ الْمَشْرِقِ لِلْمَهْدِيِّ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، ثُمَّ كَتَبَ لَهُ فِي خِلَافَتِهِ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِلْمَنْصُورِ وَلِلْمَهْدِيِّ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ فِي أَيَّامِهِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مَاتَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ فَحَزِنَ عَلَيْهِ وَصَلَّى هُوَ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللهُ ، مَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

لِلَّهِ وَالْآخَرُ لَكَ ، إِلَّا اخْتَرْتَ مَا هُوَ لِلَّهِ عَلَى هَوَاكَ (١) .

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ مُفَاخَرَةِ الْعَرَبِ وَمُنَافَرَةِ الْقَبَائِلِ فِي النَّسَبِ ، كِتَابُ مَنَازِلِ الْعَرَبِ وَحُدُودِهَا وَأَيْنَ كَانَتْ مَحِلَّةُ كُلِّ قَوْمٍ ؟ وَإِلَى أَيْنَ انْتَقَلَ مِنْهَا ؟ . كِتَابُ رَسَائِلِهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُوسٍ : وَكَانَ الرَّشِيدُ أَمَرَ بِإِبْطَالِ دَوَاوِينِ الْأَزِمَّةِ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، فَأُبْطِلَتْ شَهْرَيْنِ ثُمَّ أُعِيدَتْ ، وَوَلِيَهَا أَبُو الْوَزِيرِ عُمَرُ بْنُ الْمُطَرِّفِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَبْدِيُّ ، مَنْسُوبٌ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ لِأَنَّهُ كَانَ مَوْلَاهُمْ ، وَكَانَ مُطَرِّفُ (٢) بْنُ مُحَمَّدٍ أَحَدَ كُتَّابِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَقَلَّدَ لَهُ دِيوَانَ الْخَرَاجِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِالرَّيِّ ، وَتُوُفِّيَ مُطَرِّفُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فِي قَوْلٍ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ بَعْدَ هَذَا . وَكَانَ أَبُو الْوَزِيرِ عَفِيفاً مُتَصَوِّناً وَكَانَ يُبَخَّلُ .

وَحُكِيَ أَنَّهُ كَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ فِي رَجُلٍ فَوَهَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَدَخَلَ أَبُو الْوَزِيرِ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عُمَرُ خَائِنٌ ، كَلَّمْتُهُ فِي رَجُلٍ كَانَتْ هِبَتُهُ أَلْفَيْ

---

(١) فى هامش الأصل : عند الجهشيارى ص ٣٣٦ : على ماهو لك (٢) فى هامش الأصل : يريد مطرف بن محمد والد المترجم له ج ٢ ص ٢٣٣

دِرْهَمٍ[١]، فَوَهَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَلَمْ يَضِرْهُ ذَلِكَ عِنْدَ الرَّشِيدِ لِعِلْمِهِ بِبُخْلِ أَبِي الْوَزِيرِ ، وَلَمَّا انْصَرَفَ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ إِلَى حَضْرَةِ أَبِي الْوَزِيرِ أَغْلَظَ لَهُ وَشَدَّدَ مُعَاتَبَتَهُ لِأَجْلِ مَا وَهَبَ لِلرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ كَانَ يُجْزِئُهُ إِذَا أَسْرَفْتَ أَنْ تَهَبَ لَهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ : فَاعْمَلْ عَلَى أَنِّي أَعْطَيْتُهُ بِكِتَابِكَ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَأَعْطَيْتُهُ لِنَفْسِي خَمْسَةً وَتِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَفِي أَبِي الْوَزِيرِ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

لَبِسَ الرِّثَاءَ وَرَاحَ فِي أَثْوَابِهِ ... نَحْوَ الْخَلِيفَةِ كَاسِراً لَمْ يَطْرِفِ[٢]
يُبْدِي خِلَافَ ضَمِيرِهِ لِيَغُرَّهُ ... لِلَّهِ دَرُّ رِثَائِكَ ابْنَ مُطَرِّفِ

وَكَانَ حَجُّ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، وَقَدْ حَجَّ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضاً فِي سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَلَا أَدْرِي فِي أَيَّةِ حَجَّتَيْهِ هَاتَيْنِ مَاتَ أَبُو الْوَزِيرِ .

﴿ ١١ — عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو إِسْحَاقَ بْنِ مِرَارٍ الشَّيْبَانِيُّ * ﴾

عمرو بن إسحاق الشيباني

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَسَبِهِ وَوَلَائِهِ عِنْدَ ذِكْرِ أَبِيهِ ، وَكَانَ عَمْرٌو هَذَا قَدْ أَخَذَ عِلْمَ أَبِيهِ وَتَصَدَّرَ لِلْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ وَأَبُوهُ حَيٌّ ،

(١) في الأصل : « كانت همته ألفا درهم » (٢) الكاسر اسم فاعل من كسر من طرفه : غض . ولم يطرف : لم يحرك طرفه

(*) ترجم له في كتاب أنباه الرواة ج أول ، وترجم له أيضاً في كتاب بغية الوعاة

مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ.

﴿ ١٢ – عَمْرُو بْنُ بَحْرِ بْنِ مَحْبُوبٍ * ﴾

عمرو بن بحر الجاحظ

أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ مَوْلَى أَبِي الْقَلَمَّسِ عَمْرِو بْنِ قَلَعٍ الْكِنَانِيِّ ثُمَّ الْفُقَمِيِّ [1] أَحَدِ النَّسَّابِينَ، قَالَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ: الْجَاحِظُ خَالُ أُمِّي، وَكَانَ جَدُّ الْجَاحِظِ أَسْوَدَ يُقَالُ لَهُ فَزَارَةُ، وَكَانَ جَمَّالًا لِعَمْرِو بْنِ قَلَعٍ الْكِنَانِيِّ. وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ: الْجَاحِظُ كِنَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ الْجَاحِظُ مِنَ الذَّكَاءِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ وَالْحِفْظِ بِحَيْثُ شَاعَ ذِكْرُهُ، وَعَلَا قَدْرُهُ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْوَصْفِ:

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: حَدَّثَ الْمَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى الْجَاحِظَ يَبِيعُ الْخُبْزَ وَالسَّمَكَ بِسَيْحَانَ [2]. قَالَ الْجَاحِظُ: أَنَا أَسَنُّ مِنْ أَبِي نُوَاسٍ بِسَنَةٍ، وُلِدْتُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَوُلِدَ فِي آخِرِهَا. مَاتَ الْجَاحِظُ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي خِلَافَةِ الْمُعْتَزِّ وَقَدْ جَاوَزَ التِّسْعِينَ، سَمِعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ

(١) كانت في الأصل: «الفقيمي»، وجاء بالقاموس المحيط: النسبة إلى فقيم كنانة: فقمي، والنسبة إلى فقيم دارم: فقيمي (٢) سيحان: نهر بالبصرة

(*) ترجم له في طبقات الأطباء بترجمة ضافية، وترجم له أيضاً في كتاب بغية الوعاة

وَالْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الْأَخْفَشِ أَبِي الْحَسَنِ وَكَانَ صَدِيقَهُ ، وَأَخَذَ الْكَلَامَ عَنِ النَّظَّامِ ، وَتَلَقَّفَ الْفَصَاحَةَ مِنَ الْعَرَبِ شِفَاهًا بِالْمِرْبَدِ . وَحُدِّثْتُ أَنَّ الْجَاحِظَ قَالَ : نَسِيتُ كُنْيَتِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ : بِمَ أُكْنَى ؟ فَقَالُوا : بِأَبِي عُثْمَانَ .

وَحَدَّثَ أَبُو هِفَّانَ قَالَ : لَمْ أَرَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ مَنْ أَحَبَّ الْكُتُبَ وَالْعُلُومَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَاحِظِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقَعْ بِيَدِهِ كِتَابٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَوْفَى قِرَاءَتَهُ كَائِنًا مَا كَانَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَكْتَرِي دَكَاكِينَ الْوَرَّاقِينَ وَيَبِيتُ فِيهَا لِلنَّظَرِ . وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ لِمُجَالَسَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ أَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ كُمِّهِ أَوْ خُفِّهِ وَقَرَأَهُ فِي مَجْلِسِ الْمُتَوَكِّلِ إِلَى حِينِ عَوْدِهِ إِلَيْهِ حَتَّى فِي الْخَلَاءِ . وَإِسْمَاعِيلَ ابْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي فَإِنِّي مَا دَخَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ ، أَوْ يُقَلِّبُ كُتُبًا أَوْ يَنْفُضُهَا (١) .

وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ : كَانَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ مِنْ أَصْحَابِ النَّظَّامِ ، وَكَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ بِالْكَلَامِ ،

(١) يقال : نفض الثوب : حركه لينتفض . ويقال نفض فلان المكان : نظر جميع ما فيه ليعرفه ، وكلا المعنيين يصلح

كَثِيرَ التَّبَحُّرِ فِيهِ شَدِيدَ الضَّبْطِ لِحُدُودِهِ، وَمِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ جَلِيلَةٌ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ، وَفِي حِكَايَةِ مَذْهَبِ الْمُخَالِفِينَ، وَفِي الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ، وَفِي ضُرُوبٍ مِنَ الْجِدِّ وَالْهَزْلِ، وَقَدْ تَدَاوَلَهَا النَّاسُ وَقَرَءُوهَا وَعَرَفُوا فَضْلَهَا. وَإِذَا تَدَبَّرَ الْعَاقِلُ الْمُمَيِّزُ أَمْرَ كُتُبِهِ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي تَلْقِيحِ الْعُقُولِ وَشَحْذِ الْأَذْهَانِ، وَمَعْرِفَةِ أُصُولِ الْكَلَامِ وَجَوَاهِرِهِ، وَإِيصَالِ خِلَافِ الْإِسْلَامِ وَمَذَاهِبِ الِاعْتِزَالِ إِلَى الْقُلُوبِ — كُتُبٌ تُشْبِهُهَا، وَالْجَاحِظُ عَظِيمُ الْقَدْرِ فِي الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِ الْمُعْتَزِلَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الرِّجَالَ وَيُمَيِّزُونَ الْأُمُورَ.

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: وَكَانَ الْجَاحِظُ مُلَازِماً لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ خَاصًّا بِهِ، وَكَانَ مُنْحَرِفاً عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ لِلْعَدَاوَةِ بَيْنَ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدٍ. وَلَمَّا قُبِضَ عَلَى مُحَمَّدٍ هَرَبَ الْجَاحِظُ فَقِيلَ لَهُ: لِمَ هَرَبْتَ؟: فَقَالَ: خِفْتُ أَنْ أَكُونَ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي التَّنُّورِ، يُرِيدُ مَا صُنِعَ بِمُحَمَّدٍ، وَإِدْخَالَهُ تَنُّورَ حَدِيدٍ فِيهِ مَسَامِيرُ كَانَ هُوَ صَنَعَهُ لِيُعَذِّبَ النَّاسَ فِيهِ، فَعُذِّبَ هُوَ فِيهِ حَتَّى مَاتَ «يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الزَّيَّاتِ».

وَحدَّثَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ : مِنْ كِتَابِ الْجَاحِظِ إِلَى ابْنِ الزَّيَّاتِ : لَاوَاللهِ ، مَا عَالَجَ النَّاسُ دَاءً قَطُّ أَدْوَى[1] مِنَ الْغَيْظِ ، وَلَا رَأَيْتُ شَيْئًا هُوَ أَنْفَذُ مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَلَا أَعْلَمُ بَابًا أَجْمَعَ لِخِصَالِ الْمَكْرُوهِ مِنَ الذُّلِّ ، وَلَكِنَّ الْمَظْلُومَ مَا دَامَ يَجِدُ مَنْ يَرْجُوهُ ، وَالْمُبْتَلَى مَا دَامَ يَجِدُ مَنْ يَرْثِي لَهُ ، فَهُوَ عَلَى سَبَبِ دَرْكٍ وَإِنْ تَطَاوَلَتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، فَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ فَادِحَةٍ ، وَضِيقَةٍ مُصْمَتَةٍ قَدْ فَتَحْتَ أَقْفَالَهَا وَفَكَكْتَ أَغْلَالَهَا ، وَمَهْمَا قَصَّرْتُ فِيهِ فَلَمْ أُقَصِّرْ فِي الْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِكَ ، وَفِي حُسْنِ النِّيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، لَا مُشَتَّتَ الْهَوَى ، وَلَا مُقَسَّمَ الْأَمَلِ ، عَلَى تَقْصِيرٍ قَدِ احْتَمَلْتَهُ ، وَتَفْرِيطٍ قَدِ اغْتَفَرْتَهُ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُنُوبِ الْإِدْلَالِ وَجَرَائِمِ الْإِغْفَالِ ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَلَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ الْإِسَاءَةِ وَالْإِنْكَارِ ، وَإِنْ كُنْتُ كَمَا تَصِفُ مِنَ التَّقْصِيرِ وَكَمَا تَعْرِفُ مِنَ التَّفْرِيطِ ، فَإِنِّي مِنْ شَاكِرِي أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ ، وَحَسَنُ الْحَالِ مُتَوَسِّطُ الْمَذْهَبِ ، وَأَنَا أَحْمَدُ اللهَ عَلَى أَنْ كَانَتْ مَرْتَبَتُكَ مِنَ الْمُنْعِمِينَ فَوْقَ مَرْتَبَتِي فِي الشَّاكِرِينَ ،

---

(١) أدوى : أشد وأكثر إعضالا

وَقَدْ كَانَتْ عَلَيَّ بِكَ نِعْمَةٌ أَذَاقَتْنِي طَعْمَ الْعِزِّ ، وَعَوَّدَتْنِي رُوحَ الْكِفَايَةِ ،وَلَوَتْ (١) هَذَا الدَّهْرَ وَجَهْدَهُ، وَلَمَّا مَسَخَ اللهُ الإِنْسَانَ قِرْداً وَخِنْزِيراً تَرَكَ فِيهِمَا مَشَابِهَ مِنَ الإِنْسَانِ ، وَلَمَّا مَسَخَ زَمَانَنَا لَمْ يَتْرُكْ فِيهِ مَشَابِهَ مِنَ الأَزْمَانِ .

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ : لَيْسَ جَهْدُ الْبَلَاءِ مَدَّ الأَعْنَاقِ وَانْتِظَارَ وَقْعِ السَّيْفِ ، لِأَنَّ الْوَقْتَ قَصِيرٌ ، وَالْحَيْنَ مَغْمُورٌ ، وَلَكِنَّ جَهْدَ الْبَلَاءِ أَنْ تَظْهَرَ الْخَلَّةُ وَتَطُولَ الْمُدَّةُ ، وَتَعْجِزَ الْحِيلَةُ ، ثُمَّ لَا تَعْدَمَ صَدِيقاً مُؤَنِّباً ، وَابْنَ عَمٍّ شَامِتاً ، وَجَاراً حَاسِداً ، وَوَلِيًّا قَدْ تَحَوَّلَ عَدُوًّا ، وَزَوْجَةً مُخْتَلِعَةً (٢) ، وَجَارِيَةً مُسْبَعَةً (٣) ، وَعَبْداً يَحْقِرُكَ ، وَوَلَداً يَنْتَهِرُكَ

وَقَالَ الْجَاحِظُ : إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ : مَا تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ شَيْئاً ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْلِحَ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي كِتَابِ التَّقْرِيظِ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ :

وَحَدَّثَنَا أَبُو دُلَفَ الْكَاتِبُ قَالَ : صُدِّرَ الْجَاحِظُ فِي دِيوَانِ

---

(١) كانت فى الأصل : « والموت هذا الدهر وجهد هذا قردا وخنزيرا الخ » وقد أشار فى هامش الأصل إلى أن بهذه الجملة تحريفا وسقطا وأظنه كذلك ، غير أنه بهذا الاصلاح أصبح الكلام منسجما فى غاية الدقة والبلاغة (٢) مختلعة : شبقة ، ولعله يقصد أن الزوجة تصبح كثيرة الطلب للأشياء التى حرمت منها بسبب الفقر والعسر . (٣) أى كالسبع خبثا وعدوانا

الرَّسَائِلِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَعْفَى فَأُعْفِيَ. وَكَانَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ يَقُولُ: إِنْ ثَبَتَ الْجَاحِظُ فِي هَذَا الدِّيوَانِ أَفَلَ نَجْمُ الْكُتَّابِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِيُّ: حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ وَأَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزَّيَّاتِ فَجِيءَ بِالْجَاحِظِ مُقَيَّدًا وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيَّاتِ وَفِي نَاحِيَتِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ: وَاللهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا مُتَنَاسِيًا لِلنِّعْمَةِ، كَفُورًا لِلصَّنِيعَةِ، مُعَدِّدًا لِلْمَسَاوِي، وَمَا فَتَّنِي بِاسْتِصْلَاحِي لَكَ، وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ لَا تُصْلِحُ مِنْكَ لِفَسَادِ[1] طَوِيَّتِكَ، وَرَدَاءَةِ دَاخِلَتِكَ، وَسُوءِ اخْتِيَارِكَ، وَتَغَالُبِ طَبْعِكَ. فَقَالَ لَهُ الْجَاحِظُ: خَفِّضْ عَلَيْكَ، — أَيَّدَكَ اللهُ —، فَوَاللهِ لَأَنْ يَكُونَ لَكَ الْأَمْرُ عَلَيَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي عَلَيْكَ، وَلَأَنْ أُسِيءَ وَتُحْسِنَ، أَحْسَنُ عَنْكَ مِنْ أَنْ أُحْسِنَ فَتُسِيءَ، وَأَنْ تَعْفُوَ عَنِّي فِي حَالِ قُدْرَتِكَ أَجْمَلُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنِّي. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ: قَبَّحَكَ اللهُ، مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرَ تَزْوِيقِ الْكَلَامِ، وَقَدْ جَعَلْتَ ثِيَابَكَ أَمَامَ قَلْبِكَ، ثُمَّ اصْطَفَيْتَ فِيهِ النِّفَاقَ وَالْكُفْرَ، مَا تَأْوِيلُ

(١) كانت في الأصل: إلا لفساد

هَذِهِ الْآيَةِ ؟ « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ؟ قَالَ : تِلَاوَتُهَا تَأْوِيلُهَا — أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِيَ — . فَقَالَ : جِيئُوا بِحَدَّادٍ . فَقَالَ : — أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِيَ — لِيَفُكَّ عَنِّي أَوْ لِيَزِيدَنِي ؟ فَقَالَ : بَلْ لِيَفُكَّ عَنْكَ . فَجِيءَ بِالْحَدَّادِ فَغَمَزَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَنْ يَعْنُفَ بِسَاقِ الْجَاحِظِ ، وَيُطِيلَ أَمْرَهُ قَلِيلًا ، فَلَطَمَهُ الْجَاحِظُ وَقَالَ : أَعْمَلْ عَمَلَ شَهْرٍ فِي يَوْمٍ ، وَعَمَلَ يَوْمٍ فِي سَاعَةٍ ، وَعَمَلَ سَاعَةٍ فِي لَحْظَةٍ ، فَإِنَّ الضَّرَرَ عَلَى سَاقِي ، وَلَيْسَ بِجِذْعٍ وَلَا سَاجَةٍ [1] . فَضَحِكَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ مِنْهُ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ ، وَكَانَ حَاضِرًا : أَنَا أَثِقُ بِظَرْفِهِ وَلَا أَثِقُ بِدِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَاغُلَامُ : صِرْ بِهِ إِلَى الْحَمَّامِ وَأَمِطْ [2] عَنْهُ الْأَذَى ، وَاحْمِلْ إِلَيْهِ تَخْتَ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةً [3] وَخُفًّا ، فَلَبِسَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ فَتَصَدَّرَ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عُثْمَانَ .

وَمِنْ شِعْرِ الْجَاحِظِ فِي ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ :

وَعَوِيصٍ مِنَ الْأُمُورِ بَهِيمٍ غَامِضِ الشَّخْصِ مُظْلِمٍ مَسْتُورٍ

(١) الساج : يطلق لغة على الخشب مطلقا ، والساجة : الخشبة المنحوتة المهيأة

(٢) فى الأصل أومط (٣) تخت الثياب : خزانتها ، والطويلة : ثياب بعينها مفتوحة من الأمام تشبه العباءة .

قَدْ تَسنَّمْتَ مَا تَوَعَّرَ مِنْهُ ... بِلِسَانٍ يَزِينُهُ التَّحْبِيرُ
مِثْلُ وَشْيِ الْبُرُودِ هَلَّلَهُ النَّسْـ ... ـجُ وَعِنْدَ الْحِجَاجِ دُرٌّ نَثِيرُ
حَسَنُ الصَّمْتِ وَالْمَقَاطِعِ إِمَّا ... نَصَتَ الْقَوْمُ وَالْحَدِيثُ يَدُورُ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِ لَحْظَةٍ تُورِثُ الْيُسْـ ... ـرَ وَعِرْضٌ مُهَذَّبٌ مَوْفُورُ

وَكَتَبَ الْجَاحِظُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادٍ :

لَا تَرَانِي وَإِنْ تَطَاوَلْتُ عَمْداً ... بَيْنَ صَفَّيْهِمُ وَأَنْتَ تَسِيرُ
كُلُّهُمْ فَاضِلٌ عَلَيَّ بِمَالٍ ... وَلِسَانِي يَزِينُهُ التَّحْبِيرُ
فَإِذَا ضَمَّنَا الْحَدِيثُ وَبَيْتٌ ... وَكَأَنِّي عَلَى الْجَمِيعِ أَمِيرُ
رُبَّ خَصْمٍ أَرَقَّ مِنْ كُلِّ رُوحٍ ... وَلِفَرْطِ الذَّكَا يَكَادُ يَطِيرُ
فَإِذَا رَامَ غَايَتِي فَهُوَ كَابٍ ... وَعَلَى الْبُعْدِ كَوْكَبٌ مَبْهُورُ (١)

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ : أَتَانِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَدَحَنِي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَأَجْزِيهِ عَلَيْهَا :

بَدَا حِينَ أَثْرَى بِإِخْوَانِهِ ... فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَاةَ الْعَدَمْ (٢)
وَذَكَّرَهُ الدَّهْرُ صَرْفَ الزَّمَانِ ... فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النِّعَمْ
فَتًى خَصَّهُ اللهُ بِالْمَكْرُمَاتِ ... فَمَازَجَ مِنْهُ الْحَيَا بِالْكَرَمْ

---

(١) الكابي : الساقط ، والمبهور : المغلوب بضوء غيره من الكواكب .

(٢) بدا : مخففة من بدأ ، والمعنى أنه حين أثرى وأيسر بدأ بإخوانه فمحا عنهم العدم ، والعدم : فقدان المال .

وَلَا يَنْكُتُ(١) الْأَرْضَ عِنْدَ السُّؤَالِ
لِيَقْطَعَ زُوَّارَهُ عَنْ نَعَمْ

وَيُقَالُ : إِنَّ الْجَاحِظَ مَدَحَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ رَبَاحٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْجَهْمِ .

وَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَبَاحٍ قَالَ : مَدَحَنِي حَمْدَانُ بْنُ أَبَانَ اللَّاحِقِيُّ وَذَكَرَ مِثْلَ مَا مَضَى وَقَالَ فِي آخِرِهِ فَقَالَ : إِنَّ مَادِحَكَ — أَعَزَّكَ اللهُ — يَجِدُ مَقَالًا، وَالْجَاحِظُ يَمْلَأُ عَيْنَيْهِ مِنِّي وَلَا يَسْتَحِي(٢) . قَالَ : وَحَدَّثَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرِّعِ قَالَ : هَجَا خَالِي أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ الْجَمَّازَ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا :

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُو ... رٌ(٣) إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
تَنْتَهِي الْأَحْسَابُ بِالنَّا ... سِ وَلَا تَعْدُو قَفَاهُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْجَمَّازُ :

يَا فَتًى نَفْسُهُ إِلَى الْـ ... ـكُفْرِ بِاللهِ تَائِقَهْ
لَكَ فِي الْفَضْلِ وَالتَّزَهْـ ... ـهُدِ وَالنُّسْكِ سَابِقَهْ

وَمِنْ هِجَاءِ الْجَمَّازِ لِلْجَاحِظِ قَوْلُهُ :

---

(١) لاينكت الأرض عند السؤال : نكت الأرض : عادة يفعلها الناس عند التفكر فى الأمر ، والنكت : الضرب فى الأرض بقضيب فيؤثر فيها ، يقول الشاعر : إن هذا الممدوح لايلجأ إلى نكت الأرض بقصد الانصراف عن الزوار والتخلص منهم (٢) يملأ عينيه منى الخ : أى ينظر إلى متأملا بدون خجل مع أنه مدحنى بهذه الأبيات من قبل .
(٣) أى ينتهى نسبه باسمه هو ، فلا يتعدى إلى ذكر الآباء والأجداد ومعرفتهم

قَالَ عَمْرٌو مُفَاخِراً نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ
قُلْتُ فِي طَاعَةِ لِرَبْـ ـبِكَ أَبْلَيْتَ ذَا النَّسَبِ[1]؟

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: كَانَ لِي صَدِيقٌ فَجَاءَنِي يَوْماً فَقَالَ لِي: أُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى فُلَانٍ الْعَامِلِ وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ مَعِي إِلَيْهِ وَسِيلَةٌ وَقَدْ سَأَلْتُ: مَنْ صَدِيقُهُ؟. فَقِيلَ لِي: أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ وَهُوَ صَدِيقُكَ، وَأُحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ لِي كِتَابَهُ إِلَيْهِ بِالْعِنَايَةِ. قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الْجَاحِظِ فَقُلْتُ لَهُ: جِئْتُكَ مُسَلِّماً وَقَاضِياً لِلْحَقِّ، وَلِي حَاجَةٌ لِبَعْضِ أَصْدِقَائِي وَهِيَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: لَا تَشْغَلْنَا السَّاعَةَ عَنِ الْمُحَادَثَةِ وَتَعَرُّفِ أَخْبَارِنَا، إِذَا كَانَ فِي غَدٍ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِالْكِتَابِ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ وَجَّهَ إِلَيَّ بِالْكِتَابِ. فَقُلْتُ لِابْنِي: وَجِّهْ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى فُلَانٍ فَفِيهِ حَاجَتُهُ. فَقَالَ لِي: إِنَّ أَبَا عُثْمَانَ بَعِيدُ الْغَوْرِ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَفُضَّهُ وَنَنْظُرَ مَا فِيهِ، فَفَعَلَ فَإِذَا فِي الْكِتَابِ: «هَذَا الْكِتَابُ مَعَ مَنْ لَا أَعْرِفُهُ، وَقَدْ كَلَّمَنِي فِيهِ مَنْ لَا أُوجِبُ حَقَّهُ، فَإِنْ قَضَيْتَ حَاجَتَهُ لَمْ أَحْمَدْكَ، وَإِنْ رَدَدْتَهُ لَمْ أَذُمَّكَ». فَلَمَّا قَرَأْتُ الْكِتَابَ مَضَيْتُ إِلَى الْجَاحِظِ مِنْ فَوْرِي فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ أَنْكَرْتَ

(١) قوله: في طاعة لربك إلى آخر البيت: لعله على تقدير الاستفهام الانكاري، لأن المقام هجاء وذم، والمعنى لم تبله في طاعة ربك بل في معصيته.

مَا فِي الْكِتَابِ . فَقُلْتُ : أَوَ لَيْسَ مَوْضِعَ نَكِرَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا ، هَذِهِ عَلَامَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِيمَنْ أَعْتَنِي بِهِ . فَقُلْتُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مَا رَأَيْتُ أَحَداً بِطَبْعِكَ وَلَا مَا جُبِلْتَ عَلَيْهِ[1] . مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ : أُمُّ الْجَاحِظِ عَشَرَةُ آلَافٍ فِي عَشَرَةِ آلَافِ قَحْبَةٍ ، وَأُمُّ مَنْ يَسْأَلُهُ حَاجَةً . فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ تَشْتُمُ صَدِيقَنَا ، فَقَالَ : هَذِهِ عَلَامَتِي فِيمَنْ أَشْكُرُهُ ، فَضَحِكَ الْجَاحِظُ ، وَحَدَّثَ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ ، وَحَدَّثَ الْفَتْحُ الْمُتَوَكِّلَ : فَذَلِكَ كَانَ سَبَبَ اتِّصَالِي بِهِ وَإِحْضَارِي إِلَى مَجْلِسِهِ .

وَحَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : كَانَ الْجَاحِظُ يَتَقَلَّدُ خِلَافَةَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّولِيِّ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الدِّيوَانِ جَاءَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ تَقَدَّمَ[2] الْجَاحِظُ إِلَى حَاجِبِهِ : إِذَا وَصَلَ إِلَى الدِّهْلِيزِ أَلَّا يَدَعَهُ يَخْرُجُ ، وَلَا يُمَكِّنَهُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ أَبُو الْعَيْنَاءِ فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَبَا عُثْمَانَ : قَدْ أَرَيْتَنَا قُدْرَتَكَ فَأَرِنَا عَفْوَكَ . وَمِنْ كَلَامِ الْجَاحِظِ : احْذَرْ مَنْ تَأْمَنُ كَأَنَّكَ[3] حَذِرٌ مِمَّنْ تَخَافُ . وَقَالَ : أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَرْبَعٍ : أَنَّهُ لَيْسَ فِي

(١) كان الكلام فى الأصل : « ولا جبلت عليه » الخ (٢) أى تقدم إلى حاجبه وأمره . (٣) فى الأصل : « فانك »

الدُّنيا أثقلُ مِنْ أَعْمَى، ولا أَبغَضُ مِنْ أَعْوَرَ، ولا أخفُّ رُوحاً مِنْ أحْوَلَ، ولا أقوَدُ مِنْ أحْدَبَ. قَالَ المَرْزُبَانيُّ: وَرَوى أصحابُنا أنَّ الجاحِظَ صارَ إلى منزِلِ بعضِ إخوانِهِ فاستأذنَ عليهِ، فخرجَ إليهِ غُلامٌ عجمِيٌّ فقالَ: منْ أنتَ؟ قالَ الجاحِظُ: فدخلَ الغُلامُ إلى صاحِبِ الدَّارِ فقالَ: الجاحِدُ على البابِ وسمِعَها الجاحِظُ، فقالَ صاحِبُ الدَّارِ للغُلامِ: اخرُجْ فانظُرْ مَنِ الرَّجلُ؟ فخرجَ يستخبِرُ عَنِ اسْمِهِ فقالَ: أنا الحَدَقِيُّ.(١) فدخلَ الغُلامُ فقالَ: الحَلقِيُّ وسمِعَها الجاحِظُ فصاحَ بهِ في البابِ «رُدَّنا إلى الأوَّلِ» يُريدُ أنَّ قولَهُ الجاحِدُ مكانَ الجاحِظِ أسهلُ عليهِ مِنَ الحَلقِيِّ مكانَ الحَدَقِيِّ، فعرَفَهُ الرَّجلُ فأوصلَهُ واعتذرَ إليهِ. وقالَ الجاحِظُ: أربعةُ أشياءَ ممْسُوخةٌ: أكلُ الأرزِ البارِدِ، والنَّيكُ في الماءِ، والقُبَلُ على النِّقَابِ، والغِناءُ مِنْ وراءِ سِتارةٍ.

وحدَّثَ قالَ الجاحِظُ مرَّةً بحضرةِ السِّدْرِيِّ: إذا كانتِ المرأةُ عاقِلةً ظريفةً كامِلةً كانتْ قحبةً، فقالَ لهُ السِّدْرِيُّ: وكيفَ؟ قالَ: لأنَّها تأخُذُ الدَّراهِمَ وتَمَتَّعُ(٢) بالنَّاسِ والطِّيبِ، وتختارُ على عينِها مَنْ تُريدُ، والتَّوبةُ معروضةٌ لها متى شاءتْ. فقالَ لهُ

(١) الحدقى نسبة إلى الحدقة: وكانت حدقة الجاحظ ناتئة بارزة عن محجر العين، ومن ذلك سمى الجاحظ (٢) تمتع: أصله تتمتع لحذفت إحدى التاءين تخفيفاً

السِّنْدِيّ: فَكَيْفَ عَقْلُ الْعَجُوزِ حَفِظَهَا اللهُ؟ قَالَ: هِيَ أَحْمَقُ النَّاسِ وَأَقَلُّهُمْ عَقْلًا.

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: قَالَ الْجَاحِظُ: أَتَيْتُ أَبَا الرَّبِيعِ الْغَنَوِيَّ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَقَالَ: خَرَجَ إِلَيْكُمْ رَجُلٌ كَرِيمٌ وَاللهِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ خَيْرُ الْخَلْقِ يَا أَبَا الرَّبِيعِ؟ فَقَالَ: النَّاسُ وَاللهِ. قُلْتُ: وَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ الْعَرَبُ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ الْعَرَبِ؟ قَالَ: مُضَرُ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ مُضَرَ؟ قَالَ: قَيْسٌ وَاللهِ. قُلْتُ: وَمَنْ خَيْرُ قَيْسٍ؟ قَالَ أَعْصُرُ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ أَعْصُرَ؟ قَالَ غَنِيٌّ وَاللهِ. قُلْتُ: فَمَنْ خَيْرُ غَنِيٍّ؟ قَالَ: أَنَا وَاللهِ. قُلْتُ: فَأَنْتَ خَيْرُ الْخَلْقِ؟ قَالَ: إِي وَاللهِ. قُلْتُ: أَيَسُرُّكَ لَوْ أَنَّكَ[1] تَزَوَّجْتَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ؟ قَالَ: وَاللهِ لَا أُدَنِّسُ كَرَمِي بِلُؤْمِهَا. قُلْتُ: عَلَى أَنَّ لَكَ الْجَنَّةَ، فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: عَلَى أَلَّا تَلِدَ مِنِّي وَأَنْشَدَ:

تَأْبَى لِأَعْصُرَ أَعْرَاقٌ مُهَذَّبَةٌ
مِنْ أَنْ تُنَاسِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ

فَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ
فَاذْكُرْ حُذَيْفَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبَّاءِ

---

(١) في الأصل: «أنك لو»

حُذَيفَةَ بْنَ بَكْرٍ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَشْرَافِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَباً ، لِأَنَّ أَعْصُرَ ابْنُ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ . وَحُذَيْفَةَ ابْنُ بَدْرِ[١] بْنِ عَمْرِو بْنِ جُوَيَّةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ فَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ .

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنِي الْجَاحِظُ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ تَشَيَّعَ وَكَانَ ظَرِيفاً ، فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تُبْغِضُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَرِدَنَّ عَلَيْهِ الْحَوْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَسْقِيكَ. قَالَ : وَالْحَوْضُ فِي يَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ: وَمَا لِهَذَا الرَّجُلِ الْفَاضِلِ يَقْتُلُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِالسَّيْفِ وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَطَشِ؟ فَقِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ هَذَا مَعَ تَشَيُّعِكَ وَدِينِكَ ؟ . قَالَ: وَاللهِ لَا تَرَكْتُ النَّادِرَةَ وَلَوْ قَتَلَتْنِي فِي الدُّنْيَا وَأَدْخَلَتْنِي النَّارَ فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ الْجَاحِظُ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ حَوَاشِي اللِّسَانِ ، عَذْبَ يَنَابِيعِ الْبَيَانِ ، إِذَا حَاوَرَ سَدَّدَسَهْمَ الصَّوَابِ إِلَى غَرَضِ الْمَعْنَى ، لَا يُكَلِّمُ الْعَامَّةَ بِكَلَامِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا الْخَاصَّةَ بِكَلَامِ الْعَامَّةِ .

(١) ابن بعد أعصر وحذيفة بألف لأنه خبر

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ: سَمِعْتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ: كُلُّ عِشْقٍ يُسَمَّى حُبًّا، وَلَيْسَ كُلُّ حُبٍّ يُسَمَّى عِشْقًا، لِأَنَّ الْعِشْقَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ الْمَحَبَّةِ، كَمَا أَنَّ السَّرَفَ اسْمٌ لِمَا جَاوَزَ الْجُودَ، وَالْبُخْلَ اسْمٌ لِمَا قَصَرَ عَنِ الِاقْتِصَادِ، وَالْجُبْنَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنْ شِدَّةِ الِاحْتِرَاسِ، وَالْهَوَجَ اسْمٌ لِمَا فَضَلَ عَنِ الشَّجَاعَةِ.

وَحَدَّثَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ الْكَاتِبُ عَنِ الْجَاحِظِ قَالَ: ذَمَّ رَجُلٌ النَّبِيذَ فَقَالَ: مِنْ مَثَالِبِهِ أَنَّ صَاحِبَهُ يَتَكَرَّهُهُ قَبْلَ شُرْبِهِ، وَيَكْلَحُ وَجْهُهُ عِنْدَ شَمِّهِ، وَيَسْتَنْقِصُ السَّاقِيَ مِنْ قَدْرِهِ، وَيَعْتَبِرُ عَلَيْهِ مِكْيَالَهُ، وَيَمْزُجُهُ بِالْمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ لِيُخْرِجَهُ عَنْ مَعْنَاهُ وَحَدِّهِ، ثُمَّ يَكْرَعُهُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ وَيَعُبُّهُ، وَيَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، لِيَقِلَّ مُكْثُهُ فِي فِيهِ، وَيَسْرُعَ عَلَى اللَّهَوَاتِ اجْتِيَازُهُ، ثُمَّ لَا يَسْتَوْفِي كَأْسَهُ وَيَرَى أَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةَ الشَّرَابِ فَضْلَةً فِي قَدَحِهِ، وَيُشَاحُّ[1] السَّاقِيَ فِي الْمُنَاظَرَةِ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْهُ عِنْدَ رَدِّهِ، لِيَصْرِفَ عَنْ نَفْسِهِ عَادِيَةَ شُرْبِهِ، وَيَذْهَبَ بِسَاعَتِهِ، وَيَمْنَعَ مِنْ تَهَوُّعِهِ[2]، كَمَا يَفْعَلُ بِطَبِيخِ الْغَارِيقُونِ عِنْدَ شُرْبِهِ وَحَبِّ الْاسْطِيخُمُولِ. وَكَانَ الْجَاحِظُ يَقُولُ: إِنْ تَهَيَّأَ لَكَ فِي الشَّاعِرِ أَنْ تَبِرَّهُ وَتُرْضِيَهُ وَإِلَّا فَاقْتُلْهُ.

---

(١) أي يرميه بالشح ويمتنه (٢) أي تقيئه

وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاء : أَنْشَدَنِي الْجَاحِظُ لِنَفْسِهِ :

يَطِيبُ الْعَيْشُ أَنْ تَلْقَى حَلِيماً غَذَاهُ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ الْمُصِيبُ
لِيَكْشِفَ عَنْكَ جِيلَةَ كُلِّ رَيْبٍ وَفَضْلُ الْعِلْمِ يَعْرِفُهُ الْأَرِيبُ
سَقَامُ الْحِرْصِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ وَدَاءُ الْبُخْلِ لَيْسَ لَهُ طَبِيبُ

وَأَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ لِلْجَاحِظِ :

إِنْ حَالَ لَوْنُ الرَّأْسِ عَنْ لَوْنِهِ فَفِي خِضَابِ الرَّأْسِ مُسْتَمْتَعُ
هَبْ مَنْ لَهُ شَيْبٌ لَهُ حِيلَةٌ فَمَا الَّذِي يَحْتَالُهُ الْأَصْلَعُ ؟

وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاء قَالَ : قَالَ الْجَاحِظُ : كَانَ الْأَصْمَعِيُّ مَانَوِيًّا (١)، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ رُسْتُمٍ : لَا وَاللهِ، وَلَكِنْ تَذْكُرُ حِينَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ تَسْأَلُهُ ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَهِيَ مَخْصُوفَةٌ بِحَدِيدٍ وَيَقُولُ : نِعْمَ قِنَاعُ الْقَدَرِيِّ (٢) ، فَعَلِمْتَ أَنَّهُ يَعْنِيكَ فَقُمْتَ (٣) .

وَحَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُنَجِّمِ قَالَ : قُلْتُ لِلْجَاحِظِ : مِثْلُكَ فِي عِلْمِكَ وَمِقْدَارِكَ فِي الْأَدَبِ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ :

(١) فى الأصل « منانيا » ورأينا أنها محرفة عن « مانويا » نسبة إلى مانى الثنوى رأس المانوية (٢) القدرى : نسبة إلى القدرية ، وهم فرقة من المعتزلة تكلموا فى القدر وخلق القرآن (٣) فى الأصل : « قمت » تحريف وأصلح فى هامش الأصل

وَيُكْرَهُ لِلْجَارِيَةِ أَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ فِي فَصَاحَتِهَا ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ الْفَزَارِيِّ :

وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فَتَرَاهُ مِنْ لَحْنِ الْإِعْرَابِ ، وَإِنَّمَا وَصَفَهَا بِالظَّرْفِ وَالْفِطْنَةِ وَإِنَّمَا تَلْحَنُ أَيْ تُورِي فِي لَفْظِهَا عَنْ أَشْيَاءَ وَتَتَنَكَّبُ مَا قَصَدَتْ لَهُ ، فَقَالَ : فَطِنْتُ لِذَلِكَ . قُلْتُ : فَغَيِّرْهُ . قَالَ : فَكَيْفَ لِي بِمَا سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ ؟ فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَى خَطَئِهِ .

قَالَ أَبُو مُحَلِّمٍ : أَرَادَ الْفَزَارِيُّ بِقَوْلِهِ هَذَا ، أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيَّ بِهِ ، وَوَرَّتْ عَنِ الْإِفْصَاحِ بِهِ لِئَلَّا يَعْلَمَهُ غَيْرُنَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْكِلَابِيِّ :

لَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » أَيْ فِيمَا يَتَوَحَّوْنَهُ بَيْنَهُمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالطَّعْنِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَقَدِ انْتَصَرَ أَبُو حَيَّانَ لِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي اعْتَرَفَ الْجَاحِظُ بِخَطَئِهِ فِيهِ فَقَالَ : وَعِنْدِي أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مُحْتَمِلَةٌ لِلْكَلَامِ ، لِأَنَّ مُقَابِلَ الْمَنْطِقِ الصَّائِبِ الْمَنْطِقُ الْمَلْحُونُ ، وَاللَّحْنُ مِنَ الْغَوَانِي وَالْفَتَيَاتِ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَلَا مَكْرُوهٍ بَلْ

يُستحبُّ ذلكَ، لأنَّهُ بالتأنيثِ أشبهُ، وللشهوةِ أدعَى، ومعَ الغزلِ أجرَى، والإعرابُ جِدٌّ، وليسَ الجِدُّ منَ التغزُّلِ والتعشُّقِ والتشاجِي[1] في شيءٍ، وعلى مذهبِ عليِّ بنِ يحيَى أنَّ المنطقَ الصائبَ هوَ الكلامُ الصريحُ، وأنَّ اللحنَ هوَ التعريضُ، وأنَّها تعرِفُ هذا وهذا، فهبْ أنَّ هذا المعنَى مقبولٌ، لِمَ ينبغِي أنْ يكونَ المعنَى الآخرُ لَهُوجاً[2] ومردودًا؟ وقدْ يجوزُ أنْ يكونَ مرادُ الشاعرِ ذاكَ، لأنَّ الشاعرَ يشعرُ بهذا كما يشعرُ بهذا،

قالَ أبو العيناءِ: أنشدَنِي الجاحظُ لنفسِهِ في إبراهيمَ بنِ رباحٍ:

وعهدِي بهِ واللهُ يُصلِحُ أمرَهُ
رحيبُ مجالِ الرأيِ منبلِجُ الصدْرِ
فلا جعلَ اللهُ الولايةَ سُبَّةً عليهِ فإنِّي بالولايةِ ذُو خُبْرِ
فقدْ جهدُوهُ بالسؤالِ وقدْ أبَى
بهِ المجدُ إلَّا أنْ يَلِجَّ ويَستشرِي[3]

قالَ أبو عليٍّ التنوخيُّ: حدَّثنِي أبو الحسنِ أحمدُ بنُ محمدٍ الأخباريُّ قالَ: حدَّثنِي أبو الفرجِ الأصبهانيُّ قالَ: أخبرَنِي

---

(١) التشاجي مصدر تشاجت المرأة على زوجها تشاجياً: تمنعت وتحازنت.

(٢) أي غير ناضج (٣) جهدوه: أتعبوه وحملوه المشقة، ويلج: يتمادى في الشيء، ويستشري: معناه يلج أيضا. ومعنى البيت أن الناس أكثروا عليه في الطلب والطمع فبالغ في عطائهم والاحسان اليهم

الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرَوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْوَكِيلُ قَالَ: كُنْتُ يَوْماً عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَبِّرِ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رُقْعَةً يُرَدِّدُ النَّظَرَ إِلَيْهَا فَقُلْتُ لَهُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ الرُّقْعَةِ؟ كَأَنَّهُ اسْتَعْجَمَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْهُ؟ فَقَالَ. هَذِهِ رُقْعَةُ أَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ، وَكَلَامُهُ يُعْجِبُنِي وَأَنَا أُرَدِّدُهُ عَلَى نَفْسِي لِشِدَّةِ إِعْجَابِي. فَقُلْتُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ أَقْرَأَهَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَلْقَاهَا إِلَيَّ فَإِذَا فِيهَا: مَا ضَاءَ لِي نَهَارٌ وَلَا دَجَا لَيْلٌ مُذْ فَارَقْتُكَ، إِلَّا وَجَدْتُ الشَّوْقَ إِلَيْكَ قَدْ حَزَّ فِي كَبِدِي، وَالْأَسَفَ عَلَيْكَ قَدْ أُسْقِطَ فِي يَدِي، وَالنِّزَاعَ نَحْوَكَ قَدْ خَانَ جَلَدِي، فَأَنَا بَيْنَ حَشاً خَافِقَةٍ وَدَمْعَةٍ مُهْرَاقَةٍ، وَنَفْسٍ قَدْ ذَبَلَتْ بِمَا تُجَاهِدُ، وَجَوَانِحَ قَدْ أُبْلِيَتْ بِمَا تُكَابِدُ، وَذَكَرْتُ وَأَنَا عَلَى فِرَاشِ الِارْتِمَاضِ مَمْنُوعٌ مِنْ لَذَّةِ الْإِغْمَاضِ قَوْلَ بَشَّارٍ:

إِذَا هَتَفَ الْقُمْرِيُّ نَازَعَنِي الْهَوَى
بِشَوْقٍ فَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي مِنَ الْوَجْدِ
أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَنَا
وَكُنَّا كَمَاءِ الْمُزْنِ شِيبَ مَعَ الشَّهْدِ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَاناً وَبَيْنَهَا
كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

فَانْتَظَمَ وَصفُ مَا كُنَّا نَتَعَاشَرُ عَلَيْهِ ، وَنَجْرِي فِي مَوَدَّتِنَا إِلَيْهِ فِي شِعْرِهِ هَذَا ، وَذَكَرْتُ أَيْضاً مَا رَمَانِي بِهِ الدَّهْرُ مِنْ فُرْقَةِ أَعِزَّائِي مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ أَنْتَ أَعَزُّهُمْ ، وَيَمْتَحِنُنِي بِمَنْ نَأَى مِنْ أَحِبَّائِي وَخُلْصَانِي (١) الَّذِينَ أَنْتَ أَحَبُّهُمْ وَأَخْلَصُهُمْ ، وَيُجَرِّعُنِيهِ مِنْ مَرَارَةِ تَأَيِّهِمْ وَبُعْدِ لِقَائِهِمْ ، وَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَقْرِنَ آيَاتِ سُرُورِي بِالْقُرْبِ مِنْكَ ، وَلِينَ عَيْشِي بِسُرْعَةِ أَوْبَتِكَ ، وَقُلْتُ أَبْيَاتاً تَقْصُرُ عَنْ صِفَةِ وَجْدِي ، وَكُنْهِ مَا يَتَضَمَّنُهُ قَلْبِي ، وَهِيَ :

يُخَدِّى مِنْ قَطْرِ الدُّمُوعِ نُدُوبُ ... وَبِالْقَلْبِ مِنِّي مُذْ نَأَيْتَ وَجِيبُ
وَلِي نَفَسٌ حَتَّى الدُّجَى يَصْدَعُ الْحَشَا ... وَرَجْعُ حَنِينٍ لِلْفُؤَادِ مُذِيبُ
وَلِي شَاهِدٌ مِنْ ضُرِّ نَفْسِي وَسُقْمِهِ ... يُخَبِّرُ عَنِّي أَنَّنِي لَكَئِيبُ
كَأَنِّي لَمْ أُفْجَعْ بِفُرْقَةِ صَاحِبٍ ... وَلَا غَابَ عَنْ عَيْنِي سِوَاكَ حَبِيبُ

فَقُلْتُ لِابْنِ الْمُدَبِّرِ : هَذِهِ رُقْعَةُ عَاشِقٍ لَا رُقْعَةُ خَادِمٍ ، وَرُقْعَةُ غَائِبٍ لَا رُقْعَةُ حَاضِرٍ . فَضَحِكَ وَقَالَ : نَحْنُ نَنْبَسِطُ مَعَ

(١) الخلصان بضم الخاء : الخالص من الأخدان والأصحاب يستوى فيه الواحد والجماعة .

أَبِي عُثْمَانَ إِلَى مَاهُوَ أَرَقُّ مِنْ هَذَا وَأَلْطَفُ ، فَأَمَّا الْغَيْبَةُ فَإِنَّنَا نَجْتَمِعُ فِي كُلِّ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَتَأَخُّرَ ذَلِكَ لِشُغْلٍ عَرَضَ لِي نَخَاطَبَنِي مُخَاطَبَةَ الْغَائِبِ ، وَأَقَامَ انْقِطَاعَ الْعَادَةِ مَقَامَ الْغَيْبَةِ .

قَالَ الْجَاحِظُ : كَانَ يَأْتِينِي رَجُلٌ فَصِيحٌ مِنَ الْعَجَمِ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ الْفَصَاحَةُ وَهَذَا الْبَيَانُ لَو ادَّعَيْتَ فِي قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ لَكُنْتَ لَا تُنَازَعُ فِيهَا. قَالَ : فَأَجَابَنِي إِلَى ذَلِكَ ، فَجَعَلْتُ أُحَفِّظُهُ نَسَباً حَتَّى حَفِظَهُ وَهَذَّهُ هَذّاً (١) . فَقُلْتُ لَهُ : الْآنَ لَا تَتِهْ عَلَيْنَا . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ . إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا إِذاً دَعِيٌّ .

وَمِنْ كَلَامِ الْجَاحِظِ يَصِفُ الْبَلَاغَةَ : وَمَتَى شَاكَلَ - أَبْقَاكَ اللهُ - اللَّفْظُ مَعْنَاهُ وَكَانَ لِذَلِكَ الْحَالِ وَفْقاً وَلِذَلِكَ الْقَدْرِ لِفْقاً (٢) وَخَرَجَ مِنْ سَمَاجَةِ الِاسْتِكْرَاهِ وَسَلِمَ مِنْ فَسَادِ التَّكَلُّفِ ، كَانَ قَمِناً بِحُسْنِ الْمَوْقِعِ ، وَحَقِيقاً بِانْتِفَاعِ الْمُسْتَمِعِ ، وَجَدِيراً أَنْ يَمْنَعَ جَانِبَهُ مِنْ تَأَوُّلِ الطَّاعِنِينَ ، وَيَحْمِيَ عِرْضَهُ مِنَ اعْتِرَاضِ الْعَائِبِينَ ، وَلَا يَزَالُ الْقُلُوبُ بِهِ مَعْمُورَةً ، وَالصُّدُورُ بِهِ مَأْهُولَةً ، وَمَتَى كَانَ اللَّفْظُ أَيْضاً كَرِيماً فِي نَفْسِهِ مُتَخَيَّراً مِنْ جِنْسِهِ ، وَكَانَ سَلِيماً مِنَ الْفُضُولِ بَرِيئاً مِنَ التَّعْقِيدِ حُبِّبَ إِلَى النُّفُوسِ ، وَاتَّصَلَ بِالْأَذْهَانِ وَالْتَحَمَ بِالْعُقُولِ ،

(١) هذ الحديث هذا : سرده سردا مع الاسراع (٢) اللفق : أحد شقى الملاءة ، والمراد : مساواة اللفظ لمعناه وملاءمته له

وَهَشَّتْ لَهُ الأَسْمَاعُ ، وَارْتَاحَتْ لَهُ القُلُوبُ ، وَخَفَّ عَلَى أَلْسُنِ الرُّوَاةِ ، وَشَاعَ فِي الآفَاقِ ذِكْرُهُ ، وَعَظُمَ فِي النَّاسِ خَطَرُهُ ، وَصَارَ ذَلِكَ مَادَّةً لِلْعَالِمِ الرَّئِيسِ ، وَرِيَاضَةً لِلْمُتَعَلِّمِ الرَّيِّضِ وَمَنْ أَعَارَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ نَصِيباً ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذَنُوباً ، حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَعَانِيَ وَسَلَسَ لَهُ نِظَامُ اللَّفْظِ ، وَكَانَ قَدْ أَغْنَى الْمُسْتَمِعَ عَنْ كَدِّ التَّكَلُّفِ ، وَأَرَاحَ قَارِئَ الْكِتَابِ مِنْ عِلَاجِ التَّفَهُّمِ . وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي تَقْرِيظِ الْجَاحِظِ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ — وَهَمُّكَ مِنْ رَجُلٍ ، وَنَاهِيكَ مِنْ عَالِمٍ ، وَشَرْعُكَ مِنْ صَدُوقٍ (١) — قَالَ : حَدَّثَنَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّابِئِينَ الْكُتَّابِ : أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قُرَّةَ قَالَ : مَا أَحْسُدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ فَإِنَّهُ :

عَقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ ... إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

فَقِيلَ لَهُ : أَحْصِ لَنَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ . قَالَ : أَوَّلُهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي سِيَاسَتِهِ وَيَقَظَتِهِ وَحَذَرِهِ ، وَتَحَفُّظِهِ وَدِينِهِ وَتَقِيَّتِهِ ، وَجَزَالَتِهِ وَبَذَالَتِهِ وَصَرَامَتِهِ وَشَهَامَتِهِ ، وَقِيَامَتِهِ فِي صَغِيرِ أَمْرِهِ وَكَبِيرِهِ بِنَفْسِهِ ، مَعَ قَرِيحَةٍ صَافِيَةٍ ، وَعَقْلٍ وَافِرٍ ، وَلِسَانٍ

(١) همك من رجل ، وناهيك ، وشرعك ، كلها بمعنى حسبك

عَضْبٍ وَقَلْبٍ شَدِيدٍ ، وَطَوِيَّةٍ مَأْمُونَةٍ ، وَعَزِيمَةٍ مَأْمُومَةٍ ، وَصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ ، وَبَالٍ مُنْفَسِحٍ ، وَبَدِيهَةٍ نَضُوحٍ (١) وَرَوِيَّةٍ لَقُوحٍ (٢) ، وَسِرٍّ طَاهِرٍ ، وَتَوْفِيقٍ حَاضِرٍ ، وَرَأْيٍ مُصِيبٍ ، وَأَمْرٍ عَجِيبٍ ، وَشَأْنٍ غَرِيبٍ ، دَعَمَ الدِّينَ وَشَيَّدَ بُنْيَانَهُ ، وَأَحْكَمَ أَسَاسَهُ وَرَفَعَ أَرْكَانَهُ ، وَأَوْضَحَ حُجَّتَهُ وَأَنَارَ بُرْهَانَهُ ، مَلِكٌ فِي زِيِّ مِسْكِينٍ ، مَا جَنَحَ فِي أَمْرٍ إِلَى وَنًى ، وَلَا غَضَّ طَرْفَهُ عَلَى خَنًا ، طَهَارَتُهُ كَالْبِطَانَةِ ، وَبِطَانَتُهُ كَالطَّهَارَةِ ، جَرَحَ وَأَسَا ، وَلَانَ وَقَسَا ، وَمَنَعَ وَأَعْطَى ، وَاسْتَخْذَى وَسَطَا ، كُلُّ ذَلِكَ فِي اللهِ وَلِلهِ ، لَقَدْ كَانَ مِنْ نَوَادِرِ الرِّجَالِ . قَالَ : وَالثَّانِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، فَلَقَدْ كَانَ مِنْ دَرَارِيِّ النُّجُومِ عِلْماً وَتَقْوَى وَزُهْداً وَوَرَعاً وَعِفَّةً وَرِقَّةً وَتَأَلُّهاً وَتَنَزُّهاً وَفِقْهاً وَمَعْرِفَةً وَفَصَاحَةً وَنَصَاحَةً (٣) ، مَوَاعِظُهُ تَصِلُ إِلَى الْقُلُوبِ ، وَأَلْفَاظُهُ تَلْتَبِسُ بِالْعُقُولِ ، وَمَا أَعْرِفُ لَهُ ثَانِياً ، لَا قَرِيباً وَلَا مُدَانِياً ، كَانَ مَنْظَرُهُ وَفْقَ مَخْبَرِهِ ، وَعَلَانِيَتُهُ فِي وَزْنِ سَرِيرَتِهِ ، عَاشَ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ يُقْرَفْ (٤) بِمَقَالَةٍ شَنْعَاءَ ، وَلَمْ يُزَنَّ (٥) بِرِيبَةٍ وَلَا فَحْشَاءَ ، سَلِيمُ الدِّينِ ، نَقِيُّ الْأَدِيمِ ،

(١) بديهة نضوح ، النضوح : كثير النضح وهو رشاش الماء ، والماء يسقى به الزرع (٢) ناقة لقوح : حلوب (٣) النصاحة : الوعظ وإخلاص المودة .

(٤) لم يقرف : بالبناء للمجهول : لم يعبه أحد ولم يتهمه . (٥) ولم يزن بريبة ولا فحشاء : مجهول أيضا : أى لم يتهم بريبة الخ .

مَحْرُوسُ الْحَرِيمِ ، يَجْمَعُ مَجْلِسُهُ ضُرُوبَ النَّاسِ وَأَصْنَافَ اللُّبَاسِ لِمَا يُوسِعُهُمْ مِنْ بَيَانِهِ،وَيُفِيضُ عَلَيْهِمْ بِافْتِنَانِهِ ، هَذَا يَأْخُذُ عَنْهُ الْحَدِيثَ ، وَهَذَا يَلْقَنُ مِنْهُ التَّأْوِيلَ ، وَهَذَا يَسْمَعُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَهَذَا يَتْبَعُ فِي كَلَامِهِ الْعَرَبِيَّةَ ، وَهَذَا يُجَرِّدُ لَهُ الْمَقَالَةَ ، وَهَذَا يَحْكِي الْفُتْيَا ، وَهَذَا يَتَعَلَّمُ الْحُكْمَ وَالْقَضَاءَ ، وَهَذَا يَسْمَعُ الْمَوْعِظَةَ ، وَهُوَ جَمِيعُ هَذَا ، كَالْبَحْرِ الْعَجَّاجِ تَدَفُّقًا ، وَكَالسِّرَاجِ الْوَهَّاجِ تَأَلُّقًا ، وَلَا تَنْسَ مُوَافَقَةَ وَمُشَاهَدَهُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَأَشْبَاهِ الْأُمَرَاءِ بِالْكَلَامِ الْفَصْلِ ، وَاللَّفْظِ الْجَزْلِ ، وَالصَّدْرِ الرَّحْبِ ، وَالْوَجْهِ الصَّلْبِ ، وَاللِّسَانِ الْعَضْبِ ، كَالْحَجَّاجِ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ مَعَ شَارَةِ الدِّينِ ، وَبَهْجَةِ الْعِلْمِ وَرَحْمَةِ التُّقَى ، لَا تَثْنِيهِ لَائِمَةٌ[1] فِي اللَّهِ ، وَلَا تُذْهِلُهُ رَائِحَةٌ[2] عَنِ اللَّهِ ، يَجْلِسُ تَحْتَ كُرْسِيِّهِ قَتَادَةُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ، وَعَمْرٌو وَوَاصِلٌ صَاحِبَا الْكَلَامِ ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ صَاحِبُ النَّحْوِ ، وَفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ صَاحِبُ الدَّقَائِقِ ، وَأَشْبَاهُ هَؤُلَاءِ وَنُظَرَاؤُهُمْ ، فَمَنْ ذَا مِثْلُهُ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُ ؟. وَالثَّالِثُ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ ، خَطِيبُ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَيْخُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِدْرَهُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، إِنْ تَكَلَّمَ حَكَى سَحْبَانَ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَإِنْ

(١) اللائمة : اللوم ، وفى الله متعلق بتثنيه . (٢) الرائحة : العشى ، أو من الزوال إلى الليل . والمعنى : لا ينسيه مرور الأوقات أن يذكر الله فى جميع أعماله

نَاظَرَ ضَارَعَ النَّظَّامَ فِي الْجِدَالِ ، وَإِنْ جَدَّ خَرَجَ فِي مِسْكِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَإِنْ هَزَلَ زَادَ عَلَى مَزْيَدٍ حَبِيبِ الْقُلُوبِ وَمِزَاجِ الْأَرْوَاحِ ، وَشَيْخِ الْأَدَبِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ . كُتُبُهُ رِيَاضٌ زَاهِرَةٌ ، وَرَسَائِلُهُ أَفْنَانٌ مُثْمِرَةٌ ، مَا نَازَعَهُ مُنَازِعٌ إِلَّا رَشَاهُ آنِفاً ، وَلَا تَعَرَّضَ لَهُ مَنْقُوصٌ إِلَّا قَدَّمَ لَهُ التَّوَاضُعَ اسْتِبْقَاءً . الْخُلَفَاءُ تَعْرِفُهُ ، وَالْأُمَرَاءُ تُصَافِيهِ⁽¹⁾ وَتُنَادِمُهُ ، وَالْعُلَمَاءُ تَأْخُذُ عَنْهُ ، وَالْخَاصَّةُ تُسَلِّمُ لَهُ ، وَالْعَامَّةُ تُحِبُّهُ ، جَمَعَ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ ، وَبَيْنَ الْفِطْنَةِ وَالْعِلْمِ ، وَبَيْنَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ ، وَبَيْنَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ، وَبَيْنَ الذَّكَاءِ وَالْفَهْمِ ، طَالَ عُمُرُهُ ، وَفَشَتْ حِكْمَتُهُ ، وَظَهَرَتْ خَاتَمُهُ ، وَوَطِئَ⁽²⁾ الرِّجَالُ عَقِبَهُ ، وَتَهَادَوْا أَدَبَهُ⁽³⁾ ، وَافْتَخَرُوا بِالِانْتِسَابِ إِلَيْهِ ، وَنَجَحُوا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ ، لَقَدْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ . هَذَا قَوْلُ ثَابِتٍ ، وَهُوَ قَوْلُ صَابِئٍ لَا يَرَى لِلْإِسْلَامِ حُرْمَةً وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ حَقًّا ، وَلَا يُوجِبُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ذِمَامًا ، قَدِ انْتَقَدَ هَذَا الِانْتِقَادَ ، وَنَظَرَ هَذَا النَّظَرَ ، وَحَكَمَ هَذَا الْحُكْمَ ، وَأَبْصَرَ الْحَقَّ بِعَيْنٍ لَا غِشَاوَةَ عَلَيْهَا مِنَ الْهَوْلِ⁽⁴⁾ ، وَنَفْسٍ لَا لَطْخَ⁽⁵⁾ بِهَا مِنَ التَّقْلِيدِ ، وَعَقْلٍ مَا تَخَيَّلَ بِالْعَصَبِيَّةِ ، وَلَسْنَا نَجْهَلُ مَعَ ذَلِكَ فَضْلَ غَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنَ السَّلَفِ

(١) فى الأصل : « تصفه » (٢) وطىء الرجال عقبه : أى اتبعوه واقتفوا أثره
(٣) فى هذا الأصل : « إربه » (٤) أى خوف النقد (٥) أى لا لوث

الطَّاهِرِ ، وَالْخَلَفِ الصَّالِحِ ، وَلَكِنَّا عَجِبْنَا فَضْلَ عَجَبٍ مِنْ رَجُلٍ لَيْسَ مِنَّا وَلَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَلُغَتِنَا ، — وَلَعَلَّهُ مَاخَبَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كُلَّ الْخِبْرَةِ ، وَلَا اسْتَوْعَبَ كُلَّ مَا لِلْحَسَنِ مِنَ الْمَنْقَبَةِ ، وَلَا وَقَفَ عَلَى جَمِيعِ مَا لِأَبِي عُثْمَانَ مِنَ الْبَيَانِ وَالْحِكْمَةِ — يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيَتَعَجَّبُ هَذَا الْعَجَبَ ، وَيَحْسُدُ أُمَّتَنَا بِهِمْ هَذَا الْحَسَدَ ، وَيَخْتِمُ كَلَامَهُ بِأَبِي عُثْمَانَ ، وَيَصِفُهُ بِمَا يَأْبَى الطَّاعِنُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ مِنْهُ ، وَيَغْضَبُ إِذَا ادُّعِيَ ذَلِكَ لَهُ لِمَوْفِزٍ (١) عَلَيْهِ ، هَلْ هَذَا إِلَّا الْجَهْلُ الَّذِي يُرْحَمُ الْمُبْتَلَى بِهِ ؟.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَحَدَّثَنَا ابْنُ مِقْسَمٍ — وَقَدْ طَالَ ذِكْرُ الْجَاحِظِ لِأَبِي هِفَّانَ : — قِيلَ (٢) لِأَبِي هِفَّانَ لِمَ لَا تَهْجُو الْجَاحِظَ وَقَدْ نَدَّدَ بِكَ وَأَخَذَ بِمُخَنَّقِكَ (٣) ؟ فَقَالَ : أَمِثْلِي يُخْدَعُ عَنْ عَقْلِهِ ، وَاللهِ لَوْ وَضَعَ رِسَالَةً فِي أَرْنَبَةِ أَنْفِي لَمَا أَمْسَتْ إِلَّا بِالصِّينِ شُهْرَةً ، وَلَوْ قُلْتُ فِيهِ أَلْفَ بَيْتٍ لَمَا طَنَّ (٤) مِنْهَا بَيْتٌ فِي أَلْفِ سَنَةٍ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعْمَرٍ الْكَاتِبَ فِي دِيوَانِ بَادُورِيَا ، قَالَ : كَتَبَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ إِلَى الْجَاحِظِ كِتَابًا يَقُولُ فِي فَصْلٍ مِنْهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ بِكَ ، وَيَهَشُّ عِنْدَ ذِكْرِكَ ، وَلَوْ لَا

---

(١) أي لحقد يحمله يفز عليه (٢) نسبه الأصل إلى سقوط جملة هنا معناها : قيل لأبي هفان (٣) المخنق : موضع حبل الخنق من العنق ، أو هو العنق ، وأخذ بمخنقه : ضيق عليه وشدد (٤) أي ما سمع لها صوت ولا اشتهرت

عَظَمَتُكَ فِي نَفْسِهِ لِعِلْمِكَ وَمَعْرِفَتِكَ ، لِحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بُعْدِكَ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَلَغَصَبَكَ رَأْيَكَ وَتَدْبِيرَكَ فِيمَا أَنْتَ مَشْغُولٌ بِهِ وَمُتَوَفِّرٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أَلْقَى إِلَيَّ مِنْ هَذَا عُنْوَانَهُ[١] ، فَزِدْتُكَ فِي نَفْسِهِ زِيَادَةً كَفَتْ بِهَا عَنْ تَجْشِيمِكَ[٢] ، فَاعْرِفْ لِي هَذِهِ الْحَالَ ، وَاعْتَقِدْ هَذِهِ الْمِنَّةَ عَلَى كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى ، وَافْرُغْ مِنْهُ وَعَجِّلْ بِهِ إِلَيَّ ، وَكُنْ مَنْ جَدَا[٣] بِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، تَنَالُ مُشَاهَرَتَكَ وَقَدِ اسْتَطْلَقْتُهُ[٤] لِمَا مَضَى، وَاسْتَسْلَفْتُ[٥] لَكَ لِسَنَةٍ كَامِلَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ ، وَهَـذَا مِمَّا لَمْ تَحْتَكِمْ[٦] بِهِ نَفْسُكَ ، وَقَدْ قَرَأْتُ رِسَالَتَكَ فِي بَصِيرَةِ غَنَامٍ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَزِيدُ فِي مُخَيَّلَتِكَ لَعَرَّفْتُكَ مَا يَعْتَرِينِي عِنْدَ قِرَاءَتِهَا وَالسَّلَامُ .

قَالَ الْجَاحِظُ[٧] : قُلْتُ لِلْحِزَامِيِّ : قَدْ رَضِيتَ بِقَوْلِ النَّاسِ فِيكَ : إِنَّكَ بَخِيلٌ . قَالَ : لَا أَعْدَمَنِي اللهُ هَـذَا الِاسْمَ . قَالَ : لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : فُلَانٌ بَخِيلٌ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ، فَإِذَا سَلِمَ الْمَالُ فَادْعُنِي بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتَ . قُلْتُ : وَلَا يُقَالُ سَخِيٌّ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ، فَقَدْ جَمَعَ هَـذَا الِاسْمُ الْمَالَ وَالْحَمْدَ ، وَجَمَعَ ذَاكَ الِاسْمُ الْمَالَ

(١) أى ما يشير إلى ذلك (٢) أى تكليفك ما فيه مشقة (٣) جدا عليه : أعطاه الجدوى أى النفع ، والمعنى : أعط نفسك النفع من وراء هذا الكتاب (٤) استطلقته لما مضى : أى طلبت إليه تطليق ما مضى . (٥) استسلفت لك الخ : قدمت لك ماينفعك من صالح المال والعمل (٦) لم تحتكم به نفسك : لم تتصرف فيه كما تريد (٧) بكتاب البخلاء طبع ليدن ص ٦٥ « هكذا فى الأصل »

والذم . قال : بينهما فرق . قلت : هاته . قال : في قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكه ، واسم البخيل اسم فيه حزم وذم ، واسم السخاء فيه تضييع وحمد ، والمال نافع مكرم لأهله معز ، والحمد ريح[1] وسخرية ، واستماعه ضعف وفسولة[2] . وما أقل والله غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه ، وعرى جسده ، وشمت عدوه .

قال أبو حيان : ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومر بي في جملتها الفرق بين النبي[3] والمتنبيء ، وكتاب دلائل النبوة وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع[4] لشيء دعاه إليه ، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لقب بالفرق خطأ ، فهمني ذلك وساءني في سوء ظفري به ، فلما شخصت من مصر

(١) أي كالريح لا ثبات له (٢) الفسولة : الخساسة ، والفسل : الرذل الذى لا مروءة له (٣) النبي : المخبر عن الله ، والمتنبي : مدعي النبوة باطلا (٤) طبع مصر سنة ١٣٢٤ ص ١٢٢

وَدَخَلْتُ مَكَّةَ — حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى — حَاجًّا أَقَمْتُ مُنَادِيًا بِعَرَفَاتٍ يُنَادِي ـ وَالنَّاسُ حُضُورٌ مِنَ الآفَاقِ عَلَى اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ وَتَنَازُحِ أَوْطَانِهِمْ، وَتَبَايُنِ قَبَائِلِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَمِنْ مَهَبِّ الشَّمَالِ إِلَى مَهَبِّ الْجَنُوبِ، وَهُوَ الْمَنْظَرُ الَّذِي لَا يُشَابِهُهُ مَنْظَرٌ ـ: «رَحِمَ اللهُ مَنْ دَلَّنَا عَلَى كِتَابِ الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِ لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَانَ». قَالَ: فَطَافَ الْمُنَادِي فِي تَرَابِيعِ[1] عَرَفَاتٍ وَعَادَ بِالْخَيْبَةِ وَقَالَ: حَجَبَ النَّاسَ مِنًى وَلَمْ يَعْرِفُوا هَذَا الْكِتَابَ وَلَا اعْتَرَفُوا بِهِ.

قَالَ ابْنُ أَخْشَادٍ: وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهَذَا أَنْ أُبْلِغَ نَفْسِي عُذْرَهَا. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَحَسْبُكَ بِهَا فَضِيلَةً لِأَبِي عُثْمَانَ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ ابْنِ الْأَخْشَادِ ـ وَهُوَ هُوَ[2] فِي مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ رَأْسٌ عَظِيمٌ مِنْ رُءُوسِ الْمُعْتَزِلَةِ ـ يُسْتَهَامُ بِكُتُبِ الْجَاحِظِ حَتَّى يُنَادِيَ عَلَيْهَا بِعَرَفَاتٍ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَهَذَا الْكِتَابُ مَوْجُودٌ فِي أَيْدِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَا يَكَادُ تَخْلُو خِزَانَةٌ مِنْهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا مِنْهُ نَحْوَ مِائَةِ نُسْخَةٍ أَوْ أَكْثَرَ.

وَمِنْ كِتَابِ هِلَالٍ قَالَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ: ثَلَاثَةٌ

---

(١) ترابيع عرفات: منازلها التي ينزل فيها أيام الربيع (٢) وهو هو الخ: أي المعروف في علوم الحكمة

عُلُومُ النَّاسِ كُلُّهُمْ عِيَالٌ(١) فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ: أَمَّا الفِقْهُ فَعَلَى أَبِي حَنِيفَةَ، لِأَنَّهُ دَوَّنَ وَخَلَّدَ مَا جَعَلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ بَعْدَهُ مُشِيرًا إِلَيْهِ وَمُخْبِرًا عَنْهُ. وَأَمَّا الْكَلَامُ فَعَلَى أَبِي الْهُذَيْلِ، وَأَمَّا الْبَلَاغَةُ وَالْفَصَاحَةُ وَاللَّسَنُ وَالْعَارِضَةُ(٢)، فَعَلَى أَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ. وَحَدَّثَ أَبُو الْقَاسِمِ السِّيرَافِيُّ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ الْأُسْتَاذِ الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ فَقَصَّرَ رَجُلٌ بِالْجَاحِظِ(٣) وَأَزْرَى عَلَيْهِ وَحَلُمَ الْأُسْتَاذُ عَنْهُ. فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لَهُ: سَكَتَّ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ عَنْ هَذَا الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ الَّذِي(٤) قَالَ مَعَ عَادَتِكَ بِالرَّدِّ عَلَى أَمْثَالِهِ. فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِي مُقَابَلَتِهِ أَبْلَغَ مِنْ تَرْكِهِ عَلَى جَهْلِهِ، وَلَوْ وَاقَفْتُهُ(٥) وَبَيَّنْتُ لَهُ النَّظَرَ فِي كُتُبِهِ، صَارَ إِنْسَانًا. يَا أَبَا الْقَاسِمِ كُتُبُ الْجَاحِظِ تُعَلِّمُ الْعَقْلَ أَوَّلًا وَالْأَدَبَ ثَانِيًا.

وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِيُّ عَنْ أَبِي مُعَاذٍ عَبْدَانَ الْخَوْلِيِّ(٦) الْمُتَطَبِّبِ(٧) قَالَ: دَخَلْنَا يَوْمًا بِسُرَّ مَنْ رَأَى عَلَى عَمْرٍو

(١) العيال: أهل بيت الرجل الذين يتكفل بهم ويعولهم من أولاد وأزواج وأتباع والمراد: أنهم مفتقرون إليهم افتقار العيال إلى من يعولهم (٢) العارضة: البيان واللسن وقوة البديهة (٣) أى قلل من منزلته وحط من قدره (٤) لم تكن كلمة «الذى» فى الأصل (٥) المواقفة: أن تقف مع إنسان ويقف معك فى حرب أو خصومة، وواقفته على كذا: سألته الوقوف (٦) كانت فى الأصل «الخوى» وبالرجوع إلى الأمالى المنقول عنه ج ١ ص ٥١ طبع مصر سنة ١٣٢٤ وجدتها «الخولى» وهى الصحيحة وتلك تحريف (٧) المتطبب: متعاطى علم الطب

ٱبْنِ بَحْرٍ الْجَاحِظِ نَعُودُهُ وَقَدْ فُلِجَ [١] ، فَلَمَّا أَخَذْنَا مَجَالِسَنَا أَتَى رَسُولُ الْمُتَوَكِّلِ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَمَا يَصْنَعُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشِقٍّ مَائِلٍ وَلُعَابٍ سَائِلٍ ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ لَهُ شِقَّانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ غُرِزَ بِالْمَسَالِّ مَا أَحَسَّ ، وَالشِّقُّ الْآخَرُ يَمُرُّ بِهِ الذُّبَابُ فَيَغُوثُ [٢] ، وَأَكْثَرُ مَا أَشْكُوهُ الثَّمَانُونَ [٣] .

حَدَّثَ أَبُو عَبْدِاللهِ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَذْوَةِ [٤] : قَرَأْتُ عَلَى الْأَمِينِ ٱبْنِ أَبِي عَلِيٍّ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْبَصْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شُجَاعٍ الْمُتَكَلِّمُ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو النَّجِيرَمِيُّ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَنْدَلُسِ فَقِيلَ لِي : إِنَّ هَاهُنَا تِلْمِيذاً لِأَبِي عُثْمَانَ الْجَاحِظِ يُعْرَفُ بِسَلَّامِ بْنِ يَزِيدَ [٥] وَيُكْنَى أَبَا خَلَفٍ ، فَأَتَيْتُهُ فَرَأَيْتُ شَيْخاً هِمًّا [٦] فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ ٱجْتِمَاعِهِ مَعَ أَبِي عُثْمَانَ وَلَمْ يَقَعْ أَبُو عُثْمَانَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَقَالَ : كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ بِالْمَشْرِقِ يَشْرُفُ عِنْدَ مُلُوكِنَا بِلِقَاءِ أَبِي عُثْمَانَ ، فَوَقَعَ إِلَيْنَا كِتَابُ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ لَهُ

(١) فلج الرجل : بالبناء للمجهول : أصابه الفالج : وهو داء يحدث فى أحد شق البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته (٢) أى قال واغوثاه (٣) فى الأصل « الثمانين » وهو خطأ ظاهر (٤) بهامش الأصل « راجع الجزء ٨ من نشوار المحاضرة » (٥) فى الأصل « زيد » ولكن ذكر سلام عن نفسه أنه ابن يزيد فى الحديث بعد (٦) الهم بالكسر : الشيخ الفانى

فَأَشَارُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ أَرْدَفَهُ عِنْدَنَا كِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ لَهُ فَبَلَغَ الرَّجُلُ الْصَّكَاكَ (١) بِهَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ لَا أُعَرِّجُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى قَصَدْتُ بَغْدَادَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هُوَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، فَأَصْعَدْتُ (٢) إِلَيْهَا فَقِيلَ لِي: قَدِ انْحَدَرَ (٣) إِلَى الْبَصْرَةِ، فَانْحَدَرْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُ عَنْ مَنْزِلِهِ فَأُرْشِدْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحَوَالَيْهِ عِشْرُونَ صَبِيًّا لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لِحْيَةٍ غَيْرُهُ، فَدَهِشْتُ فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ أَبُو عُثْمَانَ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ وَحَرَّكَهَا فِي وَجْهِي وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ؟ قُلْتُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، فَقَالَ: طِينَةٌ حَمْقَاءُ (٤)، فَمَا الاِسْمُ؟ قُلْتُ سَلَّامٌ. قَالَ: اسْمُ كَلْبِ الْقَرَّادِ، ابْنُ مَنْ؟ قُلْتُ ابْنُ يَزِيدَ. قَالَ: بِحَقٍّ مَا صِرْتَ أَبُو مَنْ؟ قُلْتُ: أَبُو خَلَفٍ. قَالَ: كُنْيَةُ قِرْدِ زُبَيْدَةَ، مَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟ قُلْتُ: الْعِلْمَ. قَالَ: ارْجِعْ بِوَقْتٍ (٥) فَإِنَّكَ لَا تُفْلِحُ. قُلْتُ لَهُ مَا أَنْصَفْتَنِي، فَقَدِ اشْتَمَلْتُ عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعٍ: جَفَاءِ الْبَلَدِيَّةِ، وَبُعْدِ الشُّقَّةِ (٦)، وَغِرَّةِ الْحَدَاثَةِ (٧)، وَدَهْشَةِ الدَّاخِلِ. قَالَ: فَتَرَى حَوْلِي عِشْرِينَ صَبِيًّا لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لِحْيَةٍ غَيْرِي، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَنِي بِهَا؟ قَالَ: فَأَقَمْتُ

---

(١) الصكاك والسكاك: الهواء كناية عن علو قدره ورفعة شأنه

(٢) أصعدت: مضيت مرتفعاً (٣) انحدر: هبط ونزل (٤) أى لاتنبت ثمرا طيبا، والمعنى: أصل خبيث (٥) ارجع بوقت: أى حالا (٦) أى المسافة (٧) أى الغفلة وقلة التجارب التى يتصف بها الصغير

عَلَيْهِ عِشْرِينَ سَنَةً . وَهَذَا فِهرِستُ كُتُبِ الْجَاحِظِ : كِتَابُ الْحَيَوَانِ وَهُوَ سَبْعَةُ أَجْزَاءٍ وَأَضَافَ إِلَيْهِ كِتَاباً آخَرَ سَمَّاهُ كِتَابَ النِّسَاءِ وَهُوَ الْفَرْقُ فِيمَا بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَكِتَاباً آخَرَ سَمَّاهُ : كِتَابَ النَّعْلِ . قَالَ ابْنُ النَّدِيمِ . وَرَأَيْتُ أَنَا هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ بِخَطِّ زَكَرِيَّاءَ بْنِ يَحْيَى - وَيُكْنَى أَبَا يَحْيَى - وَرَّاقِ الْجَاحِظِ ، وَقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ كِتَابٌ سَمَّوْهُ كِتَابَ الْإِبِلِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْجَاحِظِ وَلَا يُقَارِبُهُ ، وَكِتَابُ الْحَيَوَانِ أَلَّفَهُ بِاسْمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ. قَالَ مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ : قُلْتُ لِلْجَاحِظِ أَلَكَ بِالْبَصْرَةِ ضَيْعَةٌ ؟ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا وَجَارِيَةٌ ، وَجَارِيَةٌ تَخْدُمُهَا وَخَادِمٌ وَحِمَارٌ ، أَهْدَيْتُ كِتَابَ الْحَيَوَانِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَهْدَيْتُ كِتَابَ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ إِلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَهْدَيْتُ كِتَابَ الزَّرْعِ وَالنَّخْلِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّولِيِّ فَأَعْطَانِي خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعِي ضَيْعَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدٍ وَلَا تَسْمِيدٍ(١) ، وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ نُسْخَتَانِ : أُولَى وَثَانِيَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ أَصَحُّ وَأَجْوَدُ ، كِتَابُ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّيءِ ، كِتَابُ الْمَعْرِفَةِ

(١) التسميد : مصدر سمد الأرض : جعل فيها السماد . وهو السرقين برماد .

كِتَابُ جَوَابَاتِ كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ ، كِتَابُ مَسَائِلِ كِتَابِ الْمَعْرِفَةِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْإِلْهَامِ ، كِتَابُ نَظْمِ الْقُرْآنِ ثَلَاثُ نُسَخٍ ، كِتَابُ مَسَائِلِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ فَضِيلَةِ الْمُعْتَزِلَةِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْمُشَبِّهَةِ ، كِتَابُ الْإِمَامَةِ عَلَى مَذْهَبِ الشِّيعَةِ ، كِتَابُ حِكَايَةِ قَوْلِ أَصْنَافِ الزَّيْدِيَّةِ ، كِتَابُ الْعُثْمَانِيَّةِ ، كِتَابُ الْأَخْبَارِ وَكَيْفَ تَصِحُّ ؟ كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى ، كِتَابُ عِصَامِ الْمُرِيدِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْعُثْمَانِيَّةِ ، كِتَابُ إِمَامَةِ مُعَاوِيَةَ ، كِتَابُ إِمَامَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، كِتَابُ الْفِتْيَانِ ، كِتَابُ الْقُوَّادِ ، كِتَابُ اللُّصُوصِ ، كِتَابُ ذِكْرِ مَا بَيْنَ الزَّيْدِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ ، كِتَابُ صِيَاغَةِ الْكَلَامِ ، كِتَابُ الْمُخَاطَبَاتِ فِي التَّوْحِيدِ ، كِتَابُ تَصْوِيبِ عَلِيٍّ فِي تَحْكِيمِ الْحَكَمَيْنِ ، كِتَابُ وُجُوبِ الْإِمَامَةِ ، كِتَابُ الْأَصْنَامِ ، كِتَابُ الْوُكَلَاءِ وَالْمُوَكِّلِينَ ، كِتَابُ الشَّارِبِ وَالْمَشْرُوبِ ، كِتَابُ افْتِخَارِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، كِتَابُ الْمُعَلِّمِينَ ، كِتَابُ الْجَوَارِي ، كِتَابُ نَوَادِرِ الْحَسَنِ ، كِتَابُ الْبُخَلَاءِ ، كِتَابُ الْفَخْرِ مَا بَيْنَ عَبْدِ شَمْسٍ وَمَخْزُومٍ ، كِتَابُ الْعُرْجَانِ وَالْبُرْصَانِ ، كِتَابُ فَخْرِ الْقَحْطَانِيَّةِ وَالْعَدْنَانِيَّةِ ، كِتَابُ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ ، كِتَابُ الطُّفَيْلِيِّينَ ، كِتَابُ أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ ، كِتَابُ الْفُتْيَا ، كِتَابُ مَنَاقِبِ جُنْدِ

الْخِلَافَةِ وَفَضَائِلِ الْأَتْرَاكِ ، كِتَابُ الْحَاسِدِ وَالْمَحْسُودِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ ، كِتَابُ الصُّرَحَاءِ وَالْهُجَنَاءِ ، كِتَابُ السُّودَانِ وَالْبِيضَانِ ، كِتَابُ الْمَعَادِ وَالْمَعَاشِ ، كِتَابُ النِّسَاءِ ، كِتَابُ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، كِتَابُ السُّلْطَانِ وَأَخْلَاقِ أَهْلِهِ ، كِتَابُ الْوَعِيدِ ، كِتَابُ الْبُلْدَانِ ، كِتَابُ الْأَخْبَارِ ، كِتَابُ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ فَرْضٌ ، كِتَابُ الِاسْتِطَاعَةِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ ، كِتَابُ الْمُقَيِّنِينَ[1] وَالْغِنَاءِ وَالصَّنْعَةِ ، كِتَابُ الْهَدَايَا مَنْحُولٌ ، كِتَابُ الْإِخْوَانِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَلْحَدَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كِتَابُ آيِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ النَّاشِي وَالْمُتَلَاشِي ، كِتَابُ حَانُوتِ عَطَّارٍ ، كِتَابُ التَّمْثِيلِ ، كِتَابُ فَضْلِ الْعِلْمِ ، كِتَابُ الْمُزَاحِ وَالْجِدِّ ، كِتَابُ جَمْهَرَةِ الْمُلُوكِ ، كِتَابُ الصَّوَالِجَةِ[2] ، كِتَابُ ذَمِّ الزِّنَا ، كِتَابُ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ ، كِتَابُ الْحَجْرِ وَالنُّبُوَّةِ ، كِتَابُ آلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَبِّرِ فِي الْمُكَاتَبَةِ ، كِتَابُ إِحَالَةِ الْقُدْرَةِ عَلَى الظُّلْمِ ، كِتَابُ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ ، كِتَابُ الِاعْتِزَالِ وَفَضْلِهِ عَنِ الْفَضِيلَةِ ، كِتَابُ الْأَخْطَارِ وَالْمَرَاتِبِ وَالصِّنَاعَاتِ ،

---

(١) يريد بالمقينين : مزيني القيان ، من قين الشيء زينه ، وأهم ما تزين به القينة أن تكون مغنية ألا ترى القاموس يقول « القينة الأمة المغنية أو أعم » ولا يقال إن « المقينين » محرفة عن المغنين لأن كتاب المغنين معدود بعد (٢) الصوالجة : جمع سولجان : المحجن والعصا المنعطفة الرأس

كِتَابُ أُحْدُوثَةِ الْعَالَمِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الإِنْسَانَ جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ ، كِتَابُ أَبِي النَّجْمِ وَجَوَابِهِ ، كِتَابُ التُّفَّاحِ ، كِتَابُ الْأُنْسِ وَالسَّلْوَةِ ، كِتَابُ الْكِبْرِ الْمُسْتَحْسَنِ وَالْمُسْتَقْبَحِ ، كِتَابُ نَقْضِ الطِّبِّ ، كِتَابُ الْحَزْمِ وَالْعَزْمِ . كِتَابُ عَنَاصِرِ الْآدَابِ ، كِتَابُ تَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ فَضْلِ الْفَرَسِ ، كِتَابٌ عَلَى الْمِمْلَاجِ (١) ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ إِلَى أَبِي الْفَرَجِ بْنِ نَجَاحٍ فِي امْتِحَانِ عُقُولِ الْأَوْلِيَاءِ ، كِتَابُ رِسَالَةِ أَبِي النَّجْمِ فِي الْخَرَاجِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْقَلَمِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي فَضْلِ اتِّخَاذِ الْكُتُبِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَدْحِ النَّبِيذِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي ذَمِّ النَّبِيذِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي إِثْمِ السُّكْرِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْأَمَلِ وَالْمَأْمُولِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْحِلْيَةِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي ذَمِّ الْكُتَّابِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَدْحِ الْكُتَّابِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَدْحِ الْوُرَّاقِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي ذَمِّ الْوُرَّاقِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِيمَنْ يُسَمَّى مِنَ الشُّعَرَاءِ عَمْراً ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ الْيَتِيمَةِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي فَرْطِ جَهْلِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْكَرَمِ إِلَى

(١) المملاج بالكسر : المملج من البراذين ، أى الذلول المنقاد .

أَبِي الفَرَجِ بْنِ نَجَاحٍ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي مَوْتِ أَبِي حَرْبٍ الصَّفَّارِ الْبَصْرِيِّ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْمِيرَاثِ ، كِتَابٌ فِي الْأَسَدِ وَالذِّئْبِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي كِتَابِ الْكِيمِيَاءِ ، كِتَابُ الِاسْتِبْدَادِ وَالْمُشَاوَرَةِ فِي الْحَرْبِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الْقُضَاةِ وَالْوُلَاةِ ، كِتَابُ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْبَاقِيَةِ ، كِتَابُ رِسَالَتِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْقَوْلِيَّةِ ، كِتَابُ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ ، كِتَابُ النَّرْدِ[(١)] وَالشِّطْرَنْجِ ، كِتَابُ غِشِّ الصِّنَاعَاتِ ، كِتَابُ خُصُومَةِ الْحَوَلِ وَالْعَوَرِ ، كِتَابُ ذَوِي الْعَاهَاتِ ، كِتَابُ الْمُغَنِّينَ ، كِتَابُ أَخْلَاقِ الشُّطَّارِ[(٢)] .

وَحَدَّثَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ عَنْ خَالِهِ الْجَاحِظِ قَالَ : يَجِبُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ سَخِيًّا لَا يَبْلُغُ التَّبْذِيرَ ، شُجَاعًا لَا يَبْلُغُ الْهَوَجَ[(٣)] ، مُحْتَرِسًا لَا يَبْلُغُ الْجُبْنَ ، مَاضِيًا لَا يَبْلُغُ الْقِحَةَ[(٤)] ، قَوَّالًا لَا يَبْلُغُ الْهَذَرَ[(٥)] ، صَمُوتًا لَا يَبْلُغُ الْعِيَّ ، حَلِيمًا لَا يَبْلُغُ الذُّلَّ ،

---

(١) النرد : لعبة معروفة « الطاولة » وهي فارسية معربة . والشطرنج : بكسر أوله ولا يفتح : لعبة مشهورة ، والسين لغة فيه . وهو معرب شترنك بالفارسية . أى ستة ألوان ، وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التى يلعب بها ولكل قطعة اسم وشكل واتجاه — وهو من مخترعات الفرس — وقيل . اخترعه رجل من حكماء الهند وقدمه إلى ملكهم يلبيب ، ومن هناك تناولته الفرس (٢) الشطار جمع شاطر : من أعيا أهله خبثا ، والعامة تستعمله فى النبيه الماضى فى أموره (٣) الهوج : الحمق والطيش والتسرع (٤) القحة : بكسر القاف وفتحها : قلة الحياء (٥) الهذر : مصدر هذر كلامه : كثر فى الخطأ والباطل

مُنْتَصِراً لَا يَبْلُغُ الظُّلْمَ ، وَقُوراً لَا يَبْلُغُ الْبَلَادَةَ ، نَاقِداً لَا يَبْلُغُ الطَّيْشَ (١) ، ثُمَّ وَجَدْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَمَعَ ذَلِكَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ قَوْلُهُ : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ». فَعَلِمْنَا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ (٢) ، وَعُلِّمَ فَصْلَ الْخِطَابِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ الْبَلَخِيُّ : مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الْجَاحِظُ : عَقْلُ الْمُنْشِئِ مَشْغُولٌ ، وَعَقْلُ الْمُتَصَفِّحِ فَارِغٌ . وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ الْمُبَرِّدِ : سَمِعْتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ لِرَجُلٍ آذَاهُ : أَنْتَ وَاللهِ أَحْوَجُ إِلَى هَوَانٍ مِنْ كَرِيمٍ إِلَى إِكْرَامٍ ، وَمِنْ عِلْمٍ إِلَى عَمَلٍ ، وَمِنْ قُدْرَةٍ إِلَى عَفْوٍ ، وَمِنْ نِعْمَةٍ إِلَى شُكْرٍ .

وَقَالَ الْجَاحِظُ فِي أَبِي الْفَرَجِ نَجَاحِ بْنِ سَلَمَةَ يَسْأَلُهُ إِطْلَاقَ رِزْقِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَقَامَ بِدَارِ الْخَفْضِ رَاضٍ بِخَفْضِهِ
وَذُو الْحَزْمِ يَسْرِي حِينَ لَا أَحَدٌ يَسْرِي
يَظُنُّ الرِّضَا (٣) شَيْئاً يَسِيراً مُهَوَّناً
وَدُونَ الرِّضَى كَأْسٌ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ

(١) الطيش . الخفة والنزق (٢) جوامع الكلم . ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه
(٣) أى الحصول على ما يرضى به الانسان

سَوَاءٌ عَلَى الأَيَّامِ صَاحِبُ حُنْكَةٍ(١)
وَآخَرُ كَابٍ(٢) لَا يَرِيشُ وَلَا يَبْرِى
خَضَعْتُ لِبَعْضِ القَوْمِ أَرْجُو نَوَالَهُ
وَقَدْ كُنْتُ لَا أُعْطِى الدَّنِيَّةَ بِالقَسْرِ(٣)
فَلَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ يَبْذُلُ بِشْرَهُ
وَيَجْعَلُ حُسْنَ البِشْرِ وَاقِيَةَ الوَفْرِ(٤)
رَبَعْتُ عَلَى ظَلْعِى(٥) وَرَاجَعْتُ مَنْزِلِى
فَصِرْتُ حَلِيفاً لِلدِّرَاسَةِ وَالفِكْرِ
وَشَاوَرْتُ إِخْوَانِى فَقَالَ حَلِيمُهُمْ :
عَلَيْكَ الفَتَى المُرِّىَّ ذَا الخُلُقِ الغَمْرِ(٦)
أُعِيذُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلِ شَامِتٍ:
أَبُو الفَرَجِ المَأْمُولُ يَزْهَدُ فِى عَمْرِو
وَلَوْ كَانَ فِيهِ رَاغِبًا لَرَأَيْتَهُ
كَمَا كَانَ دَهْراً فِى الرَّخَاءِ وَفِى اليُسْرِ

---

(١) الحنكة : اسم من حنكت السن الرجل حنكا : أحكمته التجارب والأمور
(٢) كاب : اسم فاعل من كبا يكبو كبواً وكبوا : انكب على وجهه فلم يرش ولم يبر
(٣) الدنية : الشيء الحقير ، والقسر : الاكراه على الامر (٤) الوفر : الغنى والمال الكثير : يصف بعض القوم بأنه يبذل البشر ويحسن اللقاء ويتخذ من ذلك ذريعة المنع ووقاية المال . (٥) يقال للرجل : اربع على ظلعك : أى إنك ضعيف فانته عما لا تطيقه ، وكانت « ظلعى » فى الأصل : « ضلعى » .
(٦) الغمر : الواسع

أَخَافُ عَلَيْكَ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ
وَذُو الْوُدِّ مَنْخُوبُ الْفُؤَادِ مِنَ الذُّعْرِ (١)

فَإِنْ تَرْعَ وُدِّى بِالْقَبُولِ فَأَهْلُهُ
وَلَا يَعْرِفُ الْأَقْدَارَ غَيْرُ ذَوِى الْقَدْرِ

وَحَدَّثَ يَمُوتُ بْنُ الْمُزَرَّعِ قَالَ : وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ فِى السَّنَةِ الَّتِى قُتِلَ فِيهَا أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ الْجَاحِظُ مِنَ الْبَصْرَةِ فَقَالَ لِمَنْ أَرَادَ حَمْلَهُ : وَمَا يَصْنَعُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِامْرِىءٍ لَيْسَ بِطَائِلٍ ، ذِى شِقٍّ مَائِلٍ، وَلُعَابٍ سَائِلٍ ، وَفَرْجٍ بَائِلٍ ، وَعَقْلٍ حَائِلٍ (٢) ؟؟

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْجَاحِظِ فِى آخِرِ أَيَّامِهِ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ مَنْ نِصْفُهُ مَفْلُوجٌ لَوْ حُزَّ بِالْمَنَاشِيرِ مَا شَعَرَ بِهِ ، وَنِصْفُهُ الْآخَرُ مُنْقَرِسٌ (٣) لَوْ طَارَ الذُّبَابُ بِقُرْبِهِ لَآلَمَهُ ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ سِتٌّ وَتِسْعُونَ سَنَةً أَنَا فِيهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَنَا :

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ
كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ ؟

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ
دَرِيسٌ (٤) كَالْجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ

---

(١) يريد فارغ القلب من أجل الخوف ، كأنه الشيء الذى نخب لبه فصار أجوف
(٢) أى متغير (٣) منقرس : مصاب بالنقرس ، وهو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين ، وفى إبهامهما أكثر (٤) أى بال

وَقَالَ لِمُتَطَبِّبٍ يَشْكُو إِلَيْهِ عِلَّتَهُ : اصْطَلَحَتِ الْأَضْدَادُ عَلَى جَسَدِي ، إِنْ أَكَلْتُ بَارِداً أَخَذَ بِرِجْلِي ، وَإِنْ أَكَلْتُ حَارًّا أَخَذَ بِرَأْسِي .

وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ لِي الْمُعْتَزُّ بِاللهِ : يَا يَزِيدُ ، وَرَدَ الْخَبَرُ بِمَوْتِ الْجَاحِظِ ، فَقُلْتُ : لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ طُولُ الْبَقَاءِ وَدَوَامُ النَّعْمَاءِ . قَالَ : وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو شُرَاعَةَ الْقَيْسِيُّ :

فِي الْعِلْمِ لِلْعُلَمَاءِ إِنْ يَتَفَهَّمُوهُ مَوَاعِظُ
وَإِذَا نَسِيتَ وَقَدْ جَمَعْتَ عَلَا عَلَيْكَ الْحَافِظُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الظَّرْفَ دَهْراً مَا حَوَاهُ[1] اللَّافِظُ
حَتَّى أَقَامَ طَرِيقَهُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ الْجَاحِظُ
ثُمَّ انْقَضَى أَمَدٌ بِهِ وَهُوَ الرَّئِيسُ الْفَائِظُ[2]

﴿ ١٣ — عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ * ﴾

أَبُو بِشْرٍ ، وَيُقَالُ أَبُو الْحَسَنِ وَأَبُو بِشْرٍ أَشْهَرُ ، مَوْلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، ثُمَّ مَوْلَى آلِ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ الْحَارِثِيِّ ، وَسِيبَوَيْهِ لَقَبٌ وَمَعْنَاهُ رَائِحَةُ التُّفَّاحِ . يُقَالُ : كَانَتْ أُمُّهُ سيبويه النحوى

(١) أى لم يحوه أىّ لافظ بالكلام (٢) الفائظ : الميت

(*) ترجم له فى كتاب نزهة الألباء فى طبقات الأطباء ، وترجم له أيضاً فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج أول ، وترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم

تَرْقِصُهُ بِذَلِكَ فِي صِغَرِهِ . وَرَأَيْتُ ٱبْنَ خَالَوَيْهِ قَدِ ٱشْتَقَّ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ : كَانَ سِيبَوَيْهِ لَا يَزَالُ مَنْ يَلْقَاهُ يَشُمُّ مِنْهُ رَائِحَةَ الطِّيبِ فَسُمِّيَ سِيبَوَيْهِ ، وَمَعْنَى سِي : ثَلَاثُونَ ، وَبَوَى : الرَّائِحَةُ . فَكَأَنَّهُ رَأَى ثَلَاثِينَ رَائِحَةَ طِيبٍ ، وَلَمْ أَرَ أَحَداً قَالَ ذَلِكَ غَيْرَ ٱبْنِ خَالَوَيْهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَيْضَاءِ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ وَمَنْشَؤُهُ الْبَصْرَةُ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ٱبْنُ نَافِعٍ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ . وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : مَاتَ بِشِيرَازَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ . وَذَكَرَ الْخَطِيبُ أَنَّ عُمْرَهُ كَانَ ٱثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَيُقَالُ : إِنَّهُ نَيَّفَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً وَهُوَ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَوَى عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ ، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ، فَمِنْ وَفَاةِ عِيسَى إِلَى وَفَاةِ سِيبَوَيْهِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمَا يَكُونُ قَدْ أَخَذَ عَنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَعْقِلُ ، وَلَا يَعْقِلُ حَتَّى يَكُونَ بَالِغاً وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ فِي أَمَالِيهِ : قَدِمَ سِيبَوَيْهِ الْعِرَاقَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَهُوَ ٱبْنُ نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَتُوُفِّيَ وَعُمْرُهُ نَيِّفٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً بِفَارِسَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَرَأْتُ عَلَى قَبْرِ سِيبَوَيْهِ بِشِيرَازَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ وَهِيَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ يَزِيدَ الْعَدَوِيِّ :

ذَهَبَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرٍ
وَنَأَى الْمَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا[1]

تَرَكُوكَ أَوْحَشَ مَا تَكُونُ بِقَفْرَةٍ
لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةً[2] لَمْ يَدْفَعُوا

قُضِيَ الْقَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ
عَنْكَ الْأَحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا[3]

وَأَخَذَ سِيبَوَيْهِ النَّحْوَ وَالْأَدَبَ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَيُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ، وَأَبِي الْخَطَّابِ الْأَخْفَشِ، وَعِيسَى بْنِ عُمَرَ. نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ مِمَّا انْتَخَبَهُ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ فَارِسَ وَشِيرَازَ تَأْلِيفِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشِّيرَازِيِّ الْقَصَّارِ[4] : بَشِيرُ بْنُ سَعِيدٍ، وَقِيلَ: عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ابْنِ قَنْبَرٍ يُكْنَى أَبَا بِشْرٍ، « سِيبَوَيْهِ النَّحْوِيُّ » عَنِ الْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ، وَهُوَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، مَاتَ وَكَانَ عَلَى مَظَالِمِ فَارِسَ وَقَبْرُهُ فِي شِيرَازَ. لَمْ يَزِدْ فِي تَرْجَمَتِهِ عَلَى هٰذَا، وَوَرَدَ بَغْدَادَ وَنَاظَرَ بِهَا الْكِسَائِيَّ وَتَعَصَّبُوا عَلَيْهِ، وَجَعَلُوا لِلْعَرَبِ جُعْلًا، حَتَّى وَافَقُوهُ عَلَى خِلَافِهِ، وَلِذَلِكَ قِصَّةٌ ذُكِرَتْ فِيمَا بَعْدُ، وَكَانَ

(١) نأى المزار : بعد مكان الزيارة، وأقشعوا : تفرقوا (٢) القفرة والقفر : الخلاء من الأرض، والكربة : الحزن يأخذ بالنفس (٣) أى تفرقوا
(٤) القصار : محور الثياب ومبيضها، وحرفته القصارة .

سَبَبُ طَلَبِ سِيبَوَيْهِ النَّحْوَ مَاذَكَرْنَاهُ فِي أَخْبَارِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .

وَحَدَّثَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ سِيبَوَيْهِ قِيلَ لِيُونُسَ ابْنِ حَبِيبٍ : إِنَّ سِيبَوَيْهِ قَدْ أَلَّفَ كِتَاباً فِي أَلْفِ وَرَقَةٍ مِنْ عِلْمِ الْخَلِيلِ . قَالَ يُونُسُ : وَمَتَى سَمِعَ سِيبَوَيْهِ هَذَا كُلَّهُ مِنَ الْخَلِيلِ ؟ جِيئُونِي بِكِتَابِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ رَأَى كُلَّ مَا حَكَى فَقَالَ : يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ صَدَقَ عَنِ الْخَلِيلِ فِي جَمِيعِ مَا حَكَاهُ كَمَا صَدَقَ فِيمَا حَكَاهُ عَنِّي. وَذَكَرَ صَاعِدُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَيَّانِيُّ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي كِتَابِهِ قَالَ : لَا أَعْرِفُ كِتَاباً أُلِّفَ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا فَاشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ الْعِلْمِ ، وَأَحَاطَ بِأَجْزَاءِ ذَلِكَ الْفَنِّ غَيْرَ ثَلَاثَةِ كُتُبٍ ، أَحَدُهَا الْمِجَسْطِيُّ لِبَطْلَيْمُوسَ فِي عِلْمِ هَيْئَةِ الْأَفْلَاكِ ، وَالثَّانِي كِتَابُ أَرِسْطَطَالِيسَ فِي عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، وَالثَّالِثُ كِتَابُ سِيبَوَيْهِ الْبَصْرِيِّ النَّحْوِيِّ ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ لَمْ يَشِذَّ عَنْهُ مِنْ أُصُولِ فَنِّهِ شَيْءٌ إِلَّا مَالَاخَطَرَ (١) لَهُ .

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ قِرَاءَةَ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ عَلَى الْمُبَرِّدِ يَقُولُ لَهُ : أَرَكِبْتَ الْبَحْرَ ؟ تَعْظِيماً وَاسْتِصْعَاباً .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَّامٍ قَالَ : كَانَ سِيبَوَيْهِ جَالِساً فِي

---

(١) أي ما لا قدر له ولا شأن

حَلْقَتِهِ بِالْبَصْرَةِ فَتَذَاكَرْنَا شَيْئًا مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ فَذَكَرَ حَدِيثًا غَرِيبًا وَقَالَ : لَمْ يَرْوِ هَذَا إِلَّا سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْعَرُوبَةِ . فَقَالَ بَعْضُ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ : مَا هَاتَانِ الزَّائِدَتَانِ يَا أَبَا بِشْرٍ ؟ فَقَالَ هَكَذَا يُقَالُ ، لِأَنَّ الْعَرُوبَةَ هِيَ الْجُمُعَةُ ، وَمَنْ قَالَ ابْنُ عَرُوبَةَ فَقَدْ أَخْطَأَ . قَالَ ابْنُ سَلَّامٍ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِيُونُسَ فَقَالَ : أَصَابَ لِلَّهِ دَرُّهُ [١] .

وَحَدَّثَ ابْنُ النَّطَّاحِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ فَأَقْبَلَ سِيبَوَيْهِ فَقَالَ الْخَلِيلُ مَرْحَبًا بِزَائِرٍ لَا يُمَلُّ ، قَالَ : وَكَانَ كَثِيرَ الْمُجَالَسَةِ لِلْخَلِيلِ ، وَمَا سَمِعْتُ الْخَلِيلَ يَقُولُهَا لِغَيْرِهِ ، قَالَ : وَكَانَ شَابًّا جَمِيلًا نَظِيفًا .

وَحَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ الْعَلِيمِيُّ قَالَ : ذُكِرَ سِيبَوَيْهِ عِنْدَ أَبِي فَقَالَ : عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ قَدْ رَأَيْتُهُ وَكَانَ حَدَثَ السِّنِّ ، كُنْتُ أَسْمَعُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَنَّهُ أَثْبَتُ مَنْ حَمَلَ عَنِ الْخَلِيلِ ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَتَكَلَّمُ وَيُنَاظِرُ فِي النَّحْوِ وَكَانَتْ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةٌ [٢] ، وَنَظَرْتُ فِي كِتَابِهِ فَرَأَيْتُ عِلْمَهُ أَبْلَغَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ وَالْمُبَرِّدُ وَثَعْلَبٌ وَجَمَعْتُ بَيْنَ أَقَاوِيلِهِمْ وَحَذَفْتُ التَّكْرَارَ قَالُوا :

---

(١) لله دره : كلمة تقال فى التعجب ، والدر : اللبن ، أى لله لبن غذاه فنشأه

(٢) الحبسة بالضم ، تعذر الكلام عند إرادته

قَدِمَ سِيبَوَيْهِ إِلَى الْعِرَاقِ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ فَقَالَ : جِئْتُ لِتَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِسَائِيِّ ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّهُ شَيْخُ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَقَارِئُهَا ، وَمُؤَدِّبُ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكُلُّ مَنْ فِي الْمِصْرِ لَهُ وَمَعَهُ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَعَرَّفَ الرَّشِيدَ خَبَرَهُ ، فَأَمَرَهُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فَوَعَدَهُ بِيَوْمٍ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ غَدَا سِيبَوَيْهِ وَحْدَهُ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ ، فَوَجَدَ الْفَرَّاءَ وَالْأَحْمَرَ وَهِشَامَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ سَعْدَانَ قَدْ سَبَقُوهُ ، فَسَأَلَهُ الْأَحْمَرُ عَنْ مِائَةِ مَسْأَلَةٍ فَمَا أَجَابَهُ عَنْهَا بِجَوَابٍ إِلَّا قَالَ أَخْطَأْتَ يَا بَصْرِيُّ ، فَوَجَمَ[1] سِيبَوَيْهِ وَقَالَ : هَذَا سُوءُ أَدَبٍ ، وَوَافَى الْكِسَائِيُّ وَقَدْ شَقَّ أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ : يَا بَصْرِيُّ ، كَيْفَ تَقُولُ : خَرَجْتُ وَإِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ ؟ قَالَ : خَرَجْتُ وَإِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، قَالَ : فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ : خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَائِمًا قَالَ لَا ، قَالَ الْكِسَائِيُّ : فَكَيْفَ تَقُولُ قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَقْرَبَ أَشَدُّ لَسْعَةً مِنَ الزُّنْبُورِ ، فَإِذَا هُوَ هِيَ ، أَوْ فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا ؟ فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : فَإِذَا هُوَ هِيَ ، وَلَا يَجُوزُ النَّصْبُ . فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : لَحَنْتَ ، وَخَطَّأَهُ الْجَمِيعُ . وَقَالَ

(١) وجم وجوماً : سكت على غيظ

الْكِسَائِيُّ : الْعَرَبُ تَرْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَتَنْصِبُهُ ، وَدَفَعَ[١] سِيبَوَيْهِ قَوْلَهُ فَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : قَدِ اخْتَلَفْتُمَا وَأَنْتُمَا رَئِيسَا بَلَدَيْكُمَا ، فَمَنْ يَحْكُمُ بَيْنَكُمَا وَهَذَا مَوْضِعٌ مُشْكِلٌ ؟ . فَقَالَ الْكِسَائِيُّ : هَذِهِ الْعَرَبُ بِبَابِكَ ، قَدْ جَمَعْتَهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَوَفَدَتْ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ صُقْعٍ ، وَهُمْ فُصَحَاءُ النَّاسِ وَقَدْ قَنِعَ بِهِمْ أَهْلُ الْمِصْرَيْنِ ، وَسَمِعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ مِنْهُمْ فَيُحْضَرُونَ وَيُسْأَلُونَ ، فَقَالَ يَحْيَى وَجَعْفَرٌ : قَدْ أَنْصَفْتَ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ فَدَخَلُوا وَفِيهِمْ أَبُو فَقْعَسٍ ، وَأَبُو دِثَارٍ ، وَأَبُو ثَرْوَانَ ، فَسُئِلُوا عَنِ الْمَسَائِلِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُمَا فَتَابَعُوا الْكِسَائِيَّ ، فَأَقْبَلَ يَحْيَى عَلَى سِيبَوَيْهِ فَقَالَ : قَدْ تَسْمَعُ أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟ فَانْصَرَفَ الْمَجْلِسُ عَلَى سِيبَوَيْهِ[٢] ، وَأَعْطَاهُ يَحْيَى عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَصَرَفَهُ ، فَخَرَجَ وَصَرَفَ وَجْهَهُ تِلْقَاءَ فَارِسَ ، وَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى مَاتَ غَمًّا بِالذَّرَبِ[٣] ، وَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيراً وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَصْرَةِ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ : وَأَصْحَابُ سِيبَوَيْهِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْجَوَابَ كَمَا قَالَ سِيبَوَيْهِ ، وَهُوَ فَإِذَا هُوَ هِيَ ، أَيْ فَإِذَا هُوَ مِثْلُهَا ، وَهَذَا مَوْضِعُ رَفْعٍ

(١) أى رده (٢) أى حاكما بغلبة الكسائى عليه (٣) الذرب كالذرابة والذروبة : فساد المعدة وصلاحها ضد ، والمرض الذى لا يبرأ

وَلَيْسَ بِمَوْضِعِ نَصْبٍ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَنْتَ تَقُولُ: خَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ وَقَائِمًا فَتَنْصِبُ قَائِمًا، فَلِمَ لَمْ يَجُزْ فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا؟ لِأَنَّ إِيَّا لِلْمَنْصُوبِ وَهِيَ لِلْمَرْفُوعِ؟ وَالْجَوَابُ فِي هَذَا أَنَّ قَائِمًا انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ وَهُوَ نَكِرَةٌ، وَإِيَّا مَعَ مَا بَعْدَهَا مِمَّا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ مَعْرِفَةٌ، وَالْحَالُ لَا تَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً فَبَطَلَ إِيَّاهَا، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هِيَ وَهُوَ خَبَرُ الِابْتِدَاءِ، وَخَبَرُ الِابْتِدَاءِ يَكُونُ مَعْرِفَةً وَنَكِرَةً، وَالْحَالُ لَا يَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً، فَكَيْفَ تَقَعُ إِيَّاهَا وَهِيَ مَعْرِفَةٌ فِي مَوْضِعٍ مَا لَا يَكُونُ إِلَّا نَكِرَةً؟ وَهَذَا مَوْضِعُ الرَّفْعِ. وَقَدْ قَالَ أَصْحَابُ سِيبَوَيْهِ: الْأَعْرَابُ الَّذِينَ شَهِدُوا لِلْكِسَائِيِّ مِنْ أَعْرَابِ الْحُطَمِيَّةِ[1] الَّذِينَ كَانَ الْكِسَائِيُّ يَقُومُ بِهِمْ وَيَأْخُذُ عَنْهُمْ.

وَلَمَّا مَرِضَ سِيبَوَيْهِ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ:

يُؤَمِّلُ دُنْيَا لِتَبْقَى لَهُ ... فَمَاتَ الْمُؤَمِّلُ قَبْلَ الْأَمَلْ

حَثِيثًا يُرَوِّى أُصُولَ النَّخِيلِ

فَعَاشَ الْفَسِيلُ[2] وَمَاتَ الرَّجُلْ

(١) قرية على فرسخ من بغداد منسوبة إلى السرى بن الحطم أحد القواد ، فى الأصل « الحطمة » لحرفة . (٢) حثيثاً : مسرعا ، والفسيل : النخل الصغير يقطع من أمه فيغرس ، وكل عود يقطع من شجرته فيغرس واحده فسيلة

قَالُوا : وَلَمَّا اعْتَلَّ سِيبَوَيْهِ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ أَخِيهِ فَبَكَى أَخُوهُ لَمَّا رَآهُ لِمَا بِهِ ، فَقَطَرَتْ مِنْ عَيْنِهِ قَطْرَةٌ عَلَى وَجْهِ سِيبَوَيْهِ فَفَتَحَ عَيْنَهُ فَرَآهُ يَبْكِي فَقَالَ :

أُخَيَّيْنِ(١) كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى، وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَا ؟

وَحَدَّثَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ قَالَ : قَالَ ثَعْلَبٌ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ : مَاتَ الْفَرَّاءُ وَتَحْتَ رَأْسِهِ كِتَابُ سِيبَوَيْهِ فَعَارَضَهُ أَبُو مُوسَى الْحَامِضُ بِمَا قَدْ كَتَبْنَاهُ فِي أَخْبَارِهِ .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّارِيخِيُّ فِيمَا رَوَاهُ عَنْ ثَعْلَبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَخْفَشُ أَنَّهُ قَرَأَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ عَلَى الْكِسَائِيِّ فِي جُمُعَةٍ فَوَهَبَ لَهُ سَبْعِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يَقُولُ لِي : هَذَا الْحَرْفُ لَمْ أَسْمَعْهُ فَاكْتُبْهُ لِي فَأَفْعَلُ . قَالَ: وَكَانَ الْأَخْفَشُ يُؤَدِّبُ وَلَدَ الْكِسَائِيِّ .

قَالَ التَّارِيخِيُّ : فَكَأَنَّ الْجَاحِظَ سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ فَقَالَ مِمَّا يَعُدُّهُ مِنْ فَخْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ : وَهَؤُلَاءِ يَأْتُونَكُمْ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ وَبِسِيبَوَيْهِ الَّذِي اعْتَمَدْتُمْ عَلَى كُتُبِهِ

---

(١) مثنى مصغر أخ ، والأمد الأقصى : الأبعد ، والمراد إلى قيام الساعة .

وَجَحَدْتُمْ فَضْلَهُ . وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ أَيْضاً وَهَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتُ ، قَالَ هَارُونُ : دَخَلَ الْجَاحِظُ عَلَى أَبِي وَقَدِ افْتُصِدَ[1] فَقَالَ لَهُ : ـ أَدَامَ اللهُ صِحَّتَكَ ـ ، وَوَصَلَ غِبْطَتَكَ ، وَلَا سَلَبَكَ نِعْمَتَكَ . قَالَ : مَا أَهْدَيْتَ لِي يَا أَبَا عُثْمَانَ ؟ قَالَ: أَطْرَفَ شَيْءٍ ، كِتَابَ سِيبَوَيْهِ بِخَطِّ الْكِسَائِيِّ وَعَرْضِ الْفَرَّاءِ[2] . وَقَالَ التَّارِيخِيُّ : قَالَ الْجَاحِظُ: أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَفَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ أُهْدِيهِ لَهُ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَشْرَفَ مِنْ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَرَدْتُ أَنْ أُهْدِيَ لَكَ شَيْئاً فَفَكَّرْتُ فَإِذَا كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ ، فَلَمْ أَرَ أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، وَهَذَا كِتَابٌ اشْتَرَيْتُهُ مِنْ مِيرَاثِ الْفَرَّاءِ قَالَ : وَاللهِ مَا أَهْدَيْتَ إِلَيَّ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ .

وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ عَنِ الْمُبَرِّدِ عَنِ الزُّرَارِيِّ أَبِي زَيْدٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِسَمَّاكٍ بِالْبَصْرَةِ : بِكَمْ هَذِهِ السَّمَكَةُ ؟ قَالَ : « بِدِرْهَمَانِ » : فَضَحِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ السَّمَّاكُ : وَيْلَكَ أَنْتَ أَحْمَقُ ، سَمِعْتُ سِيبَوَيْهِ يَقُولُ : ثَمَنُهَا دِرْهَمَانِ .

وَحَدَّثَ عَنِ الْمُبَرِّدِ عَنِ الْمَازِنِيِّ عَنِ الْجَرْمِيِّ قَالَ : فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ أَلْفٌ وَخَمْسُونَ بَيْتاً سَأَلْتُ عَنْهَا فَعُرِفَ أَلْفٌ وَلَمْ

(١) افتصد : مجهول افتصد له العرق : شقه مداواة (٢) أى مقابلته

تُعْرَفُ خَمْسُونَ . وَحُدِّثْتُ عَنِ النَّظَّامِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى سِيبَوَيْهِ فِى مَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا بِشْرٍ ؟ قَالَ : أَجِدُنِى تَرْحَلُ الْعَافِيَةُ عَنِّى بِانْتِقَالٍ ، وَأَجِدُ الدَّاءَ يُخَامِرُنِى بِحُلُولٍ ، غَيْرَ أَنِّى وَجَدْتُ الرَّاحَةَ مُنْذُ الْبَارِحَةِ . قُلْتُ : فَمَا تَشْتَهِى ؟ قَالَ : أَشْتَهِى أَنْ أَشْتَهِىَ[1] . فَلَمَّا كَانَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ دَخَلْتُ إِلَيْهِ وَأَخُوهُ يَبْكِى وَقَدْ قَطَرَتْ مِنْ دُمُوعِهِ قَطْرَةٌ عَلَى خَدِّهِ فَقُلْتُ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ فَقَالَ :

يَسُرُّ الْفَتَى مَا كَانَ قَدَّمَ مِنْ تُقًى
إِذَا عَرَفَ الدَّاءَ الَّذِى هُوَ قَاتِلُهْ

قَالَ النَّظَّامُ : ثُمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ . وَحَدَّثَ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِىُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْأَصْمَعِىِّ فِى مَرَضِهِ الَّذِى مَاتَ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ خَبَرِهِ ثُمَّ قُلْتُ : كَمْ سَنَةٍ مَضَتْ مِنْ عُمُرِكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِى ، وَلَكِنِّى أُحَدِّثُكَ : كُنْتُ شَابًّا مُقْتَبَلًا[2] ، فَتَزَوَّجْتُ فَوُلِدَ لِى وَوُلِدَ لِأَوْلَادِى وَأَنَا حَىٌّ ثُمَّ أَنْشَدَ :

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا
وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا
فَهِىَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

(١) يرجو أن يعود إليه قدر من الصحة يجعله يشتهى الأشياء

(٢) يقال رجل مقتبل الشباب بالفتح : لم يظهر فيه أثر كبر

فقلتُ لهُ : فى نفسى شىءٌ أُريدُ أنْ أسألكَ عنهُ . قالَ : سلْ . فقلتُ: حدّثنى بما جرى بينكَ وبينَ سيبويهِ منَ المُناظرةِ . فقالَ :واللهِ لولا أنّى لا أرجو الحياةَ منْ مرضى هذهِ ماحدّثتكَ، إنهُ عرضَ عليَّ شىءٌ منَ الأبياتِ التى وضعها سيبويهِ فى كتابهِ ففسّرتها على خلافِ ما فسّرهُ ، فبلغَ ذلكَ سيبويهِ فبلغنى أنهُ قالَ: لا ناظرتهُ إلّا فى المسجدِ الجامعِ ، فصلّيتُ يوماً فى الجامعِ ثمّ خرجتُ فتلقّانى فى المسجدِ فقالَ لى : اجلسْ ياأبا سعيدٍ ، ما الّذى أنكرتَ منْ بيتِ كذا وبيتِ كذا ؟ ولِمَ فسّرتَ على خلافِ ما يجبُ ؟ . فقلتُ لهُ : ما فسّرتُ إلّا على ما يجبُ ، والّذى فسّرتهُ أنتَ ووضعتهُ خطأٌ ، تسألنى وأُجيبُ . ورفعتُ صوتى فسمعَ العامّةُ فصاحتى ، ونظروا إلى لُكنتهِ[1] فقالوا : لوْ غلبَ الأصمعيُّ سيبويهِ ، فسرّنى ذلكَ ، فقالَ لى : إذا علمتَ أنتَ يا أصمعيُّ ما نزلَ بكَ منّى لمْ ألتفتْ إلى قولِ هؤلاءِ ، ونفضَ يدهُ فى وجهى ومضى . ثمّ قالَ الأصمعيُّ: يا بُنيَّ ، فواللهِ لقدْ نزلَ بى منهُ شىءٌ وددتُ أنّى لمْ أتكلّمْ فى شىءٍ منَ العلمِ .

وعنْ أبى عُثمانَ المازنىِّ قالَ : حدّثنى الأخفشُ قالَ : حضرتُ مجلسَ الخليلِ فجاءهُ سيبويهِ فسألهُ عنْ مسألةٍ

---

(١) يقال فلان ألكن : لايقيم العربية لعجمة فى لسانه

وَفَسَّرَهَا لَهُ الْخَلِيلُ فَلَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَا ، فَقُمْتُ وَجَلَسْتُ لَهُ فِي الطَّرِيقِ فَقُلْتُ لَهُ : جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ، سَأَلْتَ الْخَلِيلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ أَفْهَمْ مَا رَدَّ عَلَيْكَ فَفَهِّمْنِيهِ ، فَأَخْبَرَنِي بِهَا فَلَمْ تَقَعْ لِي وَلَا فَهِمْتُهَا فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَتَوَهَّمْ أَنِّي أَسْأَلُكَ إِعْنَاتاً فَإِنِّي لَمْ أَفْهَمْهَا وَلَمْ تَقَعْ لِي . فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ، وَمَتَى تَوَهَّمْتَ أَنِّي أَتَوَهَّمُ أَنَّكَ تُعْنِتُنِي[1] ، ثُمَّ زَجَرَنِي وَتَرَكَنِي وَمَضَى .

وَحَدَّثَ الْمَازِنِيُّ قَالَ : قَالَ الْأَخْفَشُ : كُنْتُ عِنْدَ يُونُسَ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَقْبَلَ سِيبَوَيْهِ فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ . قَالَ : فَجَاءَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : كَيْفَ تَقُولُ مَرَرْتُ بِهِ الْمِسْكِينِ ، فَقَالَ: جَائِزٌ أَنْ أَجُرَّهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْهَاءِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ : فَمَرَرْتُ بِهِ الْمِسْكِينُ عَلَى مَعْنَى : الْمِسْكِينُ مَرَرْتُ بِهِ ، فَقَالَ : هَذَا خَطَأٌ لِأَنَّ الْمُضْمَرَ قَبْلَ الظَّاهِرِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْخَلِيلَ أَجَازَ ذَلِكَ وَأَنْشَدَ فِيهَا أَبْيَاتاً فَقَالَ : هُوَ خَطَأٌ فَغَمَّنِي ذَلِكَ[2] . قَالَ فَمَرَرْتُ بِهِ الْمِسْكِينَ ، فَقَالَ جَائِزٌ ، فَقَالَ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يُنْصَبُ ؟ فَقَالَ : عَلَى الْحَالِ . فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : أَلَيْسَ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ الْحَالَ لَا تَكُونُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ ؟ . فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ . ثُمَّ قَالَ

(١) أعنته إعناتا : ألزمه ما يصعب عليه أداؤه . (٢) الواقع أن الرفع جائز ، فان من مواضع حذف المبتدإ وجوبا دلالة الخبر على مدح أو ذم أو ترحم ، فيكون المسكين من هذا القبيل ، فهو مرفوع على أنه خبر بتقدير هو

لِسِيبَوَيْهِ : فَمَا قَالَ صَاحِبُكَ فِيهِ ؟ يَعْنِي الْخَلِيلَ ، فَقَالَ سِيبَوَيْهِ : قَالَ لِي : إِنَّهُ يُنْصَبُ عَلَى التَّرَحُّمِ (١) ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا وَرَأَيْتُهُ مَغْمُومًا بِقَوْلِهِ : نَصَبْتُهُ عَلَى الْحَالِ .

﴿ ١٤ – عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صُولِ بْنِ صُولٍ * ﴾

عمرو بن مسعدة الصولى

الصُّولِيُّ ، كُنْيَتُهُ أَبُو الْفَضْلِ ، مِنْ جِلَّةِ كُتَّابِ الْمَأْمُونِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبَرَاعَةِ وَالشِّعْرِ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ الْجَهْشِيَارِيُّ : أَنَّ مَسْعَدَةَ كَانَ مَوْلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيِّ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ لِخَالِدٍ وَكَانَ بَلِيغًا كَاتِبًا ، مَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ . وَكَانَ مَسْعَدَةُ مِنْ كُتَّابِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَهُ لِأَبِي أَيُّوبَ وَزِيرِ الْمَنْصُورِ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ .

قَالَ الصُّولِيُّ : قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : كَانَ لِمَسْعَدَةَ أَرْبَعَةُ بَنِينَ : مُجَاشِعٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلِمْتَ يَا مُجَاشِعُ بْنَ مَسْعَدَهْ ... أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَهْ
مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ

(١) يريد بالترحم الاشارة إلى قاعدة وهي : أن النصب المقطوع ينصب بفعل محذوف تقديره أترحم ، كما أن مثل هذا الضم على أنه خبر لمبتدإ محذوف ، وكانت هذه الكلمة فى الأصل : « الترخيم »

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

وَمَسْعُودٌ ، وَعَمْرٌو ، وَمُحَمَّدٌ . وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ يَوْمًا لِكُتَّابِهِ : اُكْتُبُوا لِي تَعْظِيمَ الإِسْلَامِ ؛ قَالَ : فَبَدَرَ (١) مَسْعَدَةُ فَكَتَبَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَظَّمَ الإِسْلَامَ وَاخْتَارَهُ ، وَأَوْضَحَهُ وَأَنَارَهُ (٢) ، وَأَعَزَّهُ وَأَنَافَهُ (٣) ، وَشَرَّفَهُ وَأَكْمَلَهُ ، وَتَمَّمَهُ وَفَضَّلَهُ ، وَأَعَزَّهُ وَرَفَعَهُ ، وَجَعَلَهُ دِينَهُ الَّذِي أَحَبَّهُ وَاجْتَبَاهُ (٤) ، وَاسْتَخْلَصَهُ وَارْتَضَاهُ ، وَاخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ ، وَجَعَلَهُ الدِّينَ الَّذِي تَعْتَدُّ (٥) بِهِ مَلَائِكَتُهُ ، وَأَرْسَلَ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ أَنْبِيَاءَهُ ، وَهَدَى لَهُ مَنْ أَرَادَ إِكْرَامَهُ وَإِسْعَادَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ » ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : « وَمَنْ يَبْتَغِ (٦) غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » . وَقَالَ : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ » . فَبِهَذَا الإِسْلَامِ وَالدُّخُولِ فِيهِ وَالْعِلْمِ بِهِ ، وَأَدَاءِ شَرَائِعِهِ ، وَالْقِيَامِ بِفُرُوضَاتِهِ ، وَصَلَتْ مَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَجِوَارِهِ فِي جَنَّتِهِ ، وَبِهِ تَحَرَّزُوا (٧) مِنْ غَضَبِهِ وَعُقُوبَتِهِ ، وَأَمِنُوا نَكَالَ (٨) عَذَابِهِ وَسَطْوَتِهِ . فَقَالَ

(١) أى فعجل واستبق (٢) أناره : أضاءه وحسنه وأظهره بما فيه من الخير لأهله دنيا وآخرة (٣) أنافه : أعلاه ورفعه (٤) اجتباه : اختاره
(٥) تعتد به ملائكته : تعده وتلتفت إليه ، ويقال فى عكسه : هذا شىء لا يعتد به : لا يعتد ولا يلتفت إليه (٦) ومن يبتغ : ومن يطلب (٧) تحرزوا : تحصنوا وتوقوا
(٨) النكال : اسم من نكلت به : جعلت غيره يحذر أن يفعل مثل فعله ، أى اسم ما يكون عبرة للغير

المَنْصُورُ: حَسْبُكَ يا مَسْعَدَةُ، اجْعَلْ هَذَا صَدْرَ الكِتَابِ إِلَى أَهْلِ الجَزِيرَةِ بِالإِعْذَارِ[1] وَالإِنْذَارِ. وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ: فَفَضْلُهُ شَائِعٌ، وَنُبْلُهُ ذَائِعٌ، أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ، أَوْ يُدَلَّ بِالوَصْفِ إِلَيْهِ، قَدْ وَلِيَ لِلْمَأْمُونِ الأَعْمَالَ الجَلِيلَةَ، وَأُلْحِقَ بِذَوِي المَرَاتِبِ النَّبِيلَةِ، وَسَمَّاهُ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ وَزِيرًا لِعِظَمِ مَنْزِلَتِهِ، لَا لِأَنَّهُ كَانَ وَزِيرًا وَهُوَ قَوْلُهُ:

لَقَدْ أَسْعَدَ اللهُ الوَزِيرَ ابْنَ مَسْعَدَهْ
وَبَثَّ لَهُ[2] فِي النَّاسِ شُكْرًا وَمَحْمَدَهْ

فِي أَبْيَاتٍ. حَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الزَّيْدِيُّ قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ أَبْيَضَ أَحْمَرَ الوَجْهِ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ صُولٍ الأَكْبَرِ جَدِّ مُحَمَّدِ بْنِ صُولِ بْنِ صُولٍ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَصْلَهُمْ فِي أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ العَبَّاسِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ، وَكَانَ المَأْمُونُ يُسَمِّيهِ الرُّومِيَّ لِبَيَاضِ وَجْهِهِ. وَوَصَفَ الفَضْلُ ابْنُ سَهْلٍ بَلَاغَةَ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ: هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ، وَمِنْ بَلَاغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ إِذَا سَمِعَ كَلَامَهُ ظَنَّ أَنَّهُ يَكْتُبُ مِثْلَهُ، فَإِذَا رَامَهُ بَعُدَ عَلَيْهِ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى: مَا حَدُّ البَلَاغَةِ؟ فَقَالَ: الَّتِي إِذَا سَمِعَهَا الجَاهِلُ ظَنَّ أَنَّهُ يَقْدِرُ

(١) الاعذار مصدر أعذر فلانا: رفع عن نفسه اللوم فى الذنب، وأوجب لنفسه العذر فى الايقاع به، والانذار: الاعلام والتحذير من المخالفة (٢) أى نشر له

عَلَى مِثْلِهَا ، فَإِذَا رَامَهَا اُسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ .

وَحَدَّثَ الْعَبَّاسُ بْنُ رُسْتُمٍ قَالَ : كَانَ لِعَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ فَرَسٌ أَدْهَمُ أَغَرُّ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ فَرَاهَةً وَحُسْنًا فَبَلَغَ الْمَأْمُونَ خَبَرُهُ ، وَبَلَغَ عَمْرَو بْنَ مَسْعَدَةَ ذَلِكَ ، فَخَافَ أَنْ يَأْمُرَ بِقَوْدِهِ إِلَيْهِ فَلَا يَكُونَ لَهُ فِيهِ مَحْمَدَةٌ ، فَوَجَّهَ بِهِ إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَكَتَبَ مَعَهُ :

يَا إِمَامًا لَا يُدَانِيـــهِ إِذَا عُدَّ إِمَامُ
فَضَلَ النَّاسَ كَمَا يَفْـــضُلُ نُقْصَانًا تَمَامُ
قَدْ بَعَثْنَا بِجَوَادٍ مِثْلُهُ لَيْسَ يُرَامُ
فَرَسٌ يَزْهَى [١] بِهِ لِلْـ حُسْنِ سَرْجٌ وَلِجَامُ
دُونَهُ الْخَيْلُ كَمَا دُو نَكَ [٢] فِي الْفَضْلِ الْأَنَامُ
وَجْهُهُ صُبْحٌ وَلَكِنْ سَائِرُ الْجِسْمِ ظَلَامُ
وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْمَوْ لَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامُ

وَكَتَبَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكَ مِمَّنْ إِذَا غَرَسَ سَقَى ، وَإِذَا أَسَّسَ بَنَى ، لِيَسْتَتِمَّ تَشْيِيدَ أُسِّهِ ، وَيَجْتَنِيَ ثِمَارَ غَرْسِهِ ، وَثَنَاؤُكَ عِنْدِي قَدْ شَارَفَ الدُّرُوسَ ، وَغَرْسُكَ مُشْفٍ [٣] عَلَى الْيُبُوسِ ، فَتَدَارَكْ بِنَاءَ مَا أَسَّسْتَ ،

---

(١) هذا الفرس لحسنه يزهى به السرج واللجام (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « مثلك » (٣) أى مشرف

وَسَقَى مَا غَرَسْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ رُفِعَ إِلَى الْمَأْمُونِ أَنَّهُ خَلَّفَ ثَمَانِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَوَقَّعَ عَلَى الرُّقْعَةِ : هَذَا قَلِيلٌ لِمَنِ اتَّصَلَ بِنَا وَطَالَتْ خِدْمَتُهُ لَنَا ، فَبَارَكَ اللهُ لِوَلَدِهِ فِيهِ . وَعَمْرٌو الْقَائِلُ فِي رِوَايَةِ الْمَرْزُبَانِيِّ :

وَمُسْتَعْذِبٍ لِلْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْذَبُ
أُكَاتِمُهُ حُبِّي فَيَنْأَى وَأَقْرُبُ
إِذَا جُدْتُ مِنِّي بِالرِّضَا جَادَ بِالْجَفَا
وَيَزْعُمُ أَنِّي مُذْنِبٌ وَهُوَ أَذْنَبُ
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ هَجْرِهِ
وَعَلَّمَهُ حُبِّي لَهُ كَيْفَ يَغْضَبُ
وَلِي غَيْرُ وَجْهٍ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ
وَلَـكِنْ بِلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟

قَالَ : وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ مُتَنَازَعَانِ (١)

﴿ ١٥ — عَمْرُو بْنُ كَرْكَرَةَ أَبُو مَالِكٍ الْأَعْرَابِيُّ * ﴾

عمرو بن كركرة الأعرابى

كَانَ يُعَلِّمُ بِالْبَادِيَةِ وَوَرَّقَ (٢) فِي الْحَضْرَةِ ، وَهُوَ مَوْلَى

---

(١) أقول : ليس فيهما من تنازع ما دام لا يستطيع الذهاب إلى أى وجه يراه غير الرضا لتخلف قلبه عنه إذا حاول . (٢) ورق الرجل : كثر ماله ودراهمه ، والحضرة : المدينة خلاف البادية

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول وترجم له أيضاً فى كتاب بغية الوعاة

بَنِي سَعْدٍ ، وَكَانَ رَاوِيَةَ أَبِي الْبَيْدَاءِ ، يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ لُغَةَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ بَصْرِيَّ الْمَذْهَبِ ، وَكَانَ أَحَدَ الطَّيِّبَاتِ . قَالَ الْجَاحِظُ : كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَيَقُولُ : إِنَّ فِرْعَوْنَ عِنْدَ اللهِ أَكْرَمُ مِنْ مُوسَى ، وَكَانَ يَلْتَقِمُ الْحَارَّ الْمُمْتَنِعَ فَلَا يُؤْذِيهِ ، وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، كِتَابُ الْخَيْلِ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : كَانَ ابْنُ مُنَاذِرٍ يَقُولُ : كَانَ الْأَصْمَعِيُّ يُجِيبُ فِي ثُلُثِ اللُّغَةِ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُجِيبُ فِي نِصْفِهَا ، وَكَانَ أَبُو زَيْدٍ يُجِيبُ فِي ثُلُثَيْهَا ، وَكَانَ أَبُو مَالِكٍ يُجِيبُ فِيهَا كُلِّهَا ، وَإِنَّمَا عَنَى ابْنُ مُنَاذِرٍ تَوَسُّعَهُمْ فِي الرِّوَايَةِ وَالْفُتْيَا ، لِأَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ يُضَيِّقُ وَلَا يُجَوِّزُ إِلَّا أَصَحَّ اللُّغَاتِ ، وَيُلِحُّ فِي ذَلِكَ وَيَمْحَكُ(١) ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يُجِيبُ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَعَلَى هَذَا يَزِيدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَهُ قِصَّةٌ فِي أَخْبَارِ ابْنِ مُنَاذِرٍ فِي كِتَابِ الشُّعَرَاءِ مِنْ تَصْنِيفِنَا .

---

(١) يمحك : يتمادى فى اللجاجة

١٦ – عَنْبَسَةُ بْنُ مَعْدَانَ الْفِيلِ *

عنبسة بن معدان الفيل

أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ وَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ أَخَذَ النَّحْوَ أَبْرَعُ مِنْهُ. وَأَمَّا مَعْنَى تَسْمِيَتِهِ بِمَعْدَانَ الْفِيلِ: فَحَدَّثَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّارِيخِيُّ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ السِّكِّيتِ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مَالِكٍ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ يُوسُفُ: وَحَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: كَانَتْ لِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ فِيلَةٌ يُنْفِقُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ. فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ يُقَالُ لَهُ مَعْدَانُ فَقَالَ: ادْفَعُوهَا إِلَيَّ وَأَكْفِيكُمُ الْمَئُونَةَ، وَأُعْطِيكُمْ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ كُلَّ يَوْمٍ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ فَأَثْرَى وَابْتَنَى قَصْراً، وَنَشَأَ لَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ عَنْبَسَةُ، فَرَوَى الْأَشْعَارَ وَظَرُفَ وَفَصُحَ، وَرَوَى شِعْرَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ وَانْتَمَى إِلَى بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ فَقِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ: هَهُنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ يَرْوِي شِعْرَ جَرِيرٍ وَيُفَضِّلُهُ عَلَيْكَ وَوَصَفُوا لَهُ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لَا أَعْرِفُهُ، فَأَرُونِي دَارَهُ فَأَرَوْهُ فَقَالَ: هَذَا ابْنُ مَعْدَانَ الْمَيْسَانِيُّ ثُمَّ قَصَّ قِصَّتَهُ وَقَالَ:

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج أول ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانَ وَالفِيلِ زَاجِرٌ

لِعَنْبَسَةَ الرَّاوِي عَلَيَّ القَصَائِدَا

فَرُوِيَ البَيْتُ بِالْبَصْرَةِ ، وَلَقِيَ عَنْبَسَةُ أَبَا عُيَيْنَةَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ أَبُو عُيَيْنَةَ : مَا أَرَادَ الفَرَزْدَقُ بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانَ وَالفِيلِ زَاجِرٌ؟

فَقَالَ : إِنَّمَا قَالَ : لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانَ وَاللُّؤْمِ زَاجِرٌ . فَقَالَ أَبُو عُيَيْنَةَ : وَأَبِيكَ إِنَّ شَيْئاً فَرَرْتَ مِنْهُ إِلَى اللُّؤْمِ لَعَظِيمٌ . قَالَ التَّارِيخِيُّ : فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَباً فَسُرَّ بِهِ وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَهُ لَهُ ، فَكَتَبْتُهُ لَهُ وَالْحَدِيثُ عَلَى لَفْظِ مُسْلِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ .

﴿ ١٧ — عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ بْنِ عِيَاضِ بْنِ وَزَرٍ * ﴾

ابْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي حِصْنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ عَامِرِ ابْنِ النُّعْمَانِ . كَانَ عَالِماً بِالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ ثِقَةً ، رَوَى عَنْهُ الْأَصْمَعِيُّ وَالْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْعِلْمِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي كِتَابِ الْمَثَالِبِ : يُقَالُ فِي الْحَكَمِ بْنِ عَوَانَةَ الْكَلْبِيِّ : إِنَّ أَبَاهُ كَانَ عَبْداً خَيَّاطاً ادُّعِيَ بَعْدَ مَا احْتَلَمَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَمَةً سَوْدَاءَ لِآلِ أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الْأَسَدِيِّ ، وَلَهُ

عوانة بن الحكم

(*) ترجم له في فهرست ابن النديم

إِخْوَةٌ مَوَالٍ ، قَالَ فِي ذَلِكَ ذُو الرُّمَّةِ :

أَلِكْنِي (١) فَإِنِّي مُرْسِلٌ بِرِسَالَةٍ
إِلَى حَكَمٍ مِنْ غَيْرِ حُبٍّ وَلَا قُرْبِ
فَلَوْ كُنْتَ مِنْ كَلْبٍ صَمِيماً هَجَوْتُهَا
وَلَكِنْ لَعَمْرِي لَا إِخَالُكَ مِنْ كَلْبِ
وَلَكِنَّمَا أُخْبِرْتُ أَنَّكَ مُلْصَقٌ (٢)
كَمَا أُلْصِقَتْ مِنْ غَيْرِهِ ثُلْمَةُ الْقَعْبِ (٣)
تَدَهْدَى نَخَرَّتْ ثُلْمَةٌ مِنْ صَحِيحِهِ
فَلُزَّ بِأُخْرَى بِالْغِرَاءِ وَبِالشَّعْبِ (٤)

حَدَّثَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : أَنْشَدَنِي ذُو الرُّمَّةِ شِعْراً وَعَوَانَةُ ابْنُ الْحَكَمِ حَاضِرٌ ، فَعَابَ شَيْئاً مِنْهُ فَقَالَ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الْمُتَقَدِّمَةَ . قَالَ : وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ : وَقَالَ عِيَاضُ ابْنُ وَزَرٍ فِي ابْنِهِ عَوَانَةَ :

عَجَباً عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ لَمْ يَرْشُدُوا
جَعَلُوا عَوَانَةَ لِي بِغَيْبٍ إِبْنَمَا (٥)

(١) ألكنى إلى فلان : أى أبلغه عنى . (٢) الملصق : الدعى
(٣) القعب بالفتح : القدح ، وثلمته : فرجته وفتحته التى يصب منها الماء
(٤) تدهدى : تدحرج وانقلب — ولز بأخرى : ألصق بها ، والشعب : الجبر والاصلاح (٥) أى بدون علم ، وابنم ، لغة فى ابن ، والألف للروى . وقطعت همزة وصله للشعر

إِنِّي إِلَى الرَّحْمَنِ أَبْرَأُ صَادِقاً
مَا نِكْتُ أُمَّكَ يَا عَوَانَةُ مُحْرِمَا[١]
أَنْكَرْتُ مِنْكَ جُعُودَةً فِي حُوَّةٍ
وَمَشَافِراً هُدْلاً وَأَنْفاً أَخْثَماً[٢]
مَا كَانَ لِي فِي آلِ حَامٍ وَالِدٌ
عَبْدٌ فَأُصْبِحَ فِي كِنَانَةَ أَكْشَماً[٣]

وَكَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ وَكَانَ ضَرِيراً ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنِ الصُّولِيِّ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فِي الشَّهْرِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْأَعْمَشُ . قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : مَاتَ عَوَانَةُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْمَنْصُورُ .

حَدَّثَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَيَّاشٍ الْهَمَذَانِيِّ وَعِنْدَهُ عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ فَذَاكَرُوا أَمْرَ النِّسَاءِ فَقُلْتُ : حَدَّثَنِي ابْنُ الظَّلْمَةِ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَالَتْ : وَاللهِ مَا أَتَى[٤] النِّسَاءَ مِثْلُ أَعْمَى عَفِيفٍ، فَضَرَبَ عَوَانَةُ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِي وَقَالَ: حَفِظَكَ اللهُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَإِنَّكَ تَحْفَظُ غَرِيبَ الْحَدِيثِ وَحَسَنَهُ . قَالَ : وَكَانَ عَوَانَةُ ضَرِيراً . قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : عَوَانَةُ بْنُ

(١) المحرم كمحسن : من فى حريمك ونسائك فهى حال من الأم (٢) الحوة بالضم : سمرة فى الشفة ، ومشافرا هدلا : شفاها مسترخية ، والأخثم : العريض الغليظ (٣) الأكشم : الناقص الخلق والحسب (٤) كانت هذه الكلمة فى الأصل : « أبى »

الْحَكَمِ مِنْ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ بِالْأَخْبَارِ خَاصَّةً وَالْفُتُوحِ مَعَ عِلْمٍ بِالشِّعْرِ وَالْفَصَاحَةِ، وَلَهُ إِخْوَةٌ وَأَخْبَارٌ ظَرِيفَةٌ ، وَكَانَ مُوَثَّقًا(١) وَعَامَّةُ أَخْبَارِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْهُ .

قَالَ: وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ عَنِ الْحَسَنِ ابْنِ عُلَيْلٍ الْعَنَزِيِّ أَنَّ عَوَانَةَ بْنَ الْحَكَمِ كَانَ عُثْمَانِيًّا وَكَانَ يَضَعُ أَخْبَارًا لِبَنِي أُمَيَّةَ. قَالَ: وَحَدَّثَ أَبُو الْعَيْنَاءِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَنْشَدَ عَوَانَةُ بَيْتَيْنِ فَقِيلَ لَهُ لِمَنْ هُمَا؟ قَالَ: أَنَا تَرَكْتُ الْحَدِيثَ بُغْضًا مِنِّي لِلْإِسْنَادِ وَلَيْسَ أَرَاكُمْ تُعْفُونِي مِنْهُ فِي الشِّعْرِ .

وَحَدَّثَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ : خَطَبَنَا عُتْبَةُ ابْنُ النَّهَّاسِ الْعِجْلِيُّ فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ شَيْئًا قَالَ(٢) اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ :

لَيْسَ حَيٌّ عَلَى الْمَنُونِ بِبَاقٍ غَيْرُ وَجْهِ الْمُسَبَّحِ الْخَلَّاقِ

فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَقُلْ هَذَا، إِنَّمَا قَالَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ ، وَأُتِيَ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ : يَا عَدُوَّةَ اللهِ ، مَا خُرُوجُكِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَلَمْ تَسْمَعِي قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ؟

(١) أي ثقة (٢) يريد قاله

تحرّكت رأسها وقالت: يا عدوّ الله حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله عزّ وجلّ. وحدّث الهيثم بن عديّ قال: كنّا عند عوانة فورد الخبر بأنّ محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب قد قتل بالمدينة، فترحّم عليه عوانة وذكر فضله ثمّ قال: أخطأ الرّأي في استهدافه لهم ومقابلته إيّاهم بالقرب منهم، ولو تباعد عنهم حتّى يجتمع أمره، ويرى رأيه لطالت مدّته، فقيل له: قد أُشير عليه بذلك فلم يقبله، فتمثّل عوانة بقول زهير:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقت تبابًا عند آخر معهد
دمًا حول شلو[1] تحجل الطّير حوله وبضع لحام[2] في إهاب مقدّد

قال: ثمّ قال: هل علينا عين؟. قالوا لا فقل ما شئت، فقال: محمّد والله من الذين قال الله فيهم: «التّائبون العابدون الحامدون السّائحون[3] الرّاكعون السّاجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله».

وحدّث التّاريخيّ عن إسماعيل بن إسحاق عن نصر بن عليّ

(١) الشلو بالكسر: العضو بعد التفرق، وكل مسلوخ أكل بعضه وبقيت منه بقية
(٢) اللحام: جمع لحم (٣) السائحون جمع سائح: بمعنى الصائم الملازم للمساجد، سمى بذلك لأنه يسيح فى النهار بلا زاد، والسياحة: الضرب فى الأرض بقصد العبادة، أو التنزه أو التفرج.

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ: كَانَ ابْنُ زِيَادٍ يَأْكُلُ بَعْدَ الشِّبَعِ أَرْبَعَ جَرَادِقَ(١) أَصْبَهَانِيَّةً وَجُبْنَةً وَرِطْلًا عَسَلًا. وَحَدَّثَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَوَانَةَ قَالَ: لَقِيَ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مِنْ قَوْمٍ إِذَا نَسِيَ النَّاسُ عِلْمَهُمْ حَفِظُوهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَأَنْتَ إِذًا مِنْ كَلْبٍ، قَالَ أَجَلْ. وَكَانَ لِعَوَانَةَ أَخٌ يُقَالُ لَهُ عِيَاضٌ نَحْوِيٌّ أَدِيبٌ أَقَامَ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْكُوفَةِ، فَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ: كَانَ عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ يَقُولُ لِأَخٍ لَهُ — يُقَالُ عِيَاضٌ — نَحْوِيٌّ: لَا تُعَمِّقْ فِي النَّحْوِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّقْ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا صَارَ مُعَلِّمًا، قَالَ: فَصَارَ عِيَاضٌ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَلِّمًا بِإِفْرِيقِيَّةَ لِوَلَدِ الْمُعَلَّى.

﴿١٨ — عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ الْخُزَاعِيُّ *﴾

أَبُو الْمِنْهَالِ، أَحَدُ الْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَالرُّوَاةِ الْفُهَمَاءِ، وَالنُّدَامَى الظُّرَفَاءِ وَالشُّعَرَاءِ الْفُصَحَاءِ، وَكَانَ صَاحِبَ أَخْبَارٍ وَنَوَادِرَ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِأَيَّامِ النَّاسِ. وَكَانَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ مُصْعَبٍ قَدِ اخْتَصَّهُ لِمُنَادَمَتِهِ وَاخْتَارَهُ لِمُسَامَرَتِهِ. وَكَانَ لَا يَخْرُجُ فِي سَفَرٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مَعَهُ، وَجَعَلَهُ زَمِيلَهُ وَأَنِيسَهُ وَعَدِيلَهُ، وَكَانَ يُعْجَبُ بِهِ. (عوف بن محلم الخزاعى)

(١) جرادق: جمع جردق وجردقة: الرغيف، معرب كرده بالفارسية.

(*) ترجم له فى كتاب فوات الوفيات، وفى كتاب أعجام الأعلام

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ : وَيُقَالُ إِنَّ سَبَبَ اتِّصَالِهِ بِطَاهِرٍ أَنَّهُ نَادَى عَلَى الْجِسْرِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِى أَيَّامِ الْفِتْنَةِ بِبَغْدَادَ ، وَطَاهِرٌ يَنْحَدِرُ فِى حَرَّاقَةٍ فِى دِجْلَةَ ، فَسَمِعَهَا مِنْهُ فَأَدْخَلَهُ وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا وَهِيَ :

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ ... كَيْفَ تَعُومُ وَلَا تَغْرَقُ ؟
وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ ... وَآخَرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُهَا ... وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ ؟

وَأَصْلُهُ مِنْ حَرَّانَ فَبَقِىَ مَعَ طَاهِرٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا يُفَارِقُهُ ، وَكَانَ يَسْتَأْذِنُهُ فِى الِانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ فَلَا يَأْذَنُ لَهُ وَلَا يَسْمَحُ بِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ طَاهِرٌ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ وَأَنَّهُ يَلْحَقُ بِأَهْلِهِ(١) وَيَرْجِعُ إِلَى وَطَنِهِ ، فَقَرَّبَهُ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ طَاهِرٍ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنْزَلَهُ مَنْزِلَتَهُ مِنْ أَبِيهِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللّٰهِ أَدِيبًا فَاضِلًا عَالِمًا بِأَخْبَارِ النَّاسِ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى أَدَبِ عَوْفٍ وَفَضْلِهِ تَمَسَّكَ بِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ مَالُهُ ، وَحَسُنَ حَالُهُ ، وَتَلَطَّفَ بِجَهْدِهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ عَبْدُ اللّٰهِ فِى الْعَوْدِ إِلَى وَطَنِهِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَحَفَزَهُ الشَّوْقُ إِلَى أَهْلِهِ وَأَهَمَّهُ أَمْرُهُمْ ، فَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللّٰهِ مِنْ بَغْدَادَ يُرِيدُ خُرَاسَانَ ، فَصَيَّرَ عَوْفًا

(١) فى الأصل : « به »

عَدِيلُهُ يَسْتَمْتِعُ بِمُسَامَرَتِهِ ، وَيَرْتَاحُ إِلَى مُحَادَثَتِهِ إِلَى أَنْ دَنَا مِنَ الرَّىِّ ، فَلَمَّا شَارَفَهَا سَمِعَ صَوْتَ عَنْدَلِيبٍ يُغَرِّدُ بِأَحْسَنِ تَغْرِيدٍ وَأَشْجَى صَوْتٍ ، فَأُعْجِبَ عَبْدُ اللهِ بِصَوْتِهِ ، وَالْتَفَتَ إِلَى عَوْفِ ابْنِ مُحَلِّمٍ فَقَالَ لَهُ : يَابْنَ مُحَلِّمٍ ، هَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَشْجَى مِنْ هَذَا الصَّوْتِ وَأَطْرَبَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّهُ لَحَسَنُ الصَّوْتِ ، شَجِيُّ النَّغْمَةِ ، مُطْرِبُ التَّغْرِيدِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : قَاتَلَ اللهُ أَبَا كَبِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ
وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟
أَفِقْ لَا تَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ فَإِنَّنِى
بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلُوعًا [١] فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ
فَهَا أَنَا أَبْكِى وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ

فَقَالَ عَوْفٌ : أَحْسَنَ وَاللهِ أَبُو كَبِيرٍ وَأَجَادَ ثُمَّ قَالَ :
— أَصْلَحَ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — إِنَّهُ كَانَ فِى الْهُذَلِيِّينَ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ شَاعِرًا مَا فِيهِمْ إِلَّا مُفْلِقٌ ، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُ أَبِى كَبِيرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يُبْدِعُ فِى شِعْرِهِ ، وَيُفْهَمُ آخِرُ قَوْلِهِ وَأَوَّلُهُ ، وَمَا شَىْءٌ

(١) ولوع بفتح الواو مصدر ولع كوجل : استخف شوقا

أَبلَغ فِي الشِّعْرِ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِيهِ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ : أَقسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَجزْتَ شِعرَ أَبِي كَبِيرٍ ؟

قَالَ عَوْفٌ : أَصلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، قَدْ كَبِرَ سِنِّي ، وَفِيَ ذِهْنِي ، وَأَنكَرْتُ كُلَّ مَا كُنتُ أَعْرِفُهُ . قَالَ عَبْدُ اللهِ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ طَاهِرٍ إِلَّا فَعَلْتَ ؟ وَكَانَ لَا يُسأَلُ بِحَقِّ طَاهِرٍ شَيْئاً إِلَّا ابْتَدَرَ إِلَيْهِ لِمَا كَانَ يُوجِبُهُ لَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ عَوْفٌ ذَلِكَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحُ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ[1] فَتُرِيحُ ؟؟
لَقَدْ طَلَّحَ[2] الْبَيْنُ الْمُشِتُّ رَكَائِبِي فَهَلْ أَرَيَنَّ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ ؟
وَأَرَّقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنُحْتُ وَذُو الْبَثِّ الْغَرِيبِ يَنُوحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذْرِ دَمْعَةً وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ[3]
وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاخِي مَهَامِهُ فِيحُ

(١) أى فترة (٢) أى أعيا (٣) لم تذر : أى لم ترسل من عينها دمعة ، وأسراب الدموع : جماعاتها ، وسفوح : مصدر سفحت الدمع كمنعت : صببته ، أو سفح الدمع كقعد : انصب ، ومثله السفح فيهما .

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ
وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ؟

عَسَى جُودُ عَبْدِ اللهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوَى
فَيُلْقِي عَصَا التَّطْوَافِ وَهْيَ طَرِيحُ (١)

فَإِنَّ الْغِنَى يُدْنِي الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ
وَعُدْمُ الْغِنَى بِالْمُقْتِرِينَ طَرُوحُ (٢)

قَالَ: فَاسْتَعْبَرَ (٣) عَبْدُ اللهِ وَرَقَّ لَهُ، وَجَرَتْ دُمُوعُهُ وَقَالَ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي لَضَنِينٌ بِمُفَارَقَتِكَ، شَحِيحٌ عَلَى الْفَائِتِ مِنْ مُحَاضَرَتِكَ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا أَعْمَلْتَ مَعِي خُفًّا وَلَا حَافِراً إِلَّا رَاجِعاً إِلَى أَهْلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَقَالَ يَمْدَحُ عَبْدَ اللهِ وَأَبَاهُ:

يَابْنَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِقَانِ وَأُلْبِسَ الْأَمْنَ بِهِ الْمَغْرِبَانِ (٤)

إِنَّ الثَّمَانِينَ، وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ

وَأَبْدَلَتْنِي بِالشَّطَاطِ الْحَنَا
وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السِّنَانِ (٥)

---

(١) التطواف: مصدر طاف: لكثير السير، وعصا التطواف كناية عن الاستقرار وترك السفر، وطريح فعيل بمعنى مفعول، أى مطروح (٢) المقترين: جمع مقتر: المضيق على عياله فى النفقة، وطروح: رام وقاذف صيغة مبالغة (٣) استعبر: جرت عبرته أى دمعته وحزن (٤) معنى البيت: يابن من حكم المشرقين وأحل الأمن فى المغربين (٥) الشطاط: الطول وحسن القوام أو اعتداله، والحنا: الانحناء، يريد تقوس الظهر، والصعدة: القناة المستوية، والسنان: حديدتها.

وَعَوَّضَتْنِي مِنْ زَمَاعِ الْفَتَى ... وَهِمَّتِي هَمُّ الْجَبَانِ الْهِدَانِ (١)

وَقَارَبَتْ مِنِّى خُطًى لَمْ تَكُنْ ... مُقَارِبَاتٍ وَثَنَتْ مِنْ عِنَانِ (٢)

وَأَنْشَأَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى ... عَنَانَةً مِنْ غَيْرِ نَسْجِ الْعَنَانِ (٣)

وَلَمْ تَدَعْ فِيَّ لِمُسْتَمْتِعٍ ... إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانٌ

أَدْعُو بِهِ اللهَ وَأُثْنِي بِهِ ... عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعَبِيِّ الْهِجَانِ (٤)

وَهِمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجْدًا بِهَا ... وَبِالْغَوَانِي أَيْنَ مِنِّى الْغَوَانِ (٥)؟

فَقَرِّبَانِي بِأَبِي أَنْتُمَا ... مِنْ وَطَنِي قَبْلَ اصْفِرَارِ الْبَنَانِ (٦)

وَقَبْلَ مَنْعَايَ (٧) إِلَى نِسْوَةٍ ... أَوْطَانُهَا حَرَّانُ وَالرَّقَتَانُ

سَقَى قُصُورَ الشَّاذِيَاخِ الْحَيَا ... مِنْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمِيَانِ (٨)

فَكَمْ وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ لِي بِهَا ... بِأَنْ تَخَطَّاهَا صُرُوفُ الزَّمَانِ؟

---

(١) الزماع كسحاب : المضاء فى الامر فهو اسم من الزميع أى الشجاع الذى يزمع بالأمر ثم لاينثنى عنه والجيد الرأى المقدم على الأمور ، والهدان : الأحمق الثقيل ، هذا وقد أتينا بكلمة الجبان كما فى الأمال بدل الهجان كما فى الأصل ، لأن الكلام لايستقيم معها ، إذ معناها الحسيب كما وردت فى نهاية أحد الأبيات بعد (٢) العنان : سير اللجام فهو يكنى عن الانقياد (٣) العنان : السحاب ، واحدته عنانة

(٤) الهجان : الحسيب (٥) همت بالأوطان الخ : أحببتها وتعلقت بها من الوجد والحزن ، والغوانى : جمع غانية : وهى المرأة الجميلة الناعمة المستغنية بجمالها (٦) هذا كناية عن الموت (٧) المنعى : خبر الوفاة ، وحران والرقتان مواضع بعينها

(٨) الشاذياخ والميان : موضعان بنيسابور

وَهَذِهِ قُصُورٌ بِخُرَاسَانَ بِنَاحِيَةِ نَيْسَابُورَ لِآلِ طَاهِرٍ ، ثُمَّ وَدَّعَ عَبْدَ اللهِ وَسَارَ رَاجِعاً إِلَى أَهْلِهِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ رُوِىَ فِي خَبَرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ عَوْفَ بْنَ مُحَلِّمٍ دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْمَعْ فَأُعْلِمَ بِذَلِكَ فَزَعَمُوا أَنَّهُ أَنْحَلَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، وَكَانَ قَدْ وَرَدَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ شَاعِرٌ يُقَالُ لَهُ رَوْحٌ وَعَرَضَ عَلَى عَوْفٍ شِعْرَهُ ، فَمَنَعَهُ مِنْ إِنْشَادِهِ عَبْدَ اللهِ وَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ اللهِ رَجُلٌ عَالِمٌ فَاضِلٌ لَا يَنْفُقُ عَلَيْهِ مِنَ الشِّعْرِ إِلَّا أَحْسَنُهُ . فَقَالَ لَهُ قَدْ حَسَدْتَنِي وَتَوَصَّلَ حَتَّى أَنْشَدَهُ عَبْدَ اللهِ فَاسْتَرْذَلَهُ وَاسْتَبْرَدَهُ وَرَدَّهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَوْفاً فَقَالَ :

أَنْشَدَنِى رَوْحٌ مَدِيحاً لَهُ ... فَقُلْتُ شِعْراً قَالَ لِى قَيْشِ (١)
فَصِرْتُ لَمَّا أَنْ بَدَا مُنْشِداً ... كَأَنَّنِى فِى قُبَّةِ الْخَيْشِ
وَقُلْتُ : زِدْنِى وَتَفَهَّمْتُهُ ... وَالثَّلْجُ فِى الصَّيْفِ مِنَ الْعَيْشِ

﴿ ١٩ — عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ * ﴾

عون بن محمد الكندى

الْكَاتِبُ أَبُو مَالِكٍ ، أَحَدُ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ صَاحِبِ الْفَرَّاءِ ، وَرَوَى عَنْهُ الصُّولِيُّ فَأَكْثَرَ .

(١) من قاش الرجل قيشا : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده . وقايشه مقايشة : فاخره ، وقايش الرجل : أكثر الوعيد فى القتال ثم لم يفعل

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ج خامس قسم ثالث ص ٦٤

حَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكِنْدِيُّ قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَدِمَ قَادِمٌ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى فَأَخْبَرَ بِنَكْبَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَأَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

رُبَّ قَوْمٍ رَتَعُوا (١) فِي نِعْمَةٍ ... زَمَنًا وَالْعَيْشُ رَيَّانٌ (٢) غَدَقْ
سَكَتَ الدَّهْرُ طَوِيلًا عَنْهُمُ ... ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقْ

﴿ ٢٠ – عِيسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّبَعِيُّ الْوُحَاظِيُّ * ﴾

عيسى بن إبراهيم الربعى

بَلَدَةٌ بِالْيَمَنِ . لَا أَعْرِفُ حَالَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُصَنِّفُ كِتَابِ نِظَامِ الْغَرِيبِ فِي اللُّغَةِ ، حَذَا فِيهِ حَذْوَ « كِفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ (٣) » وَأَجَادَهُ ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ مُشْتَغِلُونَ بِهِ .

﴿ ٢١ – عِيسَى بْنُ عُمَرَ الثَّقَفِيُّ أَبُو عُمَرَ * ﴾

عيسى بن عمر الثقفى

مَوْلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، نَزَلَ فِي ثَقِيفٍ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ ، عَالِمٌ بِالنَّحْوِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْقِرَاءَةِ مَشْهُورٌ بِذَلِكَ ، أَخَذَ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ ، وَمَاتَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ الْمَنْصُورِ قَبْلَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ بِخَمْسِ

(١) رتعوا فى نعمة : أخصبوا فى سعة من العيش (٢) العيش الريان : ذو النضارة الممتلىء ، والغدق : الواسع ، وأيضاً الماء الكثير (٣) ذكره صاحب كشف الظنون ، وكأنه لم يعرف اسم مؤلفه

(*) ترجم له فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة

سِنِينَ أَوْ سِتٍّ . حَدَّثَ التَّارِيخِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْعَرَبِيَّةَ وَنَقَّطَ الْمَصَاحِفَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ ، ثُمَّ أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْبَسَةُ بْنُ مَعْدَانَ الْمَهْرِيُّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ عَنْبَسَةُ الْفِيلِ ، ثُمَّ أَخَذَهُ عَنْ عَنْبَسَةَ مَيْمُونٌ الْأَقْرَنُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ عَنْ مَيْمُونٍ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ ، ثُمَّ أَخَذَهُ عَنِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ (١) ، ثُمَّ أَخَذَهُ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ سِيبَوَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَهُ عَنْ سِيبَوَيْهِ الْأَخْفَشُ ، وَاسْمُهُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ . قَالَ التَّارِيخِيُّ : حَدَّثَنَا الْمُبَرِّدُ مَرَّةً أُخْرَى عَنِ التَّوَّزِيِّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : وَوَضَعَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ كِتَابَيْنِ فِي النَّحْوِ سَمَّى أَحَدَهُمَا الْجَامِعَ وَالْآخَرَ الْمُكَمِّلَ ، فَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ :

بَطَلَ النَّحْوُ جَمِيعاً كُلُّهُ ... غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عِيسَى بْنُ عُمَرْ
ذَاكَ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ ... فَهُمَا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَرْ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَانِ كِتَابَانِ مَا عَلِمْنَا أَحَداً رَآهُمَا وَلَا عَرَفَهُمَا ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ اللُّغَوِيَّ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُمَا مَبْسُوطٌ وَمُخْتَصَرٌ . وَذَكَرَ عَنِ الْمُبَرِّدِ أَنَّهُ قَالَ : قَرَأْتُ أَوْرَاقاً مِنْ أَحَدِ كِتَابَيْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ وَذَكَرَ أَيْضاً أَنَّ

(١) لعله سقط « ثم أخذه عن عيسى بن عمر الخليل بن أحمد »

عِيسَى بْنَ عُمَرَ أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ صَاحِبَ تَقْصِيرٍ فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ قَدِ اتَّهَمَهُ بِوَدِيعَةٍ لِبَعْضِ الْعُمَّالِ فَضَرَبَهُ مُقَطَّعاً نَحْواً مِنْ أَلْفِ سَوْطٍ فَجَعَلَ يَقُولُ : وَاللهِ مَا كَانَ إِلَّا أُثَيَّابٌ فِي أُسَيْفَاطٍ قَبَضَهَا عَشَّارُوكَ[1] فَيَقُولُ لَهُ : إِنَّكَ لَخَبِيثٌ . قَالَ : وَكَانَ دَقِيقَ الصَّوْتِ . قَالَ : فَكَانَ طُولَ دَهْرِهِ يَحْمِلُ فِي كُمِّهِ خِرْقَةً فِيهَا سُكَّرُ الْعُشَرِ وَالْإِجَّاصُ الْيَابِسُ[2] ، وَرُبَّمَا رَأَيْتَهُ وَاقِفاً أَوْ سَائِراً أَوْ عِنْدَ بَعْضِ وُلَاةِ الْبَصْرَةِ فَتُصِيبُهُ نَهْكَةٌ[3] فِي فُؤَادِهِ ، فَيَخْفِقُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكَادُ يُغْلَبُ فَيَسْتَغِيثُ بِإِجَّاصَةٍ وَسُكَّرَةٍ يُلْقِيهَا فِي فِيهِ ثُمَّ يَتَمَصَّصُهَا ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ سَكَنَ عَلَيْهِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : أَصَابَنِي هَذَا مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي ضَرَبَنِي عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَعَالَجْتُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَمَا رَأَيْتُ لَهُ أَصْلَحَ مِنْ هَذَا .

وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعِينٍ

(١) أثياب : تصغير أثواب ، جمع ثوب ، وأسيفاط تصغير أسفاط ، جمع سفط : وهو وعاء كالجوالق أو كالقفة — والتصغير فيهما للتقليل والتحقير — وعشاروك : جمع عشار : وهو آخذ العشر وجابيه . وبقية الحكاية عند ابن الانبارى « ص ٢٦ »

(٢) الاجاص : ثمر شجر معروف ، الواحدة إجاصة . وهو دخيل ، لأن الجيم والصاد لا يجتمعان فى كلمة (٣) النهكة بالفتح : الغلب كالنهاكة — يقال : « نهكه نهكة ونهاكة » .

يقُولُ: عِيسَى بْنُ عُمَرَ النَّحْوِىُّ بَصْرِىٌّ، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ الْكُوفِىُّ هَمْدَانِىٌّ وَهُوَ صَاحِبُ الْحُرُوفِ. وَحَدَّثَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ابْنِ السِّكِّيتِ عَنِ الْجَمَّازِ قَالَ: عِيسَى بْنُ عُمَرَ أَخُو حَاجِبِ بْنِ عُمَرَ، وَيُكْنَى حَاجِبٌ أَبَا خُشَيْنَةَ، رَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ وَهُمَا مَوْلَيَانِ لِبَنِى مَخْزُومٍ، وَهُمَا مِنْ وَلَدِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْأَعْرَجِ الَّذِى رَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ. وَحَدَّثَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ النَّحْوِىِّ عَنِ الْأَصْمَعِىِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَدَخَلَ عَلَىَّ ذُو الرُّمَّةِ فَعَرَضْتُ أَلَّا أَكُونَ أَعْطَيْتُهُ شَيْئًا فَقَالَ لَا، أَنَا وَأَنْتَ نَأْخُذُ وَلَا نُعْطِى. قَالَ الْأَصْمَعِىُّ: وَحَدَّثَنِى عِيسَى بْنُ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ بِاللَّيْلِ حَتَّى يَنْقَطِعَ سَوْئِى أَىْ وَسَطِى. وَحَدَّثَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِىِّ عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ قَالَ: اللَّهَازِمُ قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَعِجْلٌ وَعَنَزَةُ وَتَيْمُ اللهِ. قَالَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ: أَرَى اللَّهَازِمَ تَجَمَّعُوا كَمَا تَجَمَّعُ لَهَازِمُ[1] الدَّابَّةِ. قَالَ: «وَالرِّبَابُ ثَوْرٌ وَعُكْلٌ وَتَيْمُ اللهِ» وَالرِّبَابُ ثَوْرٌ وَعُكْلٌ وَتَيْمُ عَدِىٍّ وَضَبَّةُ وَأَطْحَلُ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ، وَإِنَّمَا سُمُّوا الرِّبَابَ لِأَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا وَتَحَالَفُوا، وَالرِّبَابَةُ[2]: جَمَاعَةُ الْقِدَاحِ إِذَا ضُمَّتْ، وَجُشَمُ بْنُ بَكْرٍ وَإِخْوَتُهُمُ الْأَرَاقِمُ وَلَيْسَ بِنَسَبٍ

(١) اللهازم جمع لهزمة. عظم ناتىء فى اللحى تحت الأذن، وهما لهزمتان لكل إنسان أو حيوان (٢) فى الأصل: « والرباعة » تحريف

وَلَـكِنْ شُبِّهَتْ عُيُونُهُمْ بِعُيُونِ الْأَرَاقِمِ مِنَ الْحَيَّاتِ فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ . قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : أَمَّا قَوْلُهُ وَأَطحل فَهُوَ عَجَبٌ مِنْ مِثْلِهِ، لِأَنَّ أَطْحَلَ اسْمُ جَبَلٍ سَكَنَهُ ثَوْرٌ فَنُسِبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ: ثَوْرُ أَطْحَلَ وَلَا يُفْرَدُ فِي اسْمِ الْقَبِيلَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّهُمْ تَجَمَّعُوا مِثْلَ الرِّبَابَةِ فَأَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا وَغَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِي الرُّبِّ(١) وَتَحَالَفُوا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: جَمَعَ الْحَسَنُ بْنُ قَحْطَبَةَ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مَدِينَةَ السَّلَامِ الْكِسَائِيَّ وَالْأَصْمَعِيَّ وَعِيسَى بْنَ عُمَرَ، فَأَلْقَى عِيسَى عَلَى الْكِسَائِيِّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ : هَمُّكَ مَا أَهَمَّكَ ، فَذَهَبَ الْكِسَائِيُّ يَقُولُ: يَجُوزُ كَذَا وَيَجُوزُ كَذَا . فَقَالَ لَهُ عِيسَى: عَافَاكَ اللهُ ؛ إِنَّمَا أُرِيدُ كَلَامَ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ هَذَا الَّذِي تَأْتِي بِهِ كَلَامَ الْعَرَبِ(٢) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَلَيْسَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُخْطِئَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَنَّهُ كَيْفَ أَعْرَبَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فَهُوَ مُصِيبٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عِيسَى ابْنُ عُمَرَ مِنَ الْكِسَائِيِّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِاللَّفْظَةِ الَّتِي وَقَعَتْ إِلَيْهِ .

﴿ ٢٢ — عِيسَى بْنُ مَرْوَانَ الْكُوفِيُّ أَبُو مُوسَى * ﴾

عيسى بن مروان الكوفى

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ قَالَ: قَرَأْتُ بِخَطِّ ابْنِ

---

(١) الرب - سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها (٢) يريد عيسى لفت الكسائى إن أن ما أتى له به مثل ، والأمثال لا تغير

(*) ترجم له فى فهرست ابن النديم

الْكُوفِيُّ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ الْمُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ وَرَوَى عَنْهُ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْقِيَاسِ عَلَى أُصُولِ النَّحْوِ.

﴿ ٢٣ — عِيسَى بْنُ الْمُعَلَّى بْنِ مَسْلَمَةَ الرَّافِقِيُّ * ﴾

عيسى بن المعلى الرافقي

أَحَدُ أُدَبَاءِ عَصْرِنَا، أَخْمَلَ[١] مِنْ ذِكْرِهِ خُمُولُ قُطْرِهِ، كَانَ مُؤَدِّبًا بِمَدِينَةِ الرَّقَّةِ الَّتِي عَلَى الْفُرَاتِ، وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ وَفَضَائِلُ جَمَّةٌ وَعِدَّةُ تَصَانِيفَ مِنْهَا : كِتَابُ تَبْيِينِ الْغُمُوضِ فِي عِلْمِ الْعَرُوضِ وَجَدْتُهُ بِخَطِّهِ وَقَدْ كَتَبَهُ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَلَهُ كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ حَسَنٌ فِي مُجَلَّدَيْنِ ضَخْمَيْنِ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ أَيْضًا. كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ مُجَلَّدَانِ.

﴿ ٢٤ — عِيسَى بْنُ مِينَا بْنِ وَرْدَانَ بْنِ عِيسَى * ﴾

عيسى بن مينا المعروف بقالون

ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ، الْمَدَنِيُّ الْمَعْرُوفُ بِقَالُونَ الْقَارِىءِ، كُنْيَتُهُ أَبُو مُوسَى صَاحِبُ نَافِعِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ، مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَرَأَ عَلَى

(١) أى أن خمول قطره هو السبب فى خموله وعدم نباهته

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج أول وترجم له فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب طبقات القراء ج أول بترجمة ضافية

نَافِعٍ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ فِى أَيَّامِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ قَالُونُ أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ الْبُوقَ ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ قَارِئٌ أَلْقَمَ أُذُنَهُ فَاهُ لِيَسْمَعَ قِرَاءَتَهُ ، وَهُوَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ .

حَدَّثَ أَبُو مُوسَى قَالُونُ : كَانَ نَافِعٌ إِذَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ يَعْقِدُ لِى ثَلَاثِينَ وَيَقُولُ لِى : قَالُونُ قَالُونُ : يَعْنِى جَيِّدٌ بِالرُّومِيَّةِ . وَإِنَّمَا كَانَ يُكَلِّمُهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّ قَالُونَ أَصْلُهُ مِنَ الرُّومِ ، جَدُّ جَدِّهِ عَبْدُ اللهِ مِنْ سَبْىِ أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَدِمَ بِهِ مَنْ أَسَرَهُ وَبَاعَهُ فَاشْتَرَاهُ بَعْضُ الْأَنْصَارِ فَأَعْتَقَهُ فَهُوَ مَوْلَى الْأَنْصَارِ .

﴿ ٢٥ — عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَأْبٍ اللَّيْثِىُّ * ﴾

عيسى بن يزيد الليثى

هُوَ عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ بَكْرِ بْنِ كُرْزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْمُرَ الشَّدَّاخِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ وَفِى نَسَبِهِ اخْتِلَافٌ . هَذَا أَظْهَرُهُ أَبُو الْوَلِيدِ الرَّاوِيَةُ النَّسَّابُ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَكَانَ يُضَعَّفُ فِى رِوَايَتِهِ (١) ، مَاتَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ فِى أَوَّلِ خِلَافَةِ الرَّشِيدِ . وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ :

(١) أى ينسب إلى الضعف فيها

(*) راجع البيان والتبيين ج أول ص ٣٠

كَانَ عِيسَى بْنُ يَزِيدَ بْنِ دَأْبٍ يُكْنَى أَبَا الْوَلِيدِ، وَكَانَ مِنْ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَحُفَّاظِهِمْ ، وَكَانَ مُعَلِّماً مِنْ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ .

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى رَفِيعِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : أَنْشَدَ ابْنُ دَأْبٍ :

وَهُمْ مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا بِسِرِّ الْأَدَبِ الْمَحْضِ (١)

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ فَقَالَ : أَخْطَأَتِ اسْتُهُ الْحُفْرَةَ ، إِنَّمَا هُوَ أَشْبَئُوا أَىْ كَفَوْا ، أَمَا سَمِعَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَذُو الرُّمْحَيْنِ أَشْبَأَهُ (٢) مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ

فَبَلَغَهُ عَنِ ابْنِ دَأْبٍ شَيْءٌ فَقَالَ : عَلَى نَفْسِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ (٣) ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّيْثِيِّ :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٍ دَأْبَ بْنَ كُرْزٍ أَبَا الْخَنْسَاءِ زَائِدَةَ الظَّلِيمِ (٤)
فَلَا تَفْخَرْ بِأَحْمَرَ وَاطَّرِحْهُ فَمَا يَخْفَى الْأَغَرُّ مِنَ الْبَهِيمِ (٥)

فَعِنْدَ اللهِ سِرٌّ مِنْ أَبِيهِ
كُرَاعُ زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ (٦)

وَحَدَّثَ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى جَابِرِ بْنِ الصَّلْتِ الْبَرْقِيِّ قَالَ : وَعَدَ

---

(١) البيت : لعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، وفى الأغانى : بسر الحسب الضخم « ١ : ٣٠ » وأشبوا : شبت أولادهم (٢) فى الأصل أشباك تحريف ، وأشبئوا أنجبوا (٣) على نفسها تجنى براقش . مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه (٤) الظليم : ذكر النعام ، وزائدة الظليم لقب دأب بن كرز (٥) اطرحه : اتركه ، والأغر : النهار ، والبهيم : الليل المظلم لا ضوء فيه (٦) الكراع : العضو ، ومن الناس : السفلة منهم على سبيل الكناية ، والأديم فى الأصل : الجلد

المَهْدِىُّ ابْنَ دَأْبٍ جَارِيَةً فَوَهَبَهَا لَهُ فَأَنْشَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيُّ قَوْلَ مُضَرِّسٍ الأَسَدِيِّ :

فَلَا تَيْأَسَنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ
وَإِنْ كَانَ قِدْماً بَيْنَ أَيْدٍ تُبَادِرُهُ(١)

فَضَحِكَ الْمَهْدِىُّ وَقَالَ : اُدْفَعُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ فُلَانَةَ لِجَارِيَةٍ أُخْرَى ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبٍ :

أَنْجَزَ خَيْرُ النَّاسِ قَبْلَ وَعْدِهِ أَرَاحَ مِنْ مَطْلٍ(٢) وَطُولِ كَدِّهِ

فَقَالَ ابْنُ دَأْبٍ : مَا قُلْتَ شَيْئاً، هَلَّا قُلْتَ :

حَلَاوَةُ الْفَضْلِ بِوَعْدٍ مُنْجَزِ
لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهْبٍ مُنْهَزِ(٣)

فَضَحِكَ الْمَهْدِىُّ وَقَالَ : أَحْسَنُ الْوَفَاءِ مَا تَقَدَّمَهُ ضَمَانٌ .

وَحَدَّثَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ قَالَ : مَا شَيْءٌ أَجَلُّ مِنَ الْعِلْمِ ، كَانَ ابْنُ دَأْبٍ أَحْفَظَ النَّاسِ لِلْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ وَكَانَ تَيَّاهاً(٤) فَكَانَ يُنَادِمُ الْهَادِيَ وَلَا يَتَغَدَّى مَعَهُ وَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقِيلَ لَهُ

(١) قدما اسم من القديم جعل اسما من أسماء الزمان ، يقال : كان كذا قدما : أى فى الزمان القديم ، وتبادره : تسرع إليه (٢) المطل بالدين : تسويف الوفاء به مرة بعد أخرى ، والمراد هنا : التأخير فى الوفاء ، والكد : التعب (٣) النهب : المنهوب : ومنهز ، من انتهاز الفرصة : أى اغتنامها ، أى لا خير فى العطاء إذا كان نهبا مغتنما (٤) أى كثير الكبر

فِى ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَنَا لَا أَتَغَدَّى فِى مَكَانٍ لَا أَغْسِلُ يَدِى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ الْهَادِى : فَتَغَدَّ ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا تَغَدَّوْا تَنَحَّوْا لِغَسْلِ أَيْدِيهِمْ ، وَابْنُ دَأْبٍ يَغْسِلُ يَدَهُ بِحَضْرَةِ الْهَادِى .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِىٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ مُصْعَبٍ عَنْ مُوسَى بْنِ صَالِحٍ قَالَ : كَانَ عِيسَى بْنُ دَأْبٍ كَثِيرَ الْأَدَبِ عَذْبَ الْأَلْفَاظِ ، وَكَانَ قَدْ حَظِىَ (١) عِنْدَ الْهَادِى حُظْوَةً لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُ بِتُكَأَةٍ (٢) وَلَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ فِى هَذَا فِى مَجْلِسِهِ وَلَا يُفْعَلُ بِغَيْرِهِ وَكَانَ يَقُولُ لَهُ : مَا اسْتَطَلْتُ (٣) بِكَ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً ، وَلَا غِبْتَ عَنْ عَيْنِى إِلَّا تَمَنَّتْ أَلَّا تَرَى غَيْرَكَ ، وَكَانَ لَذِيذَ الْمُفَاكَهَةِ (٤) ، طَيِّبَ الْمُسَامَرَةِ ، كَثِيرَ النَّادِرَةِ (٥) ، جَيِّدَ الشِّعْرِ حَسَنَ الِانْتِزَاعِ لَهُ (٦) ، قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ لَيْلَةً بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ابْنُ دَأْبٍ وَجَّهَ قَهْرَمَانَهُ (٧) إِلَى بَابِ مُوسَى الْهَادِى وَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ إِلَى بَابِ الْحَاجِبِ فَقُلْ لَهُ :

---

(١) كان ذا مكانة وحظ ومنزلة فهو حظ ، والحظوة : المكانة والمنزلة من ذى سلطان ونحوه . (٢) التكأة ، المتكأ الذى يعتمد عليه (٣) ما استطلت بك الخ ، ماعددت وقتك معى طويلا ولا سئمت مجانستك (٤) المفاكهة : الاتيان بملح الكلام وطرفه (٥) النادرة : غريب الكلام وما كان فصيحاً مستجاداً (٦) انتزاع الشعر : إخراجه والاحتجاج به فى موضعه . (٧) القهرمان ، لفظة أعجمية استعملتها العرب بمعنى الوكيل أو أمين الدخل والخرج ، والجمع قهارمة .

تَوَجَّهْ إِلَيْنَا بِالْمَالِ ، فَانطَلَقَ فَأَبْلَغَ الْحَاجِبَ رِسَالَتَهُ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : لَيْسَ هَـذَا إِلَيَّ ، فَانطَلِقْ إِلَى صَاحِبِ التَّوْقِيعِ لِيُخْرِجَ لَكَ كِتَاباً إِلَى الدِّيوَانِ فَتُدِيرَهُ(١) هُنَاكَ ، ثُمَّ تَفعَلَ بِهِ كَذَا وَتَفعَلَ بِهِ كَذَا ، فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى ابْنِ دَأْبٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ : دَعْهَا فَلَا تَعرِضْ لَهَا وَلَا تَسأَلْ عَنْهَا . قَالَ : فَبَيْنَمَا مُوسَى فِي مُسْتَشْرَفٍ لَهُ إِذْ نَظَرَ إِلَى ابْنِ دَأْبٍ قَدْ أَقْبَلَ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا غُلَامٌ وَاحِدٌ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ ذَكْوَانَ الْحَرَّانِيِّ « وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ طَاقُ الْحَرَّانِيِّ بِبَغْدَادَ بِالْكَرْخِ » : أَمَا تَرَى ابْنَ دَأْبٍ مَا غَيَّرَ(٢) مِنْ حَالِهِ وَلَا تَزَيَّى لَنَا ، وَقَدْ بَرَرْنَاهُ بِالْأَمْسِ لِيُرَى عَلَيْهِ أَثَرُنَا . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَرَضْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا . فَقَالَ : لَا ، هُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ ، وَدَخَلَ ابْنُ دَأْبٍ فَأَخَذَ فِي حَدِيثِهِ إِلَى أَنْ عَرَضَ لَهُ الْهَادِي بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ فَقَالَ : أَرَى فِي ثَوْبِكَ غَسِيلًا ، وَهَذَا الشِّتَاءُ مُحْتَاجٌ فِيهِ إِلَى لُبْسِ الْجَدِيدِ وَاللَّيِّنِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَاعِي قَصِيرٌ(٣) عَمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ وَقَدْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ مِنْ بِرِّنَا مَا ظَنَنَّا صَلَاحَ شَأْنِكَ مَعَهُ ، فَقَالَ :

(١) أى تدور به (٢) أى لم يصلح من شأنه (٣) كناية عن فقره وقصوره عن إدراك ما يتمناه

مَا وَصَلَ إِلَيَّ وَلَا قَبَضْتُ مِنْهُ شَيْئاً ، فَدَعَا بِصَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ لَهُ : عَجِّلِ الْآنَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ تُحْمَلْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي زُهَيْرٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ دَأْبٍ أَحْظَى النَّاسِ عِنْدَ الْهَادِي ، فَخَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ يَوْماً فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ مَنْ بِبَابِهِ بِالِانْصِرَافِ ، فَأَمَّا أَنْتَ يَابْنَ دَأْبٍ فَادْخُلْ ، قَالَ ابْنُ دَأْبٍ : فَدَخَلْتُ وَهُوَ مُنْبَطِحٌ[(١)] عَلَى فِرَاشِهِ ، وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَحَمْرَاوَانِ مِنَ السَّهَرِ وَشُرْبِ اللَّيْلِ . فَقَالَ لِي : حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ الشَّرَابِ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ كِنَانَةَ إِلَى الشَّامِ يَجْلِبُونَ الْخَمْرَ فَمَاتَ أَحَدُهُمْ فَجَلَسُوا عَلَى قَبْرِهِ يَشْرَبُونَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

لَا تُصَرِّدْ[(٢)] هَامَةً مِنْ شُرْبِهَا ... إِسْقِهِ الْخَمْرَ وَإِنْ كَانَ قُبِرْ
إِسْقِ أَوْصَالًا وَهَاماً وَصَدًى ... نَاشِعاً يَنْشَعُ نَشْعَ الْمُنْبَهِرْ[(٣)]
كَانَ حُرًّا فَهَوَى[(٤)] فِيمَنْ هَوَى ... كُلُّ عُودٍ ذِي فُنُونٍ مُنْكَسِرْ

قَالَ : فَدَعَا بِدَوَاةٍ فَكَتَبَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْخُزَّانِ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : عَشَرَةُ آلَافٍ لَكَ ، وَثَلَاثُونَ

(١) أي مستلق على وجهه (٢) لا تصرد : لا تقلل ، ومنه شراب مصرد مقلل (٣) الأوصال : الأعضاء ، والهام : الرأس ، والصدى : الجسد من الانسان بعد موته ، والناشع : المنتزع للشيء بعنف ، والمنبهر : الرجل المنقطع النفس من الاعياء (٤) هوى : سقط من علو إلى أسفل ، والمراد الموت

أَلْفًا لِلثَّلَاثَةِ الْأَبْيَاتِ . قَالَ: فَأَتَيْتُ الْخُزَّانَ فَقَالُوا : صَالَحْنَا عَلَى عَشَرَةِ آلَافٍ أَنَّكَ تَحْلِفُ لَنَا أَلَّا تَذْكُرَهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَحَلَفْتُ أَلَّا أَذْكُرَهَا حَتَّى يَبْدَأَنِي فَمَاتَ وَلَمْ يَذْكُرْهَا . وَحَدَّثَ قَالَ : دَخَلَ ابْنُ دَأْبٍ عَلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ فَخٍّ (١) فَوَجَدَهُ وَاجِمًا يَلْتَمِسُ عُذْرًا لِمَنْ قَتَلَ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَ اللهُ الْأَمِيرَ ، أُنْشِدُكَ شِعْرًا كَتَبَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَعْتَذِرُ فِيهِ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؟ قَالَ : أَنْشِدْنِي فَأَنْشَدَهُ :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطِيَّتِهِ
عَلَى عُذَافِرَةٍ فِي سَيْرِهَا قُحَمُ (٢)
أَبْلِغْ قُرَيْشًا عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ بِهَا
بَيْنِي وَبَيْنَ حُسَيْنٍ ، اللهُ وَالرَّحِمُ (٣)
وَمَوْقِفٌ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ أَنْشُدُهُ
عَهْدَ الْإِلَهِ وَمَا يُرْعَى بِهِ الذِّمَمُ (٤)

---

(١) واد بمكة لقيت فيه جيوش بنى العباس بقيادة عيسى هذا أبا عبد الله الحسين بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب سنة ١٦٩ وقد بايعه جماعة من العلويين فقتلوه وقتلوا جماعة من عسكره وأهل بيته (٢) الطية : النية والمقصد والمنزل ، أو الجهة التى إليها تطوى البلاد ، والعذافرة : الناقة الشديدة ، وقحم الطريق . مصاعبه

(٣) منع حسين من الصرف لضرورة الشعر (٤) أنشده عهد الخ : أعاهد عهد الله ، والذمم : العهود ، ورعايتها : المحافظة عليها والوفاء بها

عَنفتمُ قَومَكُمْ فَخراً بأمِّكُمُ أُمٌّ حَصانٌ لعمرى بَرَّةٌ كَرَمُ (١)

هِيَ (٢) الَّتِي لَا يُدَانِي فَضْلَهَا أَحَدٌ

بِنتُ الرَّسُولِ وَخَيرِ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا

وَفَضْلُهَا لَكُمُ فَضلٌ وَغَيرُكُمُ (٣)

مِنْ قَوْمِكُمْ لَهُمْ فِي فَضْلِهَا قِسَمُ

إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوْ ظَنًّا كَعَالِمِهِ

وَالظَّنُّ يَصْدُقُ أَحْيَانًا فَيَنْتَظِمُ (٤)

أَنْ سَوْفَ يَتْرُكُكُمْ مَا تَطْلُبُونَ بِهَا

قَبْلِي تَهَادَاكُمُ الْعِقْبَانُ وَالرَّخَمُ (٥)

يَا قَوْمَنَا لَا تُشِبُّوا الْقَوْمَ إِذْ خَمَدَتْ

وَمَسَّكُوا بِحِبَالِ السِّلْمِ وَاعْتَصِمُوا (٦)

قَدْ جَرَّتِ الْحَرْبُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكُمُ

مِنَ الْقُرُونِ وَقَدْ بَادَتْ بِهَا الْأُمَمُ

---

(١) أى عفيفة ، والبرة : الصالحة الفاعلة للبر الصادقة (٢) فى الأصل : « هل » تحريف (٣) فى الأصل : « وغركم » تحريف (٤) قوله : أوظنا كعالمه : أى ظنا يشبه العلم فى القوة والتصديق ، والظن : إدراك الطرف الراجح ، والعلم : الاذعان بالشىء والتصديق ، وينتظم : يتسق ويستقيم . (٥) قوله : تهاداكم الخ ، يهدى بعضها إلى بعض لحومكم . والعقبان جمع عقاب : طائر من الجوارح يقع على الذكر والأنثى ، والرخم : طير أبقع يشبه النسر فى الخلقة ، واحده رخمة (٦) لا تشبوا القوم : لا تحملوهم على شهوة القتال وترغبوهم فى ذلك ، وخمدت : سكنت وطفئت : ومسكوا : تمسكوا — وقوله بحبال السلم واعتصموا — مجاز عن الأمر بالاتحاد ونبذ الشقاق والشحناء

فَأَنْصِفُوا قَوْمَكُمْ لَا تَهْلِكُوا بَذَخاً
فَرُبَّ ذِي بَذَخٍ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ

قَالَ فَسُرِّىَ عَنْ عِيسَى(١) بَعْضُ مَا كَانَ فِيهِ. قَالَ ابْنُ مُنَاذِرٍ يَهْجُو ابْنَ دَأْب :

وَمَنْ يَبْغِ الْوَصَاةَ(٢) فَإِنَّ عِنْدِي
وَصَاةً لِلْكُهُولِ وَلِلشَّبَابِ

خُذُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ
وَلَا تَرْوُوا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابِ

تَرَى الْغَاوِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا(٣)
مَلَاهِيَ مِنْ أَحَادِيثٍ كِذَابِ

إِذَا طُلِبَتْ مَنَافِعُهَا اضْمَحَلَّتْ
كَمَا يَنْجَابُ رَقْرَاقُ(٤) السَّرَابِ

وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ النُّمَيْرِيِّ عَنْ خَالِهِ ابْنِ أَبِي شُمَيْلَةَ قَالَ : كَانَ خَلَفٌ الْأَحْمَرُ يَنْسُبُ ابْنَ دَأْبٍ إِلَى الْكَذِبِ قَالَ : فَغَدَوْتُ يَوْماً أَنَا وَخَلَفٌ عَلَى ابْنِ دَأْبٍ فَأَخَذَ فِي حَدِيثِ ذِي الْخَلَصَةِ(٥) حَتَّى انْقَضَى، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قُلْتُ لِخَلَفٍ يَا أَبَا مُحْرِزٍ:

---

(١) سرى عنه بالبناء للمجهول : كشف عنه الهم . (٢) الوصاة : الوصية
(٣) الشطر فى الأصل : « يرى الغاوون منها » والتصحيح من الأغانى ج ١٧ ص ٢٤
(٤) ينجاب : ينكشف وينقطع ، ورقراق السراب : ما تلألأ منه . (٥) ذو الخلصة : محركة وبضمتين : بيت كان يدعى الكعبة اليمانية لبنى خثعم ، سمى بذلك لصنم كان فيه يسمى الخلصة ، أو لأنه كان فى منبت الخلصة .

أَتُرَاهُ كَذَبَ ؟ . قَالَ : لَا أَدْرِى ، وَاللهِ لَا أَعْرِفُ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . قَالَ عُمَرُ : وَلِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ فِى أَبِى الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدِ ابْنِ عُبَيْدِ اللهِ :

لَنَا صَاحِبٌ مُولَعٌ بِالْمِرَاءِ (١)
كَثِيرُ الْخَطَاءِ قَلِيلُ الصَّوَابِ
أَشَدُّ لَجَاجاً مِنَ الْخُنْفُسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَامَشَى مِنْ غُرَابِ
وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ فِى فِقْرَةٍ
إِذَا حَصَّلَ الْعِلْمَ غَيْرَ التُّرَابِ (٢)
أَحَادِيثُ أَلَّفَهَا شَوْكَرٌ وَأُخْرَى مُؤَلَّفَةٌ لِابْنِ دَابِ

قَالَ الْمَرْزُبَانِىُّ : وَقَوْمٌ يَرْوُونَ فِى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ زِيَادَةً ، وَأَبْيَاتُ خَلَفٍ هِىَ هَذِهِ ، وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهَا فِيمَا ذَكَرَ الْمُقَدَّمِىُّ وَالْكُرَانِىُّ لِأَبَانَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ اللَّاحِقِىِّ . وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ قَالَ : شَوْكَرٌ شَاعِرٌ بِالْبَصْرَةِ يَضَعُ الْأَخْبَارَ وَالْأَشْعَارَ (٣) .

وَحَدَّثَ الرِّيَاشِىُّ قَالَ : قَالَ الْأَصْمَعِىُّ : قُلْتُ لِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ : أَمَا تَرَى مَاجَاءَ بِهِ ابْنُ دَأْبٍ مِنَ الْحِجَازِ ؟ وَالشَّوْكَرِىُّ مِنَ

(١) المراء : الجدل والنزاع والمحاجة . (٢) الفقرة من الكلام : كالبيت من الشعر — والمعنى : أنه لا يعى شيئا من العلم ولا فقرة منه سوى قشور لا تنفع كالتراب . (٣) قد ورد ذكره فى ميزان الاعتدال .

الكوفة؟ فقال: إنما يروى لهؤلاء من يقول: قالت سِتّى، ويدعو ربه من دفتر، ويسبح بالحصى، ويحلف بحيث المصحف، ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول: أكلنا وشربنا. وزعم العنزى أن ابن دأب كان يتشيع ويضع أخباراً لبنى هاشم، وكان عوانة بن الحكم عثمانيًا ويضع أخباراً لبنى أمية.

وحدث مصعب بن عبد الله الزبيرى قال: شيطان الردهة شىء وضعه ابن دأب، وهو ذو الثدية[1] فيما زعم قال: جاءت أمة تستسقى ماء فوقع بها شيطان فحملته فولدته.

وحدث المرزبانى فيما رفعه إلى مصعب الزبيرى عن أبيه قال: كنا جماعة نجالس الهادى أنا وسعيد بن سلم الباهلى وابن دأب وعبد الله بن مسلم العزيزى وكان أجرأنا عليه، فخرج علينا مغيظاً متغيراً فسأله العزيزى عن خبره فقال: لم أر كصاحب الدنيا أكثر آفات ولا أدوم هموماً، قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبى جعفر منى، وأثرتها عندى[2]، وأنها أغلظت لى بإدلالها[3] فى شىء فلم أجد صبراً فنلتها بيدى[4] فندمت عليه. فسكتنا خوفاً من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك. فقال ابن دأب: وما فى ذلك

(١) ذو الثدية: رجل اسمه نرملة (٢) الأثرة: تقديمى لها (٣) أى بدالتها
(٤) أى ضربتها بها.

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ هَذَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَوَارِيُّ[١] رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمَّتِهِ ، ضَرَبَ امْرَأَتَهُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا حَتَّى كَسَرَ يَدَهَا وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مُفَارَقَتِهِ إِيَّاهَا لِأَنَّهُ قَالَ : أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ حَالَ[٢] عَبْدُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكِ يَعْنِي ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، فَلَمْ يُخَلِّهِ[٣] وَخَلَّصَهَا ، وَهَذَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ ؟ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ أَخُو الزُّبَيْرِ ـ آخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا ـ عَتَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ فِي شَيْءٍ فَضَرَبَهَا حَتَّى حَالَ بَنُوهَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ :

لَوْلَا بَنُوهَا حَوْلَهَا لَخَبَطْتُهَا
إِلَى أَنْ تُدَانِي الْمَوْتَ غَيْرَ مُذَمَّمِ[٤]
وَلَكِنَّهُمْ حَالُوا بِمَنْعِي دُونَهَا
فَلَا تَعْدَمِيهِمْ بَيْنَ نَاهٍ وَمُقْسِمِ[٥]

(١) حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال البيضاوى : حوارى الرجل خالصته ، من الحور : وهو البياض الخالص ، ومنه الحواريات للحضريات أى نساء الأمصار لخلوص ألوانهن . (٢) حال بينهما حولا وحيلولة : حجز .
(٣) أى فلم يتركه . (٤) لخبطتها : لضربتها ضربا شديدا ، ولم تظهر الفتحة على ياء تدانى للضرورة (٥) فلا تعدميهم : دعاء لها ببقاء أولادها ، والناهى : الذى ينهانى ، والمقسم : الحالف ألا أفعل

فَمَالَتْ وَفِيهَا حَائِشٌ مِنَ غَبِيطِهَا
كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَهَّمِ (١)

قَالَ: فَضَحِكَ الْهَادِي وَسُرِّيَ عَنْهُ وَأَمَرَ بِالطَّعَامِ، وَأَمَرَ لِابْنِ دَأْبٍ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُصْعَبٍ: فَتَأَسَّفْتُ كَيْفَ سَبَقَنِي إِلَى شَيْءٍ أَحْفَظُهُ مِثْلَ حِفْظِهِ.

وَحَدَّثَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ قَالَ: فَأَمَّا مَدِينَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا نَعْلَمُ بِهَا إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ.

حَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ زَمَانًا مَعَ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ وَالِيهَا، فَمَا رَأَيْتُ بِالْمَدِينَةِ قَصِيدَةً وَاحِدَةً صَحِيحَةً إِلَّا مُصَحَّفَةً (٢) أَوْ مَصْنُوعَةً، وَكَانَ ابْنُ دَأْبٍ يَضَعُ الشِّعْرَ وَأَحَادِيثَ السَّمَرِ وَكَلَامًا يَنْسُبُهُ إِلَى الْعَرَبِ فَسَقَطَ وَذَهَبَ عِلْمُهُ وَخَفِيَتْ رِوَايَتُهُ. قَالَ: وَكَانَ شَاعِرًا وَعِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ أَكْثَرُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَأَتَعَجَّبُ لِابْنِ دَأْبٍ حِينَ يَزْعُمُ أَنَّ أَعْشَى هَمْدَانَ يَقُولُ:

(١) الحائش: أصلا جماعة النخل ولا واحد له، والغبيط: الدم، وحاشية البرد: جانبه، واليماني: المنسوب إلى اليمن، والمسهم: المخطط (٢) أي فيها تغيير في كلماتها، والمصنوع من الشعر: ما لم يسمع من العرب ولكن صنعه بعض النحاة ونسبه إلى العرب لاثبات دعواه.

مَنْ رَأَى لِي غُزَيِّلِي أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتُهْ
وَخِضَابٌ بِكَفِّهِ أَسْوَدُ اللَّوْنِ قَارِتُهْ

ثُمَّ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يَا سُبْحَانَ اللهِ، يَحْذِفُ الْأَلِفَ الَّتِي قَبْلَ الْهَاءِ فِي اللهِ وَيُسَكِّنُ الْهَاءَ وَيَرْفَعُ تِجَارَتُهُ وَهُوَ مَنْصُوبٌ؟ وَيُجَوِّزُ هَذَا عَنْهُ، وَيَرْوِي النَّاسُ عَنْ مِثْلِهِ! قَالَ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ خَلَفًا الْأَحْمَرَ يَقُولُ: لَقَدْ طَمِعَ ابْنُ دَأْبٍ فِي الْخِلَافَةِ حِينَ يُجَوَّزُ مِثْلُ هَذَا عَنْهُ.

﴿ ٢٦ — عُيَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ ﴾
﴿ يُكْنَى أَبَا الْمِنْهَالِ * ﴾

ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ فَقَالَ: عُيَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمِنْهَالِ اللُّغَوِيُّ الْمُهَلَّبِيُّ صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ، تِلْمِيذُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، مُؤَدِّبُ الْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَرَدَ مَعَهُ نَيْسَابُورَ وَتُوُفِّيَ بِهَا، وَرَوَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، وَيَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ حَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى الْمِنْهَالِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا تَتَصَدَّرْ إِلَى فَائِقٍ أَوْ مَائِقٍ[1]. قَالَ: عيينة بن عبد الرحمن المهلبي

(١) الفائق: الأديب الخطيب، والجمع فوقه، والمائق: الأحمق في غباوة، والجمع موق

(*) راجع بغية الوعاة، وراجع أنباه الرواة جزء أول

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي عُمَرَ الْمُسْتَمْلِي : سَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ الْفَرَّاءَ ، سَمِعْتُ عُيَيْنَةَ الْمُهَلَّبِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ أَبِي عَرُوبَةَ يَقُولُ : مَا وَصَّى اللهُ النَّاسَ بِشَيْءٍ مَا وَصَّاهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ .

قَالَ عُيَيْنَةُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ : إِنِّي مُسْتَرْشِدٌ ، قَالَ : اجْلِسْ فَجَلَسَ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ جَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ أَبَانَا مَاتَ وَتَرَكَنِي وَأَخًا لِي هَجِينًا [1] . فَقَالَ جَعْفَرٌ : الْمُلْكُ بَيْنَكُمْ أَثْلَاثٌ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : وَاللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَرَ بِهَذَا [2] ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : رَضِيتُ رَضِيتُ رَضِيتُ . لَهُ كِتَابٌ فِي النَّوَادِرِ ، وَكِتَابٌ فِي الشِّعْرِ .

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : كَانَ أَبُو الْمِنْهَالِ مَعَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الطَّاهِرِيِّ وَكَانَ آنِسًا بِهِ يُحَادِثُهُ وَيُجَالِسُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ أَبَا الْمِنْهَالِ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بِخُرَاسَانَ وَكَانَ يُقَدِّمُهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكُنَّا نَجْلِسُ إِلَيْهِ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا . وَمِمَّا قَرَأْتُهُ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَنْصَارِ ، وَكِتَابُ الْأَزْدِ ، وَكَانَ يَنْزِلُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ عِنْدَ مَنَازِلِ الْعَاصِمِيِّينَ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ

(١) الهجين : عربى وُلد من أمة ، أو من أبوه خير من امه ، والجمع هجن وهجناء

(٢) سقط من الأصل « قال نعم »

دَارُ الْمَهَالِبَةِ ، وَكَانَ أَحَدَّ (١) مَنْ لَقِيَ النَّاسَ وَسَمِعَ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْإِسْنَادِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَيَّامِ ، وَعَمِلَ كِتَابًا لِإِسْحَاقَ فِي الْقُرْآنِ ، وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لَا يَأْتِي إِسْحَاقَ وَلَا يَلْقَاهُ وَكَانَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الِانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ ، يُوَجِّهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِدَرْجٍ (٢) فِيهِ مِنْ سَمَاعِهِ الْإِشَارَاتُ الْحَسَنَةُ وَاللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ ، فَإِذَا قَرَأَهُ إِسْحَاقُ وَقَّعَ إِلَى كَاتِبِهِ : ادْفَعْ إِلَيْهِ ثَلَاثَمِائَةِ دِينَارٍ ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ .

﴿ ٢٧ – غَانِمُ بْنُ وَلِيدٍ الْمَالَقِيُّ * ﴾

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَخْزُومِيُّ النَّحْوِيُّ : قَالَ ابْنُ خَاقَانَ : هُوَ عَالِمٌ مُتَفَرِّسٌ (٣) ، وَفَقِيهٌ مُدَرِّسٌ ، وَأُسْتَاذٌ مُجَوِّدٌ (٤) ، وَإِمَامٌ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مُجَرِّدٌ (٥) . وَأَمَّا الْأَدَبُ فَكَانَ جُلَّ شِرْعَتِهِ (٦) وَهُوَ رَأْسُ بُغْيَتِهِ ، مَعَ فَضْلٍ وَحُسْنِ طَرِيقَةٍ ، وَجِدٍّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَحَقِيقَةٍ ، وَلَهُ : غانم بن وليد المالقي

صَيِّرْ فُؤَادَكَ لِلْمَحْبُوبِ مَنْزِلَةً ... سَمُّ (٧) الْخِيَاطِ مَجَالٌ لِلْمُحِبَّيْنِ

(١) الأحد : ذو الحدة فى اللسن (٢) أى قرطاس طويل يكتب فيه ويدرج أى يلف
(٣) أى ذو فراسة (٤) المجود : المحسن ، والآتى بالجيد (٥) المجرد : السباق
(٦) الشرعة بالكسر : الشريعة والطريقة (٧) سم الخياط : ثقب الابرة ، مجال : واسع

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج أول ، وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة .

وَلَا تُسَامِحْ بَغِيضاً [١] فِي مُعَاشَرَةٍ
فَقَلَّمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضَيْنِ

لَا أَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طِيزٍ . قَالَ : أَنْشَدَنِي غَانِمُ بْنُ وَلِيدٍ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ :

ثَلَاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدَارُهَا   الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ وَالْقُوتُ
فَلَا تَثِقْ بِالْمَالِ مِن غَيْرِهَا   لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وَيَاقُوتُ

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي غَانِمٌ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ :

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِي أَخَا ثِقَةٍ   عَدِمْتَ مَا تَبْتَغِي فَدَعْ طَمَعَكْ
دَاجِ [٢] الْمُدَاجِينَ مَا لَقِيتَهُمُ
وَخَادِعِ [٣] النَّفْسَ لِامْرِئٍ خَدَعَكْ
لَا تَكْشِفِ الْمَرْءَ عَنْ سَرَائِرِهِ
وَدَعْهُ تَحْتَ النِّفَاقِ مَا وَدَعَكْ [٤]
أَظْهِرْ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ ذِي بَلَهٍ [٥]   تُرِيهِ إِنْ ضَرَّ أَنَّهُ نَفَعَكْ

---

(١) البغيض : المكروه ، والمعنى : لا تعاشر بغيضا فتضايق نفسك (٢) داجى فلان فلانا : منعه منعا ليس بالجافى ولا اللين ، ونافقه فهو مداج (٣) الخديعة : أن توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه ، من قولهم : خدع الضب : إذا توارى فى جحره ، ويقال : خادع إذا لم يبلغ مراده ، وخدع إذا بلغ مراده

(٤) ما ودعك : ما تركك ، وهذا الماضى نادر الاستعمال (٥) أى صاحب بله ، وهو الأبله الغافل عن الشر ، والقليل الفطنة لمداق الأمور

وَلِغَانِمٍ أَنْشَدَهُ ابْنُ خَاقَانَ :

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْفَتَى مِنْ قَلَقٍ يَهْتِكُ سِتْرَ الْوَقَارِ
مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالِهِ كَانَ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ

﴿ ٢٨ — فَاطِمَةُ بِنْتُ الْأَقْرَعِ الْكَاتِبَةُ * ﴾

فاطمة بنت الأقرع الكاتبة

وَجَدْتُ بِخَطِّهَا رُقْعَةً هَذِهِ نُسْخَتُهَا : الْأَمَةُ الْكَاتِبَةُ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ثِقَتِي بِاللهِ وَحْدَهُ ، خَشَعَتْ لِصَوْلَةِ عِزِّ الْمَجْلِسِ الْعَالِي الْعَادِلِيِّ الْمُؤَيَّدِيِّ الْمُظَفَّرِيِّ الْمَنْصُورِيِّ الْعِزِّيِّ السَّعْدِيِّ الرُّكْنِيِّ النَّصِيرِيِّ الْمَجْدِيِّ الشَّرَفِيِّ الْأَمِيرِيِّ ، — أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ — ، وَضَاعَفَ اقْتِدَارَهُ عَقِبَ الدُّهُورِ(١) ، وَانْقَادَتْ لِمَشِيئَتِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ ، وَامْتَدَّتْ إِلَى نَوَالِهِ آمَالُ السُّؤَّالِ ، وَأَنَاخَتْ بِفِنَائِهِ رَوَاحِلُ الرِّجَالِ . فَمَا إِنْسَانٌ إِلَّا مَوْفُورٌ بِبِرِّهِ . وَلَا لِسَانٌ إِلَّا مُسَبِّحٌ بِشُكْرِهِ ، وَلَا آمِلٌ إِلَّا مَصْرُوفٌ إِلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْآمَالِ فِي نَفْسِهِ وَذَوِيهِ مَا لَا يَرْنُو إِلَيْهِ طَرْفٌ ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَصْفٌ :

حَتَّى تَسِيرَ مَسِيرَ الشَّمْسِ رَايَتُهُ وَتَعْتَلِي بِاسْمِهِ الْعَالِي عَلَى الْقَمَرِ
وَيَخْتِمَ الْأَرْضَ طُرَّاطِينُ خَاتَمِهِ وَيَغْتَدِي أَمْرُهُ أَمْضَى مِنَ الْقَدَرِ

---

(١) تريد إلى آخرها

(*) ترجم له فى كتاب شذرات الذهب ج ثالث

وَمِنْ بَعْدُ : فَقَدْ ذَهَبْتُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي وَأَعَزَّ سُلْطَانَهُ — ، فِي دَرْجٍ قَدْ قَرَنْتُهُ بِهَذِهِ الرُّقْعَةِ — مَذْهَبَ الْمُطْرِفِ الْمُعْجِبِ ، وَهُوَ مِمَّا لَمْ أُسْبَقْ إِلَى مِثْلِهِ مِنْ مُقَدَّمِي أَهْلِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مِنَ الذُّكُورِ دُونَ الْإِنَاثِ، أَظْهَرْتُ فِيهِ الْمُعْجِزَ مِنْ عَاجِزٍ ، وَالْكَامِلَ مِنْ نَاقِصٍ ، كَمَا قَالَ قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ ، وَقَدْ يُسْتَعْذَبُ الشَّرِيبُ مِنْ مَنْبَعِ الزُّعَاقِ[1] ، وَيُسْتَطَابُ الصَّهِيلُ مِنْ مَخْرَجِ النُّهَاقِ . جَعَلْتُ فِي ذَلِكَ إِقْبَالَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ـ ضَاعَفَ اللهُ اقْتِدَارَهُ ـ قَائِدًا إِلَى طُرُقِ الرَّشَادِ ، وَعِزَّ سُلْطَانِهِ هَادِيًا مُبَصِّرًا إِلَى سُبُلِ الْإِصَابَةِ وَالْمُرَادِ ، وَأَظْهَرْتُ الْحُرُوفَ مَفْصُولَةً وَمَوْصُولَةً وَمُعَمَّاةً وَمُفَتَّحَةً فِي أَحْسَنِ صِيَغِهَا وَأَبْهَجِ خَلْقِهَا ، مُنْخَرِطَةَ الْمَحَاسِنِ فِي سِلْكِ نِظَامِهَا ، مُتَسَاوِيَةَ الْأَجْزَاءِ فِي تَجَاوُرِهَا وَالْبِنَاءِ . فَهِيَ لَيِّنَةُ الْمَعَاطِفِ وَالْأَرْدَافِ[2] ، مُتَنَاسِبَةُ الْأَوْسَاطِ وَالْأَطْرَافِ ، ظَاهِرُهَا وَقُورٌ سَاكِنٌ ، وَمُفَتَّشُهَا رَهَجٌ مَائِنٌ[3] ، وَإِنِ اسْتُخْدِمْتُ إِلَى مُهِمٍّ يَسْنَحُ ، أَوْفَيْتُ فِيهِ عَلَى كُلِّ مُرْتَسِمٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَسَالِفًا وَآنِفًا ،

(١) الشريب والشروب : مايشرب كالشراب ، أو هما الماء دون العذب وهو المراد والزعاق : الماء المر الغليظ لا يطاق شربه (٢) المعاطف : المثانى ، جمع معطف ، والارداف : أعجاز الكلام وأواخره ، جمع ردف (٣) وقور : ثابت ، ومفتشها : مخبرها ، والرهج هنا : السحاب بلا ماء ، والمائن هنا : المترقرق اللامع .

أُؤَمِّلُ بِذَلِكَ الْحُظْوَةَ مِنْ إِحْمَادِهِ وَجَمِيلِ رِعَايَتِهِ ، سَمِعَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِيهِ كُلَّ دُعَاءٍ مُسْتَجَابٍ مِنَ الْأَمَةِ الْكَاتِبَةِ ، وَمَنْ يَتَعَلَّقُ عَلَيْهَا مِنْ وَلِيدَةٍ وَمَوْلُودٍ ، وَشَرِيفٍ وَمَشْرُوفٍ ، وَعَجُوزٍ دَاعِيَةٍ ، وَأَمَةٍ خَادِمَةٍ لِمَا يُولِيهَا وَيُنْعِمُ عَلَيْهَا ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ خِدْمَتِهَا ، وَمَحَلَّ صَنْعَتِهَا ، — لَا سَلَبَهَا اللهُ وَسَائِرَ الْخَلْقِ ظِلَّهُ بِمَنِّهِ — ، قَدْ تَرَادَفَ الْإِنْعَامُ عَلَيْهَا دَفْعَةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى ، عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ السَّيِّدِ فَخْرِ الْكُفَاةِ أَبِي الْحُسَيْنِ ـ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ ـ وَتَوَلَّى عَنِّي مِنْ غَيْرِ حَقٍّ عَارِفَتَهُ[1] ، مَا لَا يَقُومُ بِوُسْعِهِ أَلْسِنَةُ الْقَائِلِينَ ، وَشُكْرُ الشَّاكِرِينَ ، فَإِذَا أَنْعَمَ عَلَى مَا أَصْدَرْتُهُ مِنَ الْخِدَمِ بِلَحْظَةٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ بِلَمْحَةٍ[2] ، أَدْرَكْتُ حَظِّي وَحُزْتُ أَمَلِي ، وَالرَّأْيُ السَّامِي فِي إِجَابَتِي إِلَى مَا سَأَلْتُ ، وَإِثْبَاتِي فِي جُمْلَةِ الْمَغْمُورِينَ[3] بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْأُدَبَاءِ وَالْحَشَمِ وَالْعَبِيدِ وَالْخَدَمِ[4] ، عُلُوُّهُ وَشَرَفُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

« تَرْجَمَةٌ ثَانِيَةٌ »

« فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَطَّارِ »

أُمُّ الْفَضْلِ الْمَعْرُوفَةُ بِبِنْتِ الْأَقْرَعِ الْكَاتِبَةُ ، صَاحِبَةُ

(١) العارفة : العطية والمعروف ، والجمع عوارف (٢) اللمحة : النظرة الخاطفة

(٣) المغمورين : المشمولين المنغمسين (٤) بهامش الاصل لعله سقط « دام » ولكنا نقول : لا حاجة إليها .

الْخَطِّ الْمَلِيحِ الْمَعْرُوفِ، مَاتَتْ فِيمَا ذَكَرَهُ تَاجُ الْإِسْلَامِ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ «قَالَهُ الْمُؤَلِّفُ عَنْ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّلَامِيِّ الْحَافِظِ» فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ شُهُورِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. قَالَ السَّمْعَانِيُّ: وَكَانَ لَهَا خَطٌّ مَلِيحٌ حَسَنٌ، وَهِيَ الَّتِي أُهِّلَتْ لِكِتَابَةِ كِتَابِ الْهُدْنَةِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ مِنَ الدِّيوَانِ الْعَزِيزِ، وَسَافَرَتْ إِلَى بِلَادِ الْجَبَلِ إِلَى الْعَمِيدِ أَبِي نَصْرٍ الْكُنْدُرِيِّ. وَكَتَبَ النَّاسُ عَلَى خَطِّهَا، وَكَانَتْ تَكْتُبُ طَرِيقَةَ ابْنِ الْبَوَّابِ، سَمِعَتْ أَبَا عُمَرَ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَهْدِيٍّ الْفَارِسِيَّ وَغَيْرَهُ. سَمِعَ مِنْهَا أَبُو الْقَاسِمِ مَكِّيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرُّمَيْلِيُّ الْحَافِظُ (١). وَرَوَى لَنَا عَنْهَا أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وَأَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَنْمَاطِيُّ بِبَغْدَادَ، وَأَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْبَغْدَادِيُّ الْحَافِظُ بِأَصْبَهَانَ وَغَيْرُهُمْ. سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْبَاقِي ابْنِ مُحَمَّدٍ الْبَزَّازَ الْعَرُوضِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْكَاتِبَةَ بِنْتَ الْأَقْرَعِ تَقُولُ: كَتَبْتُ وَرَقَةً لِعَمِيدِ الْمُلْكِ أَبِي نَصْرٍ الْكُنْدُرِيِّ وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ.

---

(١) لعله يريد: أبا العباس مكى بن عبد السلام الحافظ للترجم عند السمعانى والذهبى

أَخبرَنا أَبو البركَاتِ عبدُ الوهَّابِ ابنُ المبارَكِ بنِ أَحمدَ الحَافِظُ بِقِراءَتِي عَلَيْهِ ، أَخبرَتنا فَاطِمَةُ بِنتُ الحَسنِ بنِ عليٍّ العطَّارِ المُقرِىء قالَتْ : أَخبرَنا أَبو عُمرَ عبدُ الوَاحدِ بنُ محمَّدِ بنِ عبْدِ اللهِ بنِ مهْدِيٍّ الفَارسِيُّ ، حدَّثنا أَبو عبدِ اللهِ الحُسينُ بنُ إِسمَاعِيلَ المحَامِلِيُّ ، حدَّثنا أَبو هِشَامٍ الرِّفاعِيُّ ، حدَّثنا ابنُ فُضَيلٍ ، حدَّثنا الأَعمشُ عنْ عبدِ العزِيزِ بنِ رفيعٍ ، عنْ تَمِيمِ بنِ طَرَفَةَ ، عنْ عدِيِّ بنِ حاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فرأَى غيرَهَا خيراً مِنهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خيرٌ وَلْيُكَفِّرْ عنْ يمِينِهِ » . أَنشدَنا أَبو القَاسِمِ إِسمَاعِيلُ بنُ أَحمَدَ بنِ عُمرَ الحَافِظُ الأَشعِيُّ ، أَنشدَتنا الكَاتِبَةُ أُمُّ الفَضلِ فَاطِمَةُ بِنتُ الحَسنِ بنِ عَلِيٍّ المقْرِىء قالَتْ : أَنْشدَنا أَبو القَاسِمِ المُطرِّزُ فِي دَارِنا بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ لِنفْسِهِ :

سَرَى مُغْرَماً بِالعِيسِ يَنْتَجِعُ الرَّكْبَا
يُسَائِلُ عَنْ بَدْرِ الدُّجَى الشَّرْقَ وَالغَرْبَا

إِذَا مَلأَ البَدْرُ العُيُونَ فَعِنْدَهُ
لِعَيْنَيْكَ بَدْرٌ يَمْلأُ العَيْنَ وَالقَلْبَا

وَلَمَّا هَوَى دَمْعِي لِيَوْمِ فِرَاقِهِ
عَقِيقاً تَهَاوَى دَمْعُهُ لُؤْلُؤاً رَطْبَا

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِبِي
فَلَا وَرَدَتْ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا

٢٩ – الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَائِدُ *

الفتح بن خاقان

وَقِيلَ: الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بْنِ غُرْطُوجَ، كَذَا قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ النَّدِيمُ[(١)]: كَانَ فِي نِهَايَةِ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ، وَاتَّخَذَهُ الْمُتَوَكِّلُ أَخًا وَكَانَ يُقَدِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَوْلَادِهِ. قُتِلَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ لَيْلَةَ قُتِلَ بِالسُّيُوفِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِالْمُتَوَكِّلِيَّةِ[(٢)]، وَكَانَتْ لَهُ خِزَانَةُ كُتُبٍ جَمَعَهَا لَهُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ لَمْ يُرَ أَعْظَمُ مِنْهَا كَثْرَةً وَحُسْنًا. وَكَانَ يَحْضُرُ دَارَهُ فُصَحَاءُ الْأَعْرَابِ وَعُلَمَاءُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ. قَالَ أَبُو هِفَّانَ: ثَلَاثَةٌ لَمْ أَرَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ بِأَكْثَرَ مَحَبَّةً لِلْكُتُبِ وَالْعُلُومِ مِنَ الْجَاحِظِ، وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَبَاقِي الْقِصَّةِ فِي أَخْبَارِ الْجَاحِظِ فَكَرِهْتُ التَّكْرَارَ. وَلِلْفَتْحِ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْبُسْتَانِ صَنَّفَهُ

(١) ص ١١٦ (٢) مدينة بناها المتوكل

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ص ١٦٩

رَجُلٌ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وَيُلَقَّبُ بِرَأْسِ الْبَغْلِ وَنَسَبَهُ إِلَيْهِ، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالْجَوَارِحِ[١]. وَذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ فِي تَارِيخِ الشَّامِ فَقَالَ: الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بْنِ غُرْطُوجَ التُّرْكِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ قَدِمَ الشَّامَ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ مُعَادِلَهُ عَلَى جَمَّازَةٍ[٢]، ثُمَّ نَزَلَ بِالْمِزَّةِ[٣] فَلَمَّا رَحَلَ الْمُتَوَكِّلُ عَنْ دِمَشْقَ اُسْتَخْلَفَ بِهَا كَابِنَا تِكِينَ التُّرْكِيَّ. وَكَانَ عَلَى خَاتَمِ الْمُتَوَكِّلِ وَقُتِلَ مَعَهُ. رَوَى عَنْهُ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ الْأَسْلَمِيُّ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُؤَدِّبُ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ: دَخَلَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا إِلَى خَاقَانَ بْنِ غُرْطُوجَ يَعُودُهُ فَرَأَى الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ ابْنَهُ وَهُوَ صَبِيٌّ لَمْ يَتَغَدَّ[٤] فَمَازَحَهُ ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَحْسَنُ دَارِي أَمْ دَارُكُمْ؟ فَقَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ: يَا سَيِّدِي دَارُنَا إِذَا كُنْتَ فِيهَا أَحْسَنُ، فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: لَا أَبْرَحُ وَاللهِ حَتَّى أَنْثُرَ عَلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَفَعَلَ ذَلِكَ. وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ

---

(١) زاد فى الفهرست: كتاب اختلاف الملوك. كتاب الروضة والزهر.

(٢) الجمازة: الناقة السريعة أو الحمارة السريعة مؤنث الجماز — والجمزى: نوع من العدو وهو دون الحضر وفوق العنق (٣) المزة: قرية غناء فى وسط بساتين دمشق، بها قبر الصحابى الجليل سيدنا دحية الكلبي رضى الله عنه

(٤) أي لم يجاوز غدوة العمر، وعلق عليها هامش الأصل عن نصر بقوله «لعله لم يتعد وسقط عدد السنين»

قَالَ : أُنْشِدَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ :

لَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي وَامْضِ عَنِّي مُصَاحِبًا بِسَلَامِ

وَإِذَا مَا شَكَوْتُ مَا بِيَ قَالَتْ

قَدْ رَأَيْنَا خِلَافَ ذَا فِي الْمَنَامِ

فَزَادَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ :

لَمْ تَجِدْ عِلَّةً تَجَنَّى بِهَا الذَّنْـ ـبَ فَصَارَتْ تَعْتَلُّ بِالْأَحْلَامِ (١)

قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَسَمِعْتُ الْفَتْحَ يُنْشِدُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ بِسَاعَاتٍ هَذَا الْبَيْتَ وَهُوَ :

وَقَدْ يَقْتُلُ الْغُتْمِيُّ مَوْلَاهُ غِيلَةً (٢)

وَقَدْ يَنْبَحُ الْكَلْبُ الْفَتَى وَهُوَ غَافِلُ

وَكَانَ الْفَتْحُ يَتَعَشَّقُ خَادِمًا لِلْمُتَوَكِّلِ اسْمُهُ شَاهِكُ ، وَلَهُ فِيهِ أَشْعَارٌ مِنْهَا :

أَشَاهِكُ ، لَيْلِي مُذْ هَجَرْتَ طَوِيلُ

وَعَيْنِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوعِ تَسِيلُ

وَبِي مِنْكَ وَالرَّحْمَنِ مَالَا أُطِيقُهُ

وَلَيْسَ إِلَى شَكْوَى إِلَيْكَ سَبِيلُ

(١) تجنى أصله تتجنى ، وتعتل بالأحلام : تتعلل بها وتحتج وتتمسك . (٢) الغتمى بالضم : من لا يفصح شيئا . والغتمة : العجمة فى المنطق . والغيلة : الاغتيال ، وقتله غيلة : خدعه فذهب به إلى موضع فقتله .

أَشَاهِكُ لَوْ يُجْزَى الْمُحِبُّ بِوُدِّهِ
جُزِيتُ وَلَـكِنَّ الْوَفَاءَ قَلِيـلُ

قَالَ ابْنُ حَمْدُونَ : كَانَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ يَأْنَسُ بِي وَيُطْلِعُنِي عَلَى الْخَاصِّ مِنْ سِرِّهِ ، فَقَالَ لِي مَرَّةً : شَعَرْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنِّي انْصَرَفْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَنْزِلِي اسْتَقْبَلَتْنِي فُلَانَةُ يَعْنِي جَارِيَتَهُ فَلَمْ أَتَمَالَكْ أَنْ قَبَّلْتُهَا، فَوَجَدْتُ فِيمَا بَيْنَ شَفَتَيْهَا هَوَاءً لَوْ رَقَدَ الْمَخْمُورُ فِيهِ لَصَحَا ، فَكَانَ هَذَا مِنْ مُسْتَحْسَنِ كَلَامِ الْفَتْحِ ، فَكَأَنَّ الْوَأْوَاءَ الدِّمِشْقِيَّ سَمِعَ هَذَا حِينَ[1] قَالَ :

سَقَى اللهُ لَيْلًا طَابَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ
فَأَفْنَيْتُهُ حَتَّى الصَّبَاحِ عِنَاقَا
يَطِيبُ نَسِيمٌ مِنْهُ يَسْتَجْلِبُ الْكَرَى
وَلَوْ رَقَدَ الْمَخْمُورُ فِيهِ أَفَاقَا
تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَفَارَقَنِي لَمَّا أَمِنْتُ فِرَاقَا

وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْمَجَامِيعِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ يَصِفُ الْوَرْدَ:

أَمَا تَرَى الْوَرْدَ يَدْعُو الشَّارِبِينَ إِلَى
حَمْرَاءَ صَافِيَةٍ فِي لَوْنِهَا صِنَبُ[2]

(١) في الأصل « حتى » (٢) في الأصل « صبب » محرفة ، والصواب صنب كما أصلحنا ، أى لون الصناب وهو صبغ يتخذ من الخردل والزبيب

مَدَاهِنٌ مِنْ يَوَاقِيتٍ مُرَكَّبَةٍ عَلَى الزُّمُرُّدِ فِي أَجْفَانِهَا ذَهَبُ
خَافَ الْمَلَالَ إِذَا طَالَتْ إِقَامَتُهُ
فَصَارَ يَظْهَرُ أَحْيَانًا وَيَحْتَجِبُ

وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا، زَكِيَّ النَّفْسِ حَسَنَ الْعِشْرَةِ، لَطِيفَ الْأَخْلَاقِ، مُتَوَدِّدًا مُحَبَّبًا إِلَى كُلِّ مَنْ يُكَلِّمُهُ، وَكَانَ غَايَةً فِي الْجُودِ، وَكَانَ قَدْ تَنَزَّلَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وَكَانَ خَدَمَ قَبْلَهُ الْمُعْتَصِمَ وَالْوَاثِقَ. فَذَكَرَ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ: قَالَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ: غَضِبَ عَلَيَّ الْمُعْتَصِمُ ثُمَّ رَضِيَ عَنِّي وَقَالَ لِي: ارْفَعْ حَوَائِجَكَ لِتُقْضَى، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَإِنْ جَلَّ، يَفِي بِرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ قَلَّ. قَالَ: فَأَمَرَ فَحُشِيَ فَمِي جَوْهَرًا.

أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ النَّجَّارِ الْحَافِظُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الثَّعْلَبِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ، حَدَّثَنَا الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ السَّرَّاجُ، حَدَّثَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ وَهْبِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي الْبُحْتُرِيُّ قَالَ: قَالَ الْمُتَوَكِّلُ: قُلْ فِيَّ شِعْرًا وَفِي الْفَتْحِ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَحْيَا مَعِي وَلَا أَفْقِدَهُ فَيَذْهَبَ عَيْشِي، وَلَا يَفْقِدَنِي

فَيَذِلُّ ، فَقُلْ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَقُلْتُ أَبْيَاتِي :

سَيِّدِي أَنْتَ كَيْفَ أَخْلَفْتَ وَعْدِي
وَتَثَاقَلْتَ عَنْ وَفَاءٍ بِعَهْدِي !

فَقُلْتُ فِيهَا :

لَا أَرَتْنِي الْأَيَّامُ فَقْدَكَ يَا فَتْـ
ـحُ وَلَا عَرَّفَتْكَ مَا عِشْتَ فَقْدِي
أَعْظَمُ الرُّزْءِ أَنْ تُقَدَّمَ قَبْلِي وَمِنَ الرُّزْءِ أَنْ تُؤَخَّرَ بَعْدِي
حَسَداً أَنْ تَكُونَ إِلْفاً لِغَيْرِي إِذْ تَفَرَّدْتُ بِالْهَوَى قَبْلُ وَحْدِي

قَالَ الْبُحْتُرِيُّ : فَقُتِلَا مَعاً وَكُنْتُ حَاضِراً وَرَبِحْتُ هَذِهِ الضَّرْبَةَ ، وَأَوْمَأَ إِلَى ضَرْبَةٍ فِي ظَهْرِهِ فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللهِ يَا بُحْتُرِيُّ وَجِئْتَ بِمَا فِي نَفْسِي ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ . وَقَالَ غَيْرُ وَهْبٍ الرَّاوِي لِلْخَبَرِ : قَالَ الْبُحْتُرِيُّ : قَدْ كُنْتُ عَمِلْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي غُلَامٍ كُنْتُ أَكْلَفُ بِهِ ، فَلَمَّا أَمَرَنِي الْمُتَوَكِّلُ بِمَا أَمَرَ تَنَحَّيْتُ فَقُلْتُ الْأَبْيَاتَ ، وَأَرَيْتُهُ أَنِّي عَمِلْتُهَا فِي وَقْتِي وَمَا غَيَّرْتُ فِيهَا إِلَّا لَفْظَةً وَاحِدَةً ، فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ :

لَا أَرَتْنِي الْأَيَّامُ فَقْدَكَ مَا عِشْتُ

فَجَعَلْتُهُ يَا فَتْحُ . وَتَحَدَّثَ الشِّمْشَاطِيُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنِي

مُحَمَّدُ بْنُ عبْدِ اللهِ ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الفضْلِ الهَاشِمِيُّ ، حدَّثَنَا عَلِيُّ ابْنُ الجَهْمِ القُرَشِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى المُتَوَكِّلِ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ ، فَسلَّمْتُ عليْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ وَأَجْلَسَنِي فَحَانَتْ[1] مِنِّي التِفَاتَةٌ فرَأَيْتُ الفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَاقِفًا فِي غَيْرِ رُتْبَتِهِ الَّتِي كَانَ يَقُومُ فِيهَا مُتَّكِئًا عَلَى سَيْفِهِ مُطْرِقًا ، فَأَنْكَرْتُ حَالَهُ فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظَرَ إِلَى الخَلِيفَةِ ، فإِذَا صَرَفْتُ وَجْهِي نَحْوَ الخَلِيفَةِ أَطْرَقَ ، فقَالَ : يَاعَلِيُّ ، أَأَنْكَرْتَ شَيْئًا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . فقَالَ : مَا هُوَ ؟ قُلْتُ : وُقُوفُ الفَتْحِ فِي غَيْرِ رُتْبَتِهِ الَّتِي كَانَ يَقُومُ فِيهَا .

قَالَ: سُوءُ اخْتِيَارِهِ أَقَامَهُ ذَلِكَ المُقَامَ . قُلْتُ: مَا السَّبَبُ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ قَبِيحَةَ آنِفًا فَأَسْرَرْتُ إِلَيْهِ سِرًّا فَمَا عَدَانِي السِّرُّ إِذْ عَادَ إِلَيَّ .

قُلْتُ : لَعَلَّكَ أَسْرَرْتَهُ إِلَى غَيْرِهِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا كَانَ هَذَا ؟ قُلْتُ : فَلَعَلَّ مُسْتَمِعًا اسْتَمَعَ عَلَيْكُمَا . قَالَ : وَلَا هَذَا أَيْضًا . قَالَ: فَأَطْرَقْتُ مَلِيًّا[2] ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَدْ وَجَدْتُ لَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مَخْرَجًا . قَالَ مَا هُوَ ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، حَدَّثَنَا المُسْتَمِرُّ بْنُ سُلَيْمَانَ

(١) أي آنت وحصلت . (٢) أي زمانا طويلا — قيل هو صفة استعملت استعمال الأسماء .

عَنْ أَبِي الْجَوْزَاء قالَ : طَلَّقْتُ امْرَأَتِي فِي نَفْسِي وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، فَقَالَتْ لِي امْرَأَتِي : أَطَلَّقْتَنِي يَا أَبَا الْجَوْزَاء ؟ قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا ؟ قَالَتْ : خَبَّرَتْنِي جَارَتِي الْأَنْصَارِيَّةُ ، قُلْتُ : وَمَنْ خَبَّرَهَا بِذَلِكَ ؟ قَالَتْ : ذَكَرَتْ أَنَّ زَوْجَهَا خَبَّرَهَا بِذَلِكَ . فَغَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَقَالَ : عَلِمْتُ أَنَّ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ (١) يُحَدِّثُ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ ، فَمِنْ هَهُنَا يَفْشُو السِّرُّ .

قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : فَكَانَ فِي نَفْسِي مِنْ هَذَا شَيْءٌ حَتَّى حَدَّثَنِي حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ قَالَ : خَرَجْتُ سَنَةً مِنَ السِّنِينَ أُرِيدُ مَكَّةَ ، فَلَمَّا جُزْتُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ رَاحِلَتِي ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهَا فَإِذَا بِاثْنَيْنِ قَدْ قَبَضَا عَلَيَّ ، أُحِسُّ حِسَّهُمَا وَأَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا أَرَى شَخْصَهُمَا ، فَأَخَذَانِي وَجَاءَا بِي إِلَى شَيْخٍ قَاعِدٍ عَلَى تَلْعَةٍ (٢) مِنَ الْأَرْضِ حَسَنِ الشَّيْبَةِ (٣) فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَأَفْرَخَ رُوعِي (٤) ثُمَّ قَالَ : مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ مِنَ الْكُوفَةِ أُرِيدُ مَكَّةَ . قَالَ : وَلِمَ تَخَلَّفْتَ عَنْ أَصْحَابِكَ ؟ فَقُلْتُ : ضَلَّتْ رَاحِلَتِي فَجِئْتُ أَطْلُبُهَا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى قَوْمٍ

(١) وسواس الرجل بفتح الواو : الشيطان الذى يوسوس له ، والوسوسة : الصوت الخفى والهمس . (٢) التلعة بفتح التاء : ما ارتفع من الأرض . (٣) الشيبة اسم من شاب الرجل : ابيض شعره فهو أشيب (٤) الروع : القلب ، وأفرخ : أخرج ما به من خوف

عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ : زَامِلَةُ(١) ، فَأُنِيخَتْ بَيْنَ يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَتقرأُ القُرآن؟قلتُ: نعم،قالَ:هَاتِهِ،فقرأتُ حم الأحقاف حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ» الآيَةَ ، فَقَالَ لِي : عَلَى رِسْلِكَ تَدْرِي كَمْ كَانُوا ؟ قلتُ:اللهُمَّ لا،قالَ : كُنَّا أَرْبَعَةً وَكُنْتُ الْمُخَاطِبَ لَهُمْ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ: « يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ » . ثُمَّ قَالَ لِي : أَتَقُولُ الشِّعْرَ ؟ قُلْتُ : اللهُمَّ لا . قَالَ : أَفَتَرْوِيهِ ؟ قُلْتُ : نعَمْ . قَالَ : هَاتِهِ ، فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ (٢)

فَقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ: لِزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى ، قَالَ الْجِنِّيُّ ؟ قُلْتُ : بَلِ الإِنْسِيُّ مِرَاراً ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى قَوْمٍ عَلَى رَأْسِهِ ، فَقَالَ : زُهَيْرُ : فَأُتِيَ بِشَيْخٍ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ لَحْمٍ فَأُلْقِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ : يَا زُهَيْرُ ، قَالَ : لَبَّيْكَ ، قَالَ: « أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى » لِمَنْ ؟ قَالَ : لِي. قَالَ:هَذَا حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ يَذْكُرُ أَنَّهَا لِزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى

(١) زاملة : منادى بحذف حرف النداء ، اسم ناقته . (٢) أمن أم أوفى : على حذف مضاف أى أمن منازل أم أوفى . والدمنة : ما بقى من آثار الديار ، ولم تكلم : أصله لم تتكلم . وحومانة الدراج : ماء قريبة من القيصومة فى طريق البصرة إلى مكة ، قريبة من الوقباء الذى ذكره جعفر بن علبة ، وقيل غير ذلك . والمتثلم : موضع أول أرض الصمان ، وقال ابن الأعرابى : هو جبل فى بلاد بنى مرة .

الْإِنْسِيُّ ، قَالَ : صَدَقَ هُوَ ، وَصَدَقْتَ أَنْتَ . قَالَ : وَكَيْفَ هَذَا ؟ قَالَ : هُوَ إِلْفِي مِنَ الْإِنْسِ ، وَأَنَا تَابِعُهُ مِنَ الْجِنِّ ، أَقُولُ الشَّيْءَ فَأُلْقِيهِ فِي وَهْمِهِ ، وَيَقُولُ الشَّيْءَ فَآخُذُهُ عَنْهُ ، فَأَنَا قَائِلُهَا فِي الْجِنِّ ، وَهُوَ قَائِلُهَا فِي الْإِنْسِ . قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ : فَصَدَّقَ عِنْدِي هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ أَبِي الْجَوْزَاءِ : أَنَّ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ يُحَدِّثُ وَسْوَاسَ الرَّجُلِ ، فَمِنْ هَهُنَا يَفْشُو السِّرُّ .

قَالَ : فَاسْتَفْرَغَ [1] الْمُتَوَكِّلُ ضَحِكًا وَقَالَ : إِلَيَّ [2] يَافَتْحُ ، فَصَبَّ عَلَيْهِ خِلَعاً [3] ، وَحُمِلَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الظَّهْرِ [4] ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ وَأَمَرَ لِي بِدُونِ مَا أَمَرَ لَهُ بِهِ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَقَدْ شَاطَرَنِي الْفَتْحُ مَا أَخَذَ ، فَصَارَ الْأَكْثَرُ إِلَيَّ وَالْأَقَلُّ عِنْدَهُ ، قَالَ جَحْظَةُ فِي أَمَالِيهِ : حَدَّثَنِي الْمُبَرِّدُ قَالَ : أَنْشَدَنِي الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ لِنَفْسِهِ :

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَكَالْخَمْرِ وَالْفَتَى
مَتَى يَسْتَطِعْ مِنْهَا الزِّيَادَةَ يَزْدَدِ
إِذَا ازْدَدْتُ مِنْهَا ازْدَدْتُ وَجْداً بِقُرْبِهَا
فَكَيْفَ احْتِرَاسٌ مِنْ هَوًى مُتَجَدِّدِ ؟

---

(١) استفرغ : بذل جهده فى الضحك (٢) إلى : إسم فعل أمر بمعنى أقبل
(٣) الخلع : ما يخلع على الانسان من الثياب وغيره (٤) الظهر : مايركب من الحيوان كالخيل والابل وغيرها

قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ حَمْدُونَ قَالَ : لَمَّا قَالَ الْفَتْحُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ أَنْشَدَهَا الْمُتَوَكِّلَ فَسَأَلَنِي عَنْ قَائِلِهَا ، فَعَرَّفْتُ أَنَّهُ الْفَتْحُ فَاسْتَحْسَنَهَا وَقَالَ لِي : بِأَبِي أَنْتَ مِنْ جَامِعٍ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا . وَبَلَغَ هَذَا الشِّعْرُ أَبَا عَلِيٍّ الْبَصِيرَ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرٍ فَقَالَ فِي الْفَتْحِ :

سَمِعْتُ بِأَشْعَارِ الْمُلُوكِ فَكُلُّهَا
إِذَا عَضَّ مَتْنَيْهِ الثِّقَافُ[1] تَأَوَّدَا
سِوَى مَا رَأَيْنَا لِامْرِىءِ الْقَيْسِ أَنَّنَا
نَرَاهُ إِذَا لَمْ يَشْعُرِ[2] الْفَتْحُ أَوْحَدَا

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَمِنْ شِعْرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ أُنْصِفَ الْمَحْبُوبُ فِيهِ لَسَمُجْ
لَيْسَ يُسْتَمْلَحُ فِي حُكْمِ الْهَوَى
عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحُجَجْ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ يُرْوَيَانِ لِعُلَيَّةَ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ .

قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : وَلِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :

أَيُّهَا الْعَاشِقُ الْمُعَذَّبُ صَبْرًا فَخَطَايَا أَخِي الْهَوَى مَغْفُورَهْ
زَفْرَةٌ فِي الْهَوَى أَحَطُّ لِذَنْبٍ مِنْ غَزَاةٍ وَحَجَّةٍ مَبْرُورَهْ

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى : سَمِعْتُ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ يَقُولُ

(١) الثقاف : الحديدة تسوى بها الرماح ، وفى الأصل « الثقات » تحريف .
(٢) أى لم يقل الشعر

لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي فَنَنٍ الشَّاعِرِ : يَا أَحْمَدُ ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا سَيِّدِي ، وَهَذَا فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، اعْمَلْ أَبْيَاتًا حِسَانًا تَمْدَحُ بِهَا سَيِّدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاذْكُرْ فِي آخِرِهَا أَنِّي شَفِيعُكَ حَتَّى آخُذَ لَكَ مِنْهُ مَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ ، فَمَا أَسْرَعَ فَقْدَكَ لِي! فَبَكَى ابْنُ أَبِي فَنَنٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ لَعْنَةُ اللهِ . قَالَ لَهُ : عَلَى الدُّنْيَا قَبْلِي وَبَعْدِي لَعْنَةُ اللهِ ، فَمَا صَافَتْ مُنْحَرِفًا عَنْهَا نَابِذًا لَهَا ، وَلَا وَفَتْ لِمُتَمَسِّكٍ بِهَا رَاغِبٍ فِيهَا

أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخَرَائِطِيُّ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبَعِيُّ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ : إِنِّي لَعِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ حَاضِرٌ إِذْ قِيلَ لَهُ : فُلَانٌ النَّخَّاسُ(١) بِالْبَابِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ وَمَعَهُ وَصِيفَةٌ(٢) فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : مَا صِنَاعَةُ هَذِهِ الْوَصِيفَةِ ؟ قَالَ : تَقْرَأُ بِالْأَلْحَانِ ، فَقَالَ الْفَتْحُ : أَقْرِئِي لَنَا خَمْسَ آيَاتٍ ، فَانْدَفَعَتْ تَقُولُ :

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ... وَشَقَّ عَنَّا الظُّلْمَةَ الصُّبْحُ
خَدِينُ مُلْكٍ(٣) وَرَجَا دَوْلَةٍ ... وَهَمُّهُ الْإِشْفَاقُ وَالنُّصْحُ
اللَّيْثُ إِلَّا أَنَّهُ مَاجِدٌ ... وَالْغَيْثُ إِلَّا أَنَّهُ سَمْحُ(٤)

(١) النخاس . بياع الرقيق والدواب لأنه يكثر من نخسها (٢) الوصيفة . الخادمة
(٣) خدين ملك : صاحب ملك ، ورجا دولة : أى رجاؤها وأملها
(٤) الماجد : ذو المجد والسمح : الطلق الباش الذى لا يعبس كما يعبس الليث ، وفى الاصل « السح » تحريف .

وَكُلُّ بَابٍ لِلنَّدَى مُغْلَقٍ   فَإِنَّمَا مِفْتَاحُهُ الْفَتْحُ

قَالَ: فَوَاللهِ لَقَدْ دَخَلَ الْمُتَوَكِّلَ مِنَ السُّرُورِ مَا قَامَ إِلَى الْفَتْحِ فَوَقَعَ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ وَوَثَبَ الْفَتْحُ فَقَبَّلَ رِجْلَهُ، فَأَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشِرَائِهَا، وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَكُسْوَةٍ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْفَتْحِ، فَكَانَتْ أَحْظَى جَوَارِيهِ عِنْدَهُ، فَلَمَّا قُتِلَ الْفَتْحُ رَثَتْهُ بِهٰذِهِ الْأَبْيَاتِ:

قَدْ قُلْتُ لِلْمَوْتِ حِينَ نَازَلَهُ   وَالْمَوْتُ مِقْدَامَةٌ عَلَى الْبُهَمِ (١)
لَوْ تَبَيَّنْتَ مَا فَعَلْتَ إِذَنْ   قَرَعْتَ (٢) سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ نَدَمِ
فَاذْهَبْ بِمَنْ شِئْتَ إِذْ ذَهَبْتَ بِهِ   مَا بَعْدَ فَتْحٍ لِلْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ

وَلَمْ تَزَلْ تَبْكِي وَتَنُوحُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ.

﴿ ٣٠ — الْفَتْحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ خَاقَانَ * ﴾

الفتح بن محمد ابن خاقان

الْقَيْسِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، أَدِيبٌ فَاضِلٌ شَاعِرٌ بَلِيغٌ فَصِيحٌ بَذِيءُ اللِّسَانِ (٣) قَوِيُّ الْجَنَانِ (٤) فِي هِجَاءِ الْأَعْيَانِ، وَكَانَ مُتَّهَمَ الْخَلْوَةِ (٥) فِيمَا بَلَغَنِي، مَاتَ فِي

---

(١) البهم: واحده بهمة: وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى لشدة بأسه وقوته واستبهام حاله. (٢) قرع فلان سنه قرعا: حرقه ندما. (٣) بذىء اللسان: فاحشه. (٤) قوى الجنان: قوى القلب. (٥) للتهم: من ظن به التهمة وهي الشك، والخلوة: الانفراد بنفسه أو المكان الذى يختلى فيه، والجمع خلوات.

(*) ترجم له فى وفيات الأعيان

حُدُودِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمسِمائَةٍ [1].

وَقَالَ العِمادُ : سَأَلْتُ عَنْهُ بِمِصْرَ فَقِيلَ : إِنَّهُ عَاشَ بِالْمَغْرِبِ إِلَى عَهْدِ شَاوِرَ بِمِصْرَ، فَقَدْ تُوُفِّيَ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمسِمائَةٍ. وَقَالَ لِي بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ : إِنَّهُ تُوُفِّيَ قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ . لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ ، كِتَابُ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ وَمَسْرَحِ التَّأَنُّسِ.

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْكَبِيرُ الْعَالِمُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ أَكْرَمَ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — قَالَ : لَمَّا عَزَمَ ابْنُ خَاقَانَ عَلَى تَصْنِيفِ كِتَابِ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ جَعَلَ يُرْسِلُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَوُزَرَائِهَا وَأَعْيَانِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ وَالْبَلَاغَةِ يُعَرِّفُهُ عَزْمَهُ وَيَسْأَلُهُ إِنْفَاذَ شَيْءٍ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ وَنَثْرِهِ لِيَذْكُرَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ شَرَّهُ وَثَلْبَهُ [2] فَكَانُوا يَخَافُونَهُ وَيَنْفُذُونَ إِلَيْهِ ذَلِكَ وَصُرَرَ الدَّنَانِيرِ ، فَكُلُّ مَنْ أَرْضَتْهُ صِلَتُهُ أَحْسَنَ فِي كِتَابِهِ وَصْفَهُ وَصِفَتَهُ ، وَكُلُّ مَنْ تَغَافَلَ عَنْ بِرِّهِ هَجَاهُ وَثَلَبَهُ ، وَكَانَ مِمَّنْ تَصَدَّى لَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، أَبُو بَكْرِ بْنُ بَاجَةَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّائِغِ ، وَكَانَ وَزِيرَ

(١) في الأصل : « ثلاث وخمسمائة » ، ولكنه قال بالهامش : لعله يريد : ٥٣٣ ، أو أنه ولد في سنة ٥٠٣ . اهـ (٢) الثلب : العيب والتصريح بالنقيصة

(٣) تصدى له : تعرض له .

ٱبْنِ فَلْوِيتَ صَاحِبِ ٱلْمَرِيَّةِ ، وَهُوَ أَحَدُ ٱلْأَعْيَانِ وَأَرْكَانِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْبَيَانِ ، شَدِيدُ ٱلْعِنَايَةِ بِعِلْمِ ٱلْأَوَائِلِ ، مُسْتَوْلٍ عَلَى أَهْلِ ٱلْأَشْعَارِ وَٱلرَّسَائِلِ ، وَكَانُوا يُشَبِّهُونَهُ بِٱلْمَغْرِبِ بِٱبْنِ سِينَا بِٱلْمَشْرِقِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِى ٱلْمَنْطِقِ وَغَيْرِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَتْهُ رِسَالَتُهُ تَهَاوَنَ بِهَا وَلَمْ يُعِرْهَا[1] طَرْفَهُ ، وَلَا لَوَى نَحْوَهَا عِطْفَهُ[2] ، وَذَكَرَ ٱبْنَ خَاقَانَ بِسُوءِ فِعْلِهِ ، فَجَعَلَهُ خَتْمَ كِتَابِهِ ، وَصَيَّرَهُ مَقْطَعَ خِطَابِهِ ، وَقَالَ[3] : أَبُو بَكْرٍ بْنُ ٱلصَّائِغِ : هُوَ رَمَدُ جَفْنِ ٱلدِّينِ ، وَكَمَدُ نُفُوسِ ٱلْمُهْتَدِينَ ، ٱشْتَهَرَ سُخْفًا[4] وَجُنُونًا ، وَهَجَرَ مَفْرُوضًا وَمَسْنُونًا ، وَضَلَّ فِيمَا يَتَسَرَّعُ ، وَلَا يَأْخُذُ فِى غَيْرِ ٱلْأَبَاطِيلِ وَلَا يَشْرَعُ ، وَلَا يَرِدُ سِوَى ٱلْغُمَّةِ وَلَا يَكْرَعُ ، نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ[5] مَا تَطَهَّرَ مِنْ جَنَابَةٍ ، وَلَا أَظْهَرَ مَخِيلَةَ إِنَابَةٍ ، وَلَا ٱسْتَنْجَى مِنْ حَدَثٍ ، وَلَا أَشْجَى فُؤَادَهُ تَوَارٍ فِى جَدَثٍ[6] ، وَلَا أَقَرَّ بِبَارِيهِ وَمُصَوِّرِهِ ، وَلَا فَرَّ عَنْ تَبَارِيهِ فِى مَيْدَانِ تَهَوُّرِهِ[7] ، ٱلْإِسَاءَةُ إِلَيْهِ أَجْدَى مِنَ ٱلْإِحْسَانِ ، وَٱلْبَهِيمَةُ عِنْدَهُ أَهْدَى مِنَ ٱلْإِنْسَانِ ، نَظَرَ فِى تِلْكَ

---

(١) أى لم ينظر فيها (٢) العطف بالكسر : الجانب ، وعطفا الرجل : من لدن رأسه إلى وركيه ، والمعنى : لم يلتفت إلى رسالته ولم يعرها اهتماما ، بل أعرض وجفا (٣) قلائد العقيان طبع مصر سنة ١٢٨٣ ص ٣٠٠

(٤) السخف : بالضم والفتح : رقة العقل ، وبالفتح فقط : رقة العيش (٥) ناهيك الخ : أى حسبك (٦) التوارى : الاستتار ، والجدث : القبر ، والمعنى لم يحزن لرهبة الموت والقبر ، وما فى ذلك من السؤال والعقاب . (٧) التبارى : التسابق ، والتهور : الوقوع فى الأمر بقلة مبالاة ، والمعنى لم يرجع عن انهماكه فى الأمور الدنيئة .

التَّعَالِيمِ ، وَفَكَّرَ فِي أَجْرَامِ الْأَفْلَاكِ وَحُدُودِ الْأَقَالِيمِ ، وَرَفَضَ كِتَابَ اللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ثَانِيَ عِطْفِهِ ، وَأَرَادَ إِبْطَالَ مَالَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْهَيْئَةِ ، وَأَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ إِلَى اللهِ الْفَيْئَةُ (١) ، وَحَكَمَ لِلْكَوَاكِبِ بِالتَّدْبِيرِ (٢) ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الزَّمَانَ دَوْرٌ (٣) ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ نَبَاتٌ لَهُ نَوْرٌ (٤) ، مَعَ مَنْشَأٍ وَخِيمٍ وَلُؤْمٍ أَصْلٍ وَخِيمٍ (٥) ، وَصُورَةٍ شَوَّهَهَا اللهُ وَقَبَّحَهَا ، وَطَلْعَةٍ إِذَا أَبْصَرَهَا الْكَلْبُ نَبَحَهَا ، وَقَذَارَةٍ يُوبِئُ الْبِلَادَ نَفَسُهَا ، وَوَضَارَةٍ يَحْكِي الْحَدَّادَ دَنَسُهَا (٦) ، وَلَهُ نَظْمٌ أَجَادَ فِيهِ بَعْضَ الْإِجَادَةِ ، وَشَارَفَ الْإِحْسَانَ

---

(١) الفيئة : الرجعة (٢) أى ذهب إلى أن العالم محرك بتدبير الكواكب لا بقدرة الله وتدبيره « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » — وقد حذف المؤلف أو الناسخ من هنا فقرا هي : واجترم على الله اللطيف الخبير . واجترأ عند سماع النهي والايعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » . (٣) الدور : الحركة ، وعود الشيء إلى ما كان عليه (٤) النور : الزهر الأبيض وقد ترك من ههنا جملا كثيرة هى : « حمامه تمامه ، واختطافه اقتطافه ، قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ، ونسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم ، وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت ، ونفت يوما تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، فقصر عمره على طرب ولهو ، واستشعر كل كبر وزهو ، وأقام سوق الموسيقا ، وهام بحادى القطاز وسقا ، فهو يعكف على سماع التلاحين ، ويقف عليها كل حين ، ويعلن بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء قادنا إلى الله فى أسلس مقاد »

(٥) المنشأ : الأصل ، والوخيم : الوبيء المدنس ، والخيم : الطبيعة (٦) هنا فقرتان ساقطتان هما « وفند لايعمر إلا كنفه ، ولدد لا يقوّم إلا الصمّاد جنفه .

أَوْ كَادَهُ ، مَعَ كَلَامٍ طَوِيلٍ ، وَهَجْوٍ وَبِيلٍ . وَبَلَغَ ذَلِكَ ٱبْنَ الصَّائِغِ فَأَنْفَذَ لَهُ مَالًا ٱسْتَكَفَّهُ بِهِ وَٱسْتَصْلَحَهُ[(١)] . وَصَنَّفَ ٱبْنُ خَاقَانَ كِتَابًا آخَرَ سَمَّاهُ «مَطْمَحَ الْأَنْفُسِ وَمَسْرَحَ التَّأَنُّسِ فِى ذَيْلِ شُعَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ» ، وَصَلَهُ بِقَلَائِدِ الْعِقْيَانِ ، وَٱفْتَتَحَهُ بِذِكْرِ ٱبْنِ الصَّائِغِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِيهِ ثَنَاءً جَمِيلًا فَقَالَ :[(٢)] الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الصَّائِغِ هُوَ بَدْرُ فَهْمٍ سَاطِعٌ ، وَبُرْهَانُ عِلْمٍ لِكُلِّ حُجَّةٍ قَاطِعٌ ، تَفَرَّحَتْ بِعِطْرِهِ الْأَعْصَارُ ، وَتَطَيَّبَتْ بِذِكْرِهِ الْأَمْصَارُ ، وَقَامَ بِهِ وَزْنُ الْمَعَارِفِ وَٱعْتَدَلَ ، وَمَالَ وَتَهَدَّلَ[(٣)] ، وَعَطَّلَ بِالْبُرْهَانِ التَّقْلِيدَ ، وَيَنْفُقُ بَعْدَ عَدَمِهِ الِاخْتِرَاعُ وَالتَّوْلِيدُ ، إِذَا قَدَحَ زَنْدَ فَهْمِهِ أَوْرَى بِشَرَرٍ لِلْجَهْلِ مُحْرِقٍ ، وَإِنْ طَمَا بَحْرُ خَاطِرِهِ فَهُوَ لِكُلِّ شَىْءٍ مُغْرِقٌ ، مَعَ نَزَاهَةِ النَّفْسِ وَصَوْنِهَا ، وَبُعْدِ الْفَسَادِ مِنْ كَوْنِهَا ، وَالتَّحْقِيقِ الَّذِى هُوَ لِلْإِيمَانِ شَقِيقٌ ، وَالْجِدِّ الَّذِى يَخْلُقُ الْعُمْرُ وَهُوَ مُسْتَجِدٌّ ، وَلَهُ أَدَبٌ يَوَدُّ عُطَارِدُ أَنْ يَلْتَحِفَهُ[(٤)] ، وَمَذْهَبٌ يَتَمَنَّى أَنْ يَعْرِفَهُ ،

(١) استكفه : طلب منه أن يكف ويمتنع عنه ، واستصلحه : طلب منه الصلاح والاستقامة

(٢) لم يترجم ابن خاقان لابن الصائغ فى كتابه المسمى : « مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس » ويجوز أن يكون له « مطمح آخر فى ذيل شعراء الأندلس » كما ذكر ياقوت . (٣) تهدل : استرخى وتدلى ومنه بعير هادل : طويل المشفر وذلك ما يمدح به (٤) عطارد : نجم من الخنس فى السماء السادسة ، وأن يلتحفه . أن يتغطى به كاللحاف ، وهو كل ثوب يلتحف به .

وَنَظْمٌ تَتَمَنَّاهُ اللَّبَّاتُ وَالنُّحُورُ (١) ، وَتَدَّعِيهِ مَعَ نَفَاسَةِ جَوْهَرِهَا البُحُورُ. وَقَدْ أَتَيْتُ بِمَا تَهْوَى الأَعْيُنُ النُّجْلُ أَنْ يَكُونَ إِثْمِدَهَا، وَيُزِيلُ مِنَ النَّفْسِ حُزْنَهَا وَكَمَدَهَا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَتَغَزَّلُ :

أَسُكَّانَ نُعْمَانِ الأَرَاكِ تَيَقَّنُوا بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ
وَدُومُوا عَلَى حِفْظِ الوِدَادِ فَطَالَمَا بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا اسْتُحْفِظُوا خَانُوا
سَلُوا اللَّيْلَ عَنِّي مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ هَلِ اكْتَحَلَتْ لِي فِيهِ بِالنَّوْمِ أَجْفَانُ ؟
وَهَلْ جُرِّدَتْ أَسْيَافُ بَرْقِ دِيَارِكُمْ فَكَانَتْ لَهَا إِلَّا جُفُونِيَ أَجْفَانُ (٢) ؟

وَلَهُ :

أَتَأْذَنُ لِي آتِي العَقِيقَ اليَمَانِيَا أُسَائِلُهُ مَا لِلْمَغَانِي وَمَالِيَا ؟
وَسَلْ دَارَهُمْ بِالحَزْنِ أَقْفَرَ إِنَّنِي تَرَكْتُ الهَوَى يَقْتَادُ فَضْلَ زِمَامِيَا

(١) اللبات جمع لبة : وهي موضع القلادة من العنق . والنحور جمع نحر : وهو كاللبة . والنظم : الكلام المنظوم « الشعر » يقول : إن شعره لحسن تنسيقه وتأليفه تتمنى النحور أن يكون عقدا تتقلده وتتزين به (٢) جردت أسياف الخ : سلت من أغمادها ، وبرق الديار : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة ، ومنه برق ديار العرب وهي تنيف على مائة ، منها برقة الاثماد ، وبرقة اليمامة وغيرهما ، وجفوني : جمع جفن : العين ، والأجفان جمع جفن : وهو غمد السيف .

فَيَا مَكْرَعَ الْوَادِي أَمَا فِيكَ شَرْبَةٌ
لَقَدْ سَالَ فِيكَ الْمَاءُ أَزْرَقَ صَافِيَا؟
وَيَا شَجَرَاتِ الْجِزْعِ هَلْ فِيكِ وَقْفَةٌ
فَقَدْ فَاءَ فِيكِ الْفَيْءُ أَخْضَرَ ضَافِيَا[1]؟

وَقَدْ جَرَى فِي هَذَا الْمَيْدَانِ فَأَحْسَنَ كُلَّ الْإِحْسَانِ.

﴿٣١ — الْفَضْلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّمِيمِيُّ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِيُّ *﴾

الفضل بن إسماعيل التميمي

أَدِيبٌ أَرِيبٌ فَاضِلٌ لَبِيبٌ، أَحَدُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ النَّحْوِيِّ، وَكَانَ مَلِيحَ الْخَطِّ صَحِيحَ الضَّبْطِ رَائِقَ النَّظْمِ فَصِيحَ النَّثْرِ، جَيِّدَ التَّصْنِيفِ، حَسَنَ التَّأْلِيفِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ فِي كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ فَقَالَ: رِبَاعُ الْفَضْلِ بِتَصَانِيفِهِ عَامِرَةٌ، وَرِيَاضُ الْأَدَبِ بِكَلِمَاتِهِ نَاضِرَةٌ، فَكَأَنَّ الرَّبِيعَ فَضْلَةٌ مِنْ بَدَائِعِهَا، وَالزَّهْرَ ضَرَّةٌ لِرَوَابِعِهَا[2]، وَشِعْرُهُ يَطْرُقُ[3] السِّحْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَهْتِفُ الْمُلَحَ بِحِفَافَيْهِ[4]

(١) الجزع بالكسر مع جواز الفتح: منعطف الوادى ووسطه أو منقطعه أو منحناه، والفىء: ما كان شمسا فينسخه الظل، وفاء الفىء الخ: تحول الظل وصار أخضر ضافيا من كثرة الشجر — يتمنى أن يقف وقفة فى ظل ديار الأحبة ليتمتع بهذا الظل الجميل والنسيم العليل (٢) ضرة المرأة: امرأة زوجها وهما ضرتان — والروابع: ما ينبت فى الربيع — وهذا مجاز (٣) من طرق الكاهن الحصى (٤) يقال هتف فلانا وبه: مدحه، وفلانة يهتف بها: تذكر بالجمال، والملح: الطرف المستحسنة، وحفافيه: جانبيه، كأن شعره يتدلى بالملح فى حفافيه المستظرفة كأنه يناديها وهى تجيبه.

(*) ترجم له فى طبقات المفسرين ص ١٩٨

تقرأُ آياتِ الإحسانِ من أبياتِهِ . وتخفقُ عذباتُ الإبداعِ(١) منْ راياتِهِ .

ولَهُ تصنيفاتٌ باسْمِ الشَّيخِ الأجلِّ عبدِ الحميدِ أهداهَا إليْهِ بغزنةَ فأشرقتْ بِهَا أرجاؤُهَا ، وأغدقتْ أنواؤُهَا(٢) منْهَا : كتابُ البيانِ فى علمِ القرْآنِ . وكتابُ عروقِ الذهبِ منْ أشعارِ العربِ . وكتابُ سلوةِ الغرباءِ وغيرُهَا . وقالَ عبدُ الغافرِ فى كتابِ السّياقِ : الفضلُ بْنُ إسْماعيلَ التّميميُّ الشّيْخُ أبوعامرٍ الجُرْجانيُّ النّحْويُّ الكاتبُ الأديبُ الشّاعرُ منْ أفاضلِ عصْرِهِ ، وأفرادِ دهْرِهِ ، حسَنُ النّظْمِ والنّثْرِ ، متينٌ فى الفضْلِ : كتبَ مُدّةً للشّيْخِ الرّئيسِ أبِى المحاسنِ الجُرْجانيِّ وغيْرِهِ ، وصحِبَ الكُتّابَ والمشايخَ ، سمِعَ الحديثَ منَ المشايخِ الّذِينَ سمِعْنَا منْهُمْ ، مثْلِ الشّيْخِ أبِى سعْدِ بْنِ رامشٍ ، وأبِى نصْرِ بْنِ رامشٍ المقْرِئِ ، وأبِى بكْرٍ أحْمدَ بْنِ علِيِّ بْنِ خلفٍ الشّيرازيِّ ، وأبِى القاسمِ إسْماعيلَ بْنِ زاهرٍ النُّوقانيِّ ، وسمِعَ منَ الشّيْخِ أبِى بكْرٍ أحْمدَ بْنِ منْصورِ بْنِ خلفٍ المغْربِيِّ سنةَ ثمانٍ وخمْسينَ وأرْبعمِائةٍ ، وسمِعَ منَ المشايخِ

(١) تخفق : تضطرب وتتحرك . وعذبات الابداع : أطرافه ، والابداع : أن يأتى الشاعر بالبديع المخترع (٢) الأنواء : جمع نوء : وهو المطر ، وأغدقت : كثر مطرها

الإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فِي شَبَابِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَفَاتَهُ لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْغَافِرِ . وَكَانَ وَرَدَ نَيْسَابُورَ وَاجْتَمَعَ بِهِ الْأَدِيبُ يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَذْكُورُ فِي بَابِهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِخَطِّهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ : جُونَةَ النَّدِّ (١) . وَهُوَ مَجْمُوعٌ جَمَعَ فِيهِ يَعْقُوبُ مِنْ أَشْعَارِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ وَمَنْ تَقَدَّمَهُ ، وَظَفِرْتُ أَنَا بِأَصْلِ يَعْقُوبَ الَّذِي بِخَطِّهِ وَفِيهِ بِخَطِّ أَبِي عَامِرٍ الَّذِي لَا أَرْتَابُ بِهِ مَا نَقَلْتُهُ بِصُورَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَسْقَطْتُ بَعْضَ النَّظْمِ ، وَأَمَّا النَّثْرُ فَلَا . وَهَذَا نُسْخَةُ خَطِّهِ :

سَأَلَنِي الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الْأَدِيبُ ـ أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ ـ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ فِي هَذَا الدَّفْتَرِ شَيْئًا مِنْ هَاذُورِي (٢) ، فَتَرَجَّحْتُ بَيْنَ صَوَارِفَ (٣) تَنْهَانِي عَنِ الْإِجَابَةِ سَتْرًا لِعَوْرَتِي ، وَدَوَاعٍ (٤) تَحُثُّنِي عَلَى امْتِثَالِ رَسْمِهِ إِظْهَارًا لِطَاعَتِي ، وَأَنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَاثِقٌ بِكَرَمِهِ ، سَاكِنٌ إِلَى حُسْنِ شِيَمِهِ ، وَعَالِمٌ أَنَّهُ يَحْرِصُ عَلَى إِقَالَةِ (٥) عَثْرَةِ الْإِخْوَانِ ، وَسَتْرِ عُيُوبِهِمْ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَجْبُرَ

---

(١) الجونة بالضم : سليلة مغشاة أدما تكون مع العطارين وأصلها الهمز . والند : عود يتبخر به أو العنبر (٢) أى مما هذرت به ، والهذر : سقط الكلام الذى لا يعبأ به ، ولعله أراد بذلك التواضع (٣) الصوارف : ما يصرف الانسان عن وجه ويدفعه ، جمع صارف وصارفة (٤) أى حوافز تسوقنى ، جمع داعية . وتحثنى : تحضنى
(٥) العثرة من العثار — وهو الشر والمكروه ، وإقالة العثرة : الانقاذ منها .

نَقِيصتَنَا بِفَضِيلَتِهِ ، وَيَمْحُوَ إِساءَتَنَا بِحَسَنَتِهِ فإِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ، وَهَا هُوَ الْمَاذُورُ :

بِاللهِ يَا حَتْفِي أَمَا تَسْتَحِي ... حَتَّى مَتَى تُورِدُنِي حَتْفِي ؟
تَحْلِفُ لِي أَنَّكَ فِي كَفِّي ... وَعَضُّ كَفِّي مِنكَ فِي كَفِّي
وَأَنْتَ يَا قَلْبِي إِلَى كَمْ وَكَمْ
تُحِيلُ بِالذَّنبِ عَلَى طَرْفِي !

وَأَيْضاً

خَدُّهُ الْيَاسَمِينُ وَالْخَطُّ فِيهِ ... سُنْبُلٌ نَابِتٌ عَلَى يَاسَمِينِ
سُمْتُهُ قُبْلَةً فَقَالَ تَحَرَّزْ
بَيْنَ صُدْغَيَّ عُقْدَتَا التِّنِّينِ [1]

وَأَيْضاً

إِذَا حَفَزَتْكَ نَائِبَةٌ لِأَمْرٍ ... فَجِئْتَ إِلَى صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرِ
فَكَاثِرْهُ بِهَزٍّ بَعْدَ هَزٍّ ... فَإِنَّ الزُّبْدَ بِالْمَخْضِ الْكَثِيرِ

وَأَيْضاً فِي الرَّئِيسِ أَبِي الْفَضْلِ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — :

تَوَلَّى الْغَانِيَاتُ فَلَيْسَ عِنْدِي
لَهُنَّ سِوَى هَوًى أُخْفِي وَأُبْدِي
رَأَيْنَ الشَّيْبَ أَلْبَسَنِي قَتِيراً ... عَلَى حَدِّ الْبِلَى فَنَقَضْنَ عَهْدِي [2]

---

(١) أى سألته إياها ، وتحرز : توق . والتنين : الحية العظيمة ، وعقدتاه : مايلدغ به (٢) القتير : الشيب أو أوله — وأيضاً رءوس مسامير الدروع ، وحد البلى : سورة الفناء .

وَسَالَمَنِي الْغَيُورُ فَكُلَّ يَوْمٍ يُوَازِنُ بَيْنَنَا ، وُدٌّ بِوُدٍّ (١)

وَقَنَّعَنِي الزَّمَانُ فَلَسْتُ آسٍ
عَلَى فَوْتِ الثَّرَاءِ وَأَنْتَ عِنْدِي (٢)

وَكُلٌّ تَعَجُّبِي طُولَ اللَّيَالِي لِذِلَّةِ مَاجِدٍ يَسْعَى لِوَغْدِ (٣) !

فَشُكْراً لِلْإِلٰهِ فَقَدْ كَفَانِي تَوَلِّي غَيْرِ عَبَّاسِ بْنِ سَعْدِ

لَهُ قَلْبِي وَخَالِصَتِي وَوُدِّي وَفِيهِ تَرَدُّدِي وَإِلَيْهِ قَصْدِي (٤)

وَمِنْهُ مَعِيشَتِي وَصَلَاحُ حَالِي وَمَنْصُوبٌ بِهِ غَيِّي وَرُشْدِي (٥)

وَكُلُّ النَّاسِ يُشْرِكُ (٦) فِي هَوَاهُ
وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَايَ وَحْدِي

فَإِنْ أَفْزَعْ فَكَهْفُ عُلَاهُ حِرْزِي
وَإِنْ أَعْطَشْ فَبَحْرُ نَدَاهُ وِرْدِي (٧)

فَضَلْتَ النَّاسَ مَأْثَرَةً وَفَخْراً وَطُلْتَهُمُ (٨) بِإِحْسَانٍ وَمَجْدِ

وَلَمَّا صِرْتُ عَبْدَكَ صَارَ يَرْضَى أَنُوشِرْوَانُ لَوْ أَرْضَاهُ عَبْدِي

(١) سالمني : صالحني ، والغيور : ذو الغيرة ، ويوازن الخ : يقابل ويعادل بيننا الخ (٢) قنعني الزمان : رضاني ، من القناعة . وآس : حزين ، وأصله : آسيا ، لأنه خبر ليس ، لكنه جره على توهم الباء لكثرة مجيئها في الخبر . وفوت الثراء : مجاوزته لي (٣) أي ذي مجد وعظمة ، والوغد : الدنيء الرذل ، والأحمق الضعيف

(٤) خالصتي : صفائي ، والتردد : المجيء إلى الشيء مرة بعد أخرى

(٥) أي معلق قائم به (٦) أي يجعل له شريكا فيه (٧) الفزع : الخوف والرعب ، وكهف علاه الخ : أي حصنه وقايتي ، والندى : العطاء (٨) المأثرة : المكرمة — وطلتهم : فقت عليهم .

أُدِلُّ عَلَيْكَ إِدْلَالَ الْمَوَالِي
فَلَا نُكْرٌ لَدَيْكَ وَلَا تَعَدِّى
وَتِلْكَ مَزِيَّةٌ لِي لَيْسَ تَخْفَى
وَرِثْتُ مَكَانَهَا مِنَ أُبِى وَجَدِّى
فَعِشْ أَلْفاً مَعِي فِي خَيْرِ حَالٍ وَأَلْفاً بَعْدَهَا أَلْفَانِ بَعْدِي
فَكُلُّ النَّاسِ دُونَكَ آلُ قَفْرٍ يَغُرُّ بِلَمْعَةٍ مِنْ غَيْرِ رِفْدِ (١)
وَأَنْتَ الْفَرْدُ مَكْرُمَةً فَكُنْ لِي
تَكُنْ فَرْداً بِلَا شَكٍّ لِفَرْدِ

وَأَيْضاً :

نَشُدُّ عَلَى الْمَوْتِ مُسْتَبْسِلِينَ
غِلَاظَ الرِّقَابِ غِلَاظَ الْكُبُودِ (٢)
وَنَفْتَرِعُ الْبِيضَ سُودَ الْقُرُو
نِ صُفْرَ التَّرَائِبِ حُمْرَ الْخُدُودِ (٣)

وَلَهُ أَيْضاً :

---

(١) الآل : السراب ، والقفر : المكان المجدب الذى لا نبات به ولا ماء ويغر : يخدع ويطمع بالباطل ، واللمعة : بريق اللون ، والرفد : الاعانة والعطاء

(٢) أى مستقتلين طارحين أنفسهم فى الحرب يريدون أن يقتلوا ، وغلاظ الرقاب والكبود : أى أشداء القلوب والأجسام ، والكبود : جمع كبد ، وهي معى تفرز الصفراء . (٣) ونفترع الخ : نفتض بكارتهن ، وسود القرون جمع قرن : شعر الجانب الأعلى من الرأس ، والترائب : عظام الصدر وما بين الثديين ، جمع تريبة

عَذِيرِى مِنْ شَاطِرٍ أَغْضَبُوهُ ... تَجَرَّدَ لِى مُرْهَفاً بَاتِكَا [1]
يَقُولُ: أَنَا لَكَ يَابْنَ الْوَكِيلِ ... وَهَلْ لِى رَجَاءٌ سِوَى ذَلِكَا؟

وَأَيْضاً :

إِنِّى بُلِيتُ بِشَادِنٍ ... بَلْوَاهُ عِنْدِى تُسْتَحَبْ [2]
فَإِذَا بَلَوْتُ طِبَاعَهُ ... فَالْمَاءُ يُشْرَبُ وَهْوَ عَذْبْ
وَإِذَا نَضَوْتُ [3] ثِيَابَهُ ... فَاللَّوْزُ يُقْشَرُ وَهْوَ رَطْبْ
وَقُصَارَى وَصْفِى [4] أَنَّهُ ... فِيمَا أُحَبُّ كَمَا أُحِبْ

وَأَيْضاً :

قَدْ ضَاقَ صَدْرِى مِنْ صُدُورِ زَمَانِنَا
فَهُمُ جِمَاعُ الشَّرِّ بِالْإِجْمَاعِ [5]
يَتَضَارَطُونَ فَإِنْ شَكَوْتَ ضُرَاطَهُمْ
شَفَعُوا سَمَاعَ الضَّرْطِ بِالْإِسْمَاعِ
هَذَا يُفَرْقِعُ فِي الضُّرَاطِ وَذَا كُمُ
يَرْمِى بِمِثْلِ حِجَارَةِ الْمِقْلَاعِ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تُعَاشِرَ مَعْشَراً ... يَتَضَارَطُونَ الدَّهْرَ بِالْإِيقَاعِ

---

(١) عذيرى : منادى : أى ياعاذرى ، والشاطر : الذى أعيا أهله خبثا ، وجرد لى الخ : سل لى سيفاً محددا قاطعا (٢) الشادن : الظبي القوى المستغنى عن أمه ، والمراد المحبوب . والبلوى : الامتحان والاختبار. (٣) أى نزعتها (٤) أى غايته ونهايته (٥) صدور زمانا : الرؤساء ومن يتقدمون ويتصدرون فى أمورهم ، وجماع الشر : جمعه ، والاجماع : الاتفاق

وَلَهُ :

مَلِلْتُ مُكَافَحَةَ الْحَادِثَاتِ وَكُنْتُ بِهَا مُعْجَبًا عَاجِبَا
وَحَيَّرَنِي الدَّهْرُ حَتَّى نَشَدْتُ(١) حِمَارِي وَكُنْتُ لَهُ رَاكِبَا

وَأَيْضًا :

أَصْبَحْتُ مِثْلَ عُطَارِدٍ فِي طَبْعِهِ
إِذْ صِرْتَ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ
فَلِذَاكَ مَا أَلْقَاكَ يَوْمًا وَاحِدًا
إِلَّا قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالْإِحْرَاقِ(٢)

الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الْأَدِيبُ — أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ — ، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِقِرَاءَةِ مَا عَلَّقَهُ عَنْ دَفْتَرِي عَلَيَّ ، وَاللهُ يُمَتِّعُهُ بِهِ وَبِفَضْلِهِ ، وَيُقِرُّ عَيْنَ الْعِلْمِ بِحِرَاسَتِهِ . وَسَمِعَ مَعَهُ ابْنُهُ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو بَكْرٍ الْحَسَنُ ، وَالْفَقِيهُ الْفَاضِلُ الْعَالِمُ أَبُو الْمَجْدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ — أَبْقَاهُمَا اللهُ — وَكَذَلِكَ سَمِعُوا جَمِيعًا مَا أَبْقَتْهُ مِنْ هَاذُورِي بِخَطِّي . وَكَتَبَ الْفَضْلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِيُّ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ : كَتَبَ إِلَيَّ الْكِيَا(٣) الْأَجَلُّ أَبُو الْفَتْحِ رَحِمَهُ اللهُ :

(١) أى طلبت (٢) أى حكمت على — يقول : أنا مثل عطارد فى عادته وأنت مثل الشمس فى الضوء ، فإذا لقيتك أحرقتنى بضوئك الساطع

(٣) الكيا : لقب أعجمى

أَبَا عَامِرٍ إِنَّ الرَّتَائِمَ إِنَّمَا
تُذَكِّرُ بِالْأَمْرِ، الْعُبَامَ الْمُغَمَّرَا (١)

وَلَـكِنَّ مَنْ عَيْنَاهُ دُرْجُ (٢) فُؤَادِهِ
فَلَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَى أَنْ يُذَكَّرَا

وَكَتَبَ أَيْضاً إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ :

مَا أَبُو عَامِرٍ سِوَى اللُّطْفِ شَيْءٌ
إِنَّهُ جُمْلَةٌ (٣) كَمَا هُوَ رُوحُ

كُلُّ مَا لَا يَلُوحُ مِنْ سِرِّ مَعْنًى عِنْدَ تَفْكِيرِهِ فَلَيْسَ يَلُوحُ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَـذَا آخِرُ مَا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ أَبِي عَامِرٍ — رَحِمَهُ اللهُ — . وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي الشِّعْرِ وَاخْتِيَارِهِ ، كِتَابُ قَلَائِدِ الشَّرَفِ فِي الشِّعْرِ أَيْضاً ، كِتَابُ الْبَيَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ سَلْوَةِ الْغُرَبَاءِ .

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْأَدِيبِ يَعْقُوبَ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيِّ وَتَصْنِيفِهِ رُقْعَةً كَتَبَهَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ أَبُو عَامِرٍ الْفَضْلُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجُرْجَانِيُّ — أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ — إِلَى الشَّيْخِ الرَّئِيسِ الشَّهِيدِ أَبِي الْمَحَاسِنِ سَعْدٍ — رَحِمَهُ اللهُ — . قَالَ

(١) الرتائم : جمع رتيمة ، خيط يعقد فى الاصبع للتذكر ، والأمر العبام : الكثير ، والمغمر : الكثير أيضا (٢) الدرج بالضم : وعاء المنازل النساء ، والجمع درجة وأدراج
(٣) الجمالى من الرجال : الضخم الأعضاء التام الخلق

يَعْقُوبُ : وَكَتَبْتُهَا مِنْ خَطِّهِ إِبَّانَ[١] مَقْدَمِهِ نَيْسَابُورَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ : أَنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ — مِنَ الاخْتِلَالِ وَالتَّكَشُّفِ وَالاعْتِلَالِ وَالتَّشَعُّثِ[٢] ، عَلَى صُورَةٍ أَسْتَحْيِي مِنْ عَرْضِهَا ، وَآنَفُ مِنْ شَرْحِهَا ، وَقَدْ رَحُبَ عَامَّتُهَا بِمَا أَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَأَدَّرِعُ الصَّبْرَ فِي كُلِّ مَا يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ بِهِ ، وَأُعْمِلُ الْحِيلَةَ مِنَ الْآنِ فِي اسْتِقْرَاضِ مَا عَسَى أَنْ يُبْلِغَنِي الْمَحَلَّ[٣] ، وَلَكِنْ مَنْ يُقْرِضُ أَبَا فِرْعَوْنَ بَعْدَ وُقُوفِهِ بِالْأَبْوَابِ مَعَ الْعَصَا وَالْجِرَابِ ؟ وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ ، ثُمَّ أَسْأَلُ سَيِّدَنَا أَنْ يَنْظُرَ وَاحِدَةً فِيمَا أَقُولُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُعْضِلَ الدَّاءُ[٤] فَلَا يَنْفَعُ الدَّوَاءُ ، وَيَعْظُمَ النَّقْبُ فَلَا يَنْجَعُ الْهِنَاءُ[٥] ، وَأَنْ يَجْعَلَ عُنْوَانَ بِرِّهِ أَلَّا يَرَى تَعْلِيقَ هَذِهِ الرُّقْعَةِ ضَرَاعَةً أَوْ رَقَاعَةً[٦] ، فَمَا فِي شَرْطِ الْحِكْمَةِ أَنْ أَكْتُمَ عَنْهُ مَتْرَبَةً[٧] ، وَأَتَضَوَّرَ جُوعًا وَمَسْغَبَةً[٨] . وَلَوْلَا مَكَانِي مِنْ خِدْمَتِهِ ، وَمَكَانِي مِنْ شَفَقَتِهِ ،

---

(١) أى فى أول مقدمه ، ظرف منصوب (٢) لعله أراد بالتكشف : سوء الحال وضيق العيش . والتكشف مصدر تكشف الشيء : ظهر . والاعتلال : المرض ، والتشعث : الاغبرار والتغير والابتذال (٣) أى المكان الذى يريد أن يحل فيه (٤) أى يشتد ويعجز الأطباء (٥) النقب : أول ما يبدو من الجرب قطعا متفرقة ، فلا ينجع : فلا ينفع ، والهناء : القطران (٦) الضراعة : التذلل . والرقاعة : الحمق (٧) المتربة : الفقر (٨) أتضور : أتلوى من الجوع ، والمسغبة : المجاعة

لَكَانَ اسْتِفَافُ الْمَلَّةِ (١) أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِظْهَارِ الْخَلَّةِ (٢)، وَالسَّلَامُ .

وَمِنْ كِتَابِ مَرْوَ لِأَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ لِأَبِي عَامِرٍ الْفَضْلِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ الْجُرْجَانِيِّ التَّمِيمِيِّ يَصِفُ هِرَّةً:

إِنَّ لِي هِرَّةً خَضَبْتُ شَوَاهَا
دُونَ وِلْدَانِ مَنْزِلِي بِالرَّقُونِ (٣)
ثُمَّ قَلَّدْتُهَا لِخَوْفِي عَلَيْهَا وَدَعَاتٍ تَرُدُّ شَرَّ الْعُيُونِ
كُلَّ يَوْمٍ أَعُولُهَا قَبْلَ أَهْلِي بِزُلَالٍ صَافٍ وَلَحْمٍ سَمِينِ
وَهِيَ تِلْعَابَةٌ (٤) إِذَا مَا رَأَتْنِي
عَابِسَ الْوَجْهِ وَارِمَ الْعِرْنِينِ (٥)
فَتُغَنِّي طَوْرًا وَتَرْقُصُ طَوْرًا وَتَلَهَّى بِكُلِّ مَا يُلْهِينِي
لَا أُرِيدُ الصِّلَاءَ (٦) إِنْ ضَاجَعَتْنِي
عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي كَانُونِ
وَإِذَا مَا حَكَكْتُهَا لَحَسَتْنِي بِلِسَانٍ كَالْمِبْرَدِ الْمَسْنُونِ
وَإِذَا مَا جَفَوْتُهَا اسْتَعْطَفَتْنِي بِأَنِينٍ مِنْ صَوْتِهَا وَرَنِينِ
وَإِذَا مَا وَتَرْتُهَا كَشَفَتْ لِي
عَنْ جِرَابٍ لَيْسَتْ مَتَاعَ الْعُيُونِ (٧)

(١) الملة: الرماد الحار (٢) الخلة: الحاجة (٣) خضبت: صبغت، والشوى: الأطراف من يدين ورجلين: الجلد، والرقون كصبور وكتاب: الحناء والزعفران (٤) أي كثيرة اللعب . (٥) أي الأنف، كناية عن الغضب (٦) أي الاستدفاء من البرد بالنار (٧) يريد بالجراب ما تخرج منه يراتنها حين المغاضبة

أَمْلَحُ الْخَلْقِ حِينَ تَلْعَبُ بِالْقَا رِ فَتُلْقِيهِ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ
وَإِذَا مَاتَ حِسُّهُ أَنْشَرَتْهُ بِشِمَالٍ مَكْرُوبَةٍ أَوْ يَمِينِ
وَتُصَادِيهِ بِالْغُفُولِ فَإِنْ رَا مَ انْجِحَاراً عَلَتْهُ كَالشَّاهِينِ (١)
وَإِذَا مَا رَجَا السَّلَامَةَ مِنْهَا عَاجَلَتْهُ بِنَشْطَةِ التِّنِّينِ (٢)
وَكَذَاكَ الْأَقْدَارُ تَفْتَرِسُ الْمَرْ ءَ وَتَغْتَالُهُ بِقَطْعِ الْوَتِينِ (٣)
بَيْنَمَا كَانَ فِي نَشَاطٍ وَأُنْسٍ إِذْ سَقَاهُ سَاقٍ بِكَاسِ الْمَنُونِ

وَيُرْوَى لَهُ .

عُلِّقْتُهَا بَيْضَاءَ ظَامِيَةَ الْحَشَا (٤)
تَسْبِي الْقُلُوبَ بِحُسْنِهَا وَبِطِيبِهَا
مِثْلَ الشَّقَائِقِ فِي احْمِرَارِ خُدُودِهَا
لِلنَّاظِرِينَ وَفِي اسْوِدَادِ قُلُوبِهَا

وَلَهُ

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْمَرْءُ فِيمَا يَنُوبُهُ
كَمَا يَسْتَقِيمُ الْعَوْدُ فِي عَرْكِ أُذْنِهِ (٥)

(١) تصاديه : تداريه وتداجيه ، والغفول : الترك والنسيان . والانجحار : دخول الجحر . والشاهين : طائر من جنس الصقر (٢) أى بنشاط الحية العظيمة وخفتها وسرعتها . (٣) تغتاله : تهلكه وتقتله على غرة ، والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . (٤) علقتها : مبنى للمجهول : أى تعلقت بها وأحببتها ، وظامية الحشا : ضامرة البطن وهو يدل على الرشاقة . (٥) فيما ينوبه : فيما ينتابه ويصيبه . والعود : المسن من الابل ، وعرك أذنه : دلكها .

وَيَرْجَحُ مِنْ فَضْلِ الْكَلَامِ[1] إِذَا مَشَى
كَمَا يَرْجَحُ الْمِيزَانُ مِنْ فَضْلِ وَزْنِهِ

﴿ ٣٢ – الْفَضْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ * ﴾

الفضل بن إبراهيم الكوفى

أَبُو الْعَبَّاسِ النَّحْوِيُّ الْمُقْرِئُ ، أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِيِّ ، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ عَلَى عِيسَى ابْنِ عُمَرَ الْهَمَذَانِيِّ[2] عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ حَالِهِ أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ، وَلَهُ اخْتِيَارٌ فِي أَحْرُفٍ يَسِيرَةٍ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ لِأَنَّهُ يُعْرَفُ بِالنَّحْوِيِّ .

﴿ ٣٣ – الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبِ ابْنِ صَخْرٍ * ﴾

الفضل بن الحباب الجمحى

الْجُمَحِيُّ يُكْنَى أَبَا خَلِيفَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ : هُوَ ابْنُ أُخْتِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ الْجُمَحِيِّ مِنْ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ وَالْأَنْسَابِ ، مَاتَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ وَكَانَ أَعْمَى ، رَوَى عَنْ خَالِهِ كُتُبَهُ فَأَكْثَرَ

(١) يرجح : مثلة العين والماضى بالفتح : يميل ، وفضل الكلام : الزائد منه والحشو .

(٢) فى التهذيب أن عيسى بن عمر مات سنة ١٥٦ وحمزة ، الزيات : هو حمزة بن حبيب المتوفى سنة ١٥٨

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم فى كتاب طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاة أيضا

وَعَنْ غَيْرِهِ ، وَرُوِيَ لَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ طَبَقَاتِ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، كِتَابُ الْفُرْسَانِ ، وَكَانَ شَاعِراً . فَمِنْ شِعْرِهِ مَا أَنْشَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ الْبَغْدَادِيُّ عَنْهُ .

قَالُوا : نَرَاكَ تُطِيلُ الصَّمْتَ قُلْتُ لَهُمْ : مَا طُولُ صَمْتِيَ مِنْ عِيٍّ وَلَا خَرَسِ

لَكِنَّهُ أَحْمَدُ الْأَمْرَيْنِ عَاقِبَةً عِنْدِي وَأَبْعَدُهُ مِنْ مَنْطِقٍ شَكِسِ (١)

أَأَنْشُرُ الْبَزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ أَوْ أَنْثُرُ الدُّرَّ لِلْعُمْيَانِ فِي الْغَلَسِ (٢)

قَالُوا : نَرَاكَ أَدِيباً لَسْتَ ذَا خَطَلٍ فَقُلْتُ: هَاتُوا أَرُونِي وَجْهَ مُقْتَبِسِ (٣)

لَوْ شِئْتُ قُلْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَداً يَرْوِي الْكَلَامَ فَأُعْطِيهِ مَدَى النَّفَسِ

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِابْنِ دُرَيْدٍ لَمَّا نَزَلَ سِيرَافَ سُئِلَ أَنْ يَجْلِسَ لِلْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ فَأَبَى ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يُسَاوِي أَنْ يَجْلِسَ لَهُ ، فَكَتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي قِبْلَةِ مَسْجِدِ سِيرَافَ وَانْصَرَفَ .

---

(١) أي صعب (٢) بالأصل « البر » تحريف ، والغلس : ظلمة آخر الليل

(٣) الخطل : الخفة والحمق والمنطق الكثير الفاسد . والمقتبس : الآخذ المستفيد

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ بِإِسْنَادٍ لَهُ قَالَ: أَلْقَيْتُ رُقْعَةً إِلَى أَبِي خَلِيفَةَ الْفَضْلِ بْنِ الْحُبَابِ الْقَاضِي فِيهَا:

قُلْ لِلْحَكِيمِ أَبِي خَلِيفَه ... يَا زَيْنَ شِيعَةِ أَبِي حَنِيفَه
إِنِّي قَصَدْتُكَ لِلَّذِي ... كَاتَمْتُ مِنْ حَذَرٍ وَخِيفَه (١)
مَاذَا تَقُولُ لِطِفْلَةٍ ... فِي الْحُسْنِ مَنْزِلُهَا شَرِيفَه؟
تَصْبُو إِلَى زَيْنِ الْوَرَى ... مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ عَفِيفَه (٢)

فَقَرَأَ الرُّقْعَةَ ثُمَّ كَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا:

يَا مَنْ تَكَامَلَ ظَرْفُهَا ... حَالُ الْهَوَى حَالٌ شَرِيفَه
إِنْ كُنْتِ صَادِقَةَ الَّذِي ... كَاتَمْتِ مِنْ حُزْنٍ وَخِيفَه
فَلَكِ السَّعَادَةُ وَالشَّهَا ... دَةُ وَالْجَلَالَةُ يَا شَرِيفَه
هَذَا النِّصَاحُ (٣) بِعَيْنِهِ ... وَبِهِ يَقُولُ أَبُو حَنِيفَه

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْإِمَامِ الْحَافِظِ حَقًّا صَدِيقِنَا وَمُفِيدِنَا أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ النَّفِيسِ بْنِ وَهْبَانَ مِنْ كِتَابِ الْإِرْشَادِ فِي مَعْرِفَةِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ تَصْنِيفِ الْخَلِيلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٤) الْحَافِظِ الْقَاضِي، أَنْشَدَنِي الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ الْوَزِيرُ،

(١) كاتمت: كتمت عن غيرى وأخفيت عنه. والحذر والخيفة: بمعنى واحد: الخوف (٢) ما بأس: ما زائدة، والبأس: الحرج والخوف، يقال: لا بأس عليك: لا خوف عليك، والعفيفة: ذات العفة، والعفة: الكف عما لا يحل ولا يجمل قولا أو فعلا (٣) النصاح بالكسر. الخيط والسلك (٤) عند الذهبي: هو ابن أحمد « طبقات الحفاظ ٣ ص ٣١٩ »

أَنْشَدَنِى أَبِى ، أَنْشَدَنِى أَبُو خَلِيفَةَ لِنَفْسِهِ :

شَيْبَانُ وَالْكَبْشُ حَدَّثَانِى شَيْخَانِ بِاللهِ عَالِمَانِ
قَالَا : إِذَا كُنْتَ فَاطِمِيًّا فَاصْبِرْ عَلَى نَكْبَةِ الزَّمَانِ

قَالَ : إِنِّى سَأَلْتُ أَبَا خَلِيفَةَ عَنِ الْكَبْشِ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِىُّ ، وَشَيْبَانُ هُوَ ابْنُ فَرُّوخٍ الْأُبُلِّىُّ ، قَالَ الْخَلِيلُ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ : هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا خَلِيفَةَ كَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّشَيُّعِ ، فَقَالَ نَعَمْ . قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِى سَعْدٍ أَيْضاً بِإِسْنَادٍ لَهُ إِلَى أَبِى سَهْلٍ هَارُونَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الْأَسْتَرَابَاذِىِّ قَالَ : أَنْشَدَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ الْجُمَحِىُّ الْقَاضِى لِنَفْسِهِ :

وَمُتْعَبُ السَّفْرِ[1] مُرْتَاحٌ إِلَى بَلَدٍ
وَالْمَوْتُ يَرْصُدُهُ[2] فِى ذَلِكَ الْبَلَدِ
وَضَاحِكٌ وَالْمَنَايَا فَوْقَ هَامَتِهِ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدِ
آمَالُهُ فَوْقَ ظَهْرِ النَّجْمِ شَامِخَةٌ
وَالْمَوْتُ مِنْ تَحْتِ إِطْلَيْهِ[3] عَلَى الرَّصَدِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُعْطَ عِلْماً فِى بَقَاءِ غَدٍ
مَاذَا تَفَكُّرُهُ فِى رِزْقِ بَعْدِ غَدٍ ؟

(١) هم جماعة المسافرين (٢) أى يرقبه . (٣) أى خاصرتيه

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ هَرَاةَ لِلْفَامِيِّ قَالَ: رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدَوَيْهِ بْنِ سَدُوسِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُسْنَدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي خَلِيفَةَ الْقَاضِي بِالْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ اللِّصُّ دَارَهُ فَصَاحَ ابْنُهُ بِاللِّصِّ، فَخَرَجَ أَبُو خَلِيفَةَ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ وَقَالَ: أَيُّهَا اللِّصُّ، مَا لَكَ وَلَنَا؟ إِنْ أَرَدْتَ الْمَالَ فَعَلَيْكَ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ، إِنَّمَا عِنْدَنَا قِمَطْرَانِ[1]: قِمَطْرٌ فِيهِ أَحَادِيثُ، وَقِمَطْرٌ فِيهِ أَخْبَارٌ، إِنْ أَرَدْتَ الْحَدِيثَ حَدَّثْنَاكَ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ، وَأَبِي عُمَرَ الْجَوْضِيِّ[2] وَابْنِ كَثِيرٍ وَهُوَ مُحَمَّدٌ[3] وَإِنْ أَرَدْتَ الْأَخْبَارَ أَخْبَرْنَاكَ عَنِ الرِّيَاشِيِّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ. فَصَاحَ ابْنُهُ إِنَّمَا كَانَ كَلْبًا. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَهُ كَلْبًا وَرَدَّ عَنَّا حَرْبًا.

وَذَكَرَ التَّنُوخِيُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ وَقَالَ فِي آخِرِهَا: فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: يَا مَوْلَايَ، لَيْسَ إِلَّا الْخَيْرُ، إِنَّمَا هُوَ سِنَّوْرٌ. فَقَالَ أَبُو خَلِيفَةَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَهُ هِرًّا وَكَفَانَا شَرًّا.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَمِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ تُحْكَى عَنْ أَبِي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ مَشْهُورَةً عَنْهُ وَقَالَ فِي آخِرِهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَهُ كَلْبًا وَرَدَّنَا حَرْبًا.

---

(١) القمطر: ما يصان به الكتب (٢) بهامش الأصل «اسمه أبو الحسين أحمد»
(٣) بهامش الأصل «ذكر العسقلاني أربعة محدثين، اسم كل واحد منهم محمد بن كثير»

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ :

حَدَّثَنِي أَبِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ صَدِيقاً لِأَبِي خَلِيفَةَ القَاضِي اجْتَازَ عَلَيْهِ رَاكِباً وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُ فَيُحَادِثَهُ . فَقَالَ : أَمْضِي وَأَعُودُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو خَلِيفَةَ : إِيحَاشُكَ نَقْدٌ ، وَإِينَاسُكَ وَعْدٌ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو خَلِيفَةَ كَثِيرَ الِاسْتِعْمَالِ لِلسَّجْعِ فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يَتَحَامَقُ(١) وَيَتَشَبَّهُ بِهِ يُعْرَفُ بِأَبِي الرَّطْلِ ، لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالسَّجْعِ هَزْلًا كُلَّهُ ، فَقَدَّمَتْ هَذَا الرَّجُلَ امْرَأَتُهُ إِلَى أَبِي خَلِيفَةَ وَهُوَ يَلِي قَضَاءَ الْبَصْرَةِ إِذْ ذَاكَ وَادَّعَتْ عَلَيْهِ الزَّوْجِيَّةَ وَالطَّلَاقَ ، فَأَقَرَّ لَهَا بِهِمَا . فَقَالَ لَهُ أَبُو خَلِيفَةَ : أَعْطِهَا مَهْرَهَا . فَقَالَ أَبُو الرَّطْلِ : كَيْفَ أُعْطِيهَا مَهْرَهَا وَلَمْ تُقْلِعْ مِسْحَاتِي نَهْرَهَا(٢) ؟ . فَقَالَ لَهُ أَبُو خَلِيفَةَ : فَأَعْطِهَا نِصْفَ صَدَاقِهَا . فَقَالَ : لَا ، أَوْ أَرْفَعَ بِسَاقِهَا وَأَضَعَهُ فِي طَاقِهَا . فَأَمَرَ بِهِ أَبُو خَلِيفَةَ فَصُفِعَ(٣) . قَالَ : وَأَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ أَبَا الرَّطْلِ هَذَا ، كَانَ إِذَا سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : لَا نُنْكِرُ لِلهِ قُدْرَةً ، قَالَ هُوَ : وَلَا لِلْهِنْدَبَا(٤) خُضْرَةً .

(١) يتحامق . يتكلف الحماقة : وهي قلة العقل وفساده . (٢) المسحاة : ما يسحى به كالمجرفة إلا أنها من حديد ، والجمع مساح — والجملة كناية عن عدم تغشيه إياها (٣) صفع : ضرب على قفاه بجمع الكف ضربا غير شديد ، أو الصفع : الضرب ببسطة الكف (٤) الهندبا : بقل يؤكل

وَلَا لِلزَّرْدَج [١] صُفْرَةً ، وَلَا لِلنَّخْلَةِ بُسْرَةً [٢] ، وَلَا لِلْعُصْفُرِ حُمْرَةً [٣] ، وَلَا لِلْقَفَا نُقْرَةً .

حَدَّثَ أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْإِيذَجِيُّ ، وَكَانَ يَخْلُفُ أَبَا عَلِيٍّ عَلَى الْقَضَاءِ بِإِيذَجَ وَرَامَهُرْمُزَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْحُكْمِ ، وَنَادَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ فِي وَزَارَتِهِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَعَلَا مَحَلُّهُ عِنْدَهُ وَتَخَالَعَ وَتَهَتَّكَ [٤] فِيمَا لَا يَجُوزُ لِلْقُضَاةِ ، وَكَانَ يُدْعَى بِالْقَضَاءِ وَيُخَاطِبُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ فِي الْوَزَارَةِ فِي كُتُبِهِ بِسَيِّدِي الْقَاضِي ، وَكَانَ لَهُ مَحَلٌّ مَكِينٌ مِنَ الْأَدَبِ . قَالَ : وَرَدْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لِأَكْتُبَ الْعِلْمَ وَأَتَأَدَّبَ ، فَلَزِمَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمِسْمَعِيُّ وَكُنْتُ أَقْتَصِرُ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ يَوْماً وَقَدْ قَرَصَ [٥] الْهَوَاءُ :

أَيُّهَذَا الْفَتَى وَأَنْتَ فَتَى الدْ دَهْرِ إِذَا عَزَّ أَنْ يُقَالَ فَتَى
طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الشِّتَاءِ لَهُ
كَاسٌ وَكِيسٌ وَكُسْوَةٌ وَكِسَا [٦]

وَكَتَبَ فِي الرُّقْعَةِ : وَقَدْ بَقِيَتْ كَافٌ أُخْرَى لَوْلَا أَنِّي أُحِبُّ

---

(١) فى الأصل يعنى الزرتك وهو زهر الزعفران « قاله ابن البيطار »
(٢) البسرة : واحدة البسر وهو التمر اذا لون قبل النضج (٣) العصفر : صبغ يصبغ به الأثواب (٤) تخالع : استخف ، وتهتك : لم يبال أن يهتك ستره
(٥) أى اشتد برده (٦) الكأس : للشراب ، والكيس : للدراهم والكسوة : مطلق الثياب ، والكسا مقصور الكساء : ثوب معروف

تَقْلِيلَ الْمَئُونَةِ عَلَيْكَ لَذَكَرْتُهَا يَعْنِي الْكُسَّ[١] فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا الْتَمَسَهُ. قَالَ التَّنُوخِيُّ: وَحَدَّثَنِي قَالَ: كَانَ أَبُو خَلِيفَةَ الْقَاضِي صَدِيقاً لِأَبِي وَعَمِّي أَيَّامَ وَفَدَ إِلَى كُوَرِ الْأَهْوَازِ فِي فِتْنَةِ الزِّنْجِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ قَدِمْتُهَا مَعَ أَبِي فَأَنْزَلَنَا أَبُو خَلِيفَةَ دَارَهُ وَأَكْرَمَنَا وَأَمْكَنَنِي مِنْ كُتُبِهِ، فَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا أُرِيدُ، وَأَسْمَعُ كَيْفَ شِئْتُ؟ وَأَكْتُبُ وَأَنْسَخُ لِنَفْسِي، وَأُصُولُهُ لِي مَبْذُولَةٌ[٢]، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ جَلَسْنَا وَتَحَادَثْنَا، فَرُبَّمَا أَحْبَبْتُ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ فَيُجِيبُنِي فَإِذَا أَضْجَرْتُهُ يَقُولُ: يَا بُنَيَّ رَوِّحْنِي[٣] فَأَقْطَعُ الْقِرَاءَةَ، وَإِذَا اسْتَرَاحَ أَخْرَجَ مِنْ كُمِّهِ دَفْتَراً مِنْ وَرَقٍ أَصْفَرَ فَيَقُولُ: اقْرَأْ عَلَيَّ مِنْهُ فَإِنَّهُ خَطِّي، وَمَا تَقْرَؤُهُ عَلَيَّ فَهُوَ مِنْ خَطِّ غَيْرِي، فَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَكَانَ فِيهِ دِيوَانُ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ، فَكَانَ يَبْكِي عَلَى مَوَاضِعَ مِنْهُ، فَأَنْشَدْتُهُ لَيْلَةً الْقَصِيدَةَ الَّتِي فِيهَا الْبَيْتَانِ الْمَشْهُورَانِ[٤] —:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

(١) بالضم للحر مولدة ، وبهامش الأصل قد نقل الحريري عن ابن سكرة سبع كافات الشتاء في المقامة الـ ٢٥ (٢) مبذولة : أي معطاة لي ليس هناك ما يمنعني منها
(٣) روحني . أرحني (٤) بهامش الأصل « ليراجع » كتاب الأغاني « ج ١٦ ص ١٥٣ »

إِنِّى لَأَذْكُرُهُ يَوْماً فَأَحْسَبُهُ
أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللّٰهِ مِيزَانَا

فَبَكَى عَلَيْهِمَا لَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَادَ يَعْمَى ، فَاسْتَطْرَفْتُ ذَلِكَ(١) وَعَجِبْتُ مِنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعْتُ مَعَ الْمُفَجَّعِ فَحَدَّثْتُهُ بِذَلِكَ وَاغْتَرَرْتُ(٢) بِهِ لِلْأَدَبِ وَاسْتَكْتَمْتُهُ إِيَّاهُ فَأَشَاعَهُ وَأَذَاعَهُ وَعَمِلَ :

أَبُو خَلِيفَةَ مَطْوِيٌّ عَلَى دَخَنٍ(٣)
لِلْهَاشِمِيِّينَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
مَا زِلْتُ أَعْرِفُ مَا يُخْفِي وَأُنْكِرُهُ
حَتَّى اصْطَفَى شِعْرَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانِ

وَأَنْشَدَنِيهَا لِنَفْسِهِ وَأَنْشَدَهَا غَيْرِي ، فَكَتَبَهَا عَنْهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ فِي رُقْعَةٍ لَطِيفَةٍ وَجَعَلَهَا فِي مِقْلَمَتِهِ(٤) وَحَضَرْنَا عِنْدَ أَبِي خَلِيفَةَ فِي مَجْلِسٍ عَامٍّ فَنَفَضَ الرَّجُلُ مِقْلَمَتَهُ وَقَدْ أُنْسِيَ مَا فِيهَا فَسَقَطَتِ الرُّقْعَةُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ وَوَجَدَهَا أَبُو خَلِيفَةَ وَقَرَأَهَا فَاسْتَشَاطَ(٥) . وَقَالَ ابْنُ الْإِيذَجِيِّ : قَبَّحَهُ اللّٰهُ وَتَرَّحَهُ أَشَاطَ بِدَمِي(٦) ؟ عَلَيَّ بِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّاعَةَ ، يَعْنِي وَالِدِي ،

(١) أى عددته طريفا غريبا نادرا (٢) أى خدعت وظننت به الأمن فلم أتحفظ (٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق (٤) المقلمة : وعاء أقلام الكتابة (٥) أى التهب غضبا (٦) أشاط بدمى : عرضنى للقتل والهلاك

بجاءه وحدثه الحديث، فوقعت في ورطة (١) وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي، ومنعني أبو خليفة القراءة واحتشمني (٢)، فحملت إليه ثيابا لها قدر، وأهديت إليه من مأكل الجند واعتذرت إليه، فرجع إليّ وقبل عذري، وعاود تدريسي ومكنني من القراءة عليه، فقرأت كتاب الطبقات وغيره مما كان عنده. وقال: لا أظهر الرضا عنك أو تكذب نفسك، ففعلت ذلك وأعطيت المفجع ثوبا دبيقيا (٣) حتى كف عن إنشاد الأبيات وجحدها (٤) واعتذر إلى أبي خليفة قال: وقال أبو علي عقيب هذا: أكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية (٥) كأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي حاتم سهل السجستاني، وفلان وفلان وعدد جماعة. وقرأت بخط ابن مختار اللغوي المصري: أبو خليفة الفضل بن الحباب اشترى جارية فوجدها خشنة فقال: ياجارية، هل من بزاق أو بصاق أو بساق؟، العرب تنقل السين صادا أو زايا، فتقول: أبو الصقر والزقر

---

(١) الورطة: الهلكة والشدة، وكل أمر شاق تعسر النجاة منه (٢) احتشمني: غضب وانقبض عني (٣) دبيقيا: منسوب إلى دبيق، بلد بمصر منها الثياب الدبيقية (٤) جحدها: أنكرها شدة الانكار (٥) الخوارج: قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة — سموا بذلك، لخروجهم على الجماعة. والشعوبية: فرقة لا تفضل العرب على العجم، وإنما تسوي بين الشعوب وإن كانت خرجت إلى ذم العرب

وَالسقرِ ، فقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي مَا أَمَاتَنِي حَتَّى رَأَيْتُ جِرِي قَدْصَارَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ غَرَائِبَ اللُّغَةِ .

﴿ ٣٤ — الْفَضْلُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو مُعَاذٍ النَّحْوِيُّ * ﴾

الفضل بن خالد المروزى

الْمَرْوَزِيُّ مَوْلَى بَاهِلَةَ ، رَوَى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَعُبَيْدِ بْنِ سُلَيْمٍ . رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ وَأَهْلُ بَلَدِهِ ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ . ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَاكِمُ بْنُ الْبَيِّعِ فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ .

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَلِأَبِي مُعَاذٍ كِتَابٌ فِي الْقُرْآنِ حَسَنٌ . قُلْتُ : وَقَدْ رَوَى عَنْهُ الْأَزْهَرِيُّ فِي كِتَابِ التَّهْذِيبِ فَأَكْثَرَ ، وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حِبَّانَ فِي تَارِيخِ الثِّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ سَوَاء ، وَلَعَلَّ الْحَاكِمَ عَنْهُ نَقَلَ .

﴿ ٣٥ — الْفَضْلُ بْنُ صَالِحٍ الْعَلَوِيُّ الْحَسَنِيُّ * ﴾

الفضل بن صالح العلوى

النَّحْوِيُّ أَبُو الْمَعَالِي الْيَمَانِيُّ ، مَاتَ فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ : قَالَ : وَحَضَرَ نَيْسَابُورَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ مَشَايِخِنَا الَّذِينَ رَأَيْنَاهُمْ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَمِعَ فِي أَسْفَارِهِ الْكُتُبَ .

(*) ترجم له فى طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب طبقات المفسرين وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

﴿ ٣٦ – الْفَضْلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عَلِيٍّ * ﴾

الفضل بن عمر الكاتب

أَبُو مَنْصُورٍ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الرَّائِضِ الْكَاتِبُ ، مِنْ أَهْلِ بَابِ الْأَزَجِ (١) ، كَانَ حَافِظاً لِكِتَابِ اللهِ ، قَرَأَ بِالْعَشْرِ عَلَى عَلِيِّ ابْنِ عَسَاكِرَ الْبَطَائِحِيِّ ، وَخَطُّهُ غَايَةٌ فِي الْجَوْدَةِ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ هِلَالٍ الْبَوَّابِ ، وَلِذَلِكَ أَوْرَدْنَاهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ . بَلَغَنِي أَنَّ مَوْلِدَهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّمِائَةٍ .

﴿ ٣٧ – الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ * ﴾

الفضل بن محمد اليزيدى

يُكْنَى أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا نَسَبَهُ وَنَسَبَ أَهْلِهِ وَالسَّبَبَ الَّذِي لِأَجْلِهِ سُمُّوا الْيَزِيدِيِّينَ فِي بَابِ جَدِّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ ، وَكَانَ الْفَضْلُ أَحَدَ الرُّوَاةِ الْعُلَمَاءِ ، وَالنُّحَاةِ النُّبَلَاءِ ، أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ الْكَثِيرُ ، وَرَوَاهُ مِنْ جِهَتِهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ ، وَمَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (٢) .

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنِ الصُّولِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَبِّرِ : اجْتَمَعَ عِنْدِي يَوْماً الْفَضْلُ

(١) باب الأزج : محلة ببغداد (٢) بهامش الأصل سقط هذا التاريخ من النسخة المطبوعة من الفهرست « ص ٥٠ »

(*) لم نعثر له على ترجمة سوى هذه

(*) ترجم فى كتاب طبقات القراء ج ثان ، وترجم له فى كتاب بغية الوعاه

اليَزِيدِيُّ وَالبُحْتُرِيُّ وَأَبُو العَيْنَاء ، فَجَلَسَ الفَضْلُ يُلْقِي عَلَى بَعْضِ فِتيَانِنَا نَحْواً فَقَالَ لَهُ أَبُو العَيْنَاء : هَذَا بَابِي وَبَابُ الوَالِدَةِ حَفِظَهَا اللهُ . فَغَضِبَ الفَضْلُ وَانْصَرَفَ ، وَخَرَجَ البُحْتُرِيُّ إِلَى سَامَرَّا مِنْ بَغْدَادَ وَكَتَبَ إِلَيَّ شِعْراً أَوَّلُهُ :

ذَكَّرَتْنِيكَ رَوْحَةٌ لِلشَّمُولِ

وَهَجَا فِيهَا الفَضْلَ فَقَالَ :

جُلُّ مَا عِنْدَهُ التَّرَدُّدُ فِي الفَا — عِلِ مِنْ وَالِدَيْهِ وَالمَفْعُولِ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَمَرْتُ أَنْ يُكْتَبَ جَوَابُ الكِتَابِ وَيُوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ . وَدَخَلَ أَبُو العَيْنَاء فَأَقْرَأْتُهُ الشِّعْرَ فَقَالَ : أَعْطِنِي نِصْفَ المِائَةِ فَإِنَّهُ هَجَاهُ وَاللهِ بِكَلَامِي ، فَأَخَذَ خَمْسِينَ وَوَجَّهْتُ إِلَى البُحْتُرِيِّ بِخَمْسِينَ وَعَرَّفْتُهُ الخَبَرَ فَكَتَبَ إِلَيَّ : صَدَقَ وَاللهِ مَا بَنَيْتُ أَبْيَاتِي إِلَّا عَلَى مَعْنَاهُ .

وَحَدَّثَ المَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ المُعْجَمِ قَالَ : كَتَبَ الفَضْلُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ اليَزِيدِيُّ إِلَى أَبِي صَالِحِ بْنِ يَزْدَادَ وَكَانَ يُدَاعِبُهُ وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا جَفْوَةٌ .

أَسْتَحِي مِنْ نَفْسِكَ فِي هَجْرِي — وَأَعْرِفُ بِنَفْسِي أَنْتَ لِي قَدْرِي
وَاذْكُرْ دُخُولِي لَكَ فِي كُلِّ مَا — يَجْمُلُ أَوْ يَقْبُحُ مِنْ أَمْرِ
قَدْ مَرَّ لِي شَهْرٌ وَلَمْ أَلْقَكُمْ — لَا صَبْرَ لِي أَكْثَرَ مِنْ شَهْرِ

وَحَدَّثَ ٱبْنُ نَاقِيَاءَ فِي كِتَابِ مُلَحِ الْمُمَالَحَةِ قَالَ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ الْكَاتِبُ اشْتَرَى[(١)] مَنْزِلًا وَآلَةً وَطَعَامًا وَعَبِيدًا ، وَكَانَ نَاقِصَ الْأَدَبِ ، وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى وَلَدِهِ وَوَلَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ لِيَقْرَءُوا عَلَيَّ الْأَشْعَارَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ سَرِيًّا جَاهِلًا ، فَدَخَلْتُ يَوْمًا وَالسِّتَارَةُ مَضْرُوبَةٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَسَّامٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ يَشْرَبَانِ وَأَوْلَادُهُمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَكَانُوا قَدْ تَأَدَّبُوا وَفَهِمُوا ، فَغَنَّى بِشِعْرِ جَرِيرٍ :

أَلَا حَيِّ الدِّيَارَ بِسُعْدَ إِنِّي ... أُحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارَا

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ : لَوْلَا جَهْلُ الْعَرَبِ مَا كَانَ ذِكْرٌ لِسُعْدَ هٰهُنَا . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَسَّامٍ : لَا تَفْعَلْ يَا أَخِي فَإِنَّهُ يُقَوِّي مَعِدَتَهُمْ وَيُصْلِحُ أَسْنَانَهُمْ . قَالَ الْفَضْلُ الْيَزِيدِيُّ : فَقَالَ لِي عَلِيُّ ٱبْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ : بِاللهِ يَا أُسْتَاذُ اُصْفَعْهُمَا وَٱبْدَأْ بِأَبِي .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : أَرَادَ بِسُعْدَ هٰهُنَا ٱسْمَ مَوْضِعٍ مَعْرُوفٍ[(٢)] ، وَكَتَبَ الْحَمْدُونِيُّ إِلَى الْفَضْلِ :

يَا أَبَا الْعَبَّاسِ إِنَّا ... فِي نَعِيمٍ وَسُرُورِ

---

(١) فى الأصل : أسرى (٢) سعد بضم الأول : قرية وماء ونخل من جانب اليمامة الغربى بغرقرى ، وبهامش الأصل « منافع السعد ذكرها ابن البيطار ج ٣ ص ١٥ وعنده ما يوضح معنى عبد الله بن إسحاق »

وَلَدَيْنَا أَسْعَدُ الْأُمَّةِ فِى كُلِّ الْأُمُورِ
مَا لَنَا عَيْبٌ سِوَى بُعْدِكَ فَامْنُنْ بِحُضُورِ

فَأَجَابَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

﴿ ٣٨ — الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَضْلِ * ﴾

الفضل بن محمد القصبانى

الْقَصَبَانِىُّ أَبُو الْقَاسِمِ النَّحْوِىُّ الْبَصْرِىُّ ، كَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ غَزِيرَ الْفَضْلِ إِمَاماً فِى عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِلَيْهِ كَانَتِ الرِّحْلَةُ فِى زَمَانِهِ (١) وَكَانَ مُقِيماً بِالْبَصْرَةِ ، مَاتَ فِى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِى أَيَّامِ الْقَائِمِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَبُو زَكَرِيَّاءَ يَحْيَى ابْنُ التِّبْرِيزِىِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِىُّ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ مِنْهَا : كِتَابٌ فِى النَّحْوِ ، وَكِتَابٌ فِى حَوَاشِى الصِّحَاحِ ، وَكِتَابُ الْأَمَالِى ، وَكِتَابٌ فِى أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمُخْتَارِهَا كَبِيرٌ وَسَمَهُ بِالصَّفْوَةِ .

قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَرِيرِىِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ : أَنْشَدَنَا شَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْقَصَبَانِىُّ النَّحْوِىُّ لِنَفْسِهِ :

فِى النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مُسَّ بِإِضْرَارِ
كَالْعُودِ لَا يُطْمَعُ فِى رِيحِهِ إِلَّا إِذَا أُحْرِقَ بِالنَّارِ

(١) أى كان يرحل إليه فى طلب العلم عليه والاستفادة منه
(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

٣٩ — قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ بْنِ زِيَارٍ *

قابوس بن وشمكير الديلمي

الدَّيلَمِيُّ الْمُلَقَّبُ بِشَمْسِ الْمَعَالِي مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ صَاحِبَ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ، وَكَانَ أَخُوهُ بِهِسْتُونُ (١) وَأَبُوهُ وَشْمَكِيرُ وَعَمُّهُ مَرْدَاوِيجُ مُلُوكَ الرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي، لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ مِنَ الدَّيْلَمِ لَيْلَى بْنُ النُّعْمَانِ فَاسْتَوْلَى عَلَى نَيْسَابُورَ فِي أَيَّامِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ السَّامَانِيِّ، وَقَامَ بَعْدَهُ أَسْفَارُ بْنُ شِيرَوَيْهِ، وَكَانَ مَرْدَاوِيجُ بْنُ زِيَارٍ أَحَدَ قُوَّادِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِ فَحَارَبَهُ فَظَفِرَ بِهِ مَرْدَاوِيجُ فَقَتَلَهُ وَمَلَكَ مَكَانَهُ، وَعَمِلَ لِنَفْسِهِ سَرِيراً مِنْ ذَهَبٍ فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَاشْتَرَى عَبِيداً كَثِيرَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ وَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا سُلَيْمَانُ وَهَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ، وَكَانَ فِيهِ ظُلْمٌ وَجَبَرُوتٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ غِلْمَانُهُ الْأَتْرَاكُ فَقَتَلُوهُ فِي الْحَمَّامِ، وَكَانَ بَنُو بُوَيْهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَوَلَّاهُمْ وِلَايَةً اسْتَظْهَرُوا بِهَا عَلَيْهِ وَحَارَبُوهُ حَتَّى مَلَكُوا، وَأَمَّا هُوَ فَلَمَّا مَاتَ وَلَّتِ الدَّيْلَمُ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ وَشْمَكِيرَ، فَاسْتَوْلَى عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ بُوَيْهِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَرَكِبَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ فَرَساً لَهُ فَعَارَضَهُ خِنْزِيرٌ فَشَبَّ بِهِ الْفَرَسُ وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ فَسَقَطَ عَلَى دِمَاغِهِ فَهَلَكَ.

(١) زدنا « أخوه بهستون » لتطابق كلمة ملوك وتتفق مع الواقع كما هو المذكور بعد

(*) ترجم له في كتاب يتيمة الدهر

وَكَتَبَ ابْنُ الْعَمِيدِ عَنْ رُكْنِ الدَّوْلَةِ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَغْنَانَا بِالْوُحُوشِ عَنِ الْجُيُوشِ : وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَنْصُورٍ بِهِسْتُونُ بْنُ وَشْمَكِيرَ مَقَامَهُ ، وَتُوفِّىَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَبُو شُجَاعٍ فَنَّاخُسْرُو ابْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِى عَلِىٍّ زَوْجَ ابْنَةِ بِهِسْتُونَ ، فَنَفَذَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمُطِيعِ وَسَأَلَهُ أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِ الْخِلَعَ وَالْعَهْدَ عَلَى جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ فَفَعَلَ ذَلِكَ وَلَقَّبَهُ ظَهْرَ الدَّوْلَةِ ، وَوَصَلَهُ مَا نُفِّذَ إِلَيْهِ فِى جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَزَيَّنَ بِلَادَهُ لِلرَّسُولِ وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ عِنْدَ وُصُولِ الْخِلَعِ إِلَيْهِ وَنَثَرَ عَلَيْهِ النِّثَارَ [1] الْعَظِيمَ : وَنَفَذَ لِلْمُطِيعِ لِلَّهِ فِى جَوَابِ اللَّقَبِ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الثِّيَابِ وَالْخَيْلِ ، وَلَمَّا تُوُفِّىَ خَلَفَهُ أَخُوهُ قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ ، وَنَفَذَ إِلَيْهِ الطَّائِعُ لِلَّهِ الْخِلَعَ وَالْعَهْدَ عَلَى طَبَرِسْتَانَ وَجُرْجَانَ وَلَقَّبَهُ شَمْسَ الْمَعَالِى ، وَكَانَ فَاضِلًا أَدِيبًا مُتَرَسِّلًا [2] شَاعِرًا ظَرِيفًا ، وَلَهُ رَسَائِلُ بِأَيْدِى النَّاسِ يَتَدَاوَلُونَهَا ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ مُكَاتَبَةٌ : مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ فِيهِ عَسْفٌ وَشِدَّةٌ فَسَئِمَهُ عَسْكَرُهُ فَتَغَيَّرُوا عَلَيْهِ وَحَسَّنُوا لِابْنِهِ مَنُوجِهْرَ حَتَّى قَبَضَ

---

(١) النثار : ما ينثر فى العرس للحاضرين من الكعك والخبيص ، والمراد : الهدايا المتنوعة الكثيرة (٢) أى منشئا للرسائل الأدبية .

عَلَى أَبِيهِ وَقَالُوا لَهُ : إِنْ لَمْ تَقْبِضْ أَنتَ عَلَيْهِ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ ، وَإِذَا قَتَلْنَاهُ فَلَا نَأْمَنُكَ عَلَى نُفُوسِنَا فَنَحْتَاجُ أَنْ نُلْحِقَكَ بِهِ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي الْقَلْعَةِ وَمَنَعَهُ مَا يَتَدَثَّرُ بِهِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ : أَعْطُونِي وَلَوْ جُلَّ دَابَّةٍ (١) حَتَّى هَلَكَ ، وَكَانَ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ فِي النُّجُومِ أَنَّ مَنِيَّتَهُ عَلَى يَدِ وَلَدِهِ ، فَأَبْعَدَ ابْنَهُ دَارَا لِمَا كَانَ يَرَاهُ مِنْ عُقُوقِهِ ، وَقَرَّبَ ابْنَهُ مَنُوجِهْرَ لِمَا رَأَى مِنْ طَاعَتِهِ وَكَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِسَبَبِهِ ، ثُمَّ إِنَّ مَنُوجِهْرَ قَتَلَ قَتَلَتَهُ ، وَكَانُوا سِتَّةً تَوَاطَئُوا عَلَيْهِ فَقَتَلَ خَمْسَةً وَهَرَبَ السَّادِسُ إِلَى خُرَاسَانَ فَقَبَضَهُ مَحْمُودُ ابْنُ سُبُكْتِكِينَ وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِئَلَّا يَتَجَرَّأَ أَحَدٌ عَلَى قَتْلِ الْمُلُوكِ — فَقَتَلَ الْآخَرَ — ، ثُمَّ مَاتَ مَنُوجِهْرُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَقَامَ ابْنُهُ أَنُوشِرْوَانُ ابْنُ مَنُوجِهْرَ مَقَامَهُ ، وَتُوُفِّيَ أَنُوشِرْوَانُ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ وُلِّيَ ابْنُهُ حَسَّانُ بْنُ أَنُوشِرْوَانَ .

وَمِنْ شِعْرِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَثِيرُ صَبَابَتِي ... فَأُحِسُّ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِيبَا
لَا عُضْوَ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ ... فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

(١) الجل بالضم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به . والجمع جلال وأجلة

وَمِنْ رَسَائِلِهِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ: كَتَبْتُ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَاىَ — وَمَا فِى جِسْمِى جَارِحَةٌ إِلَّا وَهِىَ تَوَدُّ لَوْ كَانَتْ يَداً تُكَاتِبُهُ، وَلِسَاناً يُخَاطِبُهُ، وَعَيْناً تُرَاقِبُهُ، وَقَرِيحَةً تُعَاتِبُهُ بِنَفْسٍ وَلْهَى(١)، وَبَصِيرَةٍ وَرْهَى(٢)، وَعَيْنٍ عَبْرَى(٣)، وَكَبِدٍ حَرَّى(٤)، مُنَازَعَةً(٥) إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْهُ، وَتَمَسُّكاً بِمَا يَتَّصِلُ عَنْهُ، وَمُثَابَرَةً(٦) عَلَى أَمَلٍ هُوَ غَايَتُهُ، وَتَعَلُّقاً بِحَبْلِ عَهْدٍ هُوَ نِهَايَتُهُ، وَخَاطِرِى(٧) يَمِيلُ نَحْوَهُ، وَنَفْسِى تَأْمُلُ دُنُوَّهُ وَتَرْجُو وَتَقُولُ أَتَرَاهُ، بَلْ لَعَلَّهُ وَعَسَاهُ يَرِقُّ لِنَفْسٍ قَدْ تَصَاعَدَ(٨) نَفَسُهَا، وَيَرْحَمُ رُوحاً(٩) قَدْ فَارَقَهَا رَوْحُهَا وَمُؤْنِسُهَا؟ وَكَيْفَ بِقَلْبِهِ لَوْ عَايَنَ صُورَةً هَذِهِ صُورَتُهَا؟ وَشَاهَدَ مُهْجَةً(١٠) هَذِهِ جُمْلَتُهَا؟ فَلْيَرْفُقْ جُعِلْتُ فِدَاهُ بِمَنْ عَانَدَ بَرْحاً عَظِيماً(١١)، وَكَابَدَ قَرْحاً أَلِيماً(١٢)، وَلْيَرِقَّ لِكَبِدٍ قَذَفَهَا

---

(١) أى حزينة. (٢) أى حمقاء خرقاء (٣) أى ذات عبرة وحزن.

(٤) أى شديدة العطش، والمراد التلهف كالعطشان. (٥) أى اشتياقا، وهو مصدر مفعول لأجله. (٦) أى مداومة. (٧) أى قلبى، وهو مجاز، وأصله الهاجس (٨) هذا كقولهم: تنفس الصعداء: أى تنفسا طويلا من تعب أو كرب

(٩) الروح: بضم الراء: ما به حياة الأنفس، والروح بفتح الراء، الراحة والرحمة والنصرة والعدل الذى يريح المشتكى والفرح والسرور. (١٠) المهجة: الروح

(١١) عاند: قاوم، والبرح: بسكون الراء، الشدة، يقال: لقيت منه برحا بارحا: شدة وأذى. (١٢) كابد: قاسى وتحمل المشاق، والقرح بالفتح: الجراحة، وبالضم: ألمها، والمناسب هنا الضم.

الْبِعَادُ ، وَعَيْنٍ أَرَّقَهَا السُّهَادُ [١] ، وَأَحْشَاءِ مُحْرَقَةٍ بِنَارِ الفِرَاقِ ، وَأَجْفَانٍ مَقْرُوحَةٍ بِدَمْعِهَا الْمُهْرَاقِ [٢] ، وَقَلْبٍ فِي أَوْصَابِهِ [٣] مُتَقَلِّبٍ ، وَلُبٍّ فِي عَذَابِهِ مُعَذَّبٍ ، فَلَوْ أَنِّي أُسْعِدْتُ فَأُعْطِيتُ الرِّضَا ، وَخُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ الْمُنَى ، لَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَتَصَوَّرَ صُورَتَكَ وَأُطَالِعَ طَلْعَتَكَ ، وَأُمَثِّلَ لَهَا مِثَالِي لِتَرَاهُ ، فَأُخْبِرُهَا بِكُنْهِ [٤] حَالِي وَمَعْنَاهُ ، لِتَرْفُقَ لِإِزَالَةِ مَا أَزَلَّهُ [٥] الدَّهْرُ إِلَيَّ ، وَلِتَتَلَطَّفَ لِإِمَاطَةِ مَا أَمَاطَهُ عَلَيَّ [٦] ، وَأَشْكُو بَعْضَ مَا نَابَنِي مِنْ نَوَائِبِهِ وَغَوَائِلِهِ [٧] ، وَأَطْلَقَنِي مِنْ أَشْرَاكِهِ وَحَبَائِلِهِ [٨] .

وَكَانَ قَدْ تَمَّتْ عَلَيْهِ نَكْبَةٌ أَخْرَجَتْهُ مِنْ مَقَرِّ عِزِّهِ وَمَوْطِنِ مُلْكِهِ ، فَشَتَّتَتْهُ عَنِ الْأَوْطَانِ ، وَأَلْحَقَتْهُ بِخُرَاسَانَ ، فَأَقَامَ بِهَا بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ أَسْفَرَ صُبْحُهُ [٩] وَفَازَ بَعْدَ الْخَيْبَةِ قِدْحُهُ [١٠] ، وَتَحَرَّجَ الزَّمَانُ مِنْ جَوْرِهِ عَلَيْهِ [١١] فَرَدَّ مُلْكَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ فِي حَالِ نَكْبَتِهِ [١٢] :

(١) أرقني : أسهرني ، والسهاد : الأرق بمعنى اليقظة . (٢) مقروحة : مجروحة والمهراق : المراق المصبوب (٣) أوصاب جمع وصب محركة : المرض والوجع الدائم (٤) الكنه : الحقيقة . (٥) ما أزله : ماأسقطه وأنزله (٦) الاماطة : التنحية والابعاد ، وأماطه على : أسدله (٧) نوائبه : مصائبه ، جمع نائبة ، وغوائله : دواهيه وشروره ، جمع غائلة . (٨) أطلقني: أرسلني ، والأشراك جمع شرك : وهو حبائل الصيد . (٩) أسفر صبحه : أضاء — والمراد انكشاف ما نزل به (١٠) القدح بالكسر : السهم قبل أن ينصل ويراش وهو أيضا سهم الميسر ، والمراد : النصيب (١١) وتحرج الزمان الخ : تجنب الحرج أى الاثم . (١٢) جاء بهامش الأصل « ألف ليلة وليلة طبع مكناطين ج ١ ص ١١ ثمانية أبيات من هذه القصيدة »

قُلْ لِلَّذِى بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا   هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ ؟
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ يَطْفُو فَوْقَهُ جِيَفٌ   وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرَرُ ؟
فَإِنْ تَكُنْ عَبِثَتْ أَيْدِى الزَّمَانِ بِنَا
وَنَالَنَا مِنْ تَأَذِّى بُؤْسِهِ ضَرَرُ
فَفِى السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِى عَدَدٍ
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

أَمَّا الْبَيْتُ الثَّانِى فَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِىِّ :

دَهْرٌ عَلَا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ   وَغَدَا الشَّرِيفُ[1] يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ   سُفْلًا وَيَعْلُو فَوْقَهُ جِيَفُهْ

وَقَوْلُهُ : وَفِى السَّمَاءِ نُجُومٌ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِى تَمَّامٍ :

إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ[2] قَصَفَتْ
عِيدَانَ نَخْلٍ وَلَا يَعْبَأْنَ بِالرَّتَمِ[3]
بَنَاتُ نَعْشٍ وَنَعْشٌ لَا كُسُوفَ لَهَا
وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْهَا الدَّهْرَ فِى الرَّقَمِ[4]

---

(١) كانت فى الأصل « الفراق » والصواب « الشريف » كما نبه بهامشه

(٢) أعصفت الرياح : اشتدت ، فهى معصفة ، وقصفت : كسرت ما يعترضها

(٣) الرتم : شجر بذره كالعدس واحده رتمة ، ولا يعبأن : لايبالين ، وجاء بهامش الأصل « فى النسخة المطبوعة ببيروت سنة ١٨٨٥ ص ٢٨٠ نجد » يريد بدل نخل .

(٤) بنات نعش كبرى : وهى سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات . وصغرى وهى مثلها . واحدها ابن نعش ، ومنها : أى من دونها ، والرقم : السواد ويعنى به الخفاء بالكسوف والخسوف .

وَكَتَبَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ أَهْدَى لَهُ سَبْعَةَ أَقْلَامٍ :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ سَبْعَةَ أَقْلَا مٍ لَهَا فِي الْبَهَاءِ(١) حَظٌّ عَظِيمُ
مُرْهَفَاتٌ كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْحَيْـ ـيَاتِ قَدْ جَازَ حَدَّهَا التَّقْوِيمُ(٢)
وَتَفَاءَلْتُ أَنْ سَتَحْوِي(٣) الْأَقَالِيـ ـيمَ بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِقْلِيمُ

وَهَذَا يُشْبِهُ قَوْلَ ابْنِ الصَّابِئِ وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِهِ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَكُنْتُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّمَائَةٍ قَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَى الشَّامِ وَفِي صُحْبَتِي كُتُبٌ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ أَتَّجِرُ فِيهَا ، وَكَانَ فِي جُمْلَتِهَا كِتَابُ صُوَرِ الْأَقَالِيمِ لِلْبَلْخِيِّ نُسْخَةً رَائِقَةً مَلِيحَةَ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْ كَانَتْ هَذِهِ النُّسْخَةُ لِمَنْ يَجْتَدِي بِهَا بَعْضَ الْمُلُوكِ وَيَكْتُبُ مَعَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ « وَقُلْتُهَا ارْتِجَالًا » لَكَانَ حَسَنًا ، وَالْأَبْيَاتُ فِي مَعْنَى أَبْيَاتِ قَابُوسَ ، وَلَمْ أَكُنْ شَهِدَ اللهُ وَقَعْتُ عَلَيْهَا(٤) وَلَا سَمِعْتُهَا . وَهِيَ :

(١) البهاء : الحسن والظرف . (٢) قوله كأنها ألسن الحيات الخ : أى أنها تشبه ألسن الحيات فى الحدة والأثر ، غير أنها معدلة بخلاف ألسن الحيات
(٣) أى تيمنت خيراً ، وستحوى من حواه يحويه : جمعه وملكه وأحرزه
(٤) أى عثرت عليها .

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ جَارَ وَلَمْ أَجِدْ
مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْدَى عَلَى الدَّهْرِ(١) عَدْوَاكَا
رَكِبْتُ الْفَلَا يَحْدُو بِيَ الْأَمَلُ الَّذِي
يُدَنِّي عَلَى بُعْدِ التَّنَائِفِ مَثْوَاكَا(٢)
وَرُمْتُ بِأَنْ أُهْدِي إِلَيْكَ هَدِيَّةً
فَلَمْ أَرَ مَا يُهْدِيهِ مِثْلِي لِشَرْوَاكَا(٣)
فَجِئْتُكَ بِالْأَرَضِينَ جَمْعًا تَفَاؤُلًا
لِعِلْمِي بِأَنَّ الْفَالَ رَائِدُ عُقْبَاكَ(٤)
فَخُذْ هَذِهِ وَاسْتَخْدِمِ الْفَلَكَ الَّذِي
بَرَاهُ إِلَهِي كَيْ يَدُورَ بِبُغْيَاكَا(٥)

ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ النُّسْخَةَ مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غَازِي بْنِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ حَلَبَ بِتَخْيِيرِ الْمُشْتَرِي مِنْ غَيْرِ مَكْسَبٍ، وَجَرَتْ لِي فِيهَا قِصَّةٌ ظَرِيفَةٌ أُنَزِّهُ هَذَا السُّلْطَانَ عَنْ ذِكْرِهَا، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْحَظُّ حَرَمَنِي فَإِنَّهُ جَوَادٌ عِنْدَ

(١) أى من يستعدى على الدهر أى يستنصر به عليه (٢) الفلا : الصحراء . ويحدوبى : يمشى ويسوقنى ، والتنائف جمع تنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس ، والثوى : مكان الاقامة . (٣) أى لمثلك (٤) الأرضين : ملحق بجمع المذكر السالم واحده أرض وسكنت هاؤها ضرورة ، والرائد : الجاسوس ، وعقبى الشيء : آخرته (٥) براه مخفف برأه . خلقه ، وفى الأصل « يراه » تحريف ، وببغياك : بما تبغيه وتطلبه

غَيْرِى . وَكَانَ السَّبَبُ فِى خُرُوجِ قَابُوسَ عَنْ دَارِ مُلْكِهِ وَلُحُوقِهِ بِخُرَاسَانَ : أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شُجَاعٍ فَنَّاخُسْرُو نَقَمَ(١) عَلَى أَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ أَمْراً خَالَفَهُ فِيهِ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، فَقَصَدَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إِلَى هَمَذَانَ وَكَانَ مَالِكَهَا وَمَا وَالَاهَا فَهَرَبَ مِنْهُ حَتَّى لَحِقَ بِجِبَالِ طَبَرِسْتَانَ فَتَلَقَّاهُ قَابُوسُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ وَآوَاهُ ، فَأَنْفَذَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَخَاهُ الْآخَرَ الْمُلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ مُؤَيَّدَ الدَّوْلَةِ نَحْوَهُمَا فَانْحَازَا عَنْهُ(٢) وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، وَبَعَثَا إِلَى أَبِى الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِيمْجُورَ وَكَانَ يَتَوَلَّى إِمَارَةَ نَيْسَابُورَ وَمَادُونَ جَيْحُونَ مِنْ قِبَلِ السَّدِيدِ أَبِى صَالِحٍ مَنْصُورِ بْنِ نُوحٍ السَّامَانِىِّ يَسْتَجْدِيَانِهِ وَيَسْتَعِينَانِهِ فَوَعَدَهُمَا وَأَبْطَأَ عَلَيْهِمَا لِانْحِلَالِ الْأَحْوَالِ(٣) بِخُرَاسَانَ لِاخْتِلَافِ الْأَيْدِى بِهَا ، فَسَارَا هَارِبَيْنِ حَتَّى وَرَدَا نَيْسَابُورَ وَمِنْهَا إِلَى بُخَارَى ، فَأَرْسَلَ صَاحِبُ بُخَارَى مَعَهُمَا جَيْشاً صُحْبَةَ تَاشٍ الْحَاجِبِ وَوَلَّاهُ نَيْسَابُورَ فَلَمْ يَصْنَعْ مَعَهُمَا شَيْئاً ، وَقَالَ قَابُوسُ فِى تِلْكَ الْحَالِ :

---

(١) نقم « كضرب وعلم » الخ : أنكره عليه وعابه وكرهه أشد الكراهة

(٢) أى عدلا عنه وتركاه جانبا (٣) أى انفكاكها واضطرابها

لَئِنْ زَالَ أَمْلاَ كِي وَفَاتَ ذَخَائِرِي
وَأَصْبَحَ جَمْعِي فِي ضَمَانِ التَّفَرُّقِ (١)
فَقَدْ بَقِيَتْ لِي هِمَّةٌ مَا وَرَاءَهَا
مَنَالٌ لِرَاجٍ أَوْ بُلُوغٌ لِمُرْتَقِي (٢)
وَلِي نَفْسُ حُرٍّ تَأْنَفُ الضَّيْمَ مَرْكَباً
وَتَكْرَهُ وِرْدَ الْمَنْهَلِ الْمُتَدَفِّقِ (٣)
فَإِنْ تَلِفَتْ نَفْسِي فَلِلَّهِ دَرُّهَا
وَإِنْ بَلَغَتْ مَا تَرْتَجِيهِ فَأَخْلِقِ (٤) !
وَمَنْ لَمْ يُرِدْنِي وَالْمَسَالِكُ جَمَّةٌ
فَأَيَّ طَرِيقٍ شَاءَ فَلْيَتَطَرَّقِ (٥) ؟

وَلَهُ :

بِاللهِ لَا تَنْهَضِي يَا دَوْلَةَ السِّفَلِ
وَقَصِّرِي فَضْلَ مَا أَرْخَيْتِ مِنْ طِوَلِ (٦)

---

(١) يقول . لئن ذهب ملكي وضاعت أموالي وعدتي ، وانفض أشياعي ومؤيدي وتشتتوا ، فقد بقيت الخ (٢) الهمة : العزم القوي ، والمنال : اسم مكان ، والمرتقي : البالغ نهاية أمره بالصعود إليه (٣) جاء بهامش الأصل لعله « المترنق » يريد الكدر ، ولكن المعنى مستقيم على « المتدفق » إذ المراد أن النفس تكرهه إن كان في ورده مساس بكرامتها . (٤) قوله فأخلق تعجب : أي فأجدر بها ما بلغته ، فهي جديرة به (٥) أي ومن لم يطلبني مع كثرة الطرق الموصلة إلي ، وجوابه فليتطرق : فليتخذ أي طريق شاء (٦) السفل من الناس : أسافلهم وسقاطهم وهو جمع سافل ، والطول : الحبل

أَسْرَفْتِ فَاقْتَصِدِي جَاوَزْتِ فَانْصَرِفِي
عَنِ التَّهَوُّرِ (١) ثُمَّ امْشِي عَلَى مَهَلِ
مُخَدَّمُونَ وَلَمْ تُخْدَمْ أَوَائِلُهُمْ مُخَوَّلُونَ وَكَانُوا أَرْذَلَ الْخَوَلِ (٢)

فَأَمَّا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ بُوَيْهِ فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ أَخُوهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ اسْتَدْعَاهُ ابْنُ عَبَّادٍ وَأَقَامَهُ مُقَامَ أَخِيهِ ، وَأَمَّا قَابُوسُ فَإِنَّهُ لَمَّا تَطَاوَلَتْ مُدَّتُهُ وَلَمْ يَرَ عِنْدَ السَّامَانِيَّةِ نَاصِراً قَصَدَ أَطْرَافَ بِلَادِهِ فَتَجَمَّعَتْ إِلَيْهِ الْجُيُوشُ وَعَادَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَقَاتَلَ الْمُسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا حَتَّى عَادَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً . وَذَكَرَ أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَيْرُونِيُّ فِي رِسَالَةٍ لَهُ سَمَّاهَا التَّعَلُّلَ بِإِجَالَةِ الْوَهْمِ فِي مَعَانِي مَنْظُومِ أُولِي الْفَضْلِ قَالَ : وَكُنْتُ أَسْتَحْسِنُ مِنْ شَمْسِ الْمَعَالِي قَابُوسَ إِعْرَاضَهُ عَنْ إِنْشَادِ مَدَائِحِهِ فِي وَجْهِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ يُطْلِقُ لِلشُّعَرَاءِ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى بَابِهِ فِي النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ (٣) مِقْدَاراً مِنَ الْبِرِّ ، وَيَرْسُمُ (٤) لِأَبِي اللَّيْثِ الطَّبَرِيِّ تَوْزِيعَهُ عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ رُتَبِهِمْ «وَيَقُولُ» : إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُسْتَمِيحُونَ (٥)

(١) التهور : عدم المبالاة (٢) مخدمون : كثيرو الخدم والحشم ، ومخولون : مملكون ما خولهم الله من الخول أى النعم والعبيد والاماء وغيرها (٣) هما عيدان من أعياد الفرس ، الأول لاستقبال الربيع ، والثانى لاستدبار الخريف (٤) من باب نصر : يبنى ، ومن ضرب لرسيم الابل : وهو نوع من سيرها (٥) أى طالبون العطاء على حسب تفاوتهم وطبقاتهم

بِمَا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ ، لَكِنِّي لَا أَسْتَجِيزُ سَمَاعَ أَكَاذِيبِهِمُ الَّتِي أَعْرِفُ مِنْ نَفْسِي خِلَافَهَا ، وَأَتَحَرَّزُ بِذَلِكَ مِنَ الإِسْتِغْبَانِ (١) .

وَلِقَابُوسَ فَصْلٌ يُعَزِّي : حَشْوُ هَذَا الدَّهْرِ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ — أَحْزَانٌ وَهُمُومٌ ، وَصَفْوُهُ مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ مَعْدُومٌ ، فَمَا أَوْلَاهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - بِأَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَهُ ، وَيَسْتَشِفَّ (٢) ضُرُوبَهُ وَأَحْكَامَهُ ، فَإِنْ وَجَدَ أَحَدًا سَلِمَ مِنْ وَجْدٍ أَوْ عَرِيَ مِنْ فَقْدٍ (٣) لَقِيَ خِلَافَ الْمَعْهُودِ ، وَحَقَّ لَهُ التَّأَسِّي (٤) عَلَى الْمَفْقُودِ ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ شَرَعٌ (٥) وَأَنَّ الْبَاقِيَ لِلْمَاضِي تَبَعٌ قَدَّمَ مِنَ السَّلْوَةِ وَالصَّبْرِ ، مَا لَا بُدَّ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ آخِرَ الْأَمْرِ ، لِيَحْصُلَ لَهُ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ ، وَالسَّلَامُ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : قَالَ لِي الْبَدِيهِيُّ : مَدَحْتُ وَشْمَكِيرَ (٦) بِمَدَائِحَ فَاحَتْ رَيَّاهَا شَرْقًا وَغَرْبًا ، بُعْدًا وَقُرْبًا ، فَمَا أَثَابَنِي عَلَيْهَا إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، وَقَصَدَهُ بَعْضُ الْأَغْتَامِ (٧) مِنَ الْجِبَالِ فَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ رَكِيكَةٍ غَيْرِ مَوْزُونَةٍ تَعَلَّقُهَا بِالْهِجَاءِ

(١) الاستغبان من الغبن : الخداع والنقص فى الحقوق (٢) أى يتبينها ويستقصيها . (٣) عرى من فقد : خلا منه (٤) التأسى : الحزن (٥) شرع محركة : أى سواء (٦) بهامش الأصل : « لعله قابوس بن وشمكير » وهو ما نؤيده (٧) الاغتام : جمع غتمى : وهو من لا يفصح شيئا كالأغتم

أَكْثَرُ مِنْ تَعَلُّقِهَا بِالْمَدِيحِ ، فَأَعْطَاهُ مَا أَغْنَاهُ وَأَعْقَابَهُ بَعْدَهُ ، فَشَكَوْتُ إِلَى ابْنِ سَاسَانَ ذَلِكَ فَقَالَ لِي : إِفْرَاطُ الْعِلْمِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ (١) ، وَالْجَدُّ وَالْعِلْمُ قَلَّمَا يَجْتَمِعَانِ ، وَالْكَدُّ لِلْعِلْمِ ، وَالْجَدُّ لِلْجَهْلِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنَّ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ أَلْحَقَتِ الْعَاجِزَ بِالْحَازِمِ

وَلِلصَّاحِبِ يَهْجُو قَابُوسَ :

قَدْ قَبَسَ الْقَابِسَاتِ قَابُوسُ (٢) وَنَجْمُهُ فِي السَّمَاءِ مَنْحُوسُ
وَكَيْفَ يُرْجَى الْفَلَاحُ مِنْ رَجُلٍ
يَكُونُ فِي آخِرِ اسْمِهِ بُوسُ ؟

فَأَجَابَهُ قَابُوسُ :

مَنْ رَامَ أَنْ يَهْجُوَ أَبَا قَاسِمٍ فَقَدْ هَجَا كُلَّ بَنِي آدَمِ
لِأَنَّهُ صُوِّرَ مِنْ مُضْغَةٍ تَجَمَّعَتْ مِنْ نُطَفِ الْعَالَمِ (٣)

قَالَ أَبُو سَعْدٍ الْآبِيُّ فِي تَارِيخِهِ : فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ كَانَتِ الْأَخْبَارُ تَوَاتَرَتْ بِمَوْتِ قَابُوسَ بْنِ وَشْمَكِيرَ ، ثُمَّ وَرَدَ الْخَبَرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّهُ نُكِبَ وَأُزِيلَ عَنِ الْمُلْكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْرَفَ فِي الْقَتْلِ

(١) الجد بالفتح : الحظ والبخت (٢) قبس : أخذ ، والقابسات : المقتبسات وهى المكارم ، وقابوس فى اللغة معناه : الرجل الجميل الوجه الحسن اللون . ولكنه هنا لقب
(٣) فى هامش الأصل « كأنه يريد من عباد » أى من خلق كثير .

وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِى سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَدًّا فِى التَّأْدِيبِ وَإِقَامَةِ السِّيَاسَةِ غَيْرَ ضَرْبِ الْأَعْنَاقِ وَإِمَاتَةِ الْأَنْفُسِ ، وَكَانَ يَأْتِى ذَلِكَ فِى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ ، وَالْأَخَصِّ فَالْأَخَصِّ مِنَ الْجُنْدِ وَالْحَاشِيَةِ حَتَّى أَفْنَى جَمِيعَهُمْ وَأَتَى عَلَى جُلِّهِمْ ، وَأَذَلَّ الْخَيْلَ وَأَصْنَافَ الْعَسْكَرِ لِلرَّعِيَّةِ وَجَرَّأَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَظَلَّمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ أَكَابِرِ عَسْكَرِهِ إِلَّا قَتَلَهُ وَأَتَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَفَحَّصَ عَنِ الشَّكْوَى[1] ، أَصَحِيحَةٌ أَمْ بَاطِلَةٌ ؟ فَتَبَرَّمَ بِهِ عَسْكَرُهُ وَحَاشِيَتُهُ[2] ، وَخَافُوا سَطْوَتَهُ وَلَمْ يَأْمَنُوا نَاحِيَتَهُ ، فَمَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَمَالَئُوا عَلَيْهِ ،[3] وَتَعَاهَدُوا وَتَحَالَفُوا وَخَفِىَ الْأَمْرُ ، لِأَنَّهُ كَانَ خَرَجَ إِلَى حِصْنٍ بَنَاهُ وَسَمَّاهُ « شَمْرَابَاذَ » ، وَعَزَمَ الْقَوْمُ أَنْ يَتَسَلَّقُوا عَلَيْهِ وَيَغْتَالُوهُ وَقَدْ وَاطَأَهُمْ عَلَى الْأَمْرِ جَمِيعُ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِى الْحِصْنِ ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِمُ الصُّعُودُ إِلَيْهِ وَالْهُجُومُ عَلَيْهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَوْ قَدْ أَصْبَحُوا وَقَدْ عَرَفَ الْخَبَرَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَنَعَوْهُ إِلَى النَّاسِ[4] وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ ، فَانْتُهِبَتْ أَصْطَبْلَاتُهُ ، وَسِيقَتْ دَوَابُّهُ وَبِغَالُهُ ، وَلَمْ يَقْدِرْ هُوَ عَلَى مُفَارَقَةِ الْمَوْضِعِ لِإِعْوَازِ الظُّهُورِ[5] الَّتِى تَحْمِلُ وَتَنْقُلُ عَلَيْهَا خَزَائِنَهُ ، وَكَانَ عِنْدَهُ

(١) أى من غير أن يبحث عنها (٢) فتبرم الخ : ملوا وسئموا حكمه (٣) أى اجتمعوا وتعاونوا عليه . (٤) أى أخبروا بوفاته (٥) أى لتعذر الدواب وعدم وجودها

وَزِيرُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْغَانِمِيُّ فَاتَّهَمَهُ بِمُمَالَأَةِ الْقَوْمِ فَأَوْقَعَ بِهِ وَقَتَلَهُ . وَخَاطَبَ الْعَسْكَرُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَمِنْ جُرْجَانَ مَنُوجَهْرَ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُقِيماً بِطَبَرِسْتَان ، فَاسْتَدْعَوْهُ وَكَتَبُوا إِلَيْهِ بِالْحُضُورِ ، وَأَنَّهُ مَتَى تَأَخَّرَ قَدَّمُوا غَيْرَهُ فَبَادَرَ إِلَيْهِمْ فَقَلَّدُوهُ الْأَمْرَ وَبَلَغَ ذَلِكَ قَابُوسَ وَقَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ مَنْ غَدَرَ بِهِ ، فَجَمَعَ أُمَرَاءَ الرُّسْتَاقِ [1] وَفَارَقَ الْمَكَانَ وَصَحِبَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْجُنْدِ ، وَخَرَجَ إِلَى بِسْطَامَ [2] مَعَ خَزَائِنِهِ وَأَسْبَابِهِ ، وَتَبِعَهُ مَنُوجَهْرُ ابْنُهُ مَعَ الْعَسْكَرِ يَحْصُرُهُ ، وَامْتَنَعَ هُوَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَقُبِضَ عَلَيْهِ وَحُمِلَ إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ ، وَتَقَرَّرَ أَمْرُ ابْنِهِ مَنُوجَهْرَ وَلُقِّبَ « بِفَلَكِ الْمَعَالِي » وَكَانَ أَبُوهُ يُلَقَّبُ « شَمْسَ الْمَعَالِي » ، ثُمَّ وَرَدَ الْخَبَرُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بِصِحَّةِ مَوْتِ قَابُوسَ وَأَقَامَ التَّعْزِيَةَ فِي مَمَالِكِهِ عَنْهُ ، وَكَانَ مَوْتُهُ فِي مَجْلِسِهِ بِقَلْعَةِ جِنَاشْكَ [3] وَذُكِرَ أَنَّهُ اغْتِيلَ وَحُمِلَ تَابُوتُهُ إِلَى جُرْجَانَ وَدُفِنَ فِي مَشْهَدٍ عَظِيمٍ كَانَ بَنَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ الْأَمْوَالَ الْعَظِيمَةَ وَبَالَغَ فِي تَحْصِينِهِ وَتَحْسِينِهِ .

(١) الرستاق : كلمة فارسية معربها رزداق : السواد والقرى .

(٢) بلدة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور (٣) من أشهر قلاع جرجان وأستراباذ مشهورة بالحصانة والعظمة

٤٠ — القَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ المُوَفَّقِ أَبُو مُحَمَّدٍ الأَنْدَلُسِيُّ (*)

القاسم بن أحمد الأندلسى

اللُّورَقِىُّ، يُلَقَّبُ عَلَمَ الدِّينِ، مَوْلِدُهُ فِيمَا أَخْبَرَنِى عَنْ نَفْسِهِ فِى حُدُودِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهُوَ إِمَامٌ فِى العَرَبِيَّةِ وَعَالِمٌ بِالقُرْآنِ وَالقِرَاءَةِ، اشْتَغَلَ بِالأَنْدَلُسِ فِى صِبَاهُ، وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ حَتَّى بَلَغَ مِنَ العِلْمِ مُنَاهُ، فَصَارَ عَيْناً لِلزَّمَانِ يُنْظَرُ بِهِ إِلَى حَقَائِقِ الفَضَائِلِ، فَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ وَحَصَلَ مِنْهُ عَلَى أَعْلَى ذِرْوَةٍ، وَكُنْتُ لَقِيتُهُ بِمَحْرُوسَةِ حَلَبَ فِى سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، فَفُزْتُ مِنْ لِقَائِهِ بِالأُمْنِيَّةِ، وَاقْتَضَبْتُ مِنْ فَوَائِدِهِ كُلَّ فَضِيلَةٍ شَهِيَّةٍ .

وَحَدَّثَنِى أَنَّهُ قَرَأَ القُرْآنَ بِمُرْسِيَةَ مِنْ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ المُرَادِىِّ المُرْسِىِّ، وَعَلَى أَبِى الحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ الشَّرِيكِ الدَّانِىِّ بِمُرْسِيَةَ . وَبِبَلَنْسِيَةَ عَلَى أَبِى عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نُوحٍ الغَافِقِىِّ الفَقِيهِ وَعَلَى الشَّيْخِ المُقْرِىءِ أَبِى العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنِ اللهِ الأَنْدَلُسِىِّ، وَقَرَأَ النَّحْوَ عَلَى أَبِى الحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ الشَّرِيكِ المَذْكُورِ وَابْنِ نُوحٍ المَذْكُورِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِصْرَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ فَقَرَأَ بِهَا القُرْآنَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى الجُودِ غِيَاثِ بْنِ فَارِسِ بْنِ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

مَكِّيٍّ اللَّخْمِيِّ ، وَبِدِمَشْقَ عَلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ تَاجِ الدِّينِ أَبِي الْيَمَنِ الْكِنْدِيِّ ، قَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جَمِيعَهُ بِكِتَابِ الْمُبْهِجِ تَصْنِيفِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُقْرِئِ ، وَكِتَابَ سِيبَوَيْهِ وَكَثِيراً مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَكْثَرَ سَمَاعَاتِهِ كَتَارِيخِ الْخَطِيبِ وَالْحُجَّةِ وَأَدَبِ الْكَاتِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَانَ وُرُودُهُ إِلَى دِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَبِبَغْدَادَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْبَقَاءِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ الْعُكْبَرَاوِيِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ، وَأَمَّا مَعْرِفَتُهُ بِالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ كَالْمَنْطِقِ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الْغَايَةُ فِيهِ .

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ شَرْحِ الْمُفَصَّلِ فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَكِتَابٌ فِي شَرْحِ قَصِيدَةِ الشَّاطِبِيِّ ، وَكِتَابُ شَرْحِ مُقَدِّمَةِ الْجُزُولِيِّ مُجَلَّدَانِ . وَأَنْشَدَنِي قَالَ : أَنْشَدَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيَمَنِ لِنَفْسِهِ — رَحِمَهُ اللهُ — :

تَرَكْتُ قِيَامِي لِلصَّدِيقِ يَزُورُنِي
وَلَا عُذْرَ لِي إِلَّا الْإِطَالَةُ فِي عُمْرِي
وَلَوْ بَلَغُوا مِنْ عَشْرِ تِسْعِينَ نِصْفَهَا (١)
تَبَيَّنَ فِي تَرْكِي الْقِيَامَ لَهُمْ عُذْرِي

(١) عشر تسعين : أي العشر المكملة للتسعين . ونصفها : خمسة ، أي صاروا في الخامسة والثمانين

﴿ ٤١ — الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَبُو ذَكْوَانَ الرَّاوِيَةُ * ﴾

القاسم بن اسماعيل الراوية

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحٰقَ النَّدِيمُ قَالَ أَبُوسَعِيدٍ يَعْنِي السِّيرَافِيَّ : وَقَدْ كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُبَرِّدِ جَمَاعَةٌ نَظَرُوا فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ نَبَاهَتُهُ : مِنْهُمْ أَبُو ذَكْوَانَ الْقَاسِمُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ . وَلِأَبِي ذَكْوَانَ كِتَابُ مَعَانِي الشِّعْرِ رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ ، وَوَقَعَ أَبُو ذَكْوَانَ إِلَى السِّيرَافِ أَيَّامَ الزَّنْجِ ، وَكَانَ عَلَّامَةً أَخْبَارِيًّا (١) قَدْ لَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَكَانَ التَّوَّزِيُّ زَوْجَ أُمِّ أَبِي ذَكْوَانَ .

﴿ ٤٢ — قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ نَاصِحِ * ﴾

قاسم بن أصبغ البيانى

ابْنِ عَطَاءٍ الْبَيَّانِيُّ (٢) أَبُو مُحَمَّدٍ ، مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ ، حَافِظٌ مُكْثِرٌ مُصَنِّفٌ ، كَانَ أَصْلُهُ مِنْ بَيَّانَةَ وَسَكَنَ قُرْطُبَةَ ، وَبِهَا مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ شَيْءٌ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَتَيْنِ ، ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فَقَالَ : سَمِعَ مُحَمَّدَ ابْنَ وَضَّاحٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ الْخُشَنِيَّ وَجَمَاعَةً ، وَرَحَلَ

(١) أى عالما بالأخبار والسير . (٢) نسبة إلى بيانة : وهى قصبة كورة قبرة بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ٢ ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة

فَسمِعَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ الْقَاضِيَ ، وَأَبَا إِسْمَاعِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيَّ ، وَالْحَارِثَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ ، وَأَبَا قِلَابَةَ الرَّقَاشِيَّ ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ ، وَأَحْمَدَ بْنَ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ ، وَأَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ جَمَاعَةً ثُمَّ قَالَ وَغَيْرَهُمْ ، وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ الْخَمْرِ[1] ، وَكِتَابٌ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ عَلَى أَبْوَابِ كِتَابِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي ، وَكِتَابُ الْمُجْتَنَى عَلَى أَبْوَابِ كِتَابِ ابْنِ الْجَارُودِ الْمُنْتَقَى .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ[2] : وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ انْتِقَاءً وَأَنْقَى حَدِيثاً وَأَعْلَى سَنَداً وَأَكْثَرُ فَائِدَةً ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي فَضَائِلِ قُرَيْشٍ ، وَكِتَابٌ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، وَكِتَابٌ فِي غَرَائِبِ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مِمَّا لَيْسَ فِي الْمُوَطَّإِ ، وَكِتَابٌ فِي الْأَنْسَابِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْإِيعَابِ[3] . وَكَانَ مِنَ الثِّقَةِ وَالْجَلَالَةِ بِحَيْثُ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَغَيْرُهُمْ

﴿ ٤٣ — قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ السَّرَقُسْطِيُّ * ﴾

قاسم بن ثابت السرقسطى

ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فَقَالَ : هُوَ مُؤَلِّفُ كِتَابِ غَرِيبِ

(١) جاء بهامش الأصل لعله : « السنن » . (٢) بهامش الأصل يعنى : ابن حزم .

(٣) بهامش الأصل : قد ذكر الذهبي له كتبا غير هذه « ٣ — ٧ » .

(*) ترجم له فى كتاب أنباء الرواة ج ٢ ، وترجم له أيضا فى كتاب بغية الوعاة

الْحَدِيثِ ، رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُهُ ثَابِتٌ وَلَهُ فِيهِ زِيَادَاتٌ ، وَهُوَ كِتَابٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ ، وَذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا شَآهُ[1] أَبُو عُبَيْدٍ إِلَّا بِتَقَدُّمِ الْعَصْرِ .

﴿ ٤٤ — الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخُوَارِزْمِيُّ * ﴾

القاسم بن الحسين الخوارزمي

صَدْرُ الْأَفَاضِلِ حَقًّا[2] ، وَوَاحِدُ الدَّهْرِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ صِدْقًا ، ذُو الْخَاطِرِ الْوَقَّادِ[3] ، وَالطَّبْعِ النَّقَّادِ[4] ، وَالْقَرِيحَةِ الْحَاذِقَةِ ، وَالنَّحِيزَةِ الصَّادِقَةِ[5] ، بَرَعَ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ ، وَفَاقَ فِي نَظْمِ الشِّعْرِ وَنَثْرِ الْخُطَبِ ، فَهُوَ إِنْسَانُ عَيْنِ الزَّمَانِ[6] ، وَغُرَّةُ جَبْهَةِ هَذَا الْأَوَانِ[7] . سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ : مَوْلِدِي فِي اللَّيْلَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَحَضَرْتُ فِي مَنْزِلِهِ بِخُوَارِزْمَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ صَدْرًا يَمْلَأُ الصَّدْرَ[8] ، ذَا بَهْجَةٍ سَنِيَّةٍ وَأَخْلَاقٍ هَنِيَّةٍ ، وَبِشْرٍ طَلْقٍ وَلِسَانٍ ذَلْقٍ[9] ، فَمَلَأَ قَلْبِي وَصَدْرِي ، وَأَعْجَزَ وَصْفُهُ نَظْمِي وَنَثْرِي ، وَاسْتَنْشَدْتُهُ مِنْ قِبَلِهِ فَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِمَنْزِلِهِ فِي خُوَارِزْمَ ،

(١) ماشآه : ما سبقه (٢) أى رئيسهم ومقدمهم . (٣) أى صاحب القلب السريع التوقد فى النشاط والمضاء الحاد . (٤) أى صاحب الطبيعة والسجية السريعة النقد .

(٥) أى الطبيعة الصادقة . (٦) أى رئيس أهل زمانه . (٧) وغرة الخ : الغرة : بياض فى جبهة الفرس : يريد أنه ظاهر ذائع الصيت والشهرة فى أوانه .

(٨) صدرا الخ : أى تقدما ورياسة تملأ القلب (٩) يقال هو طلق الوجه بسكون اللام مع تثليث الطاء وطلق ككتف وأمير أى ضاحكه مشرق ، ويقال هو ذلق اللسان بفتح فسكون وكصرد وعنق وكريم : أى حديده بليغ .

فِى سَلْخِ ذِى الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ :

يَا زُمْرَةَ الشُّعَرَاءِ دَعْوَةَ نَاصِحٍ
لَا تَأْمُلُوا عِنْدَ الْكِرَامِ سَمَاحَا[1]
إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْرِهِمْ قَدْ أَغْلَقُوا
بَابَ السَّمَاحِ وَضَيَّعُوا الْمِفْتَاحَا

وَرَأَيْتُهُ شَيْخًا ، بَهِىَّ الْمَنْظَرِ ، حَسَنَ الشَّيْبَةِ ، كَبِيرَهَا ، سَمِينًا بَدِينًا عَاجِزًا عَنِ الْحَرَكَةِ ، وَكَانَ لَهُ فِى حَلْقِهِ حَوْصَلَةٌ كَبِيرَةٌ[2] . وَقُلْتُ لَهُ : مَا مَذْهَبُكَ ؟ فَقَالَ : حَنَفِىٌّ وَلَكِنْ لَسْتُ خُوَارِزْمِيًّا لَسْتُ خُوَارِزْمِيًّا يُكَرِّرُهَا ، إِنَّمَا اشْتَغَلْتُ بِبُخَارَى فَأَرَى رَأْىَ أَهْلِهَا ، نَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَزِلِيًّا رَحِمَهُ اللهُ. قَالَ : وَسَأَلَنِى قَاضِى الْقُضَاةِ بِخُوَارِزْمَ أَنْ أُنْشِئَ لَهُ أَبْيَاتًا يَكْتُبُهَا عَلَى جُدْرَانِ دَارٍ اسْتَحْدَثَ بِنَاءَهَا فَقُلْتُ :

مَنْ كَانَ يَفْخَرُ بِالْبُنْيَانِ وَالشُّرَفِ[3]
فَلَيْسَ فَخْرِى بِغَيْرِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ
مَا قِيمَةُ الدَّارِ لَوْلَا فَضْلُ سَاكِنِهَا ؟
وَأَىُّ وَزْنٍ[4] بِدُونِ الدُّرِّ لِلصَّدَفِ ؟؟

---

(١) يازمرة الخ : الزمرة : الفوج والجماعة فى تفرقة . والسماح : العطاء (٢) الحوصلة : من الطير كالمعدة من الانسان ، أى هنة تشبه حوصلة الطائر (٣) الشرف : جمع شرفة ، ما أشرف من البناء ، والشرف : المجد والحسب (٤) أى قيمة ؟

إِنْ كَانَ يُعْجِبنِى خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ
فَلَسْتُ أَكْرَمَ نَجْلٍ مِنْ بَنِى خَلَفِ
قَدْ صَحَّ لِى بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كُلِّهِمِ
رِوَايَةُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَنْ سَلَفِى
إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ كَانَتْ مَعَايِشُهُمْ
بِالْقَصْدِ أَمَّا عَطَايَاهُمْ فَبِالسَّرَفِ (١)
قَوْمٌ مَتَى طَلَعَتْ لَيْلًا مَآثِرُهُمْ (٢)
رَأَيْتَ بَدْرَ الدُّجَى فِى زِىِّ مُنْخَسِفِ (٣)
بِدَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
أَنَّى تَوَجَّهْتُ فَالْإِقْبَالُ مُكْتَنِفِى (٤)؟

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ :

أَيَا سَائِلِى عَنْ كُنْهِ عَلْيَاهُ إِنَّهُ ... لَأُعْطِىَ مَا لَمْ يُعْطَهُ الثَّقَلَانِ
فَمَنْ يَرَهُ فِى مَنْزِلٍ فَكَأَنَّمَا ... رَأَى كُلَّ إِنْسَانٍ وَكُلَّ مَكَانِ

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ فِى أَنْبَاءِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الرُّسْتَانِىِّ ،

(١) القصد : التوسط بين الافراط والتقتير ، والسرف : الاسراف والافراط ، يتمدح بأن آباءه يقتصدون فى معيشتهم ويسرفون فى عطاياهم ، وهذا نهاية الكرم .
(٢) أى أفعالهم الجيدة ومكارمهم المتوارثة . (٣) يقول إن مكارم آله إذا انتشرت أضاءت الكون وعمته ، حتى ترى القمر مظلما لا ضوء له لطغيانها عليه . (٤) الميمون طائره : المبارك الطلعة — أنى توجهت : ظرف مكان ، أى إلى أى مكان قصدت ، ومكتنفى : محيط بى .

ـ وَرِشْتَانُ مِنْ قُرَى مَرْغِينَانَ ، وَمَرْغِينَانُ مِنْ بِلَادِ فَرْغَانَةَ :ـ

فُدِيتَ إِمَامًا صِيغَ مِنْ عِزَّةِ النَّفْسِ
أَنَامِلُهُ وَالسُّحْبُ نَوْعَانِ مِنْ جِنْسِ (١)
أَشَدَّ ارْتِيَاحًا نَحْوَ طَلْعَةِ مُعْتَفٍ
مِنَ الْمُفْلِسِ الْخَاوِى الْيَدَيْنِ إِلَى الْفَلْسِ (٢)
وَأَفْقَهَ فِى تَدْرِيسِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَجْوَدَ مِنْ كَعْبٍ وَأَخْطَبَ مِنْ قُسِّ (٣)
مَنَاقِبُ لَوْ أَنَّ الْحَرَابِىَّ مَرَّةً
بَصُرْنَ بِهَا اسْتَنْكَفْنَ عَنْ خِدْمَةِ الشَّمْسِ (٤)
وَيَغْدُو عَلَى طِرْفٍ مِنَ الشُّقْرِ كُلَّمَا رَأَتْهُ إِمَاءُ الْحَىِّ وَافَتْهُ لِلْقَبْسِ (٥)
عَلَى سَابِحٍ مِنْ خِلْقَةِ الْوَهْمِ طَالِعٍ
وَأَهْوَنُ شَىْءٍ عِنْدَهُ دَرَكُ الْأَمْسِ (٦)

(١) فديت مجهول : حماك الله ، وصيغ : أخذ وأنشئ ، وأنامله والسحب نوعان من جنس ، كناية عن كثرة الكرم (٢) معتف : طالب المعروف ، والخاوى اليدين : الخالى اليدين ، كناية عن الاقلاس والاعمال . (٣) يريد بمحمد : الامام محمد صاحب أبى حنيفة النعمان ، ويريد بقس : قس بن ساعدة الايادى (٤) الحرابى جمع حرباء : دويبة تتلون ألواناً بحر الشمس ، يقول : إذا أبصرت الحرابى مناقبه وعرفتها استكبرت عن خدمة الشمس ، مع أنها تدور معها وتستقبلها بعينها لتستدفئ بها (٥) الطرف : الكريم من الخيل ، والشقر جمع أشقر وهو الأحمر حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب . وافته القبس : جاءته للأخذ (٦) على سابح : فرس سريع ، وخلقة الوهم : فطرته وتركيبه . والطالع عند أصحاب الفأل : ما يتفاءل به من السعد والنحس بطلوع الكواكب ، وأهون شىء الخ : أسهل شىء لديه معرفة حوادث اليوم الماضى

فَتًى سَاوَمَتْهُ خَلْقَهُ وَهُوَ فَاغِمٌ
وَلَا فَغْمَةَ الْمِسْكِ، الْخَرَائِدُ لِلْعُرْسِ (١)
لَهُ الصَّفْوُ مِنْ وُدِّى وَإِخْوَتُهُ الْأُلَى
غَدَوْا مِنْ سِهَامِ الزَّيْغِ لِلدِّينِ كَالتُّرْسِ (٢)
لِفِتْيَانِ صِدْقٍ مَا اقْتَنَوْا (٣) طُولَ عُمْرِهِمْ
سِوَى الْبَحْثِ وَالْإِفْتَاءِ وَالْوَعْظِ وَالدَّرْسِ
لِأَرْبَعَةٍ شَادُوا الْهُدَى (٤) بَعْدَ شَيْخِهِمْ
فَقَدْ بُنِيَ الْإِسْلَامُ مِنْهُمْ عَلَى خَمْسِ
بِنُورٍ إِلَهِيٍّ عَلَيْهِمْ وَزُهْدِهِمْ
وَعِلْمِهِمُ أَضْحَوْا مَلَائِكَةَ الْإِنْسِ (٥)
فَعَاشُوا لِتَرْشِيحِ الْهُدَى وَيَرَاعُهُمْ
بِصَائِبَةِ الْأَحْكَامِ يَقْطُرُ فِى الطِّرْسِ (٦)

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ الْخُرَاسَانِيَّةِ فِى الْإِمَامِ صَدْرِ الْأَفَاضِلِ يَمْدَحُهُ :

---

(١) ساومته : طلبت منه ، والفاغم : المتطيب بالطيب ذى الرائحة الطيبة ، والفغمة : العبقة أى رائحة الطيب ، والخرائد جمع خريدة : وهى البكر التى لم تمس ، والعرس : الزفاف

(٢) سهام الزيغ : نبال الشك والجور عن الحق ، والترس : الوقاية وما يتوقى به

(٣) اقتنوا : ادخروا (٤) شادوا الهدى : رفعوا أعلام الدين والهداية

(٥) ملائكة الانس : رسلهم والمصطفون منهم (٦) ترشيح الهدى : تقويتها ورعايتها ، واليراع : القلم ، وصائبة الأحكام : الصواب منها ، والطرس : الورق

إِنَّ لِلْعَالَمِينَ فَخْراً وَزَيْناً وَجَمَالًا يَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْنِ
بِفَتًى وَافِرِ الْعُلُومِ نِقَابٍ[1] مِثْلُهُ مَا رَأَيْتُ قَطُّ بِعَيْنِي
لَيْسَ ذَاكَ الْفَتَى الْمُبَرِّزُ[2] إِلَّا أَفْضَلَ النَّاسِ قَاسِمَ بْنَ الْحُسَيْنِ

وَحَدَّثَنِي صَدْرُ الْأَفَاضِلِ: قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ الْعِرَاقِيَّةِ فِيَّ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِي:

يَقُولُونَ إِنَّ الْأَصْمَعِيَّ لَبَارِعٌ وَبِالنَّحْوِ وَالْآدَابِ وَالشِّعْرِ عَالِمُ
كَذَا ابْنُ دُرَيْدٍ وَالْخَلِيلُ وَجَاحِظٌ وَكُلٌّ لِدُرِّ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ نَاظِمُ
فَقُلْتُ أَجَلْ، قَدْ جَلَّ فِي النَّاسِ شَأْنُهُمْ وَأَفْضَلُ مِنْهُمْ صَدْرُ خُوَرِزْمَ[3] قَاسِمُ

وَأَنْشَدَنِي صَدْرُ الْأَفَاضِلِ لِنَفْسِهِ:

أَتَحْمِلُ مِنِّي نَحْوَ ذَيَّالِكَ الرَّشَا سَلَاماً كَصُدْغَيْهِ وَحَالِي مُشَوَّشَا[4]؟
وَإِنِّي لِوَجْدِي أَسْتَفِيءُ لِذِي الْحِمَى بِشُعْلَةِ أَنْفَاسِي إِذَا اللَّيْلُ أَغْطَشَا[5]

(١) نقاب: علامة. (٢) المبرز: الفائق أصحابه فضلا والموثوق بعقله ورأيه.
(٣) مخفف خوارزم مخفف خوارززم (٤) ذيالك: تصغير ذلك، والرشا: ولد الظبية إذا تحرك ومشى، والمراد الحبيب المشبه به فى الرشاقة وخفة الحركة، وحالى مشوشا: مضطرب من الوجد والشوق. (٥) أغطش الليل: أظلم

وَيَرْحَمُنِي الْعُذَّالُ حَتَّى يَقُولَ لِي
أَمُوقِدُ نَارٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ أَمْ حَشًا (١) ؟

وَهَلْ تَرِدُ الْجَرْعَاءَ مِنِّي بِحَنَّةٍ
عَلَى طَرَفَيْهَا رَوْنَقُ الْعَهْدِ قَدْ مَشَى (٢) ؟

وَإِنِّيَ قَدْ كَتَّمْتُ سِرِّي وَإِنَّمَا
بِرَغْمِيَ صَوْبُ الْمَدْمَعَيْنِ بِهِ فَشَا (٣)

كَمَا أَنَّ صَدْرَ الشَّرْقِ أَخْفَى سَخَاءَهُ
وَلٰكِنَّهُ بِشْرُ الْجَبِينِ بِهِ وَشَى (٤)

مَتَى جُحِدَتْ نُعْمَاهُ أَنْهَضَ جُودُهُ
شُهُوداً مِنَ الْإِحْسَانِ لَا تَقْبَلُ الرِّشَا (٥)

وَإِنْ هَزَّهُ الْإِطْرَاءُ ثُمَّ تَبَجَّسَتْ
أَيَادِيهِ لَمْ يَسْكَرْ لَهُ فَقَدِ انْتَشَى (٦)

أَيَلْحَقُهُ الْوَهْمُ الْقَطُوفُ ، إِذَا سَعَى
لِإِدْرَاكِ غَايَاتِ الْعُلَا مُتَكَمِّشَا ؟ (٧)

---

(١) يرحنى العذال : يرق لى اللوام ، والحشا : ما فى البطن من الامعاء وغيرها .

(٢) الجرعاء : الرملة الطيبة النبت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، والحنة : المرة من الحنين ، وهو الترحم والشفقة ، ورونق العهد : حسنه — يقول : هل تمر بالجرعاء ترحماً وشفقة، وتتذكر العهد الذى بيننا ؟ (٣) فشا به : أظهره (٤) وشى به : نم عليه . (٥) الرشا : الرشوة مثلثة الراء . (٦) تبجست أياديه : تفجرت ، من تبجس الماء : إذا تفجر ، والمراد : العطاء الكثير ، وانتشى : عاوده مرة بعد أخرى (٧) القطوف : البطىء ، والمتكمش من الرجال : السريع ، والاستفهام للانكار ، أى لا يلحقه ولا يدركه

لَكَ الْمَنْهَلُ الْمِسْكِيُّ مَا زَالَ نَقْعُهُ
يُعَلِّلُ صِلاًّ فِي يَمِينِكَ أَرْقَشَا (١)
فَيَلْفِظُ فِي مَنْسَابِهِ مِنْ لُعَابِهِ
حُتُوفًا وَأَرْزَاقًا عَلَى حَسَبِ مَاتَشَا (٢)

وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وَحَدَّثَنِي الْإِمَامُ صَدْرُ الْأَفَاضِلِ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ الصُّوفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالصَّوَّافِ يَسْأَلُنِي عَنْ بَيْتِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَهُوَ :

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ   وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّ فِيهِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَرْفُوعًا فَأَجَبْتُهُ :

أَفْدِي إِمَامًا وَمِيضُ الْبَرْقِ مُنْصَرِعٌ
مِنْ خَلْفِ خَاطِرِهِ الْوَقَّادِ حِينَ خَطَا (٣)
يَبْغِي الصَّوَابَ لَدَيْنَا مِنْ مَبَاحِثِهِ
أَمَا دَرَى أَنَّ مَا يَعْدُو الصَّوَابَ خَطَا ؟ (٤)

الَّذِي يَحْضُرُنِي فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الْمَرْفُوعَاتِ اثْنَا عَشَرَ ،

(١) المنهل المسكى : المورد الطيب الرائحة كالمسك ، والنقع : الماء المجتمع ، والصل : الثعبان ، والأرقش : المنقط من الحيات وهو أخبثها (٢) فيلفظ الخ : فيرمي فى انسيابه حتوفا : أى منايا للأعداء جمع حتف ، وأرزاقا : للأصحاب على وفق إرادتك ومشيئتك .

(٣) وميض البرق : لمعانه ، ومنصرع : مصروع ومهزوم ، وحين خطا : مشى ، من الخطو . (٤) يبغى الصواب لدينا : يطلب منا الصواب فى هذا السؤال والجواب عنه ، وما يعدو : ما يجاوز ، وخطا : هنا أصلها خطأ بالهمز ، لمقابلته بالصواب .

فَمِنْهَا قَوْلُهُ : فَمَنْ يَهْجُو، فِيهِ ثَلَاثَةُ مَرْفُوعَاتٍ، الْمُبْتَدَأُ، وَالْفِعْلُ، الْمُضَارِعُ، وَالضَّمِيرُ الْمُسْتَكِنُّ، وَمِنْهَا الْمُبْتَدَأُ الْمُقَدَّرُ فِي قَوْلِهِ وَيَمْدَحُهُ، الْمَعْنَى[١]: وَمَنْ يَمْدَحُهُ، فَيَكُونُ هَاهُنَا عَلَى حَسَبِ الْمِثَالِ الْأَوَّلِ ثَلَاثَةُ مَرْفُوعَاتٍ أَيْضاً، وَمِنْهَا الْمَرْفُوعَانِ فِي قَوْلِهِ وَيَنْصُرُهُ[٢]، أَحَدُهُمَا الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ، وَالثَّانِي الضَّمِيرُ الْمُسْتَكِنُّ، وَمِنْهَا الْمَرْفُوعَاتُ الْأَرْبَعَةُ فِي قَوْلِهِ سَوَاءٌ، إِثْنَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِي مَقَامِ الْخَبَرَيْنِ لِلْمُبْتَدَأَيْنِ، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ ضَمِيراً رَاجِعاً إِلَى الْمُبْتَدَإِ، فَهَذَا يَاسَيِّدِي جَهْدُ الْمُقِلِّ[٣] وَغَيْرُ مَرْجُوٍّ قَطْعُ الْمَدَى مِنَ الْكُلِّ، فَلْيَعْذِرْنِي سَيِّدِي قَبِلَ اللهُ مَعَاذِيرَهُ مِنَ الْمَرْفُوعِ الثَّالِثَ عَشَرَ، فَإِنَّهُ لَعَمْرِي قَدِ اسْتَكَنَّ وَاسْتَتَرَ حَتَّى لَا أَعْرِفُ لَهُ عَيْناً، وَكَيْفَ يُعْرَفُ لَهُ وِجَارٌ[٤] وَقَدْ صَارَ أَعْزَبَ[٥] مِنَ الْعَنْقَاءِ، وَأَشَدَّ عَوَزاً مِنَ الْوَفَاءِ.

وَأَنْشَدَنِي صَدْرُ الْأَفَاضِلِ لِنَفْسِهِ :

سَرَى نَاشِداً أُنْسِي قَضِيبٌ مِنَ الْآسِ

فَنَاوَلَنِي الصَّهْبَاءَ وَالشَّهْدَ فِي كَاسِ[٦]

(١) يريد إذ المعنى ومن يمدحه لتضاد الفعلين (٢) لا يصح تقديمه من هنا لأنه معطوف على الفعل قبله بمعناه (٣) جهد المقل : أى طاقة القليل العلم مثلى . (٤) الوجار : جحر الضبع وغيره (٥) أعزب من العنقاء : أبعد منها وأخفى ، والعنقاء طائر محال الوجود ، يضرب به المثل فى استحالة وجود الشىء . (٦) ناشدا : طالبا ، أنسى : إيناسى وعدم وحشتى ، وقضيب من الآس : يريد حبيبته على التشبيه فى الرشاقة والحسن والطول ، والصهباء : الخمر ، والشهد : العسل ما دام لم يعصر من شمعه .

وَأَرْشَدَنِي وَهْنًا لِتَقْبِيلِ خَالِهِ (١)
وَمِيضُ ثَنَايَاهُ وَشُعْلَةُ أَنْفَاسِي

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يُلْقِي عَلَى جَمْرِ خَدِّهِ
مِنَ الطُّرَّةِ السَّوْدَاءِ غُلَّةَ أَنْقَاسِ (٢)

إِذًا لَأَضَاءَ اللَّيْلَ حَتَّى انْجَلَتْ لَنَا
هَوَاجِسُ تُخْفِيهِنَّ أَفْئِدَةُ النَّاسِ (٣)

وَكَتَبَ الْإِمَامُ صَدْرُ الْأَفَاضِلِ إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ :

كِتَابِي إِلَى الْمَجْلِسِ الرَّفِيعِ جَمَالِ الْحَرَمَيْنِ ، إِمَامِ الْفَرِيقَيْنِ يُدِيمُ اللَّهُ رِفْعَتَهُ ثُمَّ يُدِيمُ ، وَيُنِيمُ عَنْهُ طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ (٤) ثُمَّ يُنِيمُ ، وَأَنَا إِلَيْهِ كَالصَّادِي إِلَى قَعْقَعَةِ الْجَمْدِ (٥) ، وَبِجَمَالِهِ (٦) كَهُوَ بِجَمَالِ الْمَجْدِ ، لَا أَرْوِي إِلَّا عَنْ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ (٧) وَلَا أَرْتَوِي إِلَّا مِنْ وِرْدِهِ وَزُلَالِهِ ، وَلَا أَتَحَسَّرُ إِلَّا عَلَى لَيَالٍ وَشَّيْتُهَا (٨) بِجِوَارِهِ ، ثُمَّ طَرَّزْتُهَا بِحِوَارِهِ :

إِذَا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ بَاتَتْ كَأَنَّهَا
عَلَى حَدِّ سَيْفٍ بَيْنَ جَنْبَيَّ يُنْتَضَى (٩)

(١) وهنا مصدر وهن : دخل فى الوهن من الليل أى فى جزء منه ، والخال : شامة فى الخد (٢) الطرة السوداء : عقرب الصدغ يعمل من الشعر ، والأنقاس : جمع نقس : وهو المداد (٣) هواجس : خواطر جمع هاجس ، أفئدة الناس : قلوبهم جمع فؤاد (٤) طوارق جمع طارقة : الداهية ، والحدثان : الليل والنهار (٥) الصادى : العطشان ، والقعقعة : الصوت ، والجمد : ما جمد من الماء (٦) بهامش الأصل : « لعله سقط مشفوف » ولا نوافق عليه (٧) الافضال : الاحسان وإنالة الفضل (٨) وشيتها : نقشتها (٩) ينتضى : يستل من غمده

تَوَلَّى الصِّبَا وَالْمَالِكِيَّةُ أَعْرَضَتْ

وَزَالَ التَّصَابِي[١] وَالشَّبَابُ قَدِ انْقَضَى

رَفَعَ اللهُ الْبَيْنَ مِنَ الْبَيْنِ[٢]، حَتَّى أَرَى نُضَارَهُ فِي قَمِيصٍ مِنَ اللُّجَيْنِ[٣].

وَمِنْ إِنْشَائِهِ إِلَى الدَّارِ الْعَزِيزَةِ بِبَغْدَادَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى: رَايَاتُ مَوْلَانَا الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ[٤] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْإِمَامِ الَّذِي لَيْسَ لِلتَّابِعِينَ غَيْرُهُ إِمَامٌ، وَلَا دُونَ عَتَبَتِهِ[٥] مُتَمَسَّكٌ وَاعْتِصَامٌ، هِيَ الَّتِي لَمْ أَزَلْ أَدْعُو اللهَ أَنْ يَعْقِدَ بِعَذَبَاتِهَا[٦] النَّصْرَ، وَيَجْعَلَ مِنْ أَشْيَاعِهَا الذِّئْبَ وَالنَّسْرَ، تُسَايِرُهَا الْآمَالُ، وَتَحُلُّ حَيْثُمَا رُفِعَتِ الْآجَالُ، وَيَحْتَفُّ بِهَا الْجُدُودُ، وَيُرَفْرِفُ عَلَيْهَا السُّعُودُ، وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتُهُ، وَأَمَلٌ إِنْ لَمْ أَسْأَلْهُ فَقَدْ أُوتِيتُهُ، مُنَى الْعَبْدِ أَنْ يَسْعَى إِلَى الْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ مَسْعَى الْقَلَمِ، يَحْبُو عَلَى رَأْسِهِ لَا عَلَى الْقَدَمِ، لِيَشَمَّ بِثَرَاهَا الثَّرِيِّ خَلْخَةَ الْمِسْكِ الذَّكِيِّ[٧]، وَيُعَفِّرَ

(١) التصابى: الميل إلى الصبوة واللهو واللعب (٢) البين: الأول الفراق، والثانى كلمة تنصيف وتشريك وهى ظرف بمعنى وسط ومعنى الجملة، رفع الله الفراق من وسطنا (٣) النضار: الذهب، واللجين: الفضة (٤) الصوام: مبالغة فى الصائم وقوام: مبالغة فى قائم، أى كثير الصيام والصلاة فى جوف الليل (٥) العتبة محركة: أسكفة الباب أو العليا من الأسكفتين، وكل مرقاة من الدرج، وهو مجاز عن جنابه ورحابه (٦) عذباتها جمع عذبة: وهى ما يسبل من العمامة بين الكتفين وهو مجاز أيضاً (٧) خلخة المسك: رائحته، وثراها الثرى: ترابها الندى بعد الجدوبة واليبس

بِهَا جَبِينَهُ وَأَنْفَهُ ، وَيُجِيلَ فِي مَسَارِحِ الْحَمْدِ طَرْفَهُ ، وَيَسْتَلِمَ عَتَبَةً بِهَا الْتَفَّ الثَّقَلَانِ ، وَدَانَتْ لَهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ حِرَانٍ ، لَكِنَّ الْحَوَادِثَ قَلَّمَا تُوَافِقُهُ ، وَالْأَيَّامَ تُمَاكِسُهُ (١) فِي ذَلِكَ وَتُضَايِقُهُ ، وَظَنِّي بِأَنَّ اللهَ سَوْفَ يُرِيكَ . وَلَمَّا وَرَدَ الرَّسْمُ (٢) — أَعْلَى نُورُ اللهِ بِهِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا — ، تَلَقَّاهُ الْعَبْدُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ ، وَوَضَعَهُ عَلَى قِمَّةِ الِامْتِثَالِ ، وَفَضَّ خِتَامَهُ عَنِ الدُّرِّ الْمَكْنُونِ ، بَلْ أَنَاسِيِّ الْعُيُونِ (٣) ، وَعَنْ مَشْمُولٍ مِنَ الرَّوْضِ مَجْنُوبٍ (٤) ، وَكَلِمٍ عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ مَكْتُوبٍ ، فَمَا زَالَتْ أَعْضَاؤُهُ تَوَدُّ أَنْ تَكُونَ شِفَاهاً تُقَبِّلُهُ ، وَخَوَاطِرَ تَتَأَمَّلُهُ ، تَمَنِّياً يَلَذُّ بِهِ الْمُسْتَهَامُ ، وَيَحْلُو لَهُ الْغَرَامُ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْأَرَامِلَ وَالْأَيَامَى (٥) فَأَعْطَاهُمْ ، وَاسْتَحْضَرَ الْمَسَاكِينَ وَالْيَتَامَى فَأَغْنَاهُمْ ، وَأَنْحَى (٦) عَلَى مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَسْرَى فَأَعْتَقَهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ شُكْراً ، وَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ أَكْنَافَ (٧) الْعَرْصَةِ الْفَيْحَاءِ مَرْتَعاً لِلْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

---

(١) تماكسه : تشاحه وتظلمه (٢) الرسم : الأمر (٣) أناسي العيون جمع إنسان العين : وهو سوادها (٤) مجنوب : أي أصابته ريح الجنوب ، وكذا المشمول : من أصابته ريح الشمال ، وهما متضادان (٥) الأرامل جمع أرملة : وهي المحتاجة أو المسكينة ، والأيامى جمع أيم : وهي من لا زوج لها بكرا أو ثيبا

(٦) أنحى على ماملكت الخ : أقبل عليهم (٧) الأكناف : الجوانب والنواحي ، جمع كنف .

سَنَا جَبِينِكَ مَهْمَا لَاحَ فِى الظُّلَمِ
بِتْنَا نُطَالِعُ مِنْهُ نُسْخَةَ الْكَرَمِ
إِنْ يَزْرَعِ النَّاسُ فِى أَخْلَاقِهِمْ كَرَماً
فَالْبَذْرُ مِنْ جُودِكَ الطَّنَّانِ بِالدِّيَمِ (١)
تَبْدُو عَلَى أَشْقَرٍ خُضْرٍ حَوَافِرُهُ
بَحْراً يُلَاطِمُ أَمْوَاجاً عَلَى ضَرَمِ (٢)
تَشُمُّ عِنْدَكَ صِيدُ الْعُجْمِ خَلْخَلَةً
مِنَ الرَّغَامِ بِآنَافٍ مِنَ الْقِمَمِ (٣)
كَادَتْ لِحُبِّكَ تَأْتِى وَهْىَ سَاعِيَةٌ
عَلَى الرُّءُوسِ بِدُونِ السَّاقِ كَالْقَلَمِ
مَنْ ظَنَّ غَيْرَ نِظَامِ الْمُلْكِ ذَا كَرَمٍ
نَادَى بِهِ لُؤْمُهُ اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمِ (٤)

لَمَّا أَنْشَدَنِى هَذَا الْبَيْتَ قَالَ لِى : مَنْ نِظَامُ الْمُلْكِ ؟ . قُلْتُ : أَنْتَ — حَرَسَكَ اللهُ — قَائِلُ الشِّعْرِ تَسْأَلُنِى عَنْ مَمْدُوحِكَ . فَقَالَ لِى مُتَبَسِّماً : لَسْتَ تَعْرِفُهُ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللهِ . قَالَ : وَلَا أَنَا شَهِدَ اللهُ أَعْرِفُهُ ، لِأَنِّى مَا تَعَرَّضْتُ لِمَدْحِ أَحَدٍ قَطُّ ، وَلَا رَغِبْتُ

(١) الطنان : ذو الطنين وهو الصوت الذى له طنين يسمع ، والديم جمع ديمة : وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق (٢) يلاطم أمواجاً : يضاربها ، والضرم : اشتعال النار (٣) صيد العجم : ملوكهم ، جمع أصيد ، والقمة : أعلى الرأس وكل شىء (٤) استسمنت ذا ورم : مثل يضرب لمن يغتر بالظاهر المخالف حقيقة الواقع

فِي جِدَاهُ ، وَلَا أَعْرِفُ أَحَداً أَفْضَلَ عَلَىَّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَإِنَّ الغُرْبَةَ أَحْوَجَتْنِي إِلَيْهِ فَلَعَنَ اللهُ الغُرْبَةَ . قُلْتُ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي مَضَيْتُ إِلَى بُخَارَى طَالِباً لِلْعِلْمِ وَقَاصِدًا لِلقِرَاءَةِ عَلَى الرَّضِيِّ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيَّ أَوَّلًا صَدْرُ جِيهَانَ (١) وَغَيْرُهُ فَقَدْ أُنْسِيتُ القِصَّةَ ، فَلَمَّا حَذَقُوا الأَدَبَ بَرَّنِي بِسَبْعِينَ دِينَارًا رُكْنِيَّةً (٢)، وَوَعَدَنِي بِوُعُودٍ جَمِيلَةٍ ، وَلَوْلَا الحَاجَةُ وَالغُرْبَةُ مَا قَبِلْتُهَا مِنْهُ ، وَلَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ الشِّهَابُ الحُوقِيُّ (٣) ، وَهُوَ أَحَدُ صُدُورِ خُوَارِزْمَ المُتَقَرِّبِينَ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَنْ يَنْصِبَ لِي مَنْصِباً وَمَجْلِساً بِطَرَّاحَةٍ سَوْدَاءَ (٤) إِلَى جَانِبِهِ ، وَيُعْطِيَنِي كُلَّ شَهْرٍ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ لِأَقْرَأَ الأَدَبَ فَلَمْ أَفْعَلْ . قُلْتُ : فَمِنْ أَيْنَ مَادَّةُ الحَيَاةِ ؟ قَالَ لِي : خَلَّفَ لِي وَالِدِي قَدْرًا يَسِيرًا لَا يَقْنَعُ بِمِثْلِهِ إِلَّا أَصْحَابُ الزَّوَايَا ، فَأَنَا أُنْفِقُهُ بِالمَيْسُورِ ، وَأَتَلَذَّذُ بِالغِنَى عَنِ الجُمْهُورِ ، وَأَنَا أَقُولُ الشِّعْرَ وَالنَّثْرَ تَطَرُّباً لَا تَكَسُّباً ، وَأَسْتَعِيرُ اسْماً لَا أَعْرِفُهُ :

أَفْدِيكَ ذَا مَنْظَرٍ بِالبِشْرِ مُلْتَحِفٍ
عَنِ اليُمْنِ وَلِلإِقْبَالِ مُبْتَسِمِ

---

(١) مدينة بخراسان ينسب إليها أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير السامانية ببخارى وفى الأصل « جهان » محرفة (٢) أى من ضرب ركن الدولة بين بويه (٣) الحوق : كذا بالأصل ولعله « الخوق » بالفاء كما ذكرنا (٤) الطراحة : فراش مربع يجلس عليه

يَدُ الْجَلَالِ وَشَتْ(١) فِى لَوْحِ جَبْهَتِهِ :
«النَّاسُ مِنْ خَوَلِى وَالدَّهْرُ مِنْ خَدَمِى»
وَلَوْ أَنَافَ(٢) عَلَى هَامِ السُّهَا وَطَنِى
لَمَا لَوَتْ نَحْوَهُ أَجْيَادَهَا هِمَمِى
عَلَى النَّدَى وُقِفَتْ أَيَّامُهُ وَعَلَى
نَشْرِ الْمَحَامِدِ مِنْهُ أَلْسُنُ الْأُمَمِ
مَا جِئْتُ أَخْدُمُهُ إِلَّا وَقَدْ سَحَقَتْ(٣)
يَدَا تَلَطُّفِهِ عِطْرًا مِنَ الشِّيَمِ
زَفَّ النَّدَى نَحْوَهُ بِكْرًا مُخَدَّرَةً
لَوْلَاهُ زُفَّتْ إِلَى كَفْنٍ(٤) مِنَ الْعَدَمِ
يُرِيهِ شِعْرِى نُجُومَ اللَّيْلِ طَالِعَةً
وَالنَّيِّرَيْنِ مَعًا مِنْ مَشْرِقِ الْكَلِمِ
لَا زَالَ مِثْلَ هِلَالِ الْعِيدِ حَضْرَتُهُ
فِى الْحُسْنِ وَالْيُمْنِ وَالْإِقْبَالِ وَالشَّمَمِ

---

(١) وشت : من الوشى : نقشت أى كتبت الشطر الثانى من البيت

(٢) أناف : ارتفع ، والسهى : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى — أى لو ارتفع فوق هذا النجم لما الخ (٣) سحقت : دقت ، والتلطف : الترفق فى الأمور ، والشيم : جمع شيمة : وهى التراب الذى يحفر من الأرض (٤) مخدرة : لازمة الخدر ، مستترة من الرجال ، والكفن : ما يكفن فيه الميت من الثياب : وسكنت هينه الشعر .

وَعَاشَ لِلْمُلْكِ يَحْمِيهِ وَيَنْصُرُهُ
فَالْمُلْكُ مِنْ دُونِهِ لَحْمٌ عَلَى وَضَمِ (١)

وَدَامَ كَالْيَمِّ لِلْعَافِينَ مُلْتَطِماً
بَنَانُهُ وَهُوَ مَرْشُوفٌ بِكُلِّ فَمِ (٢)

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الْمَجْمَرَةِ فِى شَرْحِ الْمُفَصَّلِ صَغِيرٌ، وَكِتَابُ السَّبِيكَةِ فِى شَرْحِهِ أَيْضاً وَسَطٌ، وَكِتَابُ التَّجْمِيرِ فِى شَرْحِ الْمُفَصَّلِ أَيْضاً بَسِيطٌ، كِتَابُ شَرْحِ سَقْطِ الزَّنْدِ (٤) كِتَابُ التَّوْضِيحِ فِى شَرْحِ الْمَقَامَاتِ، كِتَابُ لَهْجَةِ الشَّرْعِ فِى شَرْحِ أَلْفَاظِ الْفِقْهِ، كِتَابُ شَرْحِ الْمُفْرَدِ وَالْمُؤَلَّفِ، كِتَابُ شَرْحِ النَّمُوذَجِ (٥)، كِتَابُ شَرْحِ الْأَحَاجِى لِجَارِ اللهِ، كِتَابُ خَلْوَةِ الرَّيَاحِينِ فِى الْمُحَاضَرَاتِ، كِتَابُ عَجَائِبِ النَّحْوِ، كِتَابُ السِّرِّ فِى الْإِعْرَابِ، كِتَابُ شَرْحِ الْأَبْنِيَةِ، كِتَابُ الزَّوَايَا وَالْخَبَايَا فِى النَّحْوِ، كِتَابُ الْمُحَصَّلِ لِلْمُحَصَّلَةِ فِى الْبَيَانِ، كِتَابُ عُجَالَةِ السَّفَرِ فِى الشِّعْرِ، كِتَابُ بَدَائِعِ الْمُلَحِ، كِتَابُ شَرْحِ الْيَمِينِىِّ لِلْعُتْبِىِّ.

(١) الوضم: خشبة الجزار يقطع عليها اللحم، ومعنى الجملة، فالملك بدونه ضائع

(٢) العافين: الطالبين المعروف، ملتطما: ملتصقا: ومرشوف: من الرشف: وهو المص (٤) سقط الزند مثلث السين: ما سقط قبل استحكام الورى ويؤنث

(٥) كانت فى الأصل: «الأنموذج» وهو خطأ فى اللغة، وقد سبق الكلام فى ذلك وبين فى موضع آخر من هذا الكتاب أجمل تبيين

٤٥ - القَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ أَبُو عُبَيْدٍ *

القاسم بن سلام

كَانَ أَبُوهُ رُومِيًّا مَمْلُوكًا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ هَرَاةَ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ إِمَامَ أَهْلِ عَصْرِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ طَرَسُوسَ أَيَّامَ ثَابِتِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَمَعَ وَلَدِهِ وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ أَيَّامَ الْمُعْتَصِمِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ قَصَدَهَا مُجَاوِراً [1] فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ عَنْ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى ، وَالْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ ، وَأَخَذَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأَبِي زِيَادٍ الْكِلَابِيِّ ، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيِّ [2] ، وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، وَالْفَرَّاءِ ، وَالْكِسَائِيِّ مِنَ الْكُوفِيِّينَ ، وَرَوَى النَّاسُ مِنْ كُتُبِهِ الْمُصَنَّفَةِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ كِتَاباً فِي الْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ . وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيٍّ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فَإِنَّهُ مُصَنِّفٌ حَسَنُ التَّأْلِيفِ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلُ الرِّوَايَةِ ، يَقْتَطِعُهُ [3]

(١) مجاورا : مستكنا أو مقيما (٢) بضم الهمزة قياسا وبفتحها سماعا
(٣) أى يحجزه ويمنعه
(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان

عَنِ اللُّغَةِ عُلُومٌ افْتَنَّ [١] فِيهَا . وَأَمَّا كِتَابُهُ الْمُتَرْجَمُ بِالْغَرِيبِ الْمُصَنَّفِ فَإِنَّهُ اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى كِتَابٍ عَمِلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ جَمَعَهُ لِنَفْسِهِ . وَأَخَذَ كُتُبَ الْأَصْمَعِيِّ فَبَوَّبَ مَا فِيهَا وَأَضَافَ إِلَيْهِ شَيْئاً مِنْ عِلْمِ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ وَرِوَايَاتٍ عَنِ الْكُوفِيِّينَ . وَأَمَّا كِتَابُهُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَكَذَلِكَ كِتَابُهُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ مُنْتَزَعٌ مِنْ كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا ثِقَةً وَرِعاً لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ . سَمِعَ مِنْ أَبِي زَيْدٍ شَيْئاً وَقَدْ أُخِذَتْ عَلَيْهِ مَوَاضِعُ فِي غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ ، وَكَانَ نَاقِصَ الْعِلْمِ بِالْإِعْرَابِ ، وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ : عَمِلْتُ كِتَابَ غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَجِئْتُ بِهِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ . وَذَكَرَهُ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَالَ : كَانَ مُؤَدِّباً لَمْ يَكْتُبِ النَّاسُ أَصَحَّ مِنْ كُتُبِهِ وَلَا أَكْثَرَ فَائِدَةً . وَبَلَغَنَا أَنَّهُ إِذَا أَلَّفَ كِتَاباً حَمَلَهُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَيُعْطِيهِ مَالًا خَطِيراً ، فَلَمَّا صَنَّفَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ أَهْدَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ عَقْلاً بَعَثَ [٢] صَاحِبَهُ عَلَى عَمَلِ هَذَا الْكِتَابِ لَحَقِيقٌ أَلَّا يُحْوَجَ إِلَى طَلَبِ مَعَاشٍ ،

---

(١) افتن فيها : أخذ فى فنون من القول وأتى بالأفانين . وأفانين الكلام : أساليبه وأجناسه وطرقه (٢) أى حضه وحثه وحفزه

وَأَجْرَى لَهُ فِى كُلِّ شَهْرٍ عَشَرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَسَمِعَهُ مِنْهُ يَحْيَى ابْنُ مُعِينٍ وَكَانَ دَيِّنًا وَرِعًا جَوَادًا ، وَسَيَّرَ أَبُو دُلَفَ الْقَاسِمُ ابْنُ عِيسَى إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ يَسْتَهْدِى مِنْهُ أَبَا عُبَيْدٍ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ فَأَنْفَذَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ وَصَلَهُ أَبُو دُلَفَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا وَقَالَ : أَنَا فِى جَنْبَةِ[1] رَجُلٍ لَا يُحْوِجُنِى إِلَى غَيْرِهِ ، فَلَمَّا عَادَ أَمَرَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَاشْتَرَى بِهَا سِلَاحًا وَجَعَلَهُ لِلثَّغْرِ ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُجَاوِرًا فِى سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِى الْوَقْتِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : يُحِبُّ اللهُ الْحَقَّ ، أَبُو عُبَيْدٍ أَعْلَمُ مِنِّى وَمِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَمِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِىِّ . قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ذَاكَ الْبَيَانُ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا وُضِعَ وُضِعَ[2] . وَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عُبَيْدٍ مَكَّةَ وَقَضَى حَجَّهُ أَرَادَ الِانْصِرَافَ فَاكْتَرَى إِلَى الْعِرَاقِ لِيَخْرُجَ فِى صَبِيحَةِ غَدٍ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : فَرَأَيْتُ النَّبِىَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى النَّوْمِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَقَوْمٌ يَحْجُبُونَهُ وَالنَّاسُ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُصَافِحُونَهُ . قَالَ : فَلَمَّا دَنَوْتُ لِأَدْخُلَ مَعَ

(١) فى جنبة فلان : فى كنفه وناحيته (١) إذا وضع وضع : كناية عن أنه كان كافياً فى كل شىء

النَّاسِ مُنِعْتُ فقلتُ لهُمْ : لِمَ لَا تُخَلُّونَ[١] بيْنِي وَ بيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقَالُوا : إِى[٢] وَاللهِ ، لَاتَدْخُلْ إِلَيْهِ وَلَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَأَنْتَ خَارِجٌ غَداً إِلَى الْعِرَاقِ ، فقُلْتُ لهُمْ : فَإِنِّى لَا أَخْرُجُ إِذاً ، فَأَخَذُوا عَهْدِى ثُمَّ خَلَّوْا بيْنِي وَبيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ وَصَافَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فَاسَخَ[٣] كَرِيَّهُ وَسَكَنَ مَكَّةَ حَتَّى مَاتَ بِهَا وَدُفِنَ فِي دُورِ جَعْفَرٍ .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ : عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ أَرْبَعَةٌ : عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي زَمَانِهِ ، وَالشَّعْبِيُّ فِي زَمَانِهِ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ فِي زَمَانِهِ ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فِي زَمَانِهِ . ثُمَّ قَالَ يرْثِيهِ :

يَاطَالِبَ الْعِلْمِ قَدْ مَاتَ ابْنُ سَلَّامِ
وَكَانَ فَارِسَ عِلْمٍ غَيْرَ مِحْجَامِ
كَانَ الَّذِى كَانَ فِيكُمْ رَبْعَ[٤] أَرْبَعَةٍ
لَمْ نَلْقَ مِثْلَهُمْ إِسْتَارَ أَحْكَامِ

إِسْتَارَ أَيْ أَرْبَعَةَ . وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الزُّبِيدِيُّ

(١) لا تخلون بينى الخ : من خلى بينهما : تركهما يجتمعان (٢) إى : حرف جواب بمعنى نعم (٣) فاسخ كريه : نقض عقد مكاريه ، والمكارى : مكرى الدواب (٤) ربع أربعة : أى رابع أربعة أى واحدهم ، والاستار بالكسر فى العدد : أربعة وفى الزنة : أربعة مثاقيل ونصف ، والأول المعنى ، والأحكام جمع حكم .

قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ اللُّحَنَةُ (١) صَاحِبُ أَبِي عُبَيْدٍ : قِيلَ لِأَبِي عُبَيْدٍ وَقَدِ اجْتَازَ عَلَى دَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ كَانَ يَكْتُبُ عَنْهُ النَّاسُ وَكَانَ يُزَنُّ بِشَرٍّ (٢) إِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الدَّارِ يَقُولُ : أَخْطَأَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي مِائَتَيْ حَرْفٍ مِنَ الْمُصَنَّفِ . فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ — وَلَمْ يَقَعْ فِي الرَّجُلِ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ يُعْرَفُ بِهِ — : فِي الْمُصَنَّفِ مِائَةُ أَلْفِ حَرْفٍ ، فَلَمْ أُخْطِئْ فِي كُلِّ أَلْفِ حَرْفٍ إِلَّا حَرْفَيْنِ ، مَا هَذَا بِكَثِيرٍ مِمَّا اسْتُدْرِكَ عَلَيْنَا ، وَلَعَلَّ صَاحِبَنَا هَذَا لَوْ بَدَا لَنَا فَنَاظَرْنَاهُ فِي هَاتَيْنِ الْمِائَتَيْنِ بِزَعْمِهِ لَوَجَدْنَا لَهَا مَخْرَجاً .

وَحَدَّثَ عَنْ عَبَّاسٍ الْخَيَّاطِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي عُبَيْدٍ فَاجْتَازَ بِدَارِ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ عِلْمَهُ بِالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالشِّعْرِ مَعَ عِنَايَتِهِ بِالْعُلُومِ ! فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ يَذْكُرُكَ بِضِدِّ هَذَا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّكَ صَحَّفْتَ فِي الْمُصَنَّفِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ حَرْفاً . فَقَالَ : مَا هَذَا بِكَثِيرٍ ، فِي الْكِتَابِ عَشَرَةُ آلَافِ حَرْفٍ مَسْمُوعَةٌ يُغْلَطُ فِيهَا بِهَذَا لَيَسِيرٌ ، لَعَلِّي لَوْ نَاظَرْتُهُ فِيهَا لَاحْتَجَجْتُ (٣) عَنْهَا ، وَلَمْ يَذْكُرْ إِسْحَاقَ إِلَّا بِخَيْرٍ :

(١) اللحنة كهمزة : الكثير اللحن (٢) أي يتهم ويظن به الشر
(٣) أي دافعت عنها

قَالَ الزُّبيدِيُّ : وَلَمَّا اُختلفتْ هاتَانِ الرِّوَايتَانِ فِي الْعَدَدِ امْتَحَنْتُ ذَلِكَ فِي الْمُصنَّفِ فوجدْتُ فِيهِ سبْعةَ عشرَ أَلْفَ حرْفٍ وَتِسعمائَةٍ وَسَبْعينَ حرْفاً . وَحَدَّثَ مُوسَى بْنُ نُجَيْحٍ السُّلَمِيُّ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فَسأَلَهُ عَنِ الرَّبَابِ فَقَالَ : هُوَ الَّذِي يَتدَلَّى دُونَ السَّحَابِ ، وَأَنْشَدَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ حَسَّانَ :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ[1] السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ

فَقَالَ : لَمْ أَدْرِ هذَا ، فَقَالَ : الرَّبَابُ اسْمُ امْرَأَةٍ ، وَأَنْشَدَ :

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْمَلَاحَةَ بَيْنَنَا وَكَسَا وُجُوهَ الْغَانِيَاتِ جَمَالَا
وَهَبَ الْمَلَاحَةَ لِلرَّبَابِ وَزَادَهَا
فِي الْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ الْمَلَاحَةِ خَالَا

فَقَالَ : لَمْ أَدْرِ هذَا أَيْضاً ، فَقَالَ : عَسَاكَ أَرَدْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَبَابٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ
لَهَا سَبْعُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فَقَالَ : هَذَا أَرَدْتُ . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ . قَالَ : مِنَ الْبَصْرَةِ . قَالَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ ، عَلَى الظَّهْرِ أَوْ فِي الْمَاءِ ؟

(١) دوين : تصغير دون ، بمعنى تحت

قَالَ : فِي الْمَاءِ . قَالَ : كَمْ أَعْطَيْتَ الْمَلَّاحَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ. قَالَ : اذْهَبِ اسْتَرْجِعْ مِنْهُ مَا أَعْطَيْتَهُ وَقُلْ : لَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا ، فَعَلَامَ تَأْخُذُ مِنِّي الْأُجْرَةَ ؟. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلِأَبِي عُبَيْدٍ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ مَعَانِي الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ ، كِتَابُ الْأَمْوَالِ ، كِتَابُ النَّسَبِ ، كِتَابُ الْأَحْدَاثِ ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، كِتَابُ عَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ أَدَبِ الْقَاضِي ، كِتَابُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ ، كِتَابُ الْحَيْضِ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ، كِتَابُ الْحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْفِقْهِيَّةِ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الْمِسْعَرِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ ابْنِ سَلَّامٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : هَذَا الْكِتَابُ « يَعْنِي غَرِيبَ الْمُصَنَّفِ » أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ : فَاسْتَفْهَمْتُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ : نَعَمْ ، هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ : وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : قَدِمَ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ خُرَاسَانَ وَهُوَ حَدَثٌ[1] فِي حَيَاةِ أَبِيهِ يُرِيدُ الْحَجَّ ،

(١) حدث محركة : فتى

فَنَزَلَ فِي دَارِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَوَجَّهَ إِسْحَاقُ إِلَى الْعُلَمَاءِ، فَأَحْضَرَهُمْ لِيَرَاهُمْ طَاهِرٌ وَيَقْرَأَ عَلَيْهِمْ، فَحَضَرَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَأُحْضِرَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَأَبُو نَصْرٍ صَاحِبُ الْأَصْمَعِيِّ، وَوُجِّهَ إِلَى أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ فِي الْحُضُورِ فَأَبَى أَنْ يَحْضُرَ وَقَالَ: الْعِلْمُ يُقْصَدُ، فَغَضِبَ إِسْحَاقُ مِنْ قَوْلِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ يُجْرِي لَهُ فِي الشَّهْرِ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ، فَقَطَعَ إِسْحَاقُ عَنْهُ الرِّزْقَ وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بِالْخَبَرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: قَدْ صَدَقَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي قَوْلِهِ وَقَدْ أَضْعَفْتُ[1] لَهُ الرِّزْقَ مِنْ أَجْلِ فِعْلِهِ، فَأَعْطِهِ فَائِتَهُ[2] وَأَدِرْ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّهُ.

﴿ ٤٦ — الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ* ﴾

القاسم بن على الحريرى

ابْنُ الْحَرِيرِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ قَرِيبٍ مِنَ الْبَصْرَةِ يُسَمَّى الْمَشَانَ، مَوْلِدُهُ وَمَنْشَؤُهُ بِهِ، وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ فِي مَحَلَّةِ بَنِي حَرَامٍ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَصَبَانِيِّ الْبَصْرِيِّ بِهَا، وَمَاتَ ابْنُ الْحَرِيرِيِّ فِي سَادِسِ رَجَبٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمَائَةٍ عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَمَوْلِدُهُ

(١) أضعفت له الخ: ضاعفت له، أى جعلته ضعفين: والضعف بالكسر: المثل الواحد (٢) أى مافات منه

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان، وترجم له كذلك فى كتاب بغية الوعاة

فى حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ فِى خِلَافَةِ الْمُسْتَرْشِدِ ، وَبِالْبَصْرَةِ كَانَتْ وَفَاتُهُ ، وَكَانَ غَايَةً فِى الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ وَتُقِرُّ بِنُبْلِهِ ، وَكَفَاهُ شَاهِداً كِتَابُ الْمَقَامَاتِ الَّتِى أَبَرَّ بِهَا عَلَى الْأَوَائِلِ [(١)] ، وَأَعْجَزَ الْأَوَاخِرَ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا الْفَضْلِ قَذِراً فِى نَفْسِهِ وَصُورَتِهِ وَلِبْسَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، قَصِيراً ذَمِيماً بَخِيلاً مُبْتَلًى بِنَتْفِ لِحْيَتِهِ .

قَالَ الْعِمَادُ فِى كِتَابِ الْخَرِيدَةِ : لَمْ يَزَلِ ابْنُ الْحَرِيرِىِّ صَاحِبَ الْخَبَرِ بِالْبَصْرَةِ فِى دِيوَانِ الْخِلَافَةِ ، وَوَجَدْتُ هَذَا الْمَنْصِبَ لِأَوْلَادِهِ إِلَى آخِرِ الْعَهْدِ الْمُقْتَفَوِىِّ : أَخْبَرَنِى عَبْدُ الْخَالِقِ ابْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِىِّ بْنِ زَيْدَانَ الْمِسْكِىُّ الْبَصْرِىُّ بِهَا فِى سَنَةِ إِثْنَتَىْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ فِى صَفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَسْعُودِىُّ الْبَنْدَهِىُّ — قَالَ : وَكَانَ يَكْتُبُ هُوَ بِخَطِّهِ : الْفَنْجَدِيهِىُّ قَالَ : وَهِىَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَرْوِ الشَّاهِجَانِ — قَالَ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ الثِّقَةَ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّقُّورَ الْبَزَّازَ بِبَغْدَادَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الرَّئِيسَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْقَاسِمَ بْنَ عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْحَرِيرِىَّ صَاحِبَ

(١) أبر بها على الأوائل : غلبهم وفاقهم

المَقَامَاتِ يَقُولُ: أَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِيُّ (١) كَانَ شَيْخاً شَحَّاذاً بَلِيغاً، وَمُكْدِياً (٢) فَصِيحاً، وَرَدَ عَلَيْنَا البَصْرَةَ فَوَقَفَ يَوْماً فِي مَسْجِدِ بَنِي حَرَامٍ فَسَلَّمَ ثُمَّ سَأَلَ النَّاسَ، وَكَانَ بَعْضُ الوُلَاةِ حَاضِراً وَالمَسْجِدُ غَاصٌّ بِالفُضَلَاءِ، فَأَعْجَبَتْهُمْ فَصَاحَتُهُ، وَحُسْنُ صِيَاغَةِ كَلَامِهِ وَمَلَاحَتُهُ، وَذَكَرَ أَسْرَ الرُّومِ وَلَدَهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي المَقَامَةِ الحَرَامِيَّةِ وَهِيَ الثَّامِنَةُ وَالأَرْبَعُونَ. قَالَ: وَاجْتَمَعَ عِنْدِي عَشِيَّةَ ذَلِكَ اليَوْمِ جَمَاعَةٌ مِنْ فُضَلَاءِ البَصْرَةِ وَعُلَمَائِهَا، فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا شَاهَدْتُ مِنْ ذَلِكَ السَّائِلِ وَسَمِعْتُ مِنْ لَطَافَةِ عِبَارَتِهِ فِي تَحْصِيلِ مُرَادِهِ، وَظَرَافَةِ إِشَارَتِهِ فِي تَسْهِيلِ إِيرَادِهِ (٣)، فَحَكَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ جُلَسَائِهِ أَنَّهُ شَاهَدَ مِنْ هَذَا السَّائِلِ فِي مَسْجِدِهِ مِثْلَ مَا شَاهَدْتُ، وَأَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ فِي مَعْنًى آخَرَ فَصْلاً أَحْسَنَ مِمَّا سَمِعْتُ، وَكَانَ يُغَيِّرُ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ زِيَّهُ وَشَكْلَهُ، وَيُظْهِرُ فِي فُنُونِ الحِيلَةِ فَضْلَهُ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ جَرَيَانِهِ فِي مَيْدَانِهِ، وَتَصَرُّفِهِ فِي تَلَوُّنِهِ وَإِحْسَانِهِ، فَأَنْشَأْتُ المَقَامَةَ الحَرَامِيَّةَ ثُمَّ بَنَيْتُ عَلَيْهَا سَائِرَ المَقَامَاتِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ شَيْءٍ صَنَعْتُهُ.

قَالَ المُؤَلِّفُ: وَذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي تَارِيخِهِ مِثْلَ هَذِهِ الحِكَايَةِ، وَزَادَ فِيهَا أَنَّ ابْنَ الحَرِيرِيِّ عَرَضَ المَقَامَةَ الحَرَامِيَّةَ

(١) نسبة إلى سروج بلد قرب حران (٢) مكديا: سائلا، من أكدى الرجل إكداء: سأل فهو مكد (٣) أي إحضاره

عَلَى أَنُو شِرْوَانَ بْنِ خَالِدٍ وَزِيرِ السُّلْطَانِ فَاسْتَحْسَنَهَا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهَا مَا يُشَاكِلُهَا ، فَأَتَمَّهَا خَمْسِينَ مَقَامَةً .

وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ : أَنَّ الْحَرِيرِيَّ لَمَّا صَنَعَ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ وَتَعَانَى[1] الْكِتَابَةَ فَأَتْقَنَهَا وَخَالَطَ الْكُتَّابَ ، أَصْعَدَ إِلَى بَغْدَادَ فَدَخَلَ يَوْماً إِلَى دِيوَانِ السُّلْطَانِ وَهُوَ مُنْغَصٌّ[2] بِذَوِي الْفَضْلِ وَالْبَلَاغَةِ ، مُحْتَفِلٌ بِأَهْلِ الْكِفَايَةِ وَالْبَرَاعَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُمْ وُرُودُ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا فَضْلَهُ ، وَلَا أَشْهَرَ بَيْنَهُمْ بَلَاغَتَهُ وَنُبْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ : أَيَّ شَيْءٍ تَتَعَانَى مِنْ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ حَتَّى نُبَاحِثَكَ فِيهِ ؟ فَأَخَذَ بِيَدِهِ قَلَماً وَقَالَ : كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى الْقَلَمِ فَقِيلَ لَهُ : هَذِهِ دَعْوَى عَظِيمَةٌ ، فَقَالَ : امْتَحِنُوا تَخْبُرُوا[3] ، فَسَأَلَهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَّا يَعْتَقِدُ فِي نَفْسِهِ إِتْقَانَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِتَابَةِ ، فَأَجَابَ عَنِ الْجَمِيعِ أَحْسَنَ جَوَابٍ ، وَخَاطَبَهُمْ بِأَتَمِّ خِطَابٍ حَتَّى بَهَرَهُمْ ، فَانْتَهَى خَبَرُهُ إِلَى الْوَزِيرِ أَنُو شِرْوَانَ بْنِ خَالِدٍ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ وَمَالَ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَنَادَاهُ ، فَتَحَادَثَا يَوْماً فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى ذِكْرِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ، وَأَوْرَدَ

(١) وتعانى الكتابة : قاساها وعالجها وتناولها (٢) وهو منغص الخ : الضمير للديوان ، أى ممتلىء بهم ضيق عليهم . (٣) تخبروا : تعلموا حقيقتى وكنهى وخبرى

ابْنُ الْحَرِيرِىِّ الْمَقَامَةَ الْحَرَامِيَّةَ الَّتِي عَمِلَهَا فِيهِ ، فَاسْتَحْسَنَهَا أَنُو شِرْوَانُ جِدًّا وَقَالَ : يَنْبَغِي أَنْ يُضَافَ إِلَى هَذِهِ أَمْثَالُهَا وَيُنْسَجَ عَلَى مِنْوَالِهَا عِدَّةٌ مِنْ أَشْكَالِهَا . فَقَالَ : أَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَ رُجُوعِي إِلَى الْبَصْرَةِ وَتَجَمُّعِ خَاطِرِى بِهَا ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَصَنَعَ أَرْبَعِينَ مَقَامَةً ، ثُمَّ أَصْعَدَ إِلَى بَغْدَادَ وَهِيَ مَعَهُ وَعَرَضَهَا عَلَى أَنُو شِرْوَانَ فَاسْتَحْسَنَهَا وَتَدَاوَلَهَا النَّاسُ ، وَاتَّهَمَهُ مَنْ يَحْسُدُهُ بِأَنْ قَالَ : لَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ عَمَلِهِ لِأَنَّهَا لَا تُنَاسِبُ فَضَائِلَهُ وَلَا تُشَاكِلُ أَلْفَاظَهُ وَقَالُوا : هَذَا مِنْ صِنَاعَةِ رَجُلٍ كَانَ اسْتَضَافَ بِهِ وَمَاتَ عِنْدَهُ فَادَّعَاهَا لِنَفْسِهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْعَرَبُ أَخَذَتْ بَعْضَ الْقَوَافِلِ وَكَانَ مِمَّا أُخِذَ جِرَابٌ[1] بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ وَبَاعَهُ الْعَرَبُ بِالْبَصْرَةِ ، فَاشْتَرَاهُ ابْنُ الْحَرِيرِىِّ وَادَّعَاهُ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي أَنَّهَا مِنْ عَمَلِهِ فَلْيَصْنَعْ مَقَامَةً أُخْرَى . فَقَالَ : نَعَمْ سَأَصْنَعُ ، وَجَلَسَ فِي مَنْزِلِهِ بِبَغْدَادَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ تَرْكِيبُ كَلِمَتَيْنِ وَالْجَمْعُ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ ، وَسَوَّدَ كَثِيرًا مِنَ الْكَاغِدِ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا فَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالنَّاسُ يَقَعُونَ فِيهِ وَيَغِيطُونَ فِي قَفَاهُ[2] كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ ، فَمَا غَابَ عَنْهُمْ إِلَّا مُدَيْدَةً حَتَّى

---

(١) الجراب بالكسر : الوعاء مطلقاً ، أو المزود (٢) يدخلون فيه كيغوطون

عَمِلَ عَشْرَ مَقَامَاتٍ وَأَضَافَهَا إِلَى تِلْكَ، وَأَصْعَدَ بِهَا إِلَى بَغْدَادَ فَحِينَئِذٍ بَانَ فَضْلُهُ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا مِنْ عَمَلِهِ، وَكَانَ مُبْتَلًى بِنَتْفِ لِحْيَتِهِ، فَلِذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ جَكِينَا فِيهِ:

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَبِيعَةِ الْفَرَسِ ... يَنْتِفُ عُثْنُونَهُ (١) مِنَ الْهَوَسِ
أَنْطَقَهُ اللهُ بِالْمَشَانِ وَقَدْ ... أَلْجَمَهُ فِي الْعِرَاقِ بِالْخَرَسِ

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ صَدِيقِنَا الْكَمَالِ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الدَّبَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ جَابِرِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ حَاكِمُ سَاقِيَةِ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي وَالِدِي جَابِرُ بْنُ هِبَةِ اللهِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيِّ الْمَقَامَاتِ فِي شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ: وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ قَوْلَهُ:

يَا أَهْلَ ذَا الْمَغْنَى (٢) وُقِيتُمْ شَرًّا
وَلَا لَقِيتُمْ مَا بَقِيتُمْ ضُرًّا
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الَّذِي اكْفَهَرَّا (٣)
إِلَى ذَرَاكُمْ شَعِثًا مُغْبَرًّا (٤)

أَنَّهُ سَغِبًا مُعْتَرًّا، فَقَرَأْتُ كَمَا ظَنَنْتُ سَغِبًا مُعْتَرًّا، فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَجَدْتَ فِي التَّصْحِيفِ فَإِنَّهُ أَجْوَدُ،

(١) عثنونه: لحيته، والهوس محركة: طرف من الجنون وخفة العقل
(٢) المغنى: مكان الاقامة (٣) اكفهر الليل: اشتد ظلامه (٤) الذرى بالفتح: الدار، وقيل فناؤها ونواحيها، والأشعث: مغبر الرأس متلبد الشعر لقلة تعهده

فَرُبَّ شَعِثٍ مُغْبَرٍّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ ، وَالسَّغِبُ الْمُعْتَرُّ مَوْضِعُ الْحَاجَةِ ، وَلَوْلَا أَنِّي قَدْ كَتَبْتُ خَطِّي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ عَلَى سَبْعِمِائَةِ نُسْخَةٍ قُرِئَتْ عَلَيَّ لَغَيَّرْتُ الشَّعِثَ بِالسَّغِبِ ، وَالْمُغْبَرَّ بِالْمُعْتَرِّ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَلَقَدْ وَافَقَ كِتَابُ الْمَقَامَاتِ مِنَ السَّعْدِ مَا لَمْ يُوَافِقْ مِثْلَهُ كِتَابٌ أَلَّفْتُهُ (١) فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ حَقِيقَةِ الْجَوْدَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَاتَّسَعَتْ لَهُ الْأَلْفَاظُ ، وَانْقَادَتْ لَهُ نُورُ (٢) الْبَرَاعَةِ حَتَّى أَخَذَ بِأَزِمَّتِهَا (٣) وَمَلَكَ رِبْقَتَهَا (٤) ، فَاخْتَارَ أَلْفَاظَهَا وَأَحْسَنَ نَسَقَهَا (٥) ، حَتَّى لَوِ ادَّعَى بِهَا الْإِعْجَازَ لَمَا وَجَدَ مَنْ يَدْفَعُ فِي صَدْرِهِ (٦) وَلَا يَرُدُّ قَوْلَهُ ، وَلَا يَأْتِي بِمَا يُقَارِبُهَا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا ، ثُمَّ رُزِقَتْ مَعَ ذَلِكَ مِنَ الشُّهْرَةِ وَبُعْدِ الصِّيتِ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى اسْتِحْسَانِهَا مِنَ الْمُوَافِقِ وَالْمُخَالِفِ مَا اسْتَحَقَّتْ وَأَكْثَرَ .

وَمِنْ عَجِيبِ مَا رَأَيْتُهُ وَشَاهَدْتُهُ : أَنِّي وَرَدْتُ آمِدَ (٧) فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَنَا فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ وَرَيْعِهِ ، فَبَلَغَنِي أَنَّ بِهَا عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ (٨) بْنِ عَنْتَرٍ الْمَعْرُوفَ بِالشُّمَيْمِ الْحِلِّيَّ

---

(١) فى الأصل « إليه » وعلق عليه هامش الأصل بقوله : لعله « أعرفه » ولكن الأقرب ما أثبته وهو « ألفته » (٢) جمع نوار : وهي البقرة النافرة وفى الأصل « وفور » تحريف (٣) بأزمتها جمع زمام : وهو حبل القياد (٤) الربقة : حبل فيه عدة عرى يشد به البهم ، واحده ربقة . والمراد شدة تمكنه منها (٥) أى ترتيبها (٦) أى من يزاحمه (٧) آمد : بلد من بلاد ديار بكر من بلاد الكرد (٨) فى الأصل « الحسين » والصواب الحسن

وَكَانَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ مَكِينٍ ، وَاعْتَلَقَ مِنْ حِبَالِهِ بِرُكْنٍ رَكِينٍ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يُقِيمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا الْمُتَأَخِّرِينَ وَزْنًا ، وَلَا يَعْتَقِدُ لِأَحَدٍ فَضِيلَةً ، وَلَا يُقِرُّ لِأَحَدٍ بِإِحْسَانٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْعُلُومِ وَلَا حُسْنٍ ، فَحَضَرْتُ عِنْدَهُ وَسَمِعْتُ مِنْ لَفْظِهِ إِزْرَاءَهُ (١) عَلَى أُولِي الْفَضْلِ ، وَتَنْدِيدَهُ (٢) بِالْمَعِيبِ عَلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَلَمَّا أَبْرَمَنِي وَأَضْجَرَ ، وَامْتَدَّ فِي غَيِّهِ وَأَصْحَرَ (٣) ، قُلْتُ لَهُ : أَمَا كَانَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَشَغَفِ النَّاسِ بِهِمْ عِنْدَكَ قَطُّ مُجِيدٌ ؟ فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ : الْمُتَنَبِّي فِي مَدِيحِهِ خَاصَّةً ، وَلَوْ سَلَكْتُ طَرِيقَهُ لَمَا بَرَزَ عَلَيَّ (٤) ، وَلَسُقْتُ فَضِيلَتَهُ نَحْوِي وَنَسَبْتُهَا إِلَيَّ . وَالثَّانِي ابْنُ نُبَاتَةَ فِي خُطَبِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ خُطَبِي أَحْسَنَ مِنْهَا وَأَسْيَرَ (٥) ، وَأَظْهَرَ عِنْدَ النَّاسِ قَاطِبَةً وَأَشْهَرَ . وَالثَّالِثُ ابْنُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ . قُلْتُ : فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْلُكَ طَرِيقَتَهُ وَتُنْشِئَ مَقَامَاتٍ تُخْمِدُ بِهَا جَمْرَتَهُ ؟ وَتَمْلِكُ بِهَا دَوْلَتَهُ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ ، وَلَقَدْ أَنْشَأْتُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَتَأَمَّلُهَا فَأَسْتَرْذِلُهَا ، فَأَعْمِدُ إِلَى

---

(١) أى عيبه (٢) أى تصريحه بالعيب عليهم وتقبيح شأنهم (٣) أصحر الرجل : خرج إلى الصحراء ، والصحر : الأسد ، والمراد التظاهر بالخروج عن جادة الصواب (٤) أى فاتنى (٥) أى أكثر سيرا بين الناس وشيوعا

البَرَكَةِ فَأَغْسِلُهَا ثُمَّ قَالَ : مَا أَظُنُّ اللهَ خَلَقَنِي إِلَّا لِإِظْهَارِ فَضْلِ الْحَرِيرِيِّ . وَشَرَحَ مَقَامَاتِهِ بِشَرْحٍ قُرِئَ عَلَيْهِ وَأُخِذَ عَنْهُ .

وَكَتَبَ ابْنُ الْحَرِيرِيِّ إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ فِي صَدْرِ كِتَابٍ :

وَمَا نَوْمَةٌ بَعْدَ الضُّحَى لِمُسَهَّدٍ
زَوَى هَمُّهُ بِاللَّيْلِ عَنْ جَفْنِهِ السِّنَةْ (١)
بِأَحْلَى مِنَ الْبُشْرَى بِأَنَّ رِكَابَكُمْ
سَتَسْرِي إِلَى بَغْدَادَ فِي هَذِهِ السَّنَةْ

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِبَعْضِ أُدَبَاءِ الْبَصْرَةِ : قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ حَرَسَ اللهُ نِعْمَتَهُ مُعَايَاةً (٢) :

مِيمَ مُوسَى مِنْ نُونِ نَصْرٍ فَفَسِّرْ
أَيُّهَذَا الْأَدِيبُ مَاذَا عَنَيْتُ ؟

تَفْسِيرُهُ : مِيمَ الرَّجُلُ : إِذَا أَصَابَهُ الْمُومُ وَهُوَ الْبِرْسَامُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَشَدُّ الْجُدَرِيِّ . وَنُونُ نَصْرٍ : حُوتُ نَصْرٍ ، وَالنُّونُ السَّمَكَةُ ، يَعْنِي أَنَّهُ أَكَلَ سَمَكَةَ نَصْرٍ فَأَصَابَهُ الْمُومُ .

وَلَهُ فِي مِثْلِهِ :

بَاءَ بَكْرٌ بِلَامِ لَيْلَى فَمَا يَنْـ ـفَكُّ مِنْهَا إِلَّا بِعَيْنٍ وَهَا

بَاءَ : أَيْ أَقَرَّ ، وَاللَّامُ : الدِّرْعُ ، فَلَمَّا أَقَرَّ لِلَيْلَى بِهِ أَلْزَمَتْهُ

---

(١) المسهد : للؤرق الذي لم ينم . وزوى الخ : نحى وصرف ، والسنة : النوم الخفيف . (٢) المعاياة : الاتيان بكلام لايهتدى له كالألغاز والأحاجى .

فَلا يَنفكُّ مِنها إلَّا بِعَبِنٍ أَىْ بِالدِّرْعِ بِعَينِه وَهَاء أَىْ خُذِى.

حَدَّثنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الدُّبَيثِيُّ قَالَ: حَدَّثنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ جَابِرٍ، حَدَّثنِي أَبِي أَبُو الفَضْلِ جَابِرُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ فِي دَعْوَةٍ لِظَهِيرِ الدِّينِ بْنِ الْوَجِيهِ رَئِيسِ الْبَصْرَةِ فِي خِتَانِ ابْنِهِ أَبِي الْغَنَائِمِ وَكَانَ هُنَاكَ مُغَنٍّ يُعْرَفُ بِمُحَمَّدٍ الْمِصْرِيِّ وَكَانَ غَايَةً فِي امْتِدَادِ الصَّوْتِ وَطِيبِ النَّغْمَةِ فَغَنَّى:

بِالَّذِي أَلْهَمَ تَعْذِيـ ـبِي ثَنَايَاكَ الْعِذَابَا (١)
مَا الَّذِي قَالَتْهُ عَيْنَا كَ لِقَلْبِي فَأَجَابَا؟

فَطَرِبَ الْحَاضِرُونَ وَسَأَلُوا ابْنَ الْحَرِيرِيِّ أَنْ يَزِيدَ فِيهَا شَيْئًا فَقَالَ:

قُلْ لِمَنْ عَذَّبَ قَلْبِي وَهُوَ مَحْبُوبٌ مُحَابَى (٢)
وَالَّذِي إِنْ سُمْتُهُ الْوَصْـ ـلَ تَغَالَى وَتَغَابَى (٣)

تَمَّ الْبَيْتَانِ. فَاسْتَحْسَنَهَا الْجَمَاعَةُ وَأَقْسَمُوا عَلَى الْمُغَنِّي أَلَّا يُغَنِّيَهُمْ غَيْرَهَا، فَمَضَى يَوْمُهُمْ أَجْمَعُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ.

وَأَنْشَدَ أَيْضًا لِلْحَرِيرِيِّ:

---

(١) ألهم: لقن ودقق. والثنايا: الأسنان الأربعة التى فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، ومفردها: ثنية، والعذاب: صفة للثنايا: أى حلوة كالماء العذب جمع عذبة (٢) محابى: منصور محبوب، قد اختص بالميل إليه (٣) سمته الوصل: كلفته إياه، أو أوليته إياه. تغالى من الغلو: بالغ، وتغابى: تغافل.

لَا تَخْطُوَنَّ إِلَى خِطْءٍ وَلَا خَطَأٍ
مِنْ بَعْدِ مَا الشَّيْبُ فِي فَوْدَيْكَ قَدْ وَخَطَا[1]
وَأَيُّ عُذْرٍ لِمَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ
إِذَا سَعَى فِي مَيَادِينِ الصِّبَا وَخَطَا[2]؟

وَمِنْ شِعْرِهِ :

خُذْ يَا بُنَيَّ بِمَا أَقُولُ وَلَا تَزُغْ
مَا عِشْتَ[3] عَنْهُ تَعِشْ وَأَنْتَ سَلِيمُ
لَا تَغْتَرِرْ بِبَنِي الزَّمَانِ وَلَا تَقُلْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي أَخٌ وَنَدِيمُ
جَرَّبْتُهُمْ فَإِذَا الْمُعَاقِرُ عَاقِرٌ وَالْآلُ آلٌ وَالْحَمِيمُ حَمِيمُ[4]

وَلِابْنِ الْحَرِيرِيِّ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْمَقَامَاتِ ، كِتَابُ دُرَّةِ الْغَوَّاصِ فِي أَوْهَامِ الْخَوَاصِّ ، كِتَابُ مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ وَهِيَ قَصِيدَةٌ فِي النَّحْوِ ، كِتَابُ شَرْحِ مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ ، كِتَابُ رَسَائِلِهِ الْمُدَوَّنَةِ ، كِتَابُ شِعْرِهِ .

حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الدَّبِيثِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ

---

(١) خطء : ذنب ، أو ما تعمد منه . والخطأ : ضد الصواب ، وما لم يتعمد من الذنب ، وفوديك : مثنى فود : وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن ، وناحية الرأس . ووخطه الشيب : خالطه أو فشا فيه ، أو استوى سواده وبياضه . (٢) خطا : من الخطو ، يقال : خطا خطوا : أو من الخطأ بمعنى الذنب : فتح ما بين قدميه فى المشى ومشى (٣) ولا تزغ بضم الزاى وكسرها : ولا تمل . وما عشت : ما مصدرية ظرفية : أى مدة عيشك (٤) المعاقر : الملازم أى يتعاقر معه الخمر ، وعاقر من العقر : وهو الجرح والايذاء ، والآل آل : أى والأهل سراب ، والحميم حميم : أى والصديق ماء حار

القَاضِيَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ جَابِرِ بْنِ زُهَيْرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي أَبَا الْفَضْلِ جَابِرَ بْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ الْبَصْرِيِّ بِالْمَشَانِ أَقْرَأُ عَلَيْهِ الْمَقَامَاتِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ صَاحِبَهُ أَبَا زَيْدٍ الْمُطَهَّرَ بْنَ سَلَّامٍ الْبَصْرِيَّ الَّذِي عَمِلَ الْمَقَامَاتِ عَنْهُ قَدْ شَرِبَ مُسْكِراً فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَأَنْشَدَنَاهُ لِنَفْسِهِ :

أَبَا زَيْدٍ اَعْلَمْ اَنَّ مَنْ شَرِبَ الطِّلَا(١)
تَدَنَّسَ فَافْهَمْ سِرَّ قَوْلِي الْمُهَذَّبِ
وَمِنْ قَبْلُ سُمِّيتَ الْمُطَهَّرَ وَالْفَتَى
يُصَدِّقُ بِالْأَفْعَالِ تَسْمِيَةَ الْأَبِ
فَلَا تَحْسُهَا(٢) كَيْمَا تَكُونَ مُطَهَّراً
وَإِلَّا فَغَيِّرْ ذَلِكَ الْإِسْمَ وَاشْرَبِ

قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَهُ الْأَبْيَاتُ أَقْبَلَ حَافِياً إِلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ وَبِيَدِهِ مُصْحَفٌ فَأَقْسَمَ بِهِ أَلَّا يَعُودَ إِلَى شُرْبِ مُسْكِرٍ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : وَلَا تُحَاضِرْ مَنْ يَشْرَبُ .

حَدَّثَنِي ابْنُ الدُّبَيْثِيِّ قَالَ: وَأَنْشَدَنِي ابْنُ جَابِرٍ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمَنْقَبَةِ الْفَقِيهُ بِالرَّحْبَةِ لِنَفْسِهِ يُعَارِضُ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ الْحَرِيرِيِّ فِي بَيْتَيْهِ اللَّذَيْنِ قَالَ فِيهِمَا : أَسْكَنَا

(١) الطلا مقصور طلاء ككساء : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب يسمى الخمر الطلاء ، يريد بذلك تحسين اسمها ، وعليه يحمل ما هنا .

(٢) أى فلا تشربها ، والحسو : الشرب شيئا بعد شيء أو فى مهلة .

كُلُّ نَافِثٍ (١)، وَأَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَا بِثَالِثٍ (٢) :

مَلَأَمَةُ (٣) الْوَكْعَاءِ بَيْنَ الْوَرَى
أَحْسَنُ مِنْ حُرٍّ أَتَى مَلْأَمَهْ
فَمَهْ إِذَا اسْتُجْدِيتَ عَنْ قَوْلِ لَا (٤)
فَالْحُرُّ لَا يَمْلَأُ مِنْهَا فَمَهْ

نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعْدٍ السَّمْعَانِيِّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَرِيرِيِّ ، أَنْشَدَنِي وَالِدِي لِنَفْسِهِ وَهُوَ مِمَّا كَاتَبَ بِهِ شَيْخَ الشُّيُوخِ أَبَا الْبَرَكَاتِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي سَعْدٍ :

سَلَامٌ كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضَارَةً
وَحُسْنًا عَلَى شَيْخِ الشُّيُوخِ الَّذِي صَفَا
وَلَوْ لَمْ يَعُقْنِي الدَّهْرُ عَنْ قَصْدِ رَبْعِهِ
سَعَيْتُ كَمَا يَسْعَى الْمُلَبِّي إِلَى الصَّفَا
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْهُ دَهْرٌ مُكَدَّرٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي وَاتَاهُ مِنْ دَهْرِهِ الصَّفَا ؟

وَمِنْ خَطِّهِ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ بَخْتَيَارَ بْنِ عَلِيٍّ الْوَاسِطِيُّ ، أَنْشَدَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ لِنَفْسِهِ :

(١) النافث : الشاعر الساحر ، مستعار من النفث فى العقدة للسحر (٢) راجع المقامة ال ٤٦ (٣) الملأمة : اللؤم ، والوكعاء : الحمقاء (٤) يريد انصرف عنه

أَخْمِدْ بِحِلْمِكَ مَا يُذْكِيهِ ذُو سَفَهٍ
مِنْ نَارِ غَيْظِكَ وَاصْفَحْ إِنْ جَنَى جَانِى (١)

فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ مَا ازْدَانَ اللَّبِيبُ بِهِ
وَالْأَخْذُ بِالْعَفْوِ أَحْلَى مَا جَنَى جَانِى (٢)

وَكَتَبَ ابْنُ الْحَرِيرِىِّ إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْأَنْبَارِىِّ كِتَابًا عَلَى يَدِ وَلَدِهِ قَالَ فِيهِ : كَتَبَ الْخَادِمُ وَعِنْدَهُ مِنْ تَبَارِيحِ الْأَشْوَاقِ (٣) إِلَى الْخِدْمَةِ مَا يُصَدِّعُ الْأَطْوَادَ (٤)، فَكَيْفَ الْفُؤَادُ ؟ وَيُوهِى الْجِبَالَ (٥)، فَكَيْفَ الْبَالُ ؟ وَلَكِنَّهُ يَسْتَدْفِعُ الْخَوْفَ (٦) بِسَوْفَ، وَيُبَرِّدُ حَرَّ الْأَسَى بِعَسَى، «وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» .

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى وَالتَّمَنِّى خُرَافَةٌ
وَإِنْ كَانَ فِيهِ رَاحَةٌ لِأَخِى الْكَرْبِ

أَتَدْرُونَ أَنِّى مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ
وَشَطَّ اقْتِرَابِى مِنْ جَنَابِكُمُ الرَّحْبِ

أُكَابِدُ شَوْقًا مَا يَزَالُ أُوَارُهُ (٧)
يُقَلِّبُنِى بِاللَّيْلِ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ

(١) أى ارتكب مرتكب (٢) أى لطف قاطف (٣) تباريح الاشواق : توهجاتها جمع تبريح (٤) يصدع الأطواد : يشقق الجبال العظيمة (٥) يوهى الجبال : يسقطها (٦) يستدفع الخوف : يطلب دفعه وإزالته (٧) الأوار : حر النار والشمس والعطش والدخان واللهب ، والمراد : حرارة الشوق وألمه .

وَأَسْكُبُ لِلْبَيْنِ الْمُشِتِّ مَدَامِعاً(١)
كَأَنَّ عَزَالِيهَا امْتُرِينَ مِنَ السُّحْبِ(٢)
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ التَّلَاقِى فَأَنْثَنِى
لِتَذْكَارِهَا بَادِى الْأَسَى ذَاهِبَ اللُّبِّ
وَلِى حَنَّةٌ فِى كُلِّ وَقْتٍ إِلَيْكُمُ
وَلَا حَنَّةُ الصَّادِى(٣) إِلَى الْبَارِدِ الْعَذْبِ
فَوَاللهِ إِنِّى لَوْ كَتَمْتُ هَوَاكُمُ
لَمَا كَانَ مَكْتُوماً بِشَرْقٍ وَلَا غَرْبِ
وَمِمَّا شَجَا قَلْبِى الْمُعَنَّى وَشَفَّهُ(٤)
رِضَاكُمْ بِإِهْمَالِ الْإِجَابَةِ عَنْ كُتْبِى
عَلَى أَنَّنِى رَاضٍ بِمَا تَرْتَضُونَهُ
وَأَنْخَرُ بِالْإِعْتَابِ فِيكُمْ وَبِالْعَتْبِ(٥)
وَلَمَّا سَرَى الْوَفْدُ الْعِرَاقِىُّ نَحْوَكُمْ
وَأَعْوَزَنِى الْمَسْرَى(٦) إِلَيْكُمْ مَعَ الرَّكْبِ

(١) فى الأصل « المشتت مدمعا » ولكن يظهر أنها « المشت مداما لتتفق مع ضمير التأنيث المتصل بعزالى، وعزاليها كمزالاها جمع عزلاء : وهو مصب الماء من الراوية ونحوها ، ولو اختار الثانية لنجا من ضرورة هي عدم ظهور الفتحة على الياء (٢) امترين : استخرجن واحتلبن (٣) الصادى : العطشان (٤) المعنى : المعذب الحزين ، وشفه : أحرقه فهزله وأوهنه (٥) الاعتاب : الارضاء ، والعتب : اللوم والمخاطبة بالادلال (٦) أعوزنى : عز علىّ ، والمسرى : مصدر ميمى بمعنى السير .

جَعَلْتُ كِتَابِي نَائِباً عَنْ ضَرُورَةٍ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً تَيَمَّمَ بِالتُّرْبِ
وَأَنفَذْتُ أَيْضاً بَضْعَةً (١) مِنْ جَوَارِحِي
تُنَبِّئُكُمْ مَشْرُوحَ حَالِي وَتَسْتَنْبِي
وَقُلْتُ لَهُ عِنْدَ الْوَدَاعِ وَقَلْبُهُ
شَجٍ وَأَبُوهُ الشَّيْخُ مُكْتَئِبُ الْقَلْبِ
أَلَا ابْشِرْ بِمَا تَحْظَى بِهِ حِينَ تَجْتَلِي
مُحَيَّا سَدِيدِ الدَّوْلَةِ الْمَاجِدِ النَّدْبِ (٢)
وَلَسْتُ أَرَى إِذْ كَارَكُمْ بَعْدَ خُبْرِكُمْ
بِمَكْرُمَةٍ ، حَسْبِي اهْتِزَازُكُمْ (٣) حَسْبِي

هَذِهِ عَلَى عَاهَتِهَا بِنْتُ سَاعَتِهَا ، فَإِنْ حَظِيَتْ مِنْهُ بِالْقَبُولِ الْمَأْمُولِ ، فَيَابُشْرَى لِلْحَامِلِ وَالْمَحْمُولِ ، وَإِنْ لُمِحَتْ (٤) لَمْحَةَ الْمُسْتَثْقَلِ ، فَيَا خَيْبَةَ الْمُرْسِلِ وَالْمُرْسَلِ ، وَالسَّلَامُ .

وَمِنْ رَسَائِلِ ابْنِ الْحَرِيرِيِّ رِسَالَةٌ (٥) الْتَزَمَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا السِّينَ نَثْراً وَنَظْماً ، كَتَبَهَا عَلَى لِسَانِ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ يُعَاتِبُ صَدِيقاً لَهُ أَخَلَّ بِهِ فِي دَعْوَةٍ دَعَا غَيْرَهُ إِلَيْهَا

(١) والبضعة بفتح الباء وقد تكسر : القطعة من اللحم ، والمراد ابنه .
(٢) الندب : السريع النجيب (٣) اهتزازكم : ارتياحكم ونشاطكم (٤) لمحت مبنى للمجهول : نظرت بنظر خفيف (٥) بهامش الأصل « طبعت فى منتخبات أرنلد » .

وَكَتَبَ عَلَى رَأْسِهَا : بِاسْمِ الْقُدُّوسِ أَسْتَفْتِحُ ، وَبِإِسْعَادِهِ أَسْتَنْجِحُ ، سَجِيَّةُ سَيِّدِنَا سَيْفِ السُّلْطَانِ عُدَّةِ سَيِّدِنَا الْإِسْفِهْسِلَارِ السَّيِّدِ النَّفِيسِ سَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ حُرِسَتْ نَفْسُهُ ، وَاسْتَنَارَتْ شَمْسُهُ ، وَبَسَقَ غَرْسُهُ [1] ، وَاتَّسَقَ أُنْسُهُ [2] إِسْمَالَةُ الْجَلِيسِ ، وَمُسَاهَمَةُ الْأَنِيسِ ، وَمُوَاسَاةُ السَّحِيقِ [3] وَالنَّسِيبِ ، وَمُسَاعَدَةُ الْكَسِيرِ وَالسَّلِيبِ ، وَالسِّيَادَةُ تَسْتَدْعِي اسْتِدَامَةَ السُّنَنِ ، وَالِاسْتِحْفَاظَ بِالرَّسْمِ الْحَسَنِ . وَسَمِعْتُ بِالْأَمْسِ تَدَارُسَ الْأَلْسُنِ [4] سَلَاسَةَ خَنْدَرِيسِهِ [5] ، وَسَلْسَالَ كُئُوسِهِ ، وَمَحَاسِنَ مَجْلِسِ مَسَرَّتِهِ ، وَإِحْسَانَ مَسْمَعَةِ سِتَارَتِهِ [6] فَاسْتَسْلَفْتُ الِاسْتِدْعَاءَ ، وَتَوَسَّمْتُ الْإِسْرَاءَ ، وَسَوَّفْتُ نَفْسِي بِالِاحْتِسَاءِ [7] وَمُؤَانَسَةِ الْجُلَسَاءِ ، وَجَلَسْتُ أَسْتَقْرِي [8] السُّبُلَ ، وَأَسْتَطْلِعُ الرُّسُلَ [9] ، وَأَسْتَطْرِفُ [10] تَنَاسِيَ رَسْمِي ، وَأُسَامِرُ الْوَسْوَاسَ لِاسْتِحَالَةِ وَسْمِي [11] :

وَسَيْفُ السَّلَاطِينِ مُسْتَأْثِرٌ [12] بِأُنْسِ السَّمَاعِ وَحَسْوِ الْكُئُوسِ

(١) أى ارتفعت أغصانه وطالت (٢) أى اجتمع وتم (٣) السحيق : البعيد (٤) أى تحادثها (٥) الخندريس : الخمر القديمة (٦) مسمعة : مصدر ميمى بمعنى سمع ، والستارة : مايستر به ، والمراد الحجاب (٧) سوفت : صبرت ، والاحتساء : الشرب (٨) أى أبحث عنها (٩) أى أسألهم (١٠) أستطرف الخ : أعده طريفا غريبا (١١) أى علامتى ، أو المراد بالوسم : المطر ، على التشبيه بالعطاء (١٢) مستأثر الخ : مستبد به

سَلاَنِى وَلَيْسَ لِبَاسُ السُّلُوِّ يُنَاسِبُ حُسْنَ سِمَاتِ النَّفِيسِ
وَسَنَّ تَنَاسِى جُلاَّسِهِ
وَأَسْوَا[1] السَّجَايَا تَنَاسِى الْجَلِيسِ
وَسَرَّ حَسُودِى بِطَمْسِ الرُّسُومِ[2]
وَطَمْسُ الرُّسُومِ كَرَمْسِ النُّفُوسِ[3]
وَأَسْكَرَنِى حَسْرَةً وَاسْتَعَاضَ لِقَسْوَتِهِ سَكْرَةَ الْخَنْدَرِيسِ
وَسَاقَى الْحُسَامَ بِكَأْسِ السُّلاَفِ وَأَسْهَمَنِى بِعُبُوسٍ وَبُوسِ[4]
سَأَكْسُوهُ لِبْسَةَ مُسْتَعْتِبٍ وَأَلْبَسُ سِرْبَالَ سَالٍ يَئُوسِ[5]
وَأَسْطُرُ سِينَاتِهِ سِيرَةً تَسِيرُ أَسَاطِيرُهَا كَالْبَسُوسِ
وَحَسْبُنَا السَّلاَمُ رَسُولُ السَّلاَمِ .

وَكَتَبَ إِلَى أَبِى طَلْحَةَ[6] ابْنِ النُّعْمَانِ الشَّاعِرِ لَمَّا قَصَدَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ يَمْدَحُهُ وَيَشْكُرُهُ ، وَيَتَأَسَّفُ عَلَى فِرَاقِهِ[7] : بِإِرْشَادِ الْمُنْشِىءِ أُنْشِىءُ ، شَغَفِى بِالشَّيْخِ شَمْسِ الشُّعَرَاءِ ، رِيشَ[8] مَعَاشُهُ وَفَشَا رِيَاشُهُ ، وَأَشْرَقَ شِهَابُهُ ،

(١) مخفف أسوأ (٢) أى محوها . (٣) أى دفنها فى الرموس وهى القبور (٤) أسهمنى : جعل لى سهما أى نصيبا ، والعبوس : تقطيب الوجه من الحزن ، وبوس : أصلها بؤس : الفقر وسوء الحال (٥) مستعتب : مسترض ، ويئوس فعول صيغة مبالغة : أى كثير اليأس والقنوط (٦) بهامش الاصل « عند آرنلد : أبى محمد طلحة بن أحمد النعمانى » (٧) هذه « رسالة التزم الشين فى كلماتها كما التزم فى سابقتها السين » (٨) ريش معاشه : زين ، والرياش جمع ريش : اللباس الفاخر والخصب والمعاش

وَٱعْشَوْشَبَتْ شِعَابُهُ [١] ، يُشَاكِلُ شَغَفَ ٱلْمُنْتَشِي بِالنَّشْوَةِ [٢] ، وَالْمُرْتَشِي بِالرِّشْوَةِ [٣] ، وَالشَّادِنِ بِشَرْخِ الشَّبَابِ [٤] ، وَالْعَطْشَانِ بِشَمِّ الشَّرَابِ . وَشُكْرِي لِتَجَشُّمِهِ وَمَشَقَّتِهِ ، وَشَوَاهِدِ شَفَقَتِهِ ، يُشَابِهُ شُكْرَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ ، وَالْمُسْتَرْشِدِ لِلْمُرْشِدِ ، وَالْمُسْتَبْشِرِ لِلْمُبَشِّرِ [٥] ، وَالْمُسْتَجِيشِ لِلْجَيْشِ الْمُشْمِرِ [٦] . وَشِعَارِى إِنْشَادُ شِعْرِهِ ، وَإِشْجَاءُ الْمُكَاشِرِ وَالْمُكَاشِحِ بِنَشْرِهِ [٧] . وَشُغْلِي إِشَاعَةُ وَشَائِعِهِ [٨] ، وَتَشْيِيدُ شَوَافِعِهِ [٩] ، وَالْإِشَارَةُ بِشُذُورِهِ وَشُفُوفِهِ [١٠] ، وَالْمَشُورَةُ بِتَشْيِيعِهِ وَتَشْرِيفِهِ ، وَأَشْهَدُ شَهَادَةً تَشْدَهُ الْمُقَشَّرَ الْمُكَاشِفَ [١١] ، وَالْمُشَنِّعَ الْكَاشِفَ . لَإِنْشَاؤُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ تُدْهِشُ الشَّائِبَ وَالنَّاشِي [١٢] ، وَتُلَاشِي شِعْرَ النَّاشِي [١٣] ، وَلَمُشَافَهَتُهُ تَبَاشِيرُ الرُّشْدِ ، وَٱسْتِشْيَارُ الشُّهْدِ [١٤] ، وَلَمُشَاحَنَتُهُ تَشْقِي الْمُشَاحِنَ ، وَتَشِينُ الْمُشَايِنَ [١٥] ، وَلَمُشَاغَبَتُهُ

---

(١) اعشوشبت الخ : كثر عشب أغصانه ، والشعاب : جمع شعبة : غصن الشجر أو كثر عشب نواحيه (٢) المنتشى : السكران (٣) المرتشى : آخذ الرشوة (٤) الشادن : الظبي الذى استغنى عن أمه وقوى ، وشرخ الشباب : أوله (٥) جاء بهامش الأصل : « بالاصل » المستشعر للنشر (٦) المستجيش : الجامع للجيش . (٧) المكاشر : المضاحك ، والمكاشح : المعادى (٨) وشائعه : جمع وشيعة : وهى الطريقة (٩) شوافعه : أى شفاعاته وإعاناته للناس (١٠) بشذوره : جمع شذرة : اللؤلؤة الصغيرة ، والشفوف : الأثواب الرقيقة جمع شف (١١) تشده : تدهش ، والمقشر : المجرح . والمكاشف : المظهر ما عنده (١٢) الناشى تخفيف الناشىء : وهو الصغير ، وجاء بهامش الأصل عن كلمة الشائب « بالأصل الثانى » (١٣) تلاشى : تضعف وتزيل ، والناشىء : شاعر عباسى (١٤) استشيار الشهد : استخراج العسل الأبيض وجنيه من الوقبة (١٥) المشاين : العائب

تُشَظِّى الْأَشْطَانَ (١)، وَتُشِيطُ الشَّيْطَانَ (٢). فَشَرَفًا لِلشَّيْخِ شَرَفًا، وَشَغَفًا بِشِنْشِنَتِهِ شَغَفًا (٣):

فَأَشْعَارُهُ مَشْهُورَةٌ وَمَشَاعِرُهْ
وَعِشْرَتُهُ مَشْكُورَةٌ وَعَشَائِرُهْ (٤)

شَأَى الشُّعَرَاءَ الْمُشْمَعِلِّينَ شِعْرُهُ
فَشَانِيهِ مَشْجُوُّ الْحَشَا وَمُشَاعِرُهْ (٥)

وَشَوَّهَ تَرْقِيشَ الْمُرَقِّشِ رَقْشُهُ
فَأَشْيَاعُهُ يَشْكُونَهُ وَمَعَاشِرُهْ (٦)

وَشَاقَ الشَّبَابَ الشُّمَّ وَالشِّيبَ وَشْيُهُ
فَمَنْشُورُهُ بُشْرَى الْمَشُوقِ وَنَاشِرُهْ (٧)

شَكُورٌ وَمَشْكُورٌ وَحَشْوُ مُشَاشِهِ
شَهَامَةُ شِمِّيرٍ يَطِيشُ مُشَاجِرُهْ (٨)

(١) تشظى : تفرق ، والأشطان: الحبال ، جمع شطن (٢) تشيط الشيطان : تحرقه وتهلكه (٣) الشنشنة بكسر الشينين : العادة (٤) المشاعر : الحواس : جمع مشعر — والعشائر : قبيلة الرجل وأقاربه ، جمع عشيرة (٥) شأى : غلب وسبق ، والمشمعلين : المبادرين فى طلب الشعر ، والمشاعر : المغالب فى الشعر (٦) شوه : قبح . والترقيش : زخرفة الكلام وتزيينه ، والمرقش : أحد الشاعرين وهما المرقش الأكبر : واسمه عمرو بن سعد ، والمرقش الأصغر : واسمه ربيعة بن حرملة ابن سفيان البكرى ، والمعاشر : جمع معشر : أهل الرجل والجماعة . وكانت بالأصل « وشوا بترقيش » كما نبه بهامشه . (٧) شاقهم الخ : هاجهم وحملهم على الشوق ، والشم : جمع أشم : وهو السيد ذو الأنفة الكريم ، والناشر : الذبيح (٨) المشاش بالضم : رءوس العظم المكن مضغها ، واحدته مشاشة ، ويطيش : يخيب ولا يصيب المرمى

شَقَاشِقُهُ مَخْشِيَّةٌ وَشَبَاتُهُ
شَبَا مَشْرَفِيٍّ جَاشَ لِلشَّرِّ شَاهِرُهْ[(١)]
شَفَا بِالْأَنَاشِيدِ النَّشَاوَى وَشَفَّهُمْ
فَمُشْفِيهِ مُسْتَشْفٍ وَشَاكِيهِ شَاكِرُهْ[(٢)]
وَيَشْدُو فَيَهْتَشُّ[(٣)] الشَّحِيحُ لِشَدْوِهِ
وَيُشْغِفُهُ إِنْشَادُهُ فَيُشَاطِرُهْ
تَجَشَّمَ غِشْيَانِي فَشَرَّدَ وَحْشَتِي
وَبَشَّرَ مَمْشَاهُ بِبِشْرٍ أُبَاشِرُهْ[(٤)]
سَأُنْشِدُهُ شِعْرًا تُشَرِّقُ شَمْسُهُ
وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا تَشِيعُ بَشَائِرُهْ

وَأُشْهِدُ شَاهِدَ الْأَشْيَاءِ، وَمُشْبِعَ الْأَحْشَاءِ، لَيُشْعِلَنَّ شُوَاظَ اشْتِيَاقِي شَحْطُهُ[(٥)]، وَلَيُشَعِّثَنَّ[(٦)] شَمْلَ نَشَاطِي نَشْطُهُ، فَنَاشَدْتُ الشَّيْخَ أَيَشْعُرُ[(٧)] بِاسْتِيحَاشِي لِشُسُوعِهِ، وَإِجْهَاشِي لِتَشْيِيعِهِ[(٨)]، وَوِشَايَتِي بِنَشِيدِهِ الْمَوْشِيِّ، وَتَشَكِّي شَخْصَهُ بِالْإِشْرَاقِ وَالْعَشِيِّ،

(١) شقاشقه : كلماته وخطبه ، والشباة : حد الشيء وطرفه ، وجاش : اهتاج واضطرب ، والمشرفى : السيف ، وشاهره : منضيه ورافعه (٢) شفا النشاوى : أزال سكرهم ، وشفهم : هزلهم وأضعفهم ، والمشفى هنا : طالب الشفاء ، والمستشفى هنا : الذى صار مشفيا (٣) فيهتش : فيهش ويخف للمعروف (٤) تجشم : تكلف على مشقة : وغشيانى : الاتيان إلىّ ، وأباشره : أخالطه (٥) شحطه : بعده ، ويحرك (٦) وليشعثن : وليفرقن ، ونشطه : خفته وسرعته (٧) جاء بهامش الأصل : « فناشدت الشيخ بشعر » (٨) أى فزعى إليه أريد البكاء

حَاشَاهُ تَعْتَشِيهِ (١) شُبْهَةٌ وَتَغْشَاهُ ، فَلْيَسْتَشِفَّ شَرْحَ شَجْوِى بِشُطُونِهِ ، وَلْيُرَشِّحْنِي لِمُشَارَكَةِ شُجُونِهِ ، وَلْيَشْغَلْنِي بِتَمْشِيَةِ شُئُونِهِ ، وَلْيُشَيِّدْ جَاشِي (٢) ، وَيُشَارِفْ أَنْكِمَاشِي (٣) ، عَاشَ مُنْتَعِشَ الْحُشَاشَةِ (٤) ، مُسْتَشْرِىَ الْبَشَاشَةِ (٥) ، مَشْحُوذَ الشِّفَارِ ، مُنْتَشِرَ الشَّرَارِ ، شَتَّاماً لِلْأَشْرَارِ ، شَحَّاذاً بِالْأَشْعَارِ ، يَشْرَخُ وَيَحُوشُ ، وَيَقْنَفِشُ الْمَنْفُوشَ (٦) الشَّدِيدَ (٧) الْبَطْشِ ، الشَّامِخَ الْعَرْشِ ، وَتَشْرِيفُهُ لِبَشِيرِ الْبَشَرِ ، وَشَفِيعِ الْمَحْشَرِ .

وَلَهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ :

وَأَحْوَى حَوَى رِقِّى بِرِقَّةِ لَفْظِهِ وَغَادَرَنِى إِلْفَ السُّهَادِ بِغَدْرِهِ

تَصَدَّى لِقَتْلِى بِالصُّدُودِ وَإِنَّنِى

لَفِى أَسْرِهِ مُذْ حَازَ قَلْبِى بِأَسْرِهِ (٨)

أُصَدِّقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَ ازْوِرَارِهِ

وَأَرْضَى اسْتِمَاعَ الْهُجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِهِ (٩)

---

(١) أى تقصده ، وقد غيرها الأصل إلى « تعشيه » على إنها فى الأصل الأصيل تعتشيه كما نبه على ذلك بهامشه بدون داع وتغييرها إلى تعتشيه كما فعلنا أقرب وأولى . (٢) أى ليثبته (٣) أى يطلع عليه ويشرف . (٤) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح ، أو رمق من حياة النفس . (٥) مستشرى البشاشة : قويها وعظيمها (٦) يشرخ : يقوى ويعلو ، ويحوش : يظفر ، ويقنفش الخ : يضمه ويجمعه ، والمنفوش فى الأصل « المنقوش » تحريف . (٧) زاد الأصل قبل الشديد كلمة « بمشية » كما نبه بهامشه بدون داع ولذلك حذفناها (٨) تصدى : تعرض ، والصدود : الاعراض ، وأسر الأول : بمعنى السجن والقيد ، والثانية : بمعنى كل . (٩) الزور : الكذب المزين . والازورار : الانحراف والميل ، والهجر : بالضم : القبيح من الكلام ، وبالفتح : الصد .

وَأَستَعْذِبُ التَّعذِيبَ مِنْهُ وَكُلَّمَا
أَجَدَّ عَذَابِي جَدَّ بِي[١] حُبُّ بِرِّهِ
تَنَاسَى ذِمَامِي وَالتَّنَاسِي مَذَمَّةٌ
وَأَحفَظَ قَلْبِي[٢] وَهْوَ حَافِظُ سِرِّهِ
لَهُ مِنِّيَ الْمَدْحُ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ
وَلِي مِنْهُ طَيُّ الْوُدِّ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ
وَإِنِّي عَلَى تَصْرِيفِ أَمْرِي وَأَمْرِهِ
أَرَى الْمُرَّ حُلْواً فِي انْقِيَادِي لِأَمْرِهِ

وَقَالَ الرَّئِيسُ أَبُو الْفَتْحِ هِبَةُ اللهِ بْنُ الفَضْلِ بْنِ صَاعِدِ بْنِ التِّلْمِيذِ الْكَاتِبُ : كَانَ الشَّيْخُ الْأَجَلُّ الْإِمَامُ الْأَوْحَدُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَرِيرِيُّ —رَضِيَ اللهُ عَنْهُ— الْإِمَامَ الْمَشْهُورَ الْفَضْلِ ، مِنْ أَعْيَانِ دَهْرِهِ ، وَفَرِيدَ عَصْرِهِ ، وَمِمَّنْ لَحِقَ طَبَقَةَ الْأَوَائِلِ ، وَغَبَّرَ عَلَيْهِمْ[٣] فِي الْفَضَائِلِ ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُكَاتَبَةٌ قَدِيمَةٌ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ حَمْلَ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَ ، وَلَمَا وَقَعَ الِاجْتِمَاعُ بِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ وَسَمَاعُهَا مِنْهُ عِدَّةَ دَفَعَاتٍ ، جَارَيْتُهُ وَسَأَلْتُهُ

(١) أجد عذابي : جدده ، وجد بي : اشتد (٢) تناسى : ادعى النسيان ، والذمام : العهد ، وأحفظ قلبي : أحقده وأغضبه (٣) غبر عليهم بالتشديد : سبقهم فلم يشقوا غباره

أَنْ يَنظِمَ فِي النَّحْوِ مُختصرًا يحفظُه المبتدِئونَ ، فشرَعَ فِي نظمِ هذهِ الأُرجوزةِ ، وأَملَى عَلَيَّ مِنْهَا أبوابًا يسيرةً ، وانحدرَ مِنْ غيرِ إتمامِها ، واستعادَ منِّي ما أملاهُ ليحرِّرَهُ ، فكاتبتُه دفعاتٍ أقتضيهِ بها [1] ، وأذكِّرُهُ بإنفاذِها وإنفاذِ كتابِهِ « دُرَّةِ الغوَّاصِ فِي أوهامِ الخواصِّ » فكتبَ إِلَيَّ جوابَيْنِ نُسخةُ الأوَّلِ منهما :

وصلَ مِنْ حضرةِ سيِّدِنا — أطالَ اللهُ بقاءَهُ ومُدَّتَهُ ، وحرَسَ عِزَّهُ ونعمتَهُ ، وضاعفَ سعادتَهُ ، وكبتَ حسدَتَهُ [2] — ، كتابٌ كريمٌ ، مُودَعُهُ طَوْلٌ جسيمٌ [3] ، وفي ضِمنِهِ دُرٌّ نظيمٌ ، فابتهجتُ بتناوُلِهِ ، وقرَّتْ عينًا [4] بتأمُّلِهِ ، وتذكَّرتُ الأوقاتَ التي أسعدَ الدهرُ فيها برؤيتِهِ ، وأحظى بإجتلاءِ فضلِهِ وروايتِهِ ، وشكرتُ اللهَ على ما يُولِيهِ مِنْ حُسْنِ صُنعِهِ ، وسألتُهُ — جلَّتْ عظمتُهُ — أنْ يجعلَ النِّعمةَ راهِنةً بِرَبْعِهِ ، والسَّعادةَ جاذِبةً أبدًا بِضَبْعِهِ [5] ، وسُررتُ بما بشَّرَني بِهِ مِنْ نَجابةِ السيِّدِ الرئيسِ ، الولَدِ النَّفيسِ — أمتعَ اللهُ ببقائِهِ — ، وأتاحَ [6] لي تجدُّدَ الأُنسِ بلقائِهِ ،

(١) أى أطلبها منه (٢) أى أهانهم وأذلهم ، وردهم بغيظهم (٣) الطول : الفضل والعطاء (٤) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور (٥) الضبع : العضد (٦) أتاح : هيأ

وَلَمْ أَسْتَبْعِدْ أَنْ يُقْمِرَ هِلَالُهُ بَلْ يَبْدُرَ[١]، وَلَا اسْتَبْدَعْتُ أَنْ يُورِقَ غُصْنُ دَوْحَتِهِ الزَّكِيَّةِ وَيُثْمِرَ[٢]، وَاللهُ تَعَالَى يُمْلِيهِ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ فِي رَفَاهَةِ الْأَسْرَارِ[٣]، وَمُوَاتَاةِ الْأَقْدَارِ[٤] حَتَّى يُعَايِنَ أَسْبَاطَهُ[٥]، وَيُضَاعِفَ بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَضَاعُفِهِمْ بِحَوْزَتِهِ اغْتِبَاطَهُ[٦]. فَأَمَّا الْمُلْحَةُ إِنْ أَمْكَنَ تَنْفِيذُهَا مَعَ أَحَدِ الْمُتَرَدِّدِينَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ لِأُلْحِقَ بِهَا الزِّيَادَةَ، وَأُهَذِّبَهَا كَمَا يُطَابِقُ الْإِرَادَةَ، فَأَوْعِزْ[٧] بِهِ.

وَأَمَّا «دُرَّةُ الْغَوَّاصِ فِي أَوْهَامِ الْخَوَاصِّ» فَأَرْجُو أَنْ يُنْشِئَ الْإِصْعَادَ[٨] إِلَى بَغْدَادَ لِتَصَفُّحِهَا مِنَ الْبَدْءِ، وَكَأَنْ قَدْ[٩]، وَإِلَى أَنْ يَسْهُلَ الْمَأْمُولُ مِنَ الِالْتِقَاءِ، فَمَا أَوْلَى هِمَّتَهُ الْكَرِيمَةَ بِإِتْحَافِي[١٠] بِالْأَنْبَاءِ، وَإِنْهَاضِي بِمَا يَسْنَحُ مِنَ الْأَوْطَارِ وَالْأَهْوَاءِ[١١]، وَرَأْيُهُ أَعْلَى إِنْ شَاءَ اللهُ.

نُسْخَةُ الْكِتَابِ الثَّانِي، وَهُوَ الْمُنَفَّذُ مَعَ الْمُلْحَةِ الْمَذْكُورَةِ:

لَئِنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إِلَيَّ لَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

---

(١) يقمر: يصير قمرا، ويبدر: يصير بدرا (٢) الدوحة: الشجرة الكثيرة الأغصان (٣) أي راحة النوايا واطمئنان النفوس (٤) أي موافقتها وطواعيتها (٥) أسباطه: أحفاده، جمع سبط (٦) تضاعفهم: تكاثرهم، والحوزة: الناحية (٧) أي قربه وفي الأصل «أوعزبه» (٨) الاصعاد: المضي والسير (٩) أي وكأن ذلك قد أوشك أن يكون (١٠) أي إهدائي (١١) الأوطار: الحاجات، جمع وطر

إِذَا فَكَّرْتُ ـ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا ـ وَضَاعَفَ سَعَادَتَهُ ، وَكَبَتَ حَسَدَتَهُ فِيمَا كَانَ سَمَحَ بِهِ الزَّمَانُ مِنْ تِلْكَ الْمُلَاقَاةِ الْحُلْوَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ مِنَ الْحَسْوَةِ (١) أَعْظَمْتُ قِيمَةَ حُسْنَاهُ ، وَوَجَدْتُهَا أَحْلَى إِسْعَافٍ وَأَسْنَاهُ (٢) ، ثُمَّ إِذَا فَكَّرْتُ فِيمَا أَعْقَبَ مِنَ الْفُرْقَةِ ، وَأَلْهَبَ فِي الصَّدْرِ مِنَ الْحُرْقَةِ ، وَجَدْتُهُ كَمَنْ رَجَعَ فِي الْمِنْحَةِ ، وَطَمَسَ الْفَرْحَةَ بِالتَّرْحَةِ ، وَلَوْلَا تَعِلَّةُ (٣) الْقَلْبِ الْمَشْجُوِّ بِالتَّلَاقِي الْمَرْجُوِّ لَذَابَ مِنَ اتِّقَادِ الشَّوْقِ ، وَلَقَالَ : شَبَّ عَمْرٌو عَنِ الطَّوْقِ (٤) ، وَفِي لَوَامِحِ تِلْكَ الْأَلْمَعِيَّةِ مَا يُغْنِي عَنْ تِبْيَانِ تِلْكَ الطَّوِيَّةِ ، وَكَانَ قَدْ وَصَلَ مِنْ حَضْرَتِهِ أَنَسَهَا اللهُ تَعَالَى مَا أَعْرَبَ فِيهِ عَنْ كَرِيمِ عَهْدِهِ ، وَتَبَارِيحِ وَجْدِهِ (٥) ، فَلَمْ أَسْتَبْدِعِ الْعُذُوبَةَ مِنْ وِرْدِهِ ، وَلَا اسْتَغْرَبْتُ مَا تَوَالَى مِنْ بِرِّهِ وَحُسْنِ عَهْدِهِ ، وَبِمُقْتَضَى هَذِهِ الْأَوَامِرِ وَالطَّوْلِ الْمُتَنَاصِرِ انْعِكَافِي عَلَى الشُّكْرِ ، وَاعْتِرَافِي بِعَوَارِفِهِ (٦) الْغُرِّ ، فَأَمَّا اسْتِطْلَاعُ مُلْحَةِ الْإِعْرَابِ الْمُشْتَبِهَةِ بِالسَّرَابِ ، فَقَدْ آثَرَتْ خَزَائِنُهُ ـ عَمَّرَهَا اللهُ تَعَالَى ـ بِمُسَوَّدَتِهَا عَلَى شَعْبِ بِنْيَتِهَا (٧) ، وَشَوْهِ خِلْقَتِهَا ، وَلَوْ لَمْ تَعْرِضْ حَادِثَةُ الْعَرَبِ ، الْعَائِقَةُ عَنْ كُلِّ

(١) الحسوة : ماينتاوله الطائر ، وهو يحسو : أى يشرب (٢) أى ارفعه
(٣) التعلة : ما يتعلل به من طعام غيره (٤) شب عمرو عن الطوق : مثل يضرب للابس ما هو دون قدره (٥) أى توهجاته (٦) بعوارفه . جمع عارفة : العطية والمعروف (٧) أى تصدعها

أَرَب ، لَزَفَفْتُهَا كَمَا تُزَفُّ الْعَرُوسُ الْمُقَيَّنَةُ (١) ، وَالْخُطَبُ الْمُزَيَّنَةُ ، غَيْرَ أَنِّى أَرْجُو أَنْ تُرْزَقَ حُظْوَةَ الْقِبَاحِ (٢) ، وَأَلَّا تُجَبَّهَ (٣) بِالذَّمِّ الصُّرَاحِ ، وَلِكُتُبِهِ — حَرَسَ اللهُ نِعْمَتَهُ — عِنْدِى مَوْقِعُ أَنْفَسِ التُّحَفِ ، وَشُكْرِى عَلَى التَّكَرُّمِ بِهَا شُكْرُ مَنِ اتَّشَحَ بِهَا وَالْتَحَفَ ، وَسَيِّدُنَا أَمِينُ الدَّوْلَةِ رَئِيسُ الْحُكَمَاءِ مَخْدُومٌ بِأَفْضَلِ دُعَاءٍ ، وَأَطْيَبِ ثَنَاءٍ وَسَلَامٍ ، وَلِرَأْيِهِ — أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ — فِى الْإِيعَازِ بِالْوُقُوفِ عَلَى مَا شَرَحْتُهُ وَتَمَثُّلِ مَا أَوْضَحْتُهُ — عُلُوُّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

نُسْخَةُ كِتَابٍ كَتَبَهُ ابْنُ الْحَرِيرِىِّ إِلَى أَبِى الْفَتْحِ بْنِ التِّلْمِيذِ قَبْلَ اللِّقَاءِ :

جَزَى اللهُ خَيْراً وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ
بَنِى صَاعِدٍ أَهْلِ السِّيَادَةِ وَالْمَجْدِ
هُمُ ذَكَّرُونِى وَالْمَهَامِهُ بَيْنَنَا
كَمَا ارْفَضَّ (٤) غَيْثٌ فِى تِهَامَةَ مِنْ نَجْدِ

لَوْ أَخَذْتُ فِى وَصْفِ شَغَفِى بِمَنَاقِبِ سَيِّدِنَا — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ عَلَاءَهُ ، وَحَرَسَ نَعْمَاءَهُ ، وَكَبَتَ حُسَّادَهُ وَأَعْدَاءَهُ — وَمَا أَنَا بِصَدَدِهِ مِنْ مَدْحِ سُودَدِهِ ، وَشَرْحِ تَطَوُّلِهِ وَتَوَدُّدِهِ ،

(١) المقينة : المزينة (٢) القباح : جمع قبيحة (٣) تجبه : تقابل
(٤) أى تساقط وهطل

لَكُنْتُ بِمَثَابَةِ الْمُغْتَرِّينَ ، فِي مُحَاوَلَةِ عَدِّ رَمْلِ يَبْرِينَ(١) ، لَكِنَّنِي رَاجٍ أَنْ أَحْظَى مِنْ أَلْمَعِيَّتِهِ الثَّاقِبَةِ ، وَبَصِيرَتِهِ الصَّائِبَةِ ، بِمَا يُمَثِّلُ لَهُ عَقِيدَتِي وَيُطْلِعُهُ عَلَى نَخِيلَةِ مَوَدَّتِي(٢) ، وَمَا أَمْلِكُ فِي مُقَابَلَةِ مُفَاتَحَتِهِ الَّتِي أَخْلَصَتْ لَهُ إِيجَابَ الْحَقِّ(٣) وَفَضِيلَةَ السَّبْقِ ، إِلَّا الثَّنَاءَ الَّذِي أَتْلُو صَحَائِفَهُ ، وَالدُّعَاءَ الَّذِي أُقِيمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَظَائِفَهُ(٤) ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحْسِنُ تَوْفِيقِي لِمَا يُشَيِّدُ مَبَانِيَ الْمَوَدَّةِ ، الَّتِي أَعْتَدُّهَا أَفْضَلَ مَقَانِي(٥) الْعُدَّةِ ، ثُمَّ إِنِّي لِفَرْطِ اللَّهَجِ بِاسْتِمْلَاءِ فَضَائِلِهِ النَّيِّرَةِ ، وَاسْتِطْلَاعِ مَحَاسِنِهِ الْمُسَيَّرَةِ ، أُسَائِلُ عَنْ خَصَائِصِهِ الرُّكْبَانَ ، وَأَطْرَبُ بِسَمَاعِهَا وَلَا طَرَبَ النَّشْوَانِ. وَلَمَّا حَضَرَ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الرَّئِيسُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْمَوْذِ ـ أَدَامَ اللهُ تَمْكِينَهُ ـ أَلْفَيْتُهُ مُوَالِياً مُغَالِياً ، وَدَاعِيَةً إِلَيْهِ وَدَاعِياً ، فَازْدَدْتُ كَلَفاً بِمَا وَعَيْتُهُ مِنْهُ ، وَشَغَفاً بِمَا اسْتَوْضَحْتُهُ عَنْهُ ، وَاسْتَدْلَلْتُ عَلَى كَمَالِ سَيِّدِنَا بِاسْتِخْلَاصِ شُكْرِ مِثْلِهِ ، وَتَحَقَّقْتُ وُفُورَ أَفْضَالِهِ وَفَضْلِهِ ، فَافْتَتَحْتُ الْمُكَاتَبَةَ بِتَأْدِيَةِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ ، وَاسْتِمْدَادِ سُنَّةِ الْمُوَاصَلَةِ الْمُعْتَادَةِ ،

---

(١) يبرين : أرض فيها رمل لا تدرك أطرافه : عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة وقيل : غير ذلك ، وقيل : قرية من قرى حلب من نواحى عزاز
(٢) نخيلة المودة : صافيها ، وفى الأصل « نخيله » تحريف (٣) أى منعت الرياء فى إيجابه (٤) وظائفه : جمع وظيفة : ما يقدر منه (٥) مقانى العدة جمع مقنى : مصدر ميمى بمعنى اقتناء : وهو الادخار ، والعدة : الاستعداد

وَالتَّكْرِمَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا بَوَاعِثُ السِّيَادَةِ ، وَلِرَأْيِهِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُهُ ، وَالتَّطَوُّلِ فِيهِ بِمَا تُوجِبُهُ أَرْيَحِيَّتُهُ (١) ، عُلُوُّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَكَتَبَ إِلَى سَدِيدِ الدَّوْلَةِ رِسَالَةً صَدَّرَهَا بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

عِنْدِي بِشُكْرِكَ نَاطِقَانِ فَوَاحِدٌ
آثَارُ طَوْلِكَ وَاللِّسَانُ الثَّانِي
وَمَجَالُ (٢) مِنَّتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي
فِي الشُّكْرِ أَفْصَحُ مِنْ مَجَالِ لِسَانِي

وَصَدَّرَ رِسَالَةً أُخْرَى إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أُهَنِّيكَ بَلْ نَفْسِي أُهَنِّي بِمَا سَنَى
لَكَ اللهُ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى وَبِمَا أَسْنَى (٣)
شَكَرْتُ زَمَانِي بَعْدَ مَا كُنْتُ عَاتِباً
عَلَيْهِ لِمَا أَسْدَى إِلَيْكَ مِنَ الْحُسْنَى
وَأَيْقَنْتُ إِذْ وَاتَاكَ أَنْ قَدْ تَيَقَّظَتْ
لِإِرْضَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ مُقْلَتُهُ الْوَسْنَى
فَفَخْراً بِمَا فِي عُظْمِ فَخْرِكَ (٤) شِبْهُهُ
وَلَا لَكَ شِبْهٌ فِي الْأَنَامِ إِذَا قِسْنَا

---

(١) الأريحية : خصلة يرتاح بها للندى (٢) مجال : اسم مكان : أي ميدان
(٣) سنى لك : فتح ، وأسنى : رفع (٤) أي معظمه وأكثره ، والجمع اعظام

جَمَالَ الْوَرَى مُلِّيتَ تَشْرِيفَكَ الَّذِى
أَفَاضَ عَلَيْكَ الصِّيتَ وَالْعِزَّ وَالْحُسْنَى
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُهَنِّيكَ بِالَّذِى
أُهَنَّى بِهِ لٰكِنْ كَذَا سَنَّ مَنْ سَنَّا

وَكَتَبَ إِلَى الْمُؤَيَّدِ أَبِى إِسْمَاعِيلَ الطُّغْرَائِىِّ يُهَنِّئُهُ بِوِلَايَةِ الطُّغْرَا(١) فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَأَجَابَهُ الطُّغْرَائِىُّ بِجَوَابٍ هٰذَا نُسْخَتُهُ :

مَا الرَّوْضُ أَضْحَكَتِ السَّحَابُ ثُغُورَهُ
وَأَفَاحَ أَنْفَاسُ الصَّبَا مَنْثُورَهُ(٢)
يَوْمًا بِأَبْهَجَ مِنْ كِتَابٍ نَمْنَمَتْ
يُمْنَاكَ يَا شَرَفَ الْكُفَاةِ سُطُورَهُ
وَافَى إِلَىَّ فَتِهْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ
تِيهَ الْمُوَلَّى إِذْ رَأَى مَنْشُورَهُ(٣)
فَلَثَمْتُهُ عَشْرًا وَلَوْ قَبَّلْتُهُ
أَلْفًا وَأَلْفًا لَمْ أُوَفِّ مُهُورَهُ

(١) الطغرا : لعلها بأصبهان ، والطغرا : علامة وسم على مناشير السلطان ومسكوكاته يدرج فيها اسمه واسم والده مع لقبه وذلك على هيئة مخصوصة — والعامة تقول : « الطرة » والجمع طغراءات : والطغرائى صانعها (٢) أفاح : ضوع ونشر رائحتها الطيبة : ومنثوره : متفرقه (٣) تهت : تمايلت طربا ، والمولى : المقلد ولاية ، ومنشوره : كتاب توليته

وَفَضَضْتُهُ عَنْ لُؤْلُؤٍ وَلَوَانُهُ
لِلسِّمْطِ زَانَ فُصُولَهُ وَشُذُورَهُ(١)
وَأَجَلْتُ مِنْهُ الطَّرْفَ فِيمَا رَاقَهُ
وَأَتَاحَ لِلْقَلْبِ الْكَئِيبِ سُرُورَهُ
قَسَمًا لَأَنْتَ الْفَرْدُ فِى الْفَضْلِ الَّذِى
لَوْلَاكَ أَطْفَأَتِ الْجَهَالَةُ نُورَهُ
مِنْكَ امْتَرَى لَمَّا ارْتَضَعْتَ لِبَانَهُ
وَبِكَ ازْدَهَى لَمَّا احْتَلَبْتَ شُطُورَهُ(٢)
فَاسْلَمْ لَهُ حَتَّى تُجَدِّدَ مَاعَفَا مِنْهُ وَتَجْبُرَ وَهْنَهُ وَكُسُورَهُ
وَاعْذِرْ وَلِيَّكَ إِنْ تَقَاصَرَ سَعْيُهُ
وَاغْفِرْ لَهُ تَقْصِيرَهُ وَقُصُورَهُ(٣)

وَصَلَ مِنَ الْمَجْلِسِ السَّامِى الْمُؤَيَّدِىِّ ـ ضَاعَفَ اللَّهُ عُلُوَّهُ وَأَضْعَفَ عَدُوَّهُ ، وَأَكْمَلَ سُعُودَهُ وَأَكْمَدَ حَسُودَهُ ـ كِتَابٌ اتَّسَمَ بِالْمَكْرُمَةِ الْغَرَّاءِ ، وَابْتَسَمَ عَنِ التَّكْرِمَةِ الْعَذْرَاءِ(٤)

---

(١) السمط بالكسر : خيط النظم ما دام فيه الخرز واللؤلؤ ، وإن لم يكن فيه أحدهما سمى سلكا (٢) احتلبت شطوره : مأخوذة من المثل : حلب فلان الدهر أشطره : أى ضروب أحواله : والمعنى : مر به خيره وشره : وجرب أموره والشطور كالأشطر : نواحى الضرع (٣) تقاصر سعيه : انتهى وكف مع العجز : والتقصير : التوانى فى الأمر ، والقصور : العجز (٤) العذراء : البكر ، والمراد : التى لم يسبقه أحد إليها

بِخَلَّتِهِ كِتَابَ الْأَمَانِ مِنَ الزَّمَانِ ، وَتَلَقَّيْتُهُ كَمَا يَتَلَقَّى الْإِنْسَانُ صَحِيفَةَ الْإِحْسَانِ ، وَقَابَلْتُ مَا أُودِعَ مِنَ الْبِرِّ وَالطَّوْلِ الْمُبِرِّ ، بِالشُّكْرِ الَّذِي هُوَ جَهْدُ الْمُقِلِّ وَنُسْكُ الْمُسْتَقِلِّ ، وَوَجَدْتُ مَا أَلْحَفَ مِنَ التَّجْمِيلِ وَأَتْحَفَ مِنَ الْجَمِيلِ مَا كَانَتْ أَطْمَاعِي تَتُوقُ إِلَيْهِ ، وَآمَالِي تَحُومُ حَوَالَيْهِ ، إِذْ مَا زِلْتُ مُنْذُ اسْتَمْلَيْتُ وَصْفَ الْمَنَاقِبِ الْمُؤَيَّدِيَّةِ ، وَرَوَيْتُ خَبَرَهَا عَنِ الرِّوَايَةِ الشَّرِيفَةِ الشَّرَفِيَّةِ ، أَبْعَثُ قَلَمِي عَلَى أَنْ يُفَاتِحَ ، وَأَنْ يَكُونَ الرَّائِدَ لِي وَالْمَاتِحَ (١) ، وَهُوَ يَنْكُصُ نُكُوصَ الْهَيُوبَةِ (٢) ، وَيَنْكُلُ نُكُولَ الْهَامِ عَنِ الضَّرِيبَةِ (٣) ، فَأُكَابِدُ لِإِحْجَامِهِ الْأَسَى ، وَأُزْجِي الْأَيَّامَ بِلَعَلَّ وَعَسَى (٤) ، إِلَى أَنْ بُدِّيتُ وَهُدِيتُ (٥) ، وَأُرِيتُ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ مَنْ يُمِيتُ ؟ فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ أَنْ أُنْشِطَ الْعِقَالُ (٦) وَاسْتُدْعِيَ الْمَقَالُ ، إِلَّا أَنْ أَنْقُلَ الْحَشَفَ إِلَى هَجَرَ (٧) وَأَزُفَّ الْهَشِيمَ (٨) إِلَى الشَّجَرِ ، فَأَصْدَرْتُ هَذِهِ الْخِدْمَةَ الْمُتَّشِحَةَ

---

(١) الرائد : الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، والماتح : الذى يقوم على البئر لسقيا (٢) ينكص : يرجع ويتقهقر ، والهيوبة : الخائف الحذر

(٣) وينكل : يجبن ويضعف ، والهام : الرءوس ، والضريبة : السيف وحده

(٤) أزجى : أسوق ، ولعل وعسى : كلمتان للترجى ، والمراد معناهما (٥) بديت مبنى للمجهول : قدمت وفضلت ، وهديت : أرشدت (٦) أن أنشط الخ : أن حل الحبل ، والعقال : الحبل الذى يشد به وظيف البعير مع ذراعه (٧) الحشف : أردأ التمر ، أو الضعيف لا نوى له ، أو اليابس الفاسد ، وهجر : اسم لجميع أرض البحرين — وهذا مأخوذ من المثل : « كمستبضع تمراً إلى هجر » (٨) الهشيم : يابس الكلأ والشجر

بِالْخَجَلِ، الْمُرْتَعِشَةَ مِنَ الْوَجَلِ، وَأَنَا مُعْتَرِفٌ بِسَالِفِ التَّقْصِيرِ، وَمُعْتَذِرٌ عَنْهُ بِاللِّسَانِ الْقَصِيرِ، فَإِنْ قُرِّبَتْ عِنْدَ الْوُصُولِ، وَقُرِنَتْ بِحُظْوَةِ الْقَبُولِ، فَلِذَلِكَ الَّذِي كَانَتْ تَتَمَنَّى، وَحَقَّ لِي وَلَهَا أَنْ تُهَنَّى، وَإِنْ أُلْغِيَتْ إِلْغَاءَ الْحُوَارِ⁽¹⁾ فِي الدِّيَةِ، وَنُدِّدَ بِفَاضِحِهَا فِي الْأَنْدِيَةِ، فَمَا هُضِمَتْ فِيمَا قُوبِلَتْ، وَلَا ظُلِمَتْ إِذْ مَا قُبِلَتْ⁽²⁾، عَلَى أَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَإِنْ كَانَ وَضَحَ اجْتِهَادِي فِيمَا وَقَفَ مِنَ الْوَطَرِ الَّذِي تَأَكَّدَ فِيهِ اعْتِرَاضُ الْقَدَرِ، وَانْتِقَاصُ النَّظَرِ، فَيَا بَرْدَهَا⁽³⁾ عَلَى الْكَبِدِ، وَيَا بُشْرَى خَادِمِهِ الْمُجْتَهِدِ، ثُمَّ إِنِ اسْتُخْدِمْتُ بَعْدُ فِي خِدْمَةٍ اجْتَهَدْتُ، وَانْتَهَزْتُ فُرْصَةَ فَرِيضَتِهَا وَلَوْ جَاهَدْتُ، وَلِلرَّأْيِ الشَّرِيفِ فِي الْإِمَامِ بِتَحْسِينِ مَا يَتَأَمَّلُ، وَتَحْقِيقِ مَا يُؤَمَّلُ، مَزِيدُ السُّمُوِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿ ٤٧ — الْقَاسِمُ بْنُ فِيرَةَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ * ﴾

أَبُو مُحَمَّدٍ الرُّعَيْنِيُّ ثُمَّ الشَّاطِبِيُّ الْمُقْرِئُ، كَانَ فَاضِلًا فِي القاسم بن فيرة الرعينى

(١) الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه، أو إلى أن ينفصل عن أمه (٢) إذ ظرف للمضى: وما نافية ـ والمعنى: لم تظلم حين لم تقبل (٣) فيا بردها الخ: أى فما أبردها على الكبد تعجب

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين، وترجم له كذلك فى بغية الوعاة

النَّحْوِ وَالْقِرَاءَةِ، وَعِلْمِ التَّفْسِيرِ، لَهُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَمَ قَصِيدَةً مِنْ خَمْسِمِائَةِ بَيْتٍ فِي كِتَابِ التَّمْهِيدِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وَكَانَ شِعْرُهُ عَقْداً صَعْباً لَا يَكَادُ يُفْهَمُ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

يَلُومُونَنِي إِذْ مَا وَجَدْتُ مُلَائِمًا
وَمَالِي مُلِيمٌ حِينَ سُمْتُ الْأَكَارِمَا[1]؟
وَقَالُوا: تَعَلَّمْ لِلْعُلُومِ نِفَاقَهَا
بِسِحْرِ نِفَاقٍ تَسْتَخِفُّ الْعَزَائِمَا[2]

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ، وَلَهُ:

بَكَى النَّاسُ قَبْلِي لَا كَمِثْلِ مَصَائِبِي
بِدَمْعٍ مُطِيعٍ كَالسَّحَابِ الصَّوَائِبِ[3]
وَكُنَّا جَمِيعاً ثُمَّ شَتَّتَ شَمْلَنَا
تَفَرُّقُ أَهْوَاءٍ عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ

وَلَهُ قَصِيدَةٌ نَظَمَ فِيهَا الْمُقْنِعَ لِأَبِي عَمْرٍو الدَّانِيِّ فِي خَطِّ الْمُصْحَفِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا صَدُوقًا فِي الْقَوْلِ مُجِدًّا فِي الْفِعْلِ، ظَهَرَتْ عَلَيْهِ كَرَامَاتُ الصَّالِحِينَ كَسَمَاعِ الْأَذَانِ بِجَامِعِ

(١) ملائما: موافقا: ومليم: لائم من ألامه إلامة: بمعنى لامه وعذله: فهو مليم وسمت الأكارما: ساومتهم جمع أكرم (٢) تستخف الخ: أي تستهويها
(٣) أي ذوات المطر الشديد: جمع صائبة

مِصْرَ وَقْتَ الزَّوَالِ مِنْ غَيْرِ مُؤَذِّنٍ ، وَلَا يَسْمَعُ ذَلِكَ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الصَّالِحُونَ ، وَكَانَ يَعْذِلُ[١] أَصْحَابَهُ عَلَى أَشْيَاءَ لَمْ يُطْلِعُوهُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْأَحَدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ الثَّامِنَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الْبَيْسَانِيِّ بِسَارِيَةِ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ أُضِرَّ[٢] . أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنِ الشَّيْخَيْنِ الْإِمَامَيْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ هُذَيْلٍ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ النَّفْزِيِّ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَلَمُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ تِلْمِيذُهُ وَشَارِحُ قَصِيدَتِهِ ، وَقَدْ وَصَفَ دِينَهُ وَوَرَعَهُ وَصَلَاحَهُ ثُمَّ قَالَ : وَذَكَرْتُ لَهُ يَوْمًا جَامِعَ مِصْرَ وَقُلْتُ لَهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّ الْأَذَانَ يُسْمَعُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ الْمُؤَذِّنِينَ وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُهُ مِرَارًا لَا أُحْصِيهَا عِنْدَ الزَّوَالِ . وَقَالَ لِي يَوْمًا : جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ مُخَاطَبَةٌ فَقَالَ : فَعَلْتَ كَذَا فَسَأُهْلِكُكَ[٣] فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أُبَالِي بِكَ . وَقَالَ لِي يَوْمًا : كُنْتُ فِي طَرِيقٍ وَتَخَلَّفَ عَنِّي مَنْ كَانَ مَعِي وَأَنَا عَلَى الدَّابَّةِ ، وَأَقْبَلَ اثْنَانِ فَسَبَّنِي أَحَدُهُمَا سَبًّا قَبِيحًا ، فَأَقْبَلْتُ عَلَى الِاسْتِعَاذَةِ

(١) أي يلوم (٢) أي صار ضريرا (٣) بالأصل « فسأهلك » تحريف

وَبقِيَ كَذَلِكَ إِلَى مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الآخَرُ : دَعْهُ ، وَفِي تِلْكَ الحَالِ لَحِقَنِي مَنْ كَانَ مَعِي فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ، فَطَلَبَ يَمِيناً وَشِمَالاً [1] فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ يَعذُلُ أَصْحَابَهُ فِي السِّرِّ عَلَى أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ فَلَا يَرْتَابُ بِهِ أَنَّهُ يُبْصِرُ ، لِأَنَّهُ لِذَكَائِهِ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ مَا يَظْهَرُ مِنَ الأَعْمَى فِي حَرَكَاتِهِ .

﴿ ٤٨ – القَاسِمُ بْنُ القَاسِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَنْصُورٍ * ﴾

الْوَاسِطِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، مَوْلِدُهُ بِوَاسِطِ الْعِرَاقِ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَمَاتَ بِحَلَبَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، أَدِيبٌ نَحْوِيٌّ لُغَوِيٌّ فَاضِلٌ أَرِيبٌ ، لَهُ تَصَانِيفُ حِسَانٌ ، وَمَعْرِفَةٌ بِهَذَا الشَّأْنِ . قَرَأَ النَّحْوَ بِوَاسِطَ وَبَغْدَادَ عَلَى الشَّيْخِ مُصَدِّقِ بْنِ شَبِيبٍ ، وَاللُّغَةَ عَلَى عَمِيدِ الرُّؤَسَاءِ هِبَةِ اللهِ بْنِ أَيُّوبَ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ بِوَاسِطَ ، وَعَلَى الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ هَيَّابٍ الْجَمَاجِمِيِّ بِوَاسِطَ أَيْضاً ، وَسَمِعَ كَثِيراً مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ

القاسم بن القاسم الواسطي

(١) طلب الخ : استقصى البحث في كل الجهات

(*) ترجم له في كتاب بغية الوعاة ص ٣٨٠

وَالْحَدِيثِ عَلَى جَمَاعَةٍ يَطُولُ شَرْحُهُمْ عَلَيَّ ، مِنْهُمْ : أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بُخْتِيَارَ الْمَانِدَائِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ نَعُوبَا ، سَمِعَ عَلَيْهِ الْمَقَامَاتِ عَنِ الْحَرِيرِيِّ ، فَانْتَقَلَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى حَلَبَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَأَقَامَ بِهَا يُقْرِئُ الْعِلْمَ وَيُفِيدُ أَهْلَهَا نَحْواً وَلُغَةً وَفُنُونَ عُلُومِ الْأَدَبِ ، وَصَنَّفَ بِهَا عِدَّةَ تَصَانِيفَ ، وَهِيَ عَلَى مَا أَمْلَاهُ عَلَيَّ هُوَ بِبَابِ دَارِهِ مِنْ حَاضِرِ حَلَبَ[١] فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ لِابْنِ جِنِّيٍّ ، كِتَابُ شَرْحِ التَّصْرِيفِ الْمُلُوكِيِّ لِابْنِ جِنِّيٍّ أَيْضاً ، كِتَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ بِمَعْنًى عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ لَمْ يَتِمَّ إِلَى هَذِهِ الْمُدَّةِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَقَامَاتِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ تَرْتِيبِ الْعَزِيزِيِّ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَقَامَاتِ آخَرُ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَقَامَاتِ ، كِتَابُ شَرْحِ الْمَقَامَاتِ آخَرُ عَلَى تَرْتِيبٍ آخَرَ ، كِتَابُ خُطَبٍ قَلِيلَةٍ ، كِتَابُ رِسَالَةٍ فِيمَا أَخَذَ عَلَى ابْنِ النَّابُلُسِيِّ الشَّاعِرِ فِي قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا فِي الْإِمَامِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ أَبِي الْعَبَّاسِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا[٢] :

الْحَمْدُ لِلهِ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ[٣] ، وَالصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ

(١) حاضر حلب : الحاضر الحى العظيم ، يقال حاضر حلب ، وحاضر طى ، وهو جمع (٢) الضمير للرسالة (٣) المتظاهرة : المتعاونة

خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ [١] ، وَبَعْدُ : فَإِنَّهُ لَمَّا أُخِّرَتِ الْفَضَائِلُ عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَقُدِّمَتِ الْأَوَاخِرُ عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَنُبِذَ عَهْدُ الْقُدَمَاءِ ، وَجُهِلَ قَدْرُ الْعُلَمَاءِ ، وَصَارَ عَطَاءُ الْأَمْوَالِ بِاعْتِبَارِ الْأَحْوَالِ لَا بِاخْتِيَارِ الْأَقْوَالِ ، وَظَهَرَ عَظِيمُ الْإِجْلَالِ بِالْأَسْمَاءِ لَا بِالْأَفْعَالِ ، عَلِمْتُ أَنَّ الْأَقْدَارَ [٢] هِيَ الَّتِي تُعْطِي وَتَمْنَعُ ، وَتَخْفِضُ وَتَرْفَعُ ، فَأَخْمَلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِي وَقَدْرِي [٣] ، وَأَخْفَيْتُ مِنْ نَظْمِي وَنَثْرِي ، وَلِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ [٤] وَمَنْ شَعَرَ فَقِهَ [٥] :

وَمَالِي إِلَى الْعَلْيَاءِ ذَنْبٌ عَلِمْتُهُ
وَلَا أَنَا عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ بَاعِدُ

وَقُلْتُ : أَصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ :

فَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ
تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ [٦]

إِلَى أَنْ بَلَغَنِي مِمَّنْ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، وَيُرْجَعُ فِي الْقَوْلِ إِلَيْهِ ، عَنْ بَعْضِ شُعَرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، أَنَّهُ

---

(١) أى عشيرته الأقربين (٢) الأقدار : جمع قدر محركة : وهو قضاء الله تعالى وحكمه (٣) أى جعلت ذكرى خاملا ، ورجل خامل : لا نباهة له

(٤) مثل يضرب لمن يحمل نفسه على مشقة عظيمة لنيل بغيته (٥) بالأصل « نفسه » (٦) القتام : الغبار الأسود ، والسواد والظلام

أَنْشَدَ عِنْدَهُ بَيْتَ الْوَلِيدِ ، يَشْهَدُ لَهُ بِالْفَصَاحَةِ وَالتَّجْوِيدِ .

وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِذَا مَحَاسِنِيَ اللاَّئِي أُدِلُّ بِهَا (١)

صَارَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟

فَقَالَ مَقَالَ الْمُفْتَرِي: كَمْ قَدْ خَرِينَا عَلَى الْبُحْتُرِي ؟ فَصَبَّرْتُ قَلْبِي عَلَى أَذَاتِهِ (٢) وَأَغْضَيْتُ جَفْنِي عَلَى قَذَاتِهِ (٣) حَتَّى ابْتَدَرَنِي بِالْبَادِرَةِ ، الَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا لِسَانُ الْخَادِرَةِ (٤) ، فَلَوْ كَانَ النَّابُلُسِيُّ كَابْنِ هَانِئٍ الْأَنْدَلُسِيِّ ، « لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٥) » ، فَيَا لَلَّهِ الْعَجَبُ ، مَتَى أَشْرَفَتِ (٦) الظُّلْمَةُ عَلَى الضِّيَاءِ ، أَوْ عَلَتِ الْأَرْضُ عَلَى السَّمَاءِ ؟ وَأَيْنَ السُّهَا مِنَ الْقَمَرِ ؟ وَكَيْفَ يُضَاهِي الْغُمْرُ بِالْغَمَرِ (٧) ؟ فَإِنَّا لِلَّهِ ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ ، أَفِي كُلِّ سَحَابَةٍ أُرَاعُ (٨) بِرَعْدٍ ؟ وَفِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ (٩) :

---

(١) أدل بها : أتيه على غيري بسببها (٢) أذاته : إلحاقه الأذى بي ، يقال : آذى صاحبه أذى وأذاة وأذية : ألحق به أذى (٣) القذاة : ما يقع في العين ويوجعها — ومعنى قوله : وأغضيت جفني على قذاته : احتملت الذل والضيم ولم أشك ذلك (٤) الخادرة : الغلام الممتلىء الشباب (٥) أي كنوزها وموتاها — والأثقال جمع ثقل وهو متاع البيت — جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها مجازا (٦) أي تعالت (٧) يضاهي : مجهول يشاكل ويشابه والغمر مثلث الغين ساكن الميم : من لم يجرب الأمور ، والغمر بالتحريك : الواسع الخلق الكريم (٨) أراع مبنى للمجهول : أفزع (٩) هذا مثل يضرب لمن يجد أينما اتجه مكروها

وَإِنِّى شَقِىٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

لَقَدْ تَحَكَّكَتِ الْعَقْرَبُ بِالْأَفْعَى ، وَاسْتَنَّتِ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرْعَى (١) :

وَطَاوَلَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً

وَفَاخَرَتِ الشُّهْبَ الْحَصَا وَالْجَنَادِلُ (٢)

وَمَا ذَلِكَ التِّيهُ وَالصَّلَفُ (٣) ؟ وَالتَّجَاوُزُ لِلْحَدِّ وَالسَّرَفُ ، إِلَّا لِأَنَّهُ كُلَّمَا جَرَّ جَرِيراً اعْتَقَدَ أَنَّهُ قَدْ جَرَّ جَرِيراً (٤) ، وَكُلَّمَا رَكِبَ الْكُمَيْتَ ظَنَّ أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَبَ الْكُمَيْتَ (٥) ، وَكُلَّمَا أُعْظِمَ مِنْ غَيْرِ عِظَمٍ ، وَأُكْرِمَ مِنْ غَيْرِ كَرَمٍ ، شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَطَالَ ، وَتَطَاوَلَ إِلَى مَا لَنْ يَنَالَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّدَ لَبِيداً ، وَعَبَّدَ عَبِيداً (٦) وَلَا وَاللهِ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ ، وَلَا الشِّعْرُ كَمَا نَظَمَ ، وَلَكِنَّهَا الْمَكَارِمُ السُّلْطَانِيَّةُ الْمَلَكِيَّةُ الظَّاهِرِيَّةُ الَّتِي نَوَّهَتْ بِذِكْرِهِ فَسَتَرَهَا ، وَرَفَعَتْ مِنْ قَدْرِهِ

---

(١) استنت : عدت إقبالا وإدبارا ، والفصال : جمع فصيل : وهو ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمه — والقرعى : جمع قريع : وهو الفصيل الذى به قرع .

(٢) الشهب : الدرارى من الكواكب لشدة لمعانها ، جمع شهاب . والجنادل : الصخور جمع جندل (٣) التيه والصلف : الكبر . (٤) جرير الأولى : الحبل ، وجرير الثانية : الشاعر المعروف . (٥) الكميت الأولى : الحصان الذى بين الأسود والأحمر ، والكميت الثانية : الشاعر المعروف . (٦) يعنى لبيدا العامرى ، وعبيدا الأسدى الشاعرين الجاهليين المعروفين ، وبلد لبيدا : حيره حتى صار كالبليد عنها ، وعبد عبيدا : جعله يذهب شاردا حيرة وذهولا .

فَكَفَرَهَا بِقَوْلٍ سَأَذْكُرُهُ (١) إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ . وَلَمَّا طَلَبَ الْعَبْدُ كُرَاعاً فَأُعْطِيَ ذِرَاعاً (٢) ، خَرَجَ عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ ، وَبَهْرَجَ عَلَى مَنْ يَكْشِفُهُ (٣) ، فَقُلْتُ : لَا مَخْبَأَ بَعْدَ بُوسٍ ، وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ (٤) :

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ (٥) مِنْ دُونِ جَارِهِ
إِذَا أَنَا لَمْ أُصْبِحْ غَيُوراً عَلَى الْعِلْمِ

وَقَصَدْتُ قَصِيداً مِنْ شِعْرِهِ ، يَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ قَلَائِدِ دُرِّهِ ، قَدْ هَذَّبَهَا فِي مُدَّةِ سِنِينَ ، وَمَدَحَ بِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَ فِيهَا :

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ دُرٍّ تَنْظِمُ ؟

فَكَانَ لَعَمْرِي نَاظِماً غَيْرَ أَنَّهُ
كَحَاطِبِ لَيْلٍ فَاتَهُ (٦) مِنْهُ طَائِلُ

فَوَاعَجَبَا كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ ؟
وَوَا أَسَفَا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلُ ؟

---

(١) كانت فى الأصل « بقوله ما أذكره » . (٢) الكراع من الدواب : ما دون الكعب ، ومن الانسان : ما دون الركبة ، والذراع من أيدى البقر والغنم : فوق الكراع ، ومن يدى البعير والخيل والبغال والحمير : فوق الوظيف ، ومن الانسان : من طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى والساعد (٣) بهرج الخ : خرج عن الجادة القاصدة (٤) المثل لامرأة من عذرة تدعى أسماء بنت عبد الله ، كان لها زوج من بنى عمها يسمى عروسا مات عنها فلقيت بؤسا جعلها تترك خدرها وتهجر عطرها . (٥) الغيران : ذو الغيرة (٦) كحاطب ليل : مثل يضرب للمخلط الذى يتكلم بالغث والسمين .

وَتَتَبَّعْتُ مَا فِيهَا مِنْ غَلَطَاتِهِ ، وَأَظْهَرْتُ مَا خَفِيَ فِيهَا مِنْ سَقَطَاتِهِ[(١)] ، وَلَبِسْتُ لَهُ جِلْدَ النَّمِرِ[(٢)] . وَانْدَفَقْتُ عَلَيْهِ كَالسَّيْلِ الْمُنْهَمِرِ[(٣)] . بَعْدَ أَنْ كَتَبَهَا بِخَطِّهِ . وَزَيَّنَهَا بِإِعْرَابِهِ وَضَبْطِهِ :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرَنٍ[(٤)]
لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ[(٥)]

فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَخْطَأَ مِنْهَا فِي وَاحِدٍ وَعِشْرِينَ مَكَاناً ، عُدِمَ فِيهَا تَمَكُّناً مِنَ الْعِلْمِ وَإِمْكَاناً[(٦)] ، فَمِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ مَوْضِعاً تُوَضِّحُهَا الْكِتَابَةُ وَالنَّظَرُ ، وَمِنْهَا خَمْسَةٌ تُوَضِّحُهَا الْمُجَادَلَةُ وَالنَّظَرُ[(٧)] فَهَذَا مِنْ جَيِّدِ مُخْتَارِهِ وَمَا يَظْهَرُ عَلَى اخْتِيَارِهِ . وَإِنْ وَقَعَ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْ مُزَوَّقِ شِعْرِهِ أَوْ مُنَوَّقِ مُسْتَعَارِهِ[(٨)] ، لَأَعْصِبَنَّهُ فِيهِ عَصْبَ السَّلَمَةِ[(٩)] ، وَلَأُعَذِّبَنَّهُ تَعْذِيبَ الظَّلَمَةِ :

---

(١) أى زلاته جمع سقطة (٢) لبست له الخ : مثل يضرب فى إظهار العداوة وكشفها (٣) المنهمر من الماء : المنسكب ، ومن الكلام : الكثير .

(٤) لز : شد ، والقرن محركة : الحبل يقرن به البعيران ونحوهما (٥) الصولة : السطوة والقهر والقدرة ، والبزل : جمع بازل : وهو ما طلع نابه من الابل ذكرا كان أم أنثى ، والقناعيس جمع قنعاس : وهو الشديد العظيم منها (٦) التمكن من العلم : التثبت منه والظفر به والقدرة على فهمه . والامكان : السهولة والتيسير مع القدرة أيضا .

(٧) النظر الأولى : التطلع ، والثانية : البحث (٨) مزوق شعره : مزينه ومنقشه ومحسنه ، ومنوق مستعاره : محكمه ومجوده وملونه من نوق كنيق : بالغ فى الانتياق كالانتقاء : أى الاختيار . (٩) لأعصبنه الخ قال أبوعبيدة : السلمة : شجرة إذا أرادوا قطعها عصبوا أغصانها عصبا شديدا حتى يصلوا إلى أصلها فيقطعوها

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ بَدَأْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

وَلَوْ أَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى قُصُورِهِ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَيْسُورِهِ، وَسَتَرَ عَوَارَهُ[1] وَلَمْ يُبْدِ شَوَارَهُ[2] لَطَوَيْتُهُ عَلَى غَرِّهِ[3]، وَلَمْ أُنَبِّهْ عَلَى عَارِهِ وَعَرِّهِ[4] فَإِنَّ مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعِثَارَ[5] وَسَلِمَ مِنْ سَالِمِ النَّقْعِ[6] الْمُثَارِ، وَلَكِنْ كَانَ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ، فَلَحِقَ «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» وَخَطَؤُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ فَاتَهُ فِيهِ أَدَبُ الدَّرْسِ، فَيَقْسَّمُ أَيْضًا قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لَفْظِيٌّ وَقِسْمٌ مَعْنَوِيٌّ، فَأَمَّا الْقِسْمُ اللَّفْظِيُّ: فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ أَيْضًا قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لُغَوِيٌّ، وَقِسْمٌ صِنَاعِيٌّ، فَأَمَّا الْقِسْمُ اللُّغَوِيُّ: فَإِنَّهُ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَحْتَمِلْ هَذَا الْمُخْتَصَرُ ذِكْرَهُ.

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

دِيبَاجُ وَجْهِكَ بِالْعِذَارِ مُطَرَّزُ[7] بَرَزَتْ مَحَاسِنُهُ وَأَنْتَ مُبَرِّزُ

---

(١) أى عيبه (٢) شواره: حسنه وجماله وهيئته وزينته

(٣) غره: كسره، والجملة مثل يضرب لمن يوكل على رأيه — أى تركته على ما انطوى عليه وركن إليه (٤) عره: جربه (٥) الجدد محركة: الأرض المستوية، والعثار بالكسر: الشر والمكروه (٦) النقع: الغبار، والمثار: المهاج المتطاير فى الهواء (٧) ديباج الخ: الديباج: الثوب الذى سداه ولحمته حرير، مفرب، والمراد: صفحة الوجه، والعذار من الوجه: ما ينبت عليه الشعر المستطيل المحاذى لشحمة الأذن إلى أصل اللحى

وَبَدَتْ عَلَى غُصْنِ الصِّبَا لَكَ رَوْضَةٌ
وَالْغُصْنُ يَنْبُتُ فِي الرِّيَاضِ وَيَغْرِزُ
وَجَنَتْ عَلَى وَجَنَاتِ خَدِّكَ حُمْرَةٌ
خَجِلَ الشَّقِيقُ بِهَا وَحَارَ الْقِرْمِزُ (١)
لَوْ كُنْتَ مُدَّعِياً نُبُوَّةَ يُوسُفٍ
لَقَضَى الْقِيَاسُ بِأَنَّ حُسْنَكَ مُعْجِزُ

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

زَهْرُ الْحُسْنِ فَوْقَ زَهْرِ الرِّيَاضِ ... مِنْهُ لِلْغُصْنِ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ
قَدْ حَمَى وَرْدَهُ وَنَرْجِسَهُ الْغَضْ ... ضَ سُيُوفٌ مِنَ الْجُفُونِ مَوَاضِ (٢)
فَإِذَا مَا اجْتَنَيْتَ بِاللَّحْظِ فَاحْذَرْ ... مَا جَنَتْ صِحَّةُ الْعُيُونِ الْمِرَاضِ (٣)
فَلَهَا فِي الْقُلُوبِ فَتْكَةُ بَاغٍ ... رُوِيَتْ عَنْهُ فَتْكَةُ الْبَرَّاضِ (٤)

(١) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة ، اسم جنس واحده شقيقة وجمعه شقائق ، وقد كثرت إضافته إلى النعمان بن المنذر لحمايته له والقرمز : صبغ أرمني يكون من عصارة دود يكون في آجامهم ، وقيل : هو هو أحمر كالعدس محبب يقع على نوع من البلوط في شهر ازار ، فان غفل عنه ولم يجمع صار طائرا وطار .

(٢) مواض : قواطع ، جمع ماض (٣) اللحظ : النظر : بمؤخر العين ، واجتنيت : اقتطفت ، والعيون المراض : الفاترة ، جمع مريضة أي فيها فتور (٤) الفتكة : بطش وقتل على غرة . والبراض : ابن قيس الكناني أحد فتاك العرب وفاتك رجل هوازن عروة الرحال حامي لطيمة كسرى : وهي الابل التي تحمل تجارته من بز وطيب إلى أسواق العرب .

وَإِذَا فوّقَتْ سِهَاماً مِنَ الْهُدْ ـبِ رَمَيْنَ السِّهَامَ بِالْأَغْرَاضِ
وَاغْتَنِمْ بَهْجَةَ الزَّمَانِ وَبَادِرْ شَمْسَ أَيَّامِهِ الطِّوَالِ الْعِرَاضِ
بِشُمُوسِ الْكُئُوسِ تَحْتَ نُجُومٍ
فِي طُلُوعٍ مِنْ أُفْقِهَا وَانْقِضَاضِ (١)
وَاجْلُ مِنْ جَوْهَرِ الدِّنَانِ عَرُوساً
نَطَّقَتْ عَنْ جَوَاهِرِ الْأَعْرَاضِ
كُلَّمَا أُبْرِزَتْ أَرَتْكَ لَهَا وَجْـ
ـهَ انْبِسَاطٍ يُعْطِيكَ وَجْهَ انْقِبَاضِ
فَعَلَى الْأُفْقِ لِلْغَمَامِ مُلَاءٌ طَرَّزَتْهَا الْبُرُوقُ بِالْإِيمَاضِ (٢)
وَكَأَنَّ الرُّعُودَ إِرْزَامُ نُوقٍ
فُصِلَتْ دُونَهَا بَنَاتُ الْمَخَاضِ (٣)
أَوْ صَهِيلُ الْجِيَادِ لِلْمَلِكِ الظَّا
ـظَاهِرِ تَسْرِي بِالْجَحْفَلِ النَّهَّاضِ (٤)

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَهْجُو ابْنَ النَّابُلُسِيِّ الْمَذْكُورَ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِمَدْلَوَيْـ ـهِ (٥) إِذَا بَدَا شِبْهَ الْمَرِيضِ

(١) أي سقوط بسرعة (٢) ملاء بالضم اسم جنس ملاءة : وهي الريطة ذات لفقين ، وثوب يلبس على الفخذين والايماض : البريق والضوء (٣) إرزام النوق الخ : صوت حنينها على أولادها وبنات المخاض : ما بلغ السنتين ودخل في الثالثة من الابل
(٤) الجحفل : الجيش ذو الجحافل ، والجحفلة : الكتيبة أي الجيش الكثير العدد ، والنهاض: الكثير النهوض السريع (٥) مدلويه اسم كسيبويه ، والمدل : الخسيس

قَدْ ذَابَ مِنْ بَخَرٍ (١) بِفِيـ ـهِ بَدَا مِنَ الْخُلْقِ الْبَغِيضِ
وَتَكَسَّرَتْ أَسْنَانُهُ بِالْعَضِّ فِي جَعْسِ الْقَرِيضِ (٢)
وَتَقَطَّعَتْ أَنْفَاسُهُ عَرَضاً بِتَقْطِيعِ الْعَرُوضِ

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَهْجُو ابْنَ النَّابُلُسِيِّ الْمَذْكُورَ :

يَا مَنْ تَأَمَّلَ مَدْلَوَيْـ ـهِ وَشَكَّ فِيمَا يُسْقِمُهْ
أُنْظُرْ إِلَى بَخَرٍ بِفِيـ ـهِ وَمَا أَظُنُّكَ تَفْهَمُهْ
لَا تَحْسَبَنَّ بِأَنَّهُ نَفَسٌ يُغَيِّرُهُ فَمُهْ
لَكِنَّمَا أَنْفَاسُهُ نَتُنَتْ بِشِعْرٍ يَنْظِمُهْ

وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمَائَةٍ بِحَلَبَ:

أَرَى بُغْضِي عَلَى الْجُهَلَاءِ دَاءً يَمُوتُ بِبُغْضِهِ الْقَلْبُ الْعَلِيلُ
فَهُمْ مَوْتَى النُّفُوسِ بِغَيْرِ دَفْنٍ وَأَحْيَاءٌ عَزِيزُهُمُ ذَلِيلُ
يُغَطُّونَ السَّمَاءَ بِكُلِّ كَفٍّ لَهَا فِي الطَّوْلِ (٣) تَقْصِيرٌ طَوِيلُ
وَيَبْدُونَ الطَّلَاقَةَ (٤) مِنْ وُجُوهٍ
كَمَا يَبْدُو لَكَ الْحَجَرُ الصَّقِيلُ
إِذَا قَامُوا لِمَجْدٍ أَقْعَدَتْهُمْ مَسَالِكُ مَا لَهُمْ فِيهَا سَبِيلُ
وَإِنْ طَلَبُوا الصُّعُودَ فَمُسْتَحِيلٌ وَإِنْ لَزِمُوا النُّزُولَ فَمَا يَزُولُ

(١) البخر محركة : النتن فى الفم وغيره ، وكل رائحة ساطعة كريهة (٢) جعس القريض : رجيعه ، والقريض : الشعر (٣) الطول : الفضل والعطاء
(٣) الطلاقة : إشراق الوجه وضحكه

كَذَاكَ السَّجْلُ (١) فِى الدُّولَابِ يَعْلُو
صُعُودًا وَالصُّعُودُ لَهُ نُزُولُ

وَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ بِالتَّارِيخِ :

لَنَا صَدِيقٌ بِهِ انْقِبَاضٌ وَنَحْنُ بِالْبَسْطِ نَسْتَلِذْ
لَا يَعْرِفُ الْفَتْحَ فِى يَدَيْهِ إِلَّا إِذَا مَا أَتَاهُ أَخْذْ
فَكَفُّهُ «كَيْفَ» حِينَ يُعْطِى شَيْئًا وَبَعْدَ الْعَطَاءِ «مُنْذُ» (٢)

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضًا :

لَا تُرِدْ مِنْ خِيَارِ دَهْرِكَ خَيْرًا فَبَعِيدٌ مِنَ السَّرَابِ الشَّرَابُ
رَوْنَقٌ كَالْحَبَابِ يَعْلُو عَلَى الْكَا
سِ وَلَكِنْ تَحْتَ الْحَبَابِ الْحُبَابُ (٣)
عَذُبَتْ فِى النِّفَاقِ أَلْسِنَةُ الْقَوْ
مِ وَفِى الْأَلْسُنِ الْعِذَابِ الْعَذَابُ (٤)

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضًا مُوَشَّحَةً عَلَى طَرِيقَةِ الْمَغَارِبَةِ :

فِى زَهْرَةٍ وَطِيبِ بُسْتَانِى مِنْ أَوْجُهٍ مِلَاحْ
أَجْلُو عَلَى الْقَضِيبِ رَيْحَانِى وَالْوَرْدَ وَالْأَقَاحْ

***

مَا رَوْضَةُ الرَّبِيعِ فِى حُلَّةِ الْكَمَالْ

(١) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثر (٢) يشير إلى ما ترسم كاف كيف من فتح ، وميم منذ من ضم (٣) الحباب بالفتح كالحبب محركا : الفقاقيع التى تطفو فوق الماء أو الشراب كأنها القوارير ، والحباب بالضم : الحية (٣) العذاب بالكسر : جمع عذب ، والعذاب بالفتح : النكال والعقوبة .

تَزْهُو عَلَى رَبِيعٍ مَرَّتْ بِهِ الشَّمَالْ
فِي الْحُسْنِ كَالْبَدِيعِ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالْ

***

نَاهِيكَ مِنْ حَبِيبٍ نَشْوَانَ بِالدَّلِّ وَهْوَ صَاحْ
إِنْ قُلْتُ وَالْهِيبِي حَيَّانِي مِنْ ثَغْرِهِ بِرَاحْ (١)

***

كَمْ بِتُّ وَالْكُئُوسُ تُجْلَى (٢) مِنَ الدِّنَانْ
كَأَنَّهَا عَرُوسٌ زُفَّتْ مِنَ الْجِنَانْ
تَبْدُو لَنَا الشُّمُوسُ مِنْهَا عَلَى الْبَنَانْ

***

لَمْ أَخْشَ مِنْ رَقِيبٍ يَنْهَانِي أَلْهُو إِلَى الصَّبَاحْ
مَعْ شَادِنٍ رَبِيبٍ فَتَّانٍ زَنْدِي لَهُ وِشَاحْ (٣)

***

خَيْلُ الصِّبَا بِرَكْضِي تَجْرِي مَعَ الْغُوَاهْ (٤)
فِي سُنَّتِي وَفَرْضِي لَا أَبْتَغِي سِوَاهْ
وَحُجَّتِي لِعَرْضِي مَا تَنْقُلُ الرُّوَاهْ

***

عَنْ عَاقِلٍ لَبِيبٍ أَفْتَانِي أَنَّ الْهَوَى مُبَاحْ
وَالرَّشْفُ مِنْ شَنِيبٍ (٥) رَيَّانَ مَا فِيهِ مِنْ جُنَاحْ

---

(١) الراح : الخمر (٢) تجلى مبنى للمجهول : أى تعرض مجلوة كالعروس
(٣) الوشاح بالضم والكسر : شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها (٤) الغواة جمع غاو : وهو الضال (٥) الشنيب : ذو الشنب : وهو ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان ، أو نقط بيض فيها ، أو حدة الأنياب كالغرب تراها كالمنشار . والمشانب : الأفواه الطيبة .

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضاً مُوَشَّحَةً :

أَىُّ عَنْبَرِيَّهْ فِى غَلَائِلِ الْغَلَسْ (١)
مِنْ زَبَرْجَدِيَّهْ تُنْبِتُهُ النَّعِسْ (٢)

***

جَادَهَا الْغَمَامُ فَانْتَشَى بِهَا الزَّهَرْ
وَابْتَدَا الْكِمَامُ (٣) أَعْيُنًا بِهَا سَهَرْ
وَشَدَا الْحَمَامُ حِينَ صَفَّقَ النَّهَرْ

***

وَارْتَدَتْ عَشِيَّهْ كَمَلَابِسِ الْعُرُسْ (٤)
حُلَلًا سَنِيَّهْ مَادَنَتْ مِنَ الدَّنَسْ

***

وَامْلَإِ الْكُئُوسَا فِضَّةً عَلَى الذَّهَبْ
وَاجْلُهَا عَرُوسًا تُوِّجَتْ مِنَ الشُّهُبْ
تَطْلُعُ الشُّمُوسَا فِى سَنًا مِنَ اللَّهَبْ

***

فَلَهَا مَزِيَّهْ فِى الدُّجَى عَلَى الْقَبَسْ
بِحُلًى شَهِيَّهْ كَمَحَاسِنِ اللَّعَسْ (٥)

***

مُخْبِرٌ سَنَاهَا عَنْ تَطَايُرِ الشَّرَرْ
فَازَ مَنْ جَنَاهَا مِنْ قَلَائِدِ الدُّرَرْ

(١) الغلائل جمع غلالة : وهي الثوب يلبس تحت الثياب ، والغلس : ظلمة آخر الليل ، وزبرجدية ، نسبة إلى الزبرجد : وهوحجريشبه الزمرد (٢) بالأصل « تنبته النفس » (٣) الكمام بالكسر : وعاء الثمر (٤) العرس بضمتين : الرجل والمرأة ما داما فى إعراسهما (٥) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة

فَإِذَا تَنَاهَى فِى الْخَلَائِقِ الْغُرَرْ

***

قُلْتُ ظِهْرِيَّةٌ أُظْهِرَتْ لِلْتَمِسْ

مِنْ عُلًا أَبِيَّةٌ مَا تُنَالُ بِالْخُلَسْ(١)

وَأَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ أَيْضاً:

لَا خَيْرَ فِى أَوْجُهٍ صِبَاحٍ تُسْفِرُ عَنْ أَنْفُسٍ قِبَاحِ

كَالْجُرْحِ يَنْبَنِى عَلَى فَسَادٍ بِظَاهِرٍ ظَاهِرِ الصَّلَاحِ

فَقُلْ لِمَنْ مَالُهُ مَصُونٌ أُصِبْتَ فِى عِرْضِكَ الْمُبَاحِ

وَأَنْشَدَنِى أَيْضاً لِنَفْسِهِ:

جِدُّ الصِّبَا فِى أَبَاطِيلِ الْهَوَى لَعِبُ

وَرَاحَةُ اللَّهْوِ فِى حُكْمِ النُّهَى(٢) تَعَبُ

وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ مَجْدٍ يُؤَثِّلُهُ(٣)

مَنْ أَبْعَدَتْهُ مَرَامِى الْعَزْمِ وَالطَّلَبُ

وَقَادَهَا كَظَلَامِ اللَّيْلِ حَامِلَةً

أَهِلَّةً طَلَعَتْ مِنْ بَيْنِهَا الشُّهُبُ

مُنْقَضَّةً مِنْ سَمَاءِ النَّقْعِ فِى أُفُقٍ

شَيْطَانُهُ بِغَمَامِ الدِّرْعِ مُحْتَجِبُ

---

(١) الخلس جمع خلسة كغرفة وغرف: اسم من الاختلاس، وهو السلب أو الاختطاف بسرعة على غفلة، أو أخذ الشيء فى نهزة ومخاتلة (٢) النهى: العقول جمع نهية، وهي العقل (٣) يؤثله: يزكيه ويؤصله

وَاسْوَدَّ وَجْهُ الضُّحَى مِمَّا أَثَارَ بِهِ(١)
وَأَشْرَقَ الْأَبْيَضَانِ الْوَجْهُ وَالنَّسَبُ
فِي مَوْقِفٍ يَسْلُبُ الْأَرْوَاحَ سَالِبُهَا
حَيْثُ الْمَوَاضِي قَوَاضٍ وَالْقَنَا سَلَبُ
لَا يُرْهِبُ الْمَرْءُ مَا لَمْ تَبْدُ سَطْوَتُهُ
لَوْلَا السِّنَانُ اسْتَوَى الْخَطِّيُّ وَالْقَصَبُ
إِنَّ النُّهُوضَ إِلَى الْعَلْيَاءِ مَكْرُمَةٌ
لَهَا الْتِذَاذَانِ مَشْهُودٌ وَمُرْتَقَبُ
وَالْمُلْكُ صِنْفَانِ مَحْصُولٌ وَمُلْتَمَسٌ
وَالْمَجْدُ نَوْعَانِ مَوْرُوثٌ وَمُكْتَسَبُ
وَالنَّاسُ ضِدَّانِ مَرْزُوقٌ وَمُحْتَرَمٌ
تَحْتَ الْخُمُولِ وَمَغْصُوبٌ وَمُغْتَصِبُ
وَالطَّاهِرُ النَّفْسِ لَا تُرْضِيهِ مَرْتَبَةٌ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِذَا انْحَطَّتْ لَهَا الرُّتَبُ
وَالْفَضْلُ كَسْبٌ فَمَنْ يَقْعُدْ بِهِ نَسَبٌ
يَنْهَضْ بِهِ الْأَفْضَلَانِ الْعِلْمُ وَالْحَسَبُ(٢)

(١) بالأصل « أشار به » تحريف (٢) الحسب : ماتعده من مفاخر آبائك وهو أكثر مايراد ، ويقابله حينئذ النسب : وهو ما ينسب إلى المرء بعمله ، أو الحسب : ما يحسب للمرء من عمله وهو القليل ، ولكنه المراد هنا ، ويقابله حينئذ النسب : وهو ما ينسب إلى المرء عن آبائه .

لِلّٰهِ دَرُّ الْمَسَاعِي (١) مَا أَسْتَدِرُّ بِهَا
خَلْفَ السِّيَادَةِ إِلَّا أَمْكَنَ الْحَلَبُ
وَحَبَّذَا (٢) هِمَّةٌ فِي الْعَزْمِ مَا انْتُدِبَتْ
لِمُبْهَمِ الْخَطْبِ إِلَّا زَالَتِ الْحُجُبُ
وَمَوْطِنٌ يُسْتَفَادُ الْعِزُّ مِنْهُ كَمَا
أَفَادَتِ الْعِزَّ مِنْ سُلْطَانِهَا حَلَبُ

وَمِنْهَا:

مُؤَيَّدُ الرَّأْيِ وَالرَّايَاتِ قَدْ أَلِفَتْ
ذَوَائِبَ الْقَوْمِ مِنْ رَايَاتِهَا الْعَذَبُ
إِنْ نَازَلُوهُ وَقَدْ حَقَّ النِّزَالُ فَمِنْ
أَنْصَارِهِ الْخَاذِلَانِ الْجُبْنُ وَالرُّعْبُ
أَوْ كَاتَبُوهُ تَخَيَّلْ مِنْ كَتَائِبِهِ
تُجِيبُ لَا الْمُخْبِرَانِ الرُّسْلُ وَالْكُتُبُ
مُغَاوِرٌ يَنْهَبُ الْأَعْمَارَ ذَابِلُهُ (٣)
فِي غَارَةِ الْحَرْبِ وَالْأَمْوَالُ تُنْتَهَبُ
فِي جَحْفَلٍ قَابَلُوا شَمْسَ النَّهَارِ عَلَى
مِثْلِ الْبِحَارِ بِمِثْلِ الْمَوْجِ يَضْطَرِبُ

(١) المساعى جمع مسعى : السعى والمسلك والتصرف (٢) حبذا : فعل مدح بمعنى نعم ، مركب من حب وذا (٣) مغاور : أى مقاتل كثير الغارات ، والذابل صفة للرمح : أى رقيق لاصق بالليط

حَتَّى كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ بَيْنَهُمُ فَوْقَ الدُّرُوعِ عَلَى غُدْرَانِهَا لَهَبُ

مَا أَنْكَرَ الْهَامُ مِنْ أَسْيَافِهِ ظُبَةً

وَإِنَّمَا أَنْكَرَتْ أَسْيَافَهُ الْقُرُبُ[1]

مَا يَدْفَعُ الْخَطْبَ إِلَّا كُلُّ مُنْدَفِعٍ

فِي مَدْحِهِ الْأَفْصَحَانِ الشِّعْرُ وَالْخُطَبُ

وَمَنْ إِذَا مَا انْتَمَى فِي يَوْمِ مُفْتَخَرٍ

أَطَاعَهُ الْعَاصِيَانِ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ

وَأَنْشَدَنِي مِنْ قَصِيدَةٍ لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

أَفِي الْبَانِ إِنْ بَانَ الْخَلِيطُ مُخَبِّرُ ؟

عَسَى مَا انْطَوَى مِنْ عَهْدِ لَمْيَاءَ[2] يُنْشَرُ

فَكَمْ[3] حَرَكَاتٍ فِي اعْتِدَالِ سُكُونِهَا

أَحَادِيثُ يَرْوِيهَا النَّسِيمُ الْمُعَطَّرُ

يَوَدُّ ظَلَامُ اللَّيْلِ وَهْوَ مُمَسَّكٌ

لَذَاذَتَهَا وَالصُّبْحُ وَهْوَ مُزَعْفَرُ[4]

أَحَادِيثُ لَوْ أَنَّ النُّجُومَ تَمَتَّعَتْ

بِأَسْرَارِهَا لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَغُوَّرُ[5] ؟

---

(١) القرب جمع قراب : وهو الغمد (٢) البان : شجر يشبه به القد لطوله ، ولمياء : لعله اسم عشيقة ، واللمياء : التى فى شفتها لمى : وهو سمرة فى باطن الشفة وذلك مما يستحسن (٣) بالاصل « نعم » تحريف . (٤) الممسك : المطيب بالمسك ، والمزعفر : المصبوغ بالزعفران (٥) أى تغرب

يَمُوتُ بِهَا دَاءُ الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلٌ
وَيَحْيَا بِهَا مَيْتُ الْجَوَى وَهْوَ مُقْبَرُ
فَيَا لَنَسِيمٍ صِحَّتِي فِي اعْتِلَالِهِ
وَصَحْوِى إِذَا مَا مَرَّ بِي وَهْوَ مُسْكِرُ
كَأَنَّ بِهِ مَشْمُولَةً بَابِلِيَّةً
صَفَتْ وَهْيَ مِنْ غُصْنِ الشَّمَائِلِ تُعْصَرُ
إِذَا نَشَأَتْ مَالَتْ بِلُبِّكَ نَشْوَةً
كَمَا مَالَ مَهْزُورٌ يُمَاحُ (١) وَيُمْطَرُ

وَقَالَ يَمْدَحُ الْوَزِيرَ جَمَالَ الدِّينِ الْقَاضِيَ الْأَكْرَمَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيَّ الْقِفْطِيَّ مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ وَيَلْتَمِسُ مِنْهُ أَنْ يُرَتِّبَهُ فِي خِدْمَةٍ :

يَا سَيِّدِي قَدْ رُمِيتُ مِنْ زَمَنِي
بِحَادِثٍ ضَاقَ عَنْـهُ مُحْتَمَلِي
وَأَنْتَ فِي رُتْبَةٍ إِذَا نَظَرَتْ إِلَيَّ صَارَ الزَّمَانُ مِنْ قِبَلِي
وَالنَّظْمُ وَالنَّثْرُ قَدْ أَجَدْتُهُمَا فِيكَ فَلَا تَتْرُكِ الْإِجَادَةَ لِي
فِدَاكَ قَوْمٌ إِذَا وَقَفْتُ بِهِمْ رَأَيْتَنِي وَاقِفًا عَلَى طَلَلِ
تَشْغَلُ أَمْوَالُهُمْ مَسَاعِيَهُمْ فَهُمْ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فِي شُغُلِ

(١) أى يسقى مأخوذ من الميح : وهو ملء الدلو من البئر

تَحْمِي حِمَاهَا أَعْرَاضُهُمْ فَإِذَا
مَاتَتْ حِمَاهَا سُورٌ مِنَ الْبُخْلِ
مَعَاوِلُ الذَّمِّ فِيهِ عَامِلَةٌ إِعْمَالَهَا فِي مَغَايِرِ[1] الْجَبَلِ
نَعْلُكَ تَاجٌ إِذَا رَفَعْتَهُمُ لِرَأْسِ حَافٍ مِنْهُمْ وَمُنْتَعِلِ
فَاسْمَعْ حَدِيثِي فِي مُغَازَلَةٍ
تَبُثُّ[2] شَكْوَى فِي مَوْضِعِ الْغَزَلِ
قَدْ كُنْتُ فِي رَاحَةٍ مُكَمَّلَةٍ أُحْيِي الْمَعَالِي بِمَيِّتِ الْأَمَلِ
أَرْفُلُ فِي عِزَّةِ الْقَنَاعَةِ فِي ذَيْلٍ عَلَى النَّائِبَاتِ مُنْسَدِلِ[3]
فَمِنْذُ مَا طَالَتِ الْبِطَالَةُ[4] بِي
وَصَارَ لِي حَاجَةٌ إِلَى الْعَمَلِ
قَالَ أُنَاسٌ نَبِّهْ لَهَا عُمَرًا
فَقُلْتُ حَسْبِي رَأْيُ الْوَزِيرِ عَلِي

يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْوَبَارِ أَحَدَ حُجَّابِ أَتَابَكَ طُغْرُلَ شِهَابِ الدِّينِ الْخَادِمِ الْمُسْتَوْلِي فِي أَيَّامِنَا عَلَى حَلَبَ وَقَلْعَتِهَا:

قَدْ بِتُّ مِنْ وَعْدِهِ عَلَى ثِقَةٍ أَمِنْتُ فِي حَلْيِهَا مِنَ الْعَطَلِ
فَالْأَكْرَمُ ابْنُ الْكِرَامِ لَوْ سَبَقَتْ
وُعُودُهُ بِالشَّبَابِ لَمْ يَحُلِ[5]

(١) المعاول جمع معول : الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر : ومغاثر : جمع مغارة : وهي الكهف في الجبل (٢) أي تكشف وتظهر (٣) أي مسبل مرخى
(٤) البطالة : التعطل من العمل (٥) أي لم يتحول

يَفِرُّ مِنْ وَعْدِهِ الْمِطَالُ (١) كَمَا
تَفِرُّ آرَاؤُهُ مِنَ الزَّلَلِ
أَخْلَاقُهُ حُلْوَةُ الْمَذَاقِ فَلَوْ شَبَّهْتُهَا مَا ارْتَضَيْتُ بِالْعَسَلِ
تَنْظِمُ دُرًّا عَلَى الطُّرُوسِ كَمَا يُنْظَمُ دُرُّ الْحُلِىِّ فِى الْحُلَلِ
بِمَنْطِقٍ لَوْ سَرَتْ فَصَاحَتُهُ
فِى اللُّكْنِ (٢) لَاسْتَفْصَحَتْ مِنَ الْخَطَلِ
تَمُجُّ أَقْلَامُهُ إِذَا كُتِبَتْ مَاءَ الْمَنِى مِنْ أَسِنَّةِ الْأَسَلِ (٣)
وَإِنْ سَطَتْ فِى مُلِمَّةٍ (٤) نُسِيَتْ صِفِّينُ مِنْهَا وَوَقْعَةُ الْجَمَلِ
مُبَيِّنٌ عِلْمُهُ لِسَائِلِهِ مَسَائِلًا أَشْكَلَتْ (٥) عَلَى الْأُوَلِ
لِكُلِّ عِلْمٍ فِى بَابِهِ عَلَمٌ يُهْدِى إِلَى قِبْلَةٍ مِنَ الْقِبَلِ
أَىُّ جَمَالٍ مَا فِيهِ أَجْمَلُهُ عَلَى وُجُوهِ التَّفْصِيلِ وَالْجُمَلِ؟
جَلَّ الَّذِى أَظْهَرَتْ بَدَائِعُهُ مِنْهُ مَعَانِى الرِّجَالِ فِى رَجُلِ (٦)

﴿ ٤٩ — الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ الْأَنْبَارِىُّ أَبُو مُحَمَّدٍ * ﴾

القاسم بن محمد الأنبارى

وَالِدُ أَبِى بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَنْبَارِىِّ ، كَانَ مُحَدِّثًا أَخْبَارِيًّا ،

---

(١) المطال : التسويف فى العدة والليان بها (٢) اللكن جمع ألكن : وهو العى الثقيل اللسان (٣) تمج الخ : تستكره : والمنى بفتح الميم : الموت كالمنية . والأسل : الرماح واحدها أسلة (٤) الملمة : النازلة التى تلم وتنزل (٥) أى التبست
(٦) معانى الرجال : مميزاتهم وفضائلهم : وهذا كقول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له أيضا فى بغية الوعاة .

ثِقَةٌ صَاحِبَ عَرَبِيَّةٍ ، أَخَذَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ وَأَبِي عِكْرِمَةَ الضَّبِّيِّ ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ غُرَّةَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَقَالَ ثَابِتُ ابْنُ سِنَانٍ : مَاتَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ . كِتَابُ خَلْقِ الْفَرَسِ ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ شَرْحِ السَّبْعِ الطِّوَالِ [1] ، رَوَاهَا أَبُوغَالِبٍ ابْنُ بِشْرَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ كُرْدَانَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَرَّاحِ الْخَرَّازِ [2] عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِيهِ .

وَمِمَّا يُرْوَى لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ هٰذَا :

إِنِّي بِأَحْكَامِ النُّجُومِ مُكَذِّبُ ... وَلِمُدَّعِيهَا لَائِمٌ وَمُؤَنِّبُ
أَلْغَيْبُ يَعْلَمُهُ الْمُهَيْمِنُ وَحْدَهُ
وَعَنِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مُغَيَّبُ
أَللّٰهُ يُعْطِي وَهُوَ يَمْنَعُ قَادِراً
فَمَنِ الْمُنَجِّمُ وَيْحَهُ وَالْكَوْكَبُ ؟

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْفِهْرِسْتِ الَّذِي تَمَّمَهُ الْوَزِيرُ الْكَامِلُ

(١) بهامش الاصل « هذا لم يذكره صاحب الفهرست ص ٧٥ »

(٢) الخراز : الذي يخرز الخف ونحوه بالخراز ، فعال من الخرز يراد به النسبة كالبقال والعطار ونحوهما .

أَبُو الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيُّ وَلَمْ أَجِدْ هَذَا فِي النُّسْخَةِ الَّتِي بِخَطِّ الْمُصَنِّفِ، أَوْ قَدْ ذَهَبَ عَنْ ذُكْرِي[١] قَالَ: ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ: قَدِمْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَمُحَمَّدٌ صَغِيرٌ وَلَيْسَ لِي دَارٌ، فَبَعَثَ بِي ثَعْلَبٌ إِلَى قَوْمٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو بَدْرٍ فَأَعْطَوْنِي شَيْئًا لَا يَكْفِينِي وَذَكَرُوا كِتَابَ الْعَيْنِ فَقُلْتُ: عِنْدِي كِتَابُ الْعَيْنِ، فَقَالُوا لِي: بِكَمْ تَبِيعُهُ؟ فَقُلْتُ بِخَمْسِينَ دِينَاراً، فَقَالُوا لِي: قَدْ أَخَذْنَاهُ بِمَا قُلْتَ إِنْ قَالَ ثَعْلَبٌ إِنَّهُ لِلْخَلِيلِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ لِلْخَلِيلِ بِكَمْ تَأْخُذُونَهُ؟ قَالُوا بِعِشْرِينَ دِينَاراً، فَأَتَيْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ فَوْرِي فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي، هَبْ لِي خَمْسِينَ دِينَاراً. فَقَالَ لِي: أَنْتَ مَجْنُونٌ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: لَسْتُ أُرِيدُ مِنْ مَالِكَ وَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَكْذِبُ؟ قُلْتُ حَاشَاكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ الْخَلِيلَ فَرَغَ مِنْ بَابِ الْعَيْنِ ثُمَّ مَاتَ، فَإِذَا حَضَرْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ لِلْحُكُومَةِ[٢] فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَالَا تَشُكُّ فِيهِ. فَقَالَ: تُرِيدُ أَنْ أَنْجُشَ لَكَ؟[٣] قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ هَاتِهِمْ، فَبَكَّرُوا وَسَبَقُونِي، وَحَضَرْتُ فَأَخْرَجُوا

(١) ذكرى بالضم: تذكرى (٢) أى القضاء والفصل بيننا (٣) أنجش الخ: أوافقك مع هذا الثمن وأمدحك، والنجش فى البيع: أن يريد الانسان أن يبيع شيئا فيساومه الآخر فيها بثمن كبير لينظر إليه ناظر فيقع فيه.

الْكِتَابَ وَتَنَاوَلُوهُ وَقَالُوا : هَذَا لِلْخَلِيلِ أَمْ لَا ؟ فَفَتَحَ حَتَّى تَوَسَّطَ بَابَ الْعَيْنِ وَقَالَ : هَذَا كَلَامُ الْخَلِيلِ « ثَلَاثًا » قَالَ : فَأَخَذْتُ خَمْسِينَ دِينَاراً .

﴿ ٥٠ — الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّيمَرْتِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ * ﴾

القاسم بن محمد الديمرتى

مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا يُقَالُ لَهَا دِيمَرْتُ ، رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ مَتُّونَةَ (١) الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَقَالَ حَمْزَةُ : أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ الدِّيمَرْتِيُّ لُغَوِيٌّ نَحْوِيٌّ ، عُنِيَ فِي صِغَرِهِ بِتَصْحِيحِ كُتُبٍ وَقِرَاءَاتِهَا ، ثُمَّ هُوَ مُنْتَصَبٌ (٢) مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً تُقْرَأُ عَلَيْهِ الْكُتُبُ .

وَحَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ مَنْصُورُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الشِّيرَازِيِّ خَازِنُ كُتُبِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَمُعَلِّمُ وَلَدِهِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ وَقَاضِي فَارِسَ وَأَعْمَالِهَا قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّيمَرْتِيُّ لِنَفْسِهِ وَقَدْ سُئِلَ أَنْ يَجْمَعَ الشُّعَرَاءَ الْعَشَرَةَ :

الْأَصْلُ أَنْ تُحْكِمَ شِعْرَ الْعَشَرَةْ
أَشْعَارَ قَوْمٍ فِي زَمَانٍ لَمْ تَرَهْ
أَشْعَارَ بِشْرٍ وَلَبِيدٍ وَعَدِيْ
نَعَمْ وَالْأَعْشَى وَعَبِيدِ الْأَسَدِيْ

(١) بالأصل « ديمرث بالثاء ومتوية » وبكليهما تحريف والصواب ما ذكرناه
(٢) منتصب اسم مفعول ، أى منصوب للقراءة عليه (٣) أى تتقن
(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج ثان ، وترجم له كذلك فى كتاب بغية الوعاة

حَتَّى إِذَا أَحْكَمْتَ شِعْرَ النَّابِغَةِ : . . . .

فَابْتَدِ فِي شِعْرِ امْرِىءِ الْقَيْسِ فَالْفَخْرُ فِي ذَاكَ وَشِعْرِ أَوْسِ

وَابْتَدِرِ الْقَوْمَ وَفِيهِمْ طَرَفَهْ وَكُلَّ مَا قَالَ زُهَيْرٌ فِي صِفَهْ

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَهَذَا شِعْرُ هَذَا الْعَلَّامَةِ كَمَا تَرَى فِي غَايَةِ الرَّكَاكَةِ وَالرَّدَاءَةِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَصْرِيعَ الْبَيْتِ[1] الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ النَّابِغَةِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ تَقْوِيمِ الْأَلْسِنَةِ ، كِتَابُ الْعَارِضِ فِي الْكَامِلِ[2] ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ الْإِبَانَةِ .

قَالَ حَمْزَةُ : وَلَهُ كُتُبٌ كِبَارٌ وَصِغَارٌ ، فَمِنْ كِبَارِ كُتُبِهِ : كِتَابُ الصِّفَاتِ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ ضُرُوبِ الْمَنْطِقِ ، كِتَابٌ سَمَّاهُ كِتَابَ تَهْذِيبِ الطَّبْعِ[3] يَشْتَمِلُ عَلَى قِطْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ نَوَادِرِ اللُّغَةِ . ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي تَارِيخِ أَصْبَهَانَ فَقَالَ : الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّيْمَرْتِيُّ الْأَدِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ رَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَتُّوَيَةَ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ جَمِيلٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ الصَّبَّاحِ .

(١) تصريع البيت : جعله ذا مصراعين (٢) بهامش الأصل : « هاهنا انتهت رواية الفهرست ص ٨٦ » (٣) بهامش الأصل : ذكره صاحب الفهرست ص ١٣١ »

انتهى الجزء السادس عشر

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء السابع عشر ﴾

﴿ وأوله ترجمة ﴾

﴿ القاسم بن محمد بن رمضان العجلانى ﴾

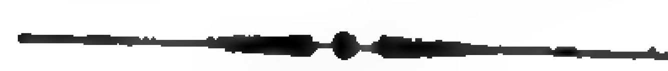


تولى مراجعة هذا الجزء بناء على خطاب وزارة المعارف

رقم ١٧٨٣ المؤرخ ٤/٨/١٩٣٧

الاستاذ السباعى بيومى

المدرس بدار العلوم



الدكتور أحمد فريد رفاعى بك



فهرس

الجزء السادس عشر

« من كتاب معجم الأدباء »

لياقوت الرومى

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
٢٣	١٥	مكانه	مُكَاتَبَةً
٢٦	١٠	لِمَامُ	كَهَامُ
٢٨	٥	تُكلف	تَكلف
٣٢	٣	للمكارم	للمكاره
٣٢	١٤	تبتدى	تغتدى
٤٠	١٦	مبا	مِيمٍ
٤٤	١٣	بدَومة	بدومة
٥٦	٥	تقادمت	تعارضت
٦٠	٨	تكف	تشف
٦١	٨	للنزال	للرحيل
٦١	٩	راحلٌ	واخدٌ
٦١	١٣	الضريرِ	الضريرُ
٦٢	١٢	ويُقرّبه	ويقرب إليه
٦٩	١١	طومارَ	طومارٍ
٧٠	٦	جلس	عُزِل
٧٥	٥	أستاذ	استثناء
٧٧	١٤	بالوهن	بالهون
٨١	٦	أكأتُ — رددتُهُ	أكأتَ — رددتَه

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
		ألحق هذه الكلمة بباب أجأَ	أى فى المعنى، فرد الربعى بقوله: كيأَ الرجل إذا جبن، وفى المادة نفسها: وأَكأَ: جبن
٨٢	٧	مُرَّ	عُدْ
٨٤	١٧	وضع	وضّح
٨٤	١٠	يُر	يَر
٨٥	١٢	أبى الطيب	أبو الطيب
٨٧	٨	حلفت	دلفت. أو رحلت
٨٧	١١	بطنِ	بطنَ
٨٨	٣	فُرُوك	فَروك
٩٢	٩	خمس	خمسة
٩٤	٢	التُّمر	التَّمر
٩٦	٢	خالِص	عالِمٌ
٩٩	١١	والرسائلِ الجيدَةِ والأَشعارِ الرائقةِ	وله الرسائلُ الجيدةُ والأَشعارُ الرائقة، وننبه هنا أن هذه الجملة ليست مما نقله المؤلف عن اليتيمة.
١٠١	٢	حائز	حافظ
١٠٦	٢	تَقَشُّعُ	تَقَشَّعَ

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٣٥	١٦	جبالَ	جبالِ
١٣٩	٤	الجراد	الجهات
١٥٤	٥	يؤتدم	يقتدى
١٦٤	١٦	ورقةً	ورقةَ
١٦٨	٩	نجومه	نجومها
١٦٩	١٢	صدار	مزار
١٨٧	١٤	وهو	وهم
١٩١	٥	وَكانَ المديرُ	كأَنَّ المديرَ
١٩٥	١١	مجلسه	محبسه
٢١٥	٣	أفنانه	أفنائه
٢٢٣	١٠	وإلينا	تحذف
٢٢٥	١٤	أعرف	لا أعرف
٢٣٠	١١	طاعته	طاقته
٢٣٩	١١	أَنشَدت	أُنشِدت

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٨	٥	عشر مجلدات	عشرة مجلدات
١٣	١٣	قصيدةٌ	قصيدةً
٢٢	١٥	واللهُ	واللهِ
٢٣	١٤	واللهُ	واللهِ
٢٤	٥	مجتهدا وفى	ومجتهدا فى
٢٦	٩	وشَنَجَ	وشنّج
٣١	١٣	المعمّرين	المعمرين
٣٣	٩	المكان	الكتاب
٣٦	٣	وهذا	وهكذا
٤٢	١٣	بازلين	باذلين
٤٢	١٧	أثبت	أنبت
٤٩	٦	مبارٌّ	مبارُّ
٥٤	١٧	شرح(١)	يريد أنه كان يجلس جلسة هادئة ساكنة وكان لوقاره لا يتحرك فلم تظهر ذراعه مرة من تحت عباءته
٦٢	٤	كتوبا	طروبا
٦٤	٨	أزهر	إذهو
٦٩	٧	ذكره	وصله
٧٠	١	كلمستهزىء	كالمستهزىء

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٨٣	٥	جِنَح	جِنْح
٨٦	١١	الوعيد	العبوس
٨٨	٤	مِنْكَبيه	مَنْكِبيه
٩٩	٤	تحيةَ	تحيةٌ : على أنها مبتدأ والخبر عليكم
١٠٢	٢	أكثرَ	أكثرُ
١١٣	٣	قال المؤلف: «أراه المهلبى» الخ	الكلام مضطرب ولتوضيحه أذكر هنا أن المؤلف يراد به أبو القاسم إسماعيل بن عباد مؤلف الروزنامجة ، والكلام الذى ذكر بعد وابتدأ بقوله : كان الخ : نقله ياقوت من كتاب الروزنامجة ، وأصله رسالة من الصاحب إسماعيل بن عباد أرسلها إلى أستاذه ابن العميد . انتهى وبهذا التوضيح يسهل على القارئ أن يتابع الكلام .

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١١٣	٧	خود	فى اليتيمة جؤذر وهو أنسب أن يكون اسما لغلام فإن خود من أوصاف النساء .
١١٣	١١	أبى داود	أبى دؤاد
١١٣	١٥	فإذا بلغ بيتا الخ	فَإذا بلغ بيتا يعجب به و يتعجب من نفسه فيه قال .
١١٤	٨	وأزل عن جملتها ، إنه ألخ	فى اليتيمة : وأدل على جملتها أنه الخ وهو أحسن .
١١٧	٣	مشنفةً مقرْطَقةً	مشنّفة مقرطِقة
١١٩	٨	أيّهما	أَيُّهما
١٢٠	٧	وقولُها	وقولَها
١٢٠	٧	قولُ	قولَ
١٣٢	١٢	التضجيع	التضييع
١٣٦	٦	حرمة	حرمّة
١٣٨	١٠	أَمَّا	أَمَا
١٤١	٢	المْرَيّسىُّ	المْرَيّسىّ
١٥١	٥	ببقية	بقيمة
١٥٦	١٥	— سقاه — صوب الصائب	— سقاه صوب الصائب —
١٥٧	١٥	وأعرق	وأغرق

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٦١	١٢	يُفيق	يَفْتِقُ
١٧١	١٣	والحظائرِ	والحظائرَ
١٧٧	٤	أحسنَ	أحسنُ
٢٠١	٢	على	عن
٢٠٦	٣	مثلَ	مثلِ
٢١٤	١٥	شرح ٣ ، ٤	قوله : والحما — جواب القسم إن الكرى . ومعنى لسميه الخ : إن مقلتى لا تعرف من الكرى إلا اسمه لا حقيقته ، ولأشكل جواب قسم محذوف ، وفاعل أشكل يعود على الحما
٢١٧	٩	أَعاطى	أُعاطى
٢٢٠	٣	هُوَ	هَلِ
٢٢٧	١٢	فيكَ	فيكِ
٢٣١	١٥	يَفُل	يُقِل
٢٣٣	١١	بما	كما ، وعذائرُ فاعل لبست ، ومنى متعلق بعذائرُ ، وفاعل لبس ضمير يعود على منزل
٢٣٦	٢	بما	كما

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢٣٦	٣	مِنَ	هى
٢٣٦	٤	العرضُ	العرضَ
٢٣٦	٩	العوانى	الحوانى . أى الابل
٢٣٦	١٢	المنوِّر	المنوَّر
٢٣٧	٥	سيوفُك منه	سيوفَك فيه
٢٤٠	١٤	الموت	للموتِ
٢٤٢	٢	مولى السفاح	ثم مولى السفاح
٢٤٧	١٣	ذاتِ	ذاتَ
٢٤٨	١٦	تحدد	تجدد
٢٦١	٦	قلعوا	أقلعوا
٢٦١	٦	لفؤادى	بفؤادى
٢٦٣	١٧	الخطيب	الخصيب
٢٦٤	١٠	أَلَا	أَلَّا
٢٦٤	١٦	جذل	جزل
٢٦٦	١٥	تعذر	تعنت ، ويحذف الشرح

تنبيه : تنشر استدراكات الجزء السادس عشر هى واستدراكات بقية الأجزاء فى آخر جزء يصدر من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ؟

عبدالجلیل شبلی

